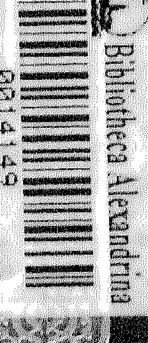
# أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف
سماحة العلامة السيد
هادي المدرسي




مؤسسة الأعلمي - بيروت







# أخلاقيات أمير المؤمنين

عليه السلام



# أخلاقيات أمير المؤمنين

## عليه السلام

تأليف

سماحة العلامة السيد
هادي المدرسي



منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى



١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس : ٨٣٣٤٤٧ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾



# المقـدمـــة

ـ على أي منهج نسير في الحياة ؟

وما هو النموذج الأفضل لنظامنا ؟

ـ من هو القدوة في ذلك ؟

وما هو الميزان ؟

تلك هي بعض الأسئلة التي يحاول هذا الكتاب الإجابة عليها ، من خلال استعراض مواقف الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وكلماته وحكمه . باعتبارها منهجاً متكاملاً للحياة ، ونموذجاً فريداً للاقتداء . .

ذلك انّ هـذا الكتاب ليس سرداً تاريخياً لحياة الإمام ، ولا محاولة لتسليط الضوء على أبعاد شخصيته الكريمة ، وتراثه المجيد ، لانه لا يتحدث عن الماضي برجاله وتاريخه للهروب من الحاضر والتراجع إلى الوراء ، بل يتحدث عن الماضي لإعادته إلى الحاضر ، والإنطلاق به إلى المستقبل . .

إنه محاولة لتصور الإمام حاضراً بيننا ، يمشي معنا في الأسواق ، ويتعامل مع الناس ، ويصدر تعليماته لهم ويبيّن رؤاه ، لكي نتبيّن على ضوئها مواقع أقدامنا ، وواجبات أُمتنا في الوقت الحاضر . .

ولقد اعتمدت في تأليف هذا الكتاب ، على الإستفادة من كلمات الإمام واستشراف الرؤية حول كل موضوع ، قبل ذكر مواقفه ( عليه السلام ) ، ليس من خلال سياقها التاريخي ، لأن الجوهر الذي انصب التاليف عليه كان توضيح الجانب الأخلاقي في حياة الإمام الفردية ، والإجتماعية بإعتباره النموذج الصالح للعبد المؤمن ، والحاكم العادل ، والمعارض الحكيم . . وآثرت ان أذكر النص التاريخي من غير تدخل فيه أو تصرف مع ذكر المصدر ، وثبت الصفحات . .

وقسّمت الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

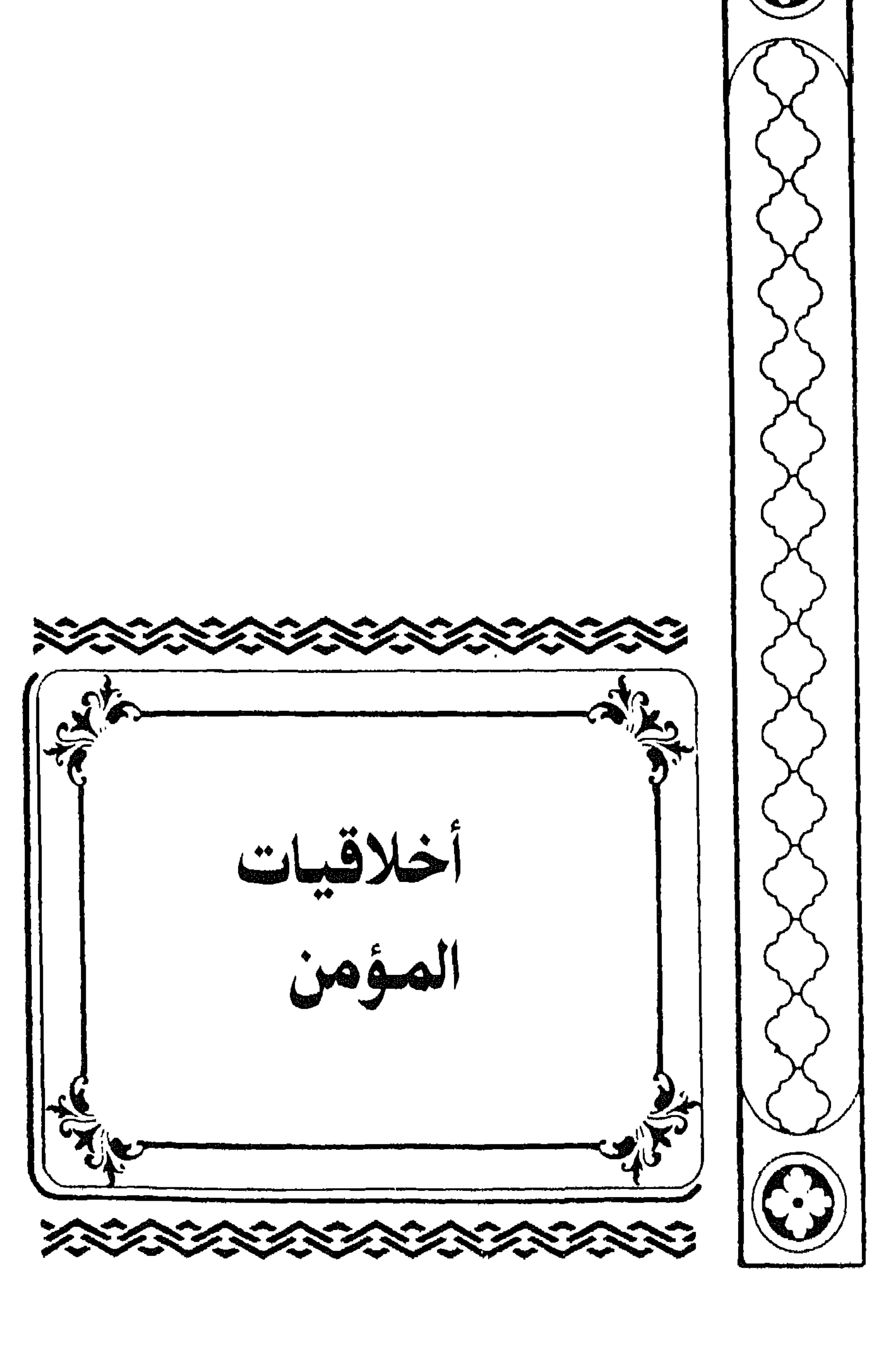
القسم الأول : أخلاقيات المؤمن .

القسم الثاني : أخلاقيات المعارضة .

القسم الثالث : أخلاقيات الحاكم .

هذا ومن الله أستمد التوفيق ، إنه من وراء القصد .

هادي المدرسي
١٠/٦/١٤١٠هـ
٧/١/١٩٩٠م


أخلاقيات
المؤمن



# التقــوى والاخــلاص

تتمحور حياة النّاس عادة حول إحدى محاور ثلاث :

**الأول** : محور الإيمان بالله ، وما يتعلق به من قضايا العبادة والأخلاق ، والإلتزام بالأحكام . .

**الثاني** : محور « قضيـة » معينة تـرتبط بقيمة من القيم ، أو مصلحـة من المصالح العامة .

**الثالث** : محور الذّات ، وما يتعلق بها من الشهوات والملّذات .

وغالبية النّاس عادة هم من الـذين تدور حيـاتهم حول المحـور الثالث ، ذلك لأنه **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحـرث . ذلك متـاع الحياة الـدّنيا والله عنده حسن المئاب﴾**[1] .

وقلة هم الّـذين يتحملون قضيـة معينـة وينـاضلون من أجلهـا كتحـريـر بلدانهم ، أو تحقيق العدالة ، أو الإستقلال أو ما شابه .

أمّا الأقلون فهم المؤمنون الذين تدور حياتهم حول الإيمان بالله . . ومن

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٤ .

ثم العمل من أجل الآخرة .

وهؤلاء هم الّذين قال عنهم ربّنا : ﴿**وقليل من عبادي الشكور** . .﴾[1] .

وهم المتقون الّذين يشفقون من أمر ربّهم ، وهم « أهل الفضائل »[2] .

ويميّزهم عن غيرهم ان « منطقهم الصواب ، وملبسهم الإقتصاد ومشيهم التواضع ، غضوا ابصارهم عما حرّم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ، ولولا الأجل الّذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين ، شوقاً إلى الثواب ، وخوفاً من العقاب . عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دون ذلك في أعينهم »[3] .

امّا فيما يرتبط بالحياة الدنيا ، فهم لا ينسون نصيبهم منها ، ولكن قلوبهم متعلقة بالآخرة « فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون . قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة »[4] .

« صبروا أياماً قصيرة ، اعقبتهم راحةً طويلة ، تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم . أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، واسرتهم ففدوا أنفسهم منها »[5] .

تلك هي من أقوى ميزات أهل التقوى ، فالدنيا التي يريدها أصحاب الملذات والمصالح ، ويركضون وراءها ، أرادتهم ولكنهم لم يريدوها ، لانهم أرادوا الآخرة وملكاً لا يبلى . وحينما أسرتهم الدنيا ، فدوا أنفسهم بمجاهدة

---

(١) سورة سبأ، آية : ١٣ .
(٢) نهج البلاغة : الخطب ١٩٣ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ١٩٣ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق .

النفس والعبادة والطاعة والخشوع . .

« أمّا الليل مضافون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دوان دائهم »(١) .

غير أنّ تلاوتهم للقرآن ليست تلاوة ألفاظ ، بل تلاوة تفاعل وتأمل وعمل « فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنوا انها نصب أعينهم . وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في أُصول أذانهم »(٢) .

ان العبادة بالنِّسبة إليهم عمل مستقل ، وليس مقدمة لحاجة أُخرى فلا يراؤون بعبادتهم ، ولا يتظاهرون بها . . « فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم ، وأكفّهم، وركبهم ، وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم »(٣) .

ولا يعني ذلك أنّهم يعبدون الله تعالى بالصلاة وحدها ، بل يعبدونه بالنشاط ، والجهاد ، والعلم والحلم وكثرة العمل فهم في اللّيل - حيث الآخرون يغطون في النوم - يعبدون ربهم « وامّا في النهار فحلماء ، علماء ، أبرار ، أتقياء . قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض . ويقول لقد خولطوا ، ولقد خالطهم أمرٌ عظيم ، لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون »(٤) .

ولذلك فانّهم متواضعون جداً ، بعيدون عن الزهو والخيلاء : « إذا زكّى

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نهج البلاغة : الخطب ١٩٣ .

أحد منهم خاف مما يقال له فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربّي أعلم بي منّي بنفسي . اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون »[1] .

ولا شك أن رجالاً من هذا الطراز يتمتعون بصفات شخصية عالية « ومن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنى ، وخشوعاً في عبادة ، وتجملاً في فاقة ، وصبراً في شدّة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمّه الشكر ، ويصبح و همّه الذكر . يبيت حذراً ، ويصبح فرحاً ، حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة »[2] .

وهؤلاء أشداء مع النفس ، فلا يسلسون القياد لذواتهم فيما تحب أو تكره فان أحدهم « ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب »[3] .

وهم لهذا زهاد في أُمور الدنيا ، حريصون على أعمال الآخرة ، فترى أحدهم « قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً امله ، قليلاً زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه منزوراً أكله ، سهلاً أمره ، حريزاً دينه ، ميتة شهوته مكظوماً غيظه »[4] .

أُرى أنّ من كان الإيمان بالله محور حياته، هل يؤذي أحداً؟ وهل يترك خيراً ؟ وهل يتعامل بالأحقاد ؟

لا شك أن مثل هذا « الخير منه مأمول ، والشرّ منه مأمون ، ان كان في

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

الغافلين كتب في الذاكرين ، وان كان في الذاكرين ، لم يكتب في الغافلين . يعفو عمّن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره مدبراً شرّه ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكّر ، ولا ينابز بالألقاب ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحق ، إن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعلُ صوته ، وان بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة[1] . . » .

وحياة علي أمير المؤمنين تطبيق دقيق لهذه المواصفات : محورها رضا الله ، وهدفها عبادته ، ومفرداتها العمل الصالح .

ولا شك أن من لا يفهم « تقوى الإمام » يحتار في تفسير كثير من مواقفه ، وقد يتساءل كما تساءل بعض معاصريه : هل للإمام علم بأُصول السياسة أو كما قال بعضهم : « ان ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب »[2] .

إنّ كثيراً من الخطط الممكنة ، والخطوات التي نصحه البعض بها لإحراز الإنتصار كانت في الحقيقة تصطدم بإيمان علي ، والتزامه بالأخلاق ، وتعهده للرّسالة وزهده في الحياة الدّنيا .

إنّ نقاد التّاريخ ربما نظروا إلى المسائل ، من خلال عيني السياسي ، وليس من خلال عيني المؤمن . . لأنّ البوصلة في قلب السياسي ربما تتجه نحو

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٩٣ .

(٢) الكامل ـ للمبرد : ج١ ، ص١٣ .

النجاح ، ولكن بوصلة المؤمن تتجـه نحو الإيمـان والالتزام بـالقيم ، والحفاظ على التقوى .

ومن هنا فانّ العبادة عند الإمام ـ وهو رئيس دولة ـ لم تصبح « فرعاً » بل بقيت « أصلاً » والخشوع لله لم يتحـول إلى قضية هـامشية ، لانشغـاله بـأُمور الدولة مثلاً . . فأي شيء أهم من عبادة الله ، وكسب رضاه ؟

لقد أوصى الإمام « محمد بن أبي بكر » حين ولاّه مصـر ، بقولـه : « لا تسخط الله برضى أحد من خلقه ، فان في الله خلفاً من غيره وليس من الله خلف في غيره » .

وأضاف :

« صل الصلاة لوقتها المؤقت لها ، ولا تعجّل وقتها لفراغ ، ولا تؤخـرها عن وقتها لاشتغال ، واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك » [١] .

حقاً كان الإمام ممن قال عنهم ربنا ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة**﴾[٢] .

فلقد « كان أمير المؤمنين أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ، ومنه تعلّم النّاس صلاة الليـل وملازمـة الأوراد وقيام النـافلة ، وما ظنّـك برجـل يبلغ من محافظته على عبادته أن يبسط له قطع ما بين الصفّين ليلة الهرير فيصلّي عليه ، ويؤدي ورده والسهـام تقع بين يـديهِ تمـرّ على صماخيـه يميناً وشمـالاً فلا يـرتاع لذلك، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته.

وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده ، وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحـانه وإجـلاله ، ومـا يتضمنّه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزّته والاستحذاء له، عرفت ما ينـطوي

---

(١) نهج البلاغة باب الكتب

(٢) سورة النور ، آية : ٣٧ .

عليه من الإخلاص ، وفهمت من أيّ قلب خرجت وعلى أيّ لسان جرت »[1] .

وحينما قال له أحدهم ليلة الهرير : يا أمير المؤمنين . . الا تؤجلها ؟

قال ـ : «ويلك!. وعلى مَ نقاتلهم ؟ »

ان التقوى عند الإمام هي المحور ، لا السياسة . . والصلاة عنده الأهم لا الزعامة . . والخشوع عنده الأساس لا الإنتصار . . وهو اذ يقاتل مناوئيه فلكي يؤمنوا بالله ، ويعبدوه ، لا لكي يتأمر عليهم . . كما كان مناوئوه يفعلون !

كان الإمام يرى « الصلاة قربان كل تقي »[2] و« معراج كل مؤمن » ولذلك فانه كان يكثر منها . . وهو العارف بحقيقة الصلاة . . كان يعلم ان العبادة ليست مظهراً ، انما قيمتها بمقدار ما تضيء في القلب من نور التقوى وكان يقول : « ليست الصلاة قيامك وقعودك وانما الصلاة إخلاصك »[3] .

ولإخلاصه وإيمانه وتقواه، كان إذا حضر وقت الصلاة ، يتلون وجهه ( عليه السلام ) ويتزلزل فيقال له : ما لك ؟

فيقول : « جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها ، وحملها الإنسان في ضعفه ، فلا أدرى احسن إذا ما حملت أم لا ؟[4] .

يقول حفيده الإمام علي بن الحسين ( عليه السلام ) : « صلّى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) الفجر ، ثم لم يزل في موضعه حتى صارت

---

(١) ابن إبي الحديد ـ شرح النهج : ج١ ص٢٦٥ .
(٢) الخصال ـ للصدوق : ج٢ ، ص١٦٢ .
(٣) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٥١ .
(٤) بحارالأنوار : ج٤١ ، ص١٧ .

الشمس على قدر رمح ، وأقبل على الناس بوجهه فقال : « والله لقد ادركت أقواماً يبيتون لربّهم سجداً وقياماً يخالفون بين جباههم وركبهم ، كأنّ زفير النار في أذانهم ، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر» . !

ثم قام ، رُؤي ضاحكاً حتى قُبض[1] .

وكما كان يصلي ، فانه كان يطلب من المؤمنين ان يتعاهدوا أمرها . وكان يقول( عليه السلام ) : « تعاهدوا أمر الصلاة ، وحافظوا عليها واستكثروا منها ، وتقرّبوا بها فانها **﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** الا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا **﴿ما سلككم في سقر ؟ قالوا : لم نَكُ من المصلين﴾** ؟ وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها إطلاق الربق ، وشبهها رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بالحَمَّة تكون على باب الرجل ، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات ، فما عسى ان يبقى عليه من الدّرن ، وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ، ولا قرّة عينٍ من ولد ولا مال . يقول الله سبحانه : **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾** . وكان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) نِصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة لقول الله سبحانه : **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾** . فكان يأمر بها أهله ، ويصبر عليها نفسه[2] .

فلا الإمارة ، ولا الزعامة ، ولا الحروب ، ولا الأموال ، ولا النساء ولا الأولاد شغلت علياً عن الصَّلاة ، والخشوع ، والعبادة والبكاء من خشية جبار السموات والأرضين .

وقد روي في ذلك أن ضرار بن ضمرة دخل على معاوية ، فقال له معاوية : صف لي عليّاً؟

---

(١) الكافي : ج٣ ص٢٣٦ .

(٢) نهج البلاغة : الخطب ١٩٩ .

فقال : أوتعفيني من ذلك ؟

فقال : لا أعفيك !

فقال : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدّنيا وزهرتها ، ويستأنس باللّيل ووحشته ، كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلّب كفّيه ، ويخاطب نفسه ، ويناجي ربّه ، يعجبه من اللّباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، كان والله فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه وكان مع دنوّه منّا وقربنا منه لا نكلّمه هيبته ، ولا نرفع عيننا لعظمته ، فإن تبسّم فعن مثل اللّؤلؤ المنظوم ، يعظّم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القويّ في باطله ، ولا ييأس الفقير من عدله » ، فقال معاوية : زدني في صفته .

فقال ضرار : «رحم الله علياً كان واللّهِ طويل السهاد، قليل الرقاد، يتلو كتاب الله أناء الليل وأطراف النهار ، ويجود الله بمهجته ، ويبوء اليه بعبرته لا تغلق له الستور ، ولا يدّخر عنا البدور ، ولا يستلين الاتكاء ، ولا يستخشن الجفاء ، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله ، وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، فكأنّي الآن أسمعه وهو يقول :

« يا دنيا أبي تعرّضت ؟ أم إليّ تشوّقت ؟ هيهات هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فعمرك قصير وخطرك يسير وأملك حقير ، آه آه من قلّة الزّاد وبعد السّفر ، ووحشة الطّريق وعظم المورد » .

فسالت دموع معاوية على لحيته فنشفها بكمّه ، ثمّ قال : كان والله أبو الحسن كذلك ، فكيف صبرك عنه يا ضرار ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال ضرار: صبر من ذبح واحدها على صدرها، فهي لا ترقى عبرتها ولا تسكن حسرتها، ثمّ قام وخرج وهو باك[1].

***

ثم ان العبادة لم تكن عند الإمام مجرد خشية من النار ، أو رغبة في الجنّة ، بل كانت عبادة من يعرف حق مولاه ، وعظمة ربّه ، ويريد أن يؤدي ذلك الحق . . وهو القائل :

« إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار ، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار[2] .

والقائل : « إلهي . . ما عبدتك اذ عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » . .

ولقد كان الإمام يتمتع بذلك الإخلاص الّذي لا يوصف ، لأنه كان موقراً في قلبه ، سارياً في خلجات روحه ، شاغلاً لبّه . .

وكيف يمكن أن نوزن مدى إخلاص الإمام لرّبه ؟ وكيف يمكننا الإحاطة ببحر حبّه ؟

لقد قال مرةً : « عباد الله . . إنَّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لـرّبه ، وإنّ اغشهم لنفسه أعصاهم لـرّبه ، والمغبـون من غَبنَ نفسه والمغبـوط من سلم له دينه . واعلموا انّ يسير الريـاء شرك[3] فلم يكن يعمـل للناس ، ولا يعبـد الله لرياء . !

وكـان كمـا قـال عن « المؤمن لا يمسي ولا يصبـح إلاّ ونفســه ظنـون عنده »[4] .

---

(١) ارشاد القلوب : ص١٤ ـ ١٣ .

(٢) محاضرات الأدباء : ج١ ، ص١٤ .

(٣) المحاسن ـ للبرقي : ص٢٣٣ .

(٤) نهج البلاغة : الخطب ١٧٦ .

ولذلك كان يعمل لله ، ويعطي لله وهَو مع ذلك لا يرى ما فعله كافياً . . فقد روي انّه :

«قيل لعليّ (عليه السلام) : كم تتصدّق ؟ كم تخرج من مالك ؟ ألاّ تمسك ؟

فقال : « إنّي والله لو أعلم أنّ الله تعالى قبل منّي فرضاً واحداً لأمسكت ، ولكنّي والله لا أدري أقبل سبحانه منّي شيئاً أم لا »[1] .

ومع كل ما أثر عنه من العبادة ، والجهاد ، والطاعة ، والعمل الصالح ، والزهد والتقوى ، فهو لم يزل يتهم نفسه ، ويخشى ان لا تقبل عبادته . .

وهذا لعمري هو الإخلاص بعينه ، والخضوع للحق بعينه والصدق مع الله بعينه . .

* * *

والحق ان من يعرف الله حق قدره ، لا يتوانى عن عبادته ، وان من يخشى الله في سره تتجافى جنوبه عن المضاجع لمناجاته . . وهكذا كان أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد روي عن حبّة العرني قال : « رأيت علياً (عليه السلام) ليلة في « رحبة القصر » واضعاً يده على الحائط شبيه الواله ، وهو يقول : **﴿ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابّة وتصريف الرياح ، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾** . . وأخذ يقرأ هذه الآية ويكررها ، ويمرّ شبه الطائر عقله ! .

فقال لي : « يا حبّة : اراقد أنت أم رامق ؟ قلت بل رامق . . يا

---

(1) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص١٣٨ .

أمير المؤمنين، أنت هكذا فكيف نحن ؟

فأرخى عينيه وبكى ، ثم قال : « يا حبّة . . ان الله أقرب إليّ وإليك من حبل الوريد ، يا حبّة انه لن يحجبني ولا إياك عن الله شيء» . .

وقال : «إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله تعالى ، قرّت عيناك غداً بين يدي الله عزّ وجلّ . إنّه ليس قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله الّا أطفأت بحاراً من النيران ، وإنه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله ، وأحبّ في الله وأبغض في الله ، إنه من أحب في الله لم يستأثر على محبّته ، ومن أبغض في الله لم ينل ببغضه خيراً »

ثم جعل يمرّ وهو يقول : « ليت شعري في غفلاتي أمعرض انت عنّي أم ناظر اليّ ، وليت شعري في طول منامي وقلة شكري في نعمك عليّ ، ما حالي ؟»[1].

ولقد كانت عبادة الإمام متميزة عند صحابة رسول الله ، فبمقدار ما كان يقينه كان اجتهاده في العبادة . وكان يعبد الله كأنه يراه ، ويخشاه وكأنه في حفرته ، ويتهيبه وكأنّه معه . . لقد كان كما قال لأصحابه : « لا يرجون أحد منكم إلاّ ربّه ، ولا يخافن إلاّ ذنبه »[2] أو كما قال : « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته[3]. » فقد انشغل بإصلاح سريرته، ورجا ربه، وخاف ذنبه فكان أكثر الناس عبادة وخشوعاً لله تعالى . . وقد روى في ذلك عروة بن الزبير قال : كنّا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان .

فقال أبو الدّرداء : يا قوم ألا أُخبركم بأقلّ القوم مالاً وأكثرهم ورعاً

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ، ص٢٣ - ٢٢

(٢) حلية الأولياء : ج١ ، ص٧٥ .

(٣) نهج البلاغة : الحكم : ٤٢٣ .

وأشدّهم اجتهاداً في العبادة ؟

قالوا : من ؟

قال : أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب ( عليه السلام ) .

قال عروة : فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلاّ معرض عنه بوجهه ، ثمّ انتدب له رجل من الأنصار فقال له : يا عويمر لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها .

فقال أبو الدّرداء : يا قوم إنّي قائل ما رأيت، وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا ، شهدت عليًّ بن أبي طالب بشويحطات النجّار ، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممّن يليه ، واستتر بمغيلات النخل ، فافتقدته وبعد عليٌّ مكانه ، فقلت : لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجيّ وهو يقول : « إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ؟ ، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك ؟ إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمّل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك » .

فشغلني الصّوت واقتفيت الأثر ، فإذا هو عليّ ( عليه السلام ) بعينه ، فاستترت له وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف اللّيل الغابر ، ثمّ فرغ إلى الدّعاء والبكاء والبثّ والشكوى ، فكان ممّا به الله ناجاه أن قال : « إلهي أُفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليَّ بليّتي » .

ثمّ قال : « آه إن أنا قرأت في الصّحف سيّئة أنا ناسيها وأنت محصيها ! ، فتقول : ﴿خذوه فغلّوه﴾ فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه الملأ إذا أُذن فيه بالنّداء .

ثمّ قال : « آه . . من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه . . من نار نزّاعة

للشّوى ، آه من غمرة من ملهبات لظى » .

ثمّ أنعم في البكاءِ فلم أسمع لـه حسّاً ولا حـركة ، فقلت : غلب عليـه النوم لطول السَّهر ، أُوقظه لصلاة الفجر ، فـأتيته فـإذا هو كـالخشبة الملقـاة ، فحرّكته فلم يتحرّك ، وزويته فلم ينزو ، فقلت : ﴿إنّا لله وإنّـا إليه راجعـون﴾ مات والله عليّ بن أبي طالب :

فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم ، فقالت زوجته : يا أبا الدّرداء ما كان من شأنه ومن قصّته ؟ فأخبرتها الخبر .

فقالت : هي والله يا أبا الدّرداء الغشية الّتي تأخذه من خشية الله .

ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ، ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقـال : ممّا بكاؤك يا أبا الدّرداء ؟

فقلت : ممّا أراه تنزله بنفسك .

فقال : «يا أبا الدّرداء فكيف ولـو رأيتني ، ودعي بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فـظاظ ، فوقفت بين يـدي الملك الجبّار ، قـد أسلمني الأحبّاء ورحمني أهـل الدنيـا ، لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية» .

فقـال أبـو الـدّرداء : فـوالله مـا رأيت ذلـك لأحـد من أصحـاب رسول الله( صلى الله عليه وآله وسلم ) [1] .

ولقد كانت تقوى الإمام ( عليه السلام ) منذ صغره تقوى العارف بـالله ، والخاشع لجبروته ، فقد روي أنه حينما وقف يصلي مع رسول الله علناً ، وهو ابن عشر سنوات ، قال له بعض المشركين : هل استشرت أباك حينمـا عبدت الله ؟

(١) أمالي الصدوق : ص٤٨ ـ ٤٩

فأجاب (عليه السلام) : « وهل استشار الله أبي حينما خلقني ؟ » .

وحينما كان لا يزال شاباً ، ومن أصغر صحابة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) جلس مع رسول الله وبعض الصحابة في المسجد ، وكان أحدهم يقرأ القرآن حتى بلغ الآية : ﴿**واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾ قال الرسول وهو يحاور صحابته : « قولوا الآن قولكم : ما أول نعمةٍ رغبكم الله تعالى فيها وبلاكم بها؟» فذكروا نعمة الله التي أنعم عليهم بها من العافية ، والمال والذرية والأزواج ،فقبل منهم الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ما قالوه ، ولم يستزد واحداً منهم الا علياً ( عليه السلام ) . فقد التفت النّبي إلى علي بن أبي طالب ، وكان أصغرهم سناً وقال :

« يا أبا الحسن قل، فقد قال أصحابك ».

فقال : « وكيف لي بالقول فداك أبي وأمي وإنما هدانا الله بك ؟! » .

قال : « ومع ذلك فهات ، قل ما أول نعمة بلاك الله عزّ وجلّ وأنعم عليك بها ؟

قال : « أن خلقني جل ثناؤه ولم أك شيئا مذكورا » . ولم يكتف الرسول بهذا الجواب بل قال : « صدقت فما الثانية ؟ » :

قال : « أن أحبني إذ خلقني فجعلني حياً لا ميتاً » .

قال : « صدقت فما الثالثة » ؟

قال : « أن أنشأني ـ فله الحمد ـ في أحسن صورة وأعدل تركيب » .

قال : « صدقت فما الرابعة ؟ » :

قال : « أن جعلني متفكراً راغباً ، لا ساهياً » .

قال : « صدقت فما الخامسة ؟ » :

قال : « أن جعل لي مشاعر أدرك بها ما ابتغيت وجعل لي سراجاً منيراً ( أي عقلاً يكشف الحق والباطل والحسن والقبح ) » .

قال : « صدقت فما السادسة ؟ » :

قال : « أن هداني لدينه ولم يضلني عن سبيله » .

قال : « صدقت فما السابعة ؟ » :

قال : « أن جعل ليَ مردّاً في حياة لا انقطاع لها » .

قال : « صدقت فما الثامنة ؟ » :

قال : « أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً » .

قال : « صدقت فما التاسعة ؟ » :

قال : « أن سخر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه » .

وقال : « صدقت فما العاشرة ؟ » :

فأطرق علي قليلاً ثم قال في دعابة : « أن خلقني ذكراً ولم يخلقني أنثى » . فضحكوا حتى بدت نواجذهم .

قال الرسول : « وما بعد هذا ؟ » :

قال : « كثرت نِعَمُ الله يا نبي الله فطابت ، **﴿وإن تعُدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾** .

فتبسم رسول الله في رضا عنه وقال : « ليهنئك الحكمة ، ليهنئك العلم يا أبا الحسن . أنت وارث علمي والمبين لأمتي ما اختلفت فيه بعدي . من أحبك لدينك وأخذ بسبيلك فهو ممن هُدِيَ إلى صراط مستقيم . ومن رغب عن هداك

وأبغضك لقى الله يوم القيامة لا خلاق له »[1] .

* * *

وفي الحقيقة فان التقوى عند الإمام ، كانت محور حياته ، ومنها تشعّبت صفاته العظيمة ، وأخلاقه الكريمة ، ولو اردنا أن نشبّه تقواه بشيء فلابد ان نقول ان حياة الإمام كانت مثل شجرة باسقة ، جذورها التقوى ، وجذعها الإخلاص ،وأغصانها الأعمال الصالحة ، وثمارها الأخلاق الفاضلة . .

وكما قال « التقى رئيس الأخلاق[2] » فان تقواه كانت منبع أخلاقه ، وما من موقف وقفه في عمره الكريم كله إلاّ وكان للتقوى فيه أثر واضح . . وكان في ذلك ينافس أنبياء الله العظام ، في الوقت الذي كان الآخرون يتنافسون فيما بينهم على الدنيا وزينتها وزبرجها . .

ولذلك « كان إذا بدهه أمران ينظر ايّهما أقرب إلى الهوى فيخالفه[3] ولقد « احيا عقله ، وأمات نفسه حتى دق جليله ، ولطف غليظه »[4] .

كان يرى التقوى هي المنار ، وهي المنجاة، وهي الوسيلة ، وهي الهدف . . فكان يقول : « اوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، التي هي الزاد ، وبها المعاذ : زاد مبلغ ومعاذ منجح . دعا إليها أسمع داع ، ووعاها خير واع ، فاسمع داعيها ، وفاز واعيها »[5] .

فالتقوى الحرز هنا ، والحرز يوم القيامة . كان ( عليه السلام ) يقول :

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٥٢ ـ ٥٣ .
(٢) مجمع الأمثال : ج٢ ، ص٤٥٤ .
(٣) الأدب الكبير ـ لابن المقفع : ص١٤٥ .
(٤) غرر الحكم : ٢٣٣ .
(٥) نهج البلاغة : الخطب ١١٤ .

« عبـاد الله ! أُوصيكم بتقوى الله ، فإنها حق الله عليكم ، والمـوجبة على الله حقكّم ، وان تستعينوا بها على الله . فان التقوى في اليوم الحرز والجُنّـة ، وفي غدٍ الطريق إلى الجنة [1] .

وهكذا فان « التقوى » هي وصيته الرئيسية ، والأساسية التي يبدأ بها أكثر خطبه ، ورسائله ، ونصائحه . .

ولربما كان ينصح أحـد ولده بـوصايـا كثيرة ، ثم يقـول له : « واعلم يـا بني ، ان أحب ما انت آخذ به ، من وصيتي : تقوى الله . . وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك ، والرغبة إليه في توفيقك »[2] .

وكـان يرى التقـوى عملاً يـوميـاً ، يجب أن يلتـزم بـه المؤمن في سـره وعلانيته ، وفي إيمانه وعمله ، وفي كل صغيرة وكبيرة من أعماله . وكان يقول لبعض أصحابه : « إتق الله فيما لديـك »[3] ويقول : «إتق الله في كـل صباح ومساء »[4] .

ويطالب المؤمن ، ولو ببعض التقوى ، ويقول : « اتق الله بعض التقى ، وان قلّ ، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رقّ »[5] .

فالتقوى شيء عظيم ، وأمر جليل ، حتى أنه « لا يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل ما يتقّبل ؟ »[6] .

فلابدّ من الحفاظ على هذه الجوهرة الثمينـة ، والتي بها تحـرز الجنّة ،

---

(١) المصدر : الخطب ١٩١ .
(٢) نهج البلاغة : الكتب ٣١ .
(٣) الطراز - لليماني : ج٢ ، ص١٢٣
(٤) كتاب صفين : ص١٢١ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ٦٣ .
(٦) حلية الأولياء : ج١ ، ص٧٥ .

وعليها الحساب يوم نلقى الله . . لأنها جوهر العبادات ، ولباب الطاعات ، ورادعة الموبقات ، وماحية السيئات . .

يقول الإمام ( عليه السلام ) : « ايقظوا بها ( التقوى ) نومكم ، واقطعوا بها يومكم ، واشعروها قلوبكم ، وارحضوا بها ذنوبكم ، وداووا بها الاسقام ، وبادروا بها الحمام »[1] .

وقد يسأل البعض ما هي التقوى ؟

والجواب : ان نرى الله تعالى حاضراً في كل مكان ، وشاهداً في كل موقع ، فلا نعمل ما لا يرضاه ، ولا نرتكب ما نهى عنه ، ولا نترك ما أوجبه . . ونصلح سرائرنا كما نحاول أن نصلح علانيّتنا . .

يقول الإمام ( عليه السلام ) : « اتقوا معاصي الله في الخلوات ، فان الشاهد هو الحاكم »[2] .

ويقول : « طوبى لمن ذلّ ( لله ) في نفسه ، وطاب كسبه ، وصلحت سريرته »[3] .

ويقول : « ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم »[4] .

إذن فان « من لم يختلف سرّه وعلانيته ، وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة ، واخلص العبادة »[5] .

فإصلاح السريرة ، وإخلاص النّية ، وتطهير الدوافع ، وتزكية النفس ،

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٩١ .
(٢) نهج البلاغة : الحكم ٣٢٤ .
(٣) روضة الواعظين : ٤٩٠ .
(٤) عيون اخبار الرضا : ج١ ، ص٢٩٨ .
(٥) دعائم الإسلام : ج١ ، ص٢٥٢ .

هي الخطوة الأُولى في التقوى ، والمدخل إلى إصلاح العمل ، لان « من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه ، وبين الناس »[١] ، « ومن أصلح أمر آخرته ، أصلح الله له أمر دنياه[٢] لان ﴿**من يتق الله يجعل له مخرجاً**﴾ من الفتن ، ونوراً من الظّلم »[٣] .

ولكن مجرد إصلاح السريرة لا يكفي ، بل لابدّ من العمل بمقتضى التقوى ، فالطاعة في الواجبات والمحرمات ، جزء من التقوى . . والصبر في الحق جزء آخر .

يقول الإمام ( عليه السلام ) : « استتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله ، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه »[٤] .

ويقول : « عوّد نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق والتصبر في الحق »[٥] .

وكذلك الجهاد في سبيل الله ، فان « الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى »[٦] « وجاهد في الله حق جهاده ، وخض الغمرات للحق »[٧] .

وكما الجهاد ، كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومواجهة الظالمين ، من أعداء الداخل ، والخارج ، يقول الإمام ( عليه السلام ) : « ما

---

(١) المحاسن ـ للبرقي : ج١ ص٢٩ .
(٢) تذكرة الخواص : ص١٣٣ .
(٣) تفسير البرهان : ج١ ، ص٩ .
(٤) تحف العقول : ص١٣٠ .
(٥) نهج البلاغة : الكتب ٣١ .
(٦) مقاتل الطالبيين : ص٢٧ .
(٧) العقد الفريد : ج٣ ، ص١٥٦ .

أعمال البرّ كلها والجهاد في سبيل الله ، عند الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إلا كنفثة في بحر لجّي »[1] « وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدلٍ عند إمام جائر »[2] .

وعلى أية حالٍ «فانّ التقوى دار حصن عزيز ، والفجور دار حصن ذليل ، لا يمنع أهله ، ولا يحرز من لجأ إليه ، وبالتقوى تقطع حُمّة الخطايا ، وباليقين تدرك الغاية القصوى » [3] ) .

إن من يفكر بشكل صحيح ، لا يملك الاّ أن يتقي الله ، ويعمل من أجله ، لأن الله قهر عباده بالموت والفناء ، والناس مجموعون لربّهم، وهم مجزّيون باعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر . . وليس غير التقوى ما ينفع هناك . . لقد روي أن الإمام ( عليه السلام ) في رجوعه من صفّين ، مرّ بالقبور بظاهر الكوفة فوقف يخاطبها ، بقوله :

« يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، والقبور المظلمة » . .

« يا أهل التربة ، يا أهل الغربة ، يا أهل الوحدة ، يا أهل الوحشة » . .

« أنتم لنا فرط سابق ، ونحن لكم تبع لاحق . . أمّا الدور فقد سكنت ، وامّا الأزواج فقد نكحت ، وأما الأموال فقد قسمت ، هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم»؟

ثم إن الإمام التفت إلى أصحابه وقال : « أما لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم ، إنّ خير الزاد التقوى »[4] .

---

(١) البداية والنهاية : ج١٢ ، ص١٥٠ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ٤٩ .
(٣) النهاية : ج٢ ص٥١٠ .
(٤) من لا يحضره الفقيه : ج١ ، ص١١٤ .

ولقد حمل الإمام هذا الزاد معه ، فكانت التقوى نوراً في قلبه ، وعمـلاً صالحاً في جوارحه ، واخلاقاً كريمة في مـواقفه ، وعلمـاً وحكمة في بيـانه ، وجهاداً في يده ، وزهداً في دنياه ، وصبراً على البلاء ، وشكراً في الرخاء .

ولذلك فحينما دنا أجله ، وكانت لحظاته الأخيرة من الدنيا ، رأوه ينظر إلى زاوية من الغرفة ، ويقول : « وعليكم السلام يا ملائكة ربي . . » ثم يتوحه لمن حوله ويقـول : « لمثل هـذا فليعمل العـاملون » ويغمض جفنيه ، ويسلّم نفسه لبارئها، بعد أن صبر أيامـاً قليلة ، ليعقبها راحـة طويلة في ملك دائم ، ونعيم قائم . .

# الالتزام بالأخلاق الفاضلة

إن حدود الشخصية العظيمة ترسمها الأخلاق . فسمو الذات إنما هو بسمّو المعنى ، وعلّو المكانة هي في تلك الأُصول الأخلاقية التي يلتزم بها الرجال ، وهي المقياس في تقييم أعمالهم وأفعالهم .

ومن دون الأخلاق ، فان أكبر الإنتصارات في التّاريخ يمكن ان تتحول إلى هزائم إذا كان أصحابها يتوسلون للنيل بها إلى الغدر والخيانة والمكر والخداع . لأنه « ما ظفر من ظفر الأثم به ، والغالب بالشر مغلوب »(١) .

فقيمة الإنسان بإنسانيته . .

وقيمة العمل بمحتواه .

وقيمة الدين بالترفع عن الدنايا .

وميزان البطولة هو الأخلاق .

فـ « الخلق وعاء الدين »(٢) وهو « عنوان صحيفة المؤمن »(٣) .

---

(١) سراج الملوك ص٣٨٤ .
(٢) كنز العمال : خ٥١٣٧ .
(٣) بحار الأنوار : ج٧١ ، ص٣٩٢ .

و«مايوضع في ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»[1].

و« حسن الخلق رأس كـل بـرّ[2] وهـو « من أفضـل القسـم وأحسـن الشيم »[3] .

من هنـا فانـه « لا قـرين كحسن الخلق »[4] و « لا عيش أهنأ من حسن الخلق »[5] .

لأن « من حسنت خليقته طابت عشيرته »[6] وعلى كل حال فـان «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »[7] « فالاخلاق من ثمار العقل »[8] .

صحيـح ان في داخل كـل إنسان كـوامن خيّـرة ، تـدعـوه إلى الإلتـزام بالأخلاق ، والعمل الصالح ، وكوامن شرّيرة تدعوه إلى الفسـاد والشرّ ومنـاوئة الصالحين، غير أن العقل والعلم والدين إذا كانت في امرىء فانها تثير كوامنه الخيّرة ، وتقمع كوامنه الشريرة ، فيكون ملتزماً بالأخلاق .

يقـول الإمـام علي ( عليـه السـلام ) : « رأس العلم : التمييـز بين الأخلاق ، وإظهار محمودها وقمع مذمومها »[9] ويقـول : « ابذل في المكـارم جهـدك تخلص من المـآثم وتحـرز المكـارم »[10] ويقـول : « عليكم بمكـارم

---

(١) الكافي : ج٢ ص٩٩ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) المصدر السابق .
(٤) بحار الأنوار: ج٦٩ ، ص٣٠٦ .
(٥) بحار الأنوار: ج٧١ ، ص٣٨٩ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٧) الكافي : ج٢ ص٩٩ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم .
(١٠) ميزان الحكمة : ج٣ ص١٤٧ .

الأخـلاق فانهـا رفعة، وإيـاكم والأخلاق الـدنيئة فـانهـا تضـع الشـريف وتهـدم المجد »[1] .

وبمقدار ما تكون الأخلاق الحسنة مطلوبة ، فان « سوء الخلق » مذمـوم حيث ان « الخلق السّيّىء يفسد العمل كما يفسد الخلّ العَسَل »[2] . فـ « سـوء الخلق شـر قرين[3] وهـو نكـد العيش وعـذاب النفس »[4] كمـا أنّـه « ذنب لا يغفر »[5] لأن « صاحب الخلق السّيّىء إذا تـاب من ذنب ، وقع في أعـظم من الذنب الذي تاب منه »[6] .

ولهذا فقد سئل الإمام علي ( عليه السلام ) عن ادوم الناس غماً ، فقال ( عليه السلام ) : «أسوأهم خلقاً »[7] لأن « من سـاء خلقه عـذّب نفسه » [8] و « من ضاقت ساحته ، قلّت راحته » [9] و « ملّة أهله »[10] وهـو حتماً « كثيـر الطيش منغّص العيش»[11] .

* * *

وقد يتسائل البعض ما هي الأخلاق الحسنة ، وما هي الأخلاق السيئة ؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ، ص٥٣ .
(٢) بحار الأنوار: ج٧٣ ، ص٢٩٧ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) بحار الأنوار: ج٧٣ ، ص٢٩٧ .
(٦) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٣٣٨ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) بحار الأنوار: ج٧٨ ، ص٢٤٦ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم .
(١٠) المصدر السابق .
(١١) المصدر السابق .

والجواب ان الأخلاق الحسنة والتي قد يعبّر عنها بمكارم الأخلاق هي في بعض مفرداتها : « صدق البأس ، وصدق اللسان ، وأداء الأمانة وصلة الرّحم . وإقراء الضّيف ، وإطعام السائل ، والمكافأة على الصنائع . والتذمم للجار . والتذمم للصاحب . ورأسهن الحياء »[1] و« الصبر . والشكر . والحلم . والسخاء . والغيرة . والشجاعة . و المروءة[2] و« الصفح عن الناس . ومواساة الرجل أخاه في ماله »[3] و« العدل . والورع »[4] و« تجنب الحرام »[5] و« الإيثار »[6] و« قضاء اللوازم »[7] و« العفو عمن ظلمك ، وصلة من قطعك ، وإعطاء من حرمك ، وقول الحق ولو على نفسك[8] .

وإذا كانت تلك هي الأخلاق الحسنة ، فان اضدادها تكون هي الأخلاق السيئة . .

وما يميّز الصادقين عن غيرهم هو مقدار ترفعهم عن شرار صفات الرجال ، وتمسكهم بخيار صفاتهم . امّا الكاذبون فهم من يتوسل لنيل مقاصده بكل ما يستطيع ، من غير ان يلزم نفسه بحدود ، أو يلزمها باخلاق . . معتبراً النجاح ، لا الالتزام ، ميزان العمل . .

ولقد كان الإمام علي ( عليه السلام ) إلى جانب إيمانه وحكمته ، وعلمه ، وبلاغته في القمّة من الناحية الخلقية ، وذلك من أسّباب تميزه على

---

(١) كنز العمال : ج٣ ، ص٤ .
(٢) بحار الأنوار: ج٦٩ ، ص٣٦٨ .
(٣) بحار الأنوار: ج٦٩ ، ص٣٧٣ .
(٤) كنز العمال : خ ٤٣٥٤٢ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .
(٨) بحار الأنوار: ج٦٩ ، ص٣٦٨ .

مناوئيه على مرّ التاريخ . . فقد كان صورة حية للمروءة، والصدق ، والوفاء ، وكرم النفس ، والصراحة ، والشجاعة والعطف ، والنبل ، والصّبر ، ونكران الذات . .

وعلى العكس كان مناوئوه الذين كانوا نموذجاً للاثرة ، والأنانية والملق ، والدجل ، والمكر ، والإنحدار في الأخلاق . .

وبالرغم من أن العصر الذي عاش فيه ، كان عصر حب الدنيا والإقبال عليها ، وعصر الذهب والفضة ، والمداورة ، والمؤامرة والزيف ، والحيف ، فان الإمام رفض أن ينتصر على حساب أخلاقه ، وكان يقول لمن كان يوصيه بخلاف ذلك : « أتأمروني ان أطلب النصر بالجور ، والله لا أطور به ما سَمَر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً[1] .

فالإمام علي ( عليه السلام) ـ كما يقول أحدهم ـ « لا يرضى الدنية في دينه أو دنياه ، يعرف طريق الغدر ولا يسلكه ، الخدعة عنده لا تجوز إلا في الحرب ولا يمارسها، أما في زمن السلم فهي لون من الخيانة والكذب، ومسلك زري لا يجمل بالإنسان التقي . .

هو قدوة : له قيمه العليا ومثله السامية التي يتمسك بها ولا يتنازل عنها لأنه تربى عليها ، ولأنها وحدها هي الجديرة ـ في رأيه ـ بإصلاح الناس . .

يعرف ما يرضى الناس ـ كما قال لهم ـ ولكنه لا يأتيه ، لأنه يرى فيه ظلماً لآخرين ، وإغضاباً لله ! .

الإمام عليٌّ رجل دولة بصير بسياسة أُمور الرعية ، ولكنه يريد أن يقيم سياسته على دعائم من مكارم الأخلاق ، ولا يضيره ما يعاني وهو يشق الطريق الوعر إلى الحقيقة ، ليقيم العدل ، ويحقق للناس المساواة ، ويدفع الظلم ،

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٢٦ .

ولـو أنه عـدل عن نهجه السـوي لحظة ، لتهـدمت قيم نبيلة ، وانهـارت مثـل عليا » .

« الإمام عليٌّ يرى أنّ صلاح الغايـة لا يتم إلا بصلاح الـوسيلة ، وغايتـه مصلحة الأُمة، وصلاحها .

ولأن يخسر أمنه ، وراحته ، خير من ان يهدر قيمه . . ولأن يهدي به الله رجلاً واحداً ، خير له من الدنيا وما فيها !!

الإمام علي استقى من منبع النبوة ، وتربى بخلق النبوة ، فكان رباني هذه الأُمة» [1] .

ذات مرة سأل معاوية أحد رؤساء العرب : « لم احببتَ علياً ؟

فقال ـ « لثلاث خصال : حلمه إذا غضب ، وصدقه إذا قال ، وعدله إذا حكم » .

وهكذا كان الإمام كريم النفس ، عظيم الصدق ، كثير الوفاء ، فلم تكن القضايا التافهة ـ بمـا فيها الـدنيا ومـا فيها ـ لتسلبـه القدرة على ضبط النفس ، والعمل بالحلم ، والعفو . .

لقد جاءته فرصـة ذهبية للتخلص من أحـد ألدّ أعـدائه ، وهـو عمرو بن العاص ، الذي كان المخطط الأول لمعاوية ، ولكنه ( عليه السلام ) فوّتها على نفسه لحيائه . .

وخلاصة ذلك أن علياً ( عليه السلام ) بعد ان كثر القتل والقتال في الناس في صفين علا فوق التل ، ونادى باعلى صوته : يا معاوية ، فأجابـه معاويـة ، فقـال الإمام : « عـلامَ يقتتل النـاس ؟ ابرز اليّ ودع النـاس فيكون الأمـر لمن غلب » . !

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣٣٠ .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية : « انصفك الرجل . » فضحك معاوية وقال : « طمعت فيها ( الخلافة ) يا عمرو ؟ » ـ ويقصد انه ان هو بارز علياً فهو مقتول لا محالة ، فعند ذاك يحصل عمرو على مطمعه في الخلافة .

فقال عمرو : « والله . . ما اراه يجمل بك ، الاّ ان تبارزه » .

فقال معاوية : « والله ما أراك الا مازحاً . نلقاه بجمعنا » يريد بذلك ان علياً لا يجرؤ الافراد على مبارزته ، بل الجماعات .

وبعد ان تكرّرت دعوة الإمام لمعاوية بالمبارزة ، واحجامه عن الإجابة ومجادلته مع عمرو بن العاص الّذي كان يصر على معاوية أن يبارز الإمام ، أخذت عمراً العزة بالاثم فقال في احداها : « اتجبن عن عليّ ، وتتهمني في نصيحتي اليك ؟ ، والله لأبارزنه ولو متّ ألف موتة » .

وبارز عمرو علياً ، فما هي الا لحظات حتى طعنه عليّ فصرعه ، ثم ومض سيفه كشعلة من النار فوق هامته فادرك عمرو انه هالك فكشف عن عورته وهو يتخبط على الأرض ـ فصرف الإمام وجهه عنه ، وتركه يسرع هارباً . وكان الإمام لا ينظر إلى عورة أحد حياءً أو تكرماً .

فقال بعض أصحاب الإمام : « افلت الرجل يا أمير المؤمنين . . » فقال ( عليه السلام ) «تلقّاني بعورته ، فصرفت وجهي عنه! »[1] .

وروى عمرو ما حدث له مع الإمام ، فقال له معاوية : « احمد الله ، وعورتك ! » ثم قال شعراً يزري بعمرو ، فقال عمرو : « ما اشدّ تعظيمك علياً في أمري هذا . وهل هو الا رجل لقيه ابن عمه فصرعه ! افترى ان السماء قاطرة لذلك دماً ؟ » .

قال معاوية : « لا . . ولكنّها معقبة لك خزياً » . .

---

(١) علي وعصره : ج٤ ، ص٢٥٨ .

وبالرغم من ان مصرع عمرو بن العاص ـ لو كـان يتم ـ كان ربمـا يغير معادلة الحرب كلها لمصلحة الإمام لما كان يسبّبه من الذعر في جيش الشام ، بالإضافة إلى أن ذلك كان يعني القضاء على الساعد الأيمن لمعاوية ، وصاحب الحيلة الأولى في أصحابه ، فان الإمام التزم بكرم النفس ، ولم يلتـزم باحـراز النصر . .

ثم انـه شاع خبـر الطريقـة التي تخلص بها عمـرو من سيف ذي الفقـار فاتبعها أشخاص آخرون من قادة جيش معاوية منهم « بسر بن ارطـاة » وهو من أقوى فرسان معاويـة ، حيث انه تقـدم لعلي ( عليه السـلام ) وكان الإمـام في الدروع والزرود لايتبين منه الا عيناه فلم يعرف « بسر » انه علي ( عليه السلام ) فتصدى له ، فلما تلقّى أول ضربة منه ، في الصراع ، أدرك من ثقل الضربة انها لعلي ! فقد اوقعته من على ظهر فرسه ، فما كان من «بسر»ـ وقد أدرك خطورة الموقفـ الاّ ان قلّد عمرا، وكشف عن عورته . وكان موقف عليّ منـه كما كان مع عمرو ، فكشح بوجهه عنه وتركه يفلت هارباً . .

انه كريم النفس ، وهو اذ يفعل ما يفعل فهـو لا يتكلف ذلك لأنـه ملتزم بالأخلاق ولا يرضى لنفسه إلاّ أن يلتزم بها . .

أو ليس هو القائل : « لو كنّا لا نرجو جنّة ، ولا نخشى ناراً ، ولا ثواباً ولا عقاباً ، لكـان ينبغي لنا ان نـطلب مكارم الأخـلاق فإنها مما تـدّل على سبيل النجاح»[1]؟

وأين تـظهر مكـارم أخلاق الـرّجل ؟ أليس حينمـا تتناقض مصـالحه مـع مبادئه ، وقيمه مع رغبته ؟

ثم ان الإمام كان يعفو ، ويصفح عن عدوّ ويعرف سلفـاً أنه لـو كان هـو

(١) مستدرك الوسائل : ج٢ ، ص٢٨٣ .

المنتصر لم يكن ليصفح عنه أو يعف ، أو يرحم !

من ذلك انه (عليه السلام) حينما صرع عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق رفض أن يسلبه درعه ، بعد ان قال له عمرو ـ والإمام على صدره ينوي قتله ـ :

ـ « لا تكشف سوأة ابن عمك ولا تسلبه سلبه» .

فقال له الإمام ـ : « ذاك أهون عليّ !

وحينما عاد إلى رسول الله منتصراً ، قال له عمر بن الخطاب ـ : « هلاّ سلبت درعه ، فانها تسوي ثلاثة آلاف ، وليس للعرب مثلها ؟!

فقال الإمام ـ « اني استحيت ان أكشف ابن عمّي » .

ولكرم النفس هذا روي انه حينما جاءت أخت عمرو ورأته غير مسلوب ، قالت : « انما قتله كريم »[1] .

ولقد قال الإمام فيما ينسب إليه من الشعر عن عفته في سلب عمرو :

وعففت عن أثوابه لو إنّني     كنتُ المقطَّر بزّني أثوابي

هذا وكان الإمام يوصي قنبراً خادمه بقوله : « يا قنبر لا تعرٍّ فرائسي » ويقصد بذلك ان لا تسلب قتلاي[2] .

***

لقد كان ( عليه السلام ) عظيماً في شخصيته ، ولم يكن يستمد شخصيته من مظاهر القوة الفارغة من البطش والتنكيل ، وما شابه ذلك . ولم يكن ممن يُغريه سلطانه ، وقوته الجسدية ، ان يأخذ أحداً باكثر مما يستحق ، أو أن تسمح

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣١٩ .

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ، ص٧٣ .

له سلطاته الواسعة تجاوز مفردة واحدة من مفردات الأخلاق الرفيعة . . بل كان يرّد البذاءة الشخصية بالعفور والصفح ، والرّد الجميل .

من ذلك ما روي أنه بعد ثلاثة شهور من مبايعة الناس له ، وطلب الإمام من معاوية الدخول في الطاعة ، ولزوم الجماعة ، ومعاوية لا يرد على رسائل الإمام أرسل معاوية رجلاً من بني عبس ومعه كتاب ، فلما فضه عليٌّ وجده خالياً من الكتابة ! فقال للرسول : « ما وراءك ؟! » :

قال : « وأنا آمن ؟ » :

قال الإمام : « إن الرسل لا تقتل » :

قال : « تركت قوماً لا يرضون إلا بالقَودَ » .

قال الإمام : « ممن » ؟

قال العبسي : « من خيط رقبتك ! وتركت ستينِ ألف شيخ كلهم يبكي تحت قميص عثمان ، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق » !

قال الإمام : « أمني يطلبون دم عثمان ؟ ألست موتوراً بترة عثمان ؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ! نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ، فانه إذا أراد أمراً أصابه . اخرج » .

قال العبسي : « وأنا آمن ؟ » .

قال الإمام : « وأنت آمن » .

وحاول بعض أصحاب الإمام أن يفتكوا بالعبسي ، فأنقذه الإمام وحماه . . . ثم أمر بعض أصحابه أن يحسنوا إليه ، فما زالوا به حتى انضم إليهم وهجر معاوية ، وكشف لهم خطة معاوية للقتال ، وللزحف على المدينة ،

وما يدور بين معاوية وبين خصوم الإمام من مراسلات . . .[1] .

* * *

ان كـرم النفس عند الإمـام والتزامـه بالأخلاق الحسنة كانت تـدعوه إلى الصفح والعفو حتى لألدّ أعدائـه والحرب لا تزال قائمة . .

ومن ذلك ما روي عن إطلاق سراح أسرى جيش الشام ، من غير فدية ، أو عقاب . بالرغم من ان خصمه معاوية أوشك ان يقتل الأسرى من جيش الإمام ( عليه السلام ) ذلك ان هذا الاخير كان قد أسر بعض أصحاب الإمام ، فقال عمرو لمعاوية : « اقتلهم » ، وهمّ معاوية بذلك .

فقال له أحد الأسرى ، وهو من قبيلة الأزد: « لا تقتلني فإنـك خالي » .

قال معاويـة: « من أين أنا خـالك ولم يكن بيننـا وبين أزد مصاهـرة؟» قال الأزدي : «إن أخبرتك فهو أماني عندك؟»:

قال معاوية : « نعم » :

قال : « أليست أختك أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجة النبي ؟ »

قـال : « بلى » .

قـال : « أليست هي أم المؤمنين ؟ فأنـا ابنهـا ، وأنت أخـوهـا ، فـأنت خالي» .

فأعجب معـاوية بـدهاء الأزدي، وسـر بحسن حيلته ، وصفق طـرباً ، وقـال : « مالـه! لله أبوه !؟ أمـا كان في هؤلاء الأسـرى من يفطن لهـا غيره ؟ » وأطلقه .

فأشار عمرو عليه أن يقتل الأسرى الآخرين .

وإن معاوية ليوشك أن يقتـل الأسرى من أصحـاب علي ، إذ بأصحـاب

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٢٤٤ .

معاوية الـذين كان قـد أسرهم علي يعـودون ، فيشيدون بحسن المعـاملة التي لقوها ، ويحملون إلى معاوية ومن معه فتوى الإمام : « إن أسير أهـل القبلة لا يفادى ، ولا يقتل » .

فأطلق معاوية الأسرى من أصحاب علي ، وهو يقول لعمرو مؤنبـاً : « يا عمرو ، لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر »(١) .

كـان الإمام يقـاتل أعداءه، ولكنـه كان خصمـاً يلتزم بمبـادىء الشرف والفروسية ولا يتجاوز حدود ما أنزل الله ، فلم يكن ينطلق من البغضاء والشحناء بل من مبدأ مقاومة الظلـم والعدوان .

فمع انه كان يقاتل أعداءه ، فانه لم يكن ليسمح لأصحابه بان يشتموهـم ويلعنوهـم . . فللّعدو احترامه ، بالرغم من أنّه يجوز قتله . .

فقد روي « ان الإمام علياً خرج إلى النّـاس فوجـدهم يشتمون ويلعنـون معاوية ومن تبعه ، فزجرهم الإمام :

فقال الأشتر : « ألسنا محقين ؟ » :

قال : « بلى » .

قال حجر بن عدي : « أليسوا مبطلين ؟ » :

قال : « بلى » :

فقال الناس : « فلـم تمنعنا عن شتمهم ؟ » .

قال : « إني أكره لكم ان تكونوا سبّـابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمـالهم وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر . فان قلتم مكان سبّكم ايّاهم : « اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، وأهدهم من

---

(١) المصدر السابق : ج٢ ، ص٩٩ .

ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به » كان هذا أحب إليّ ، وخيراً لكم » .

فقال الأشتر وحجر بن عدي : « يا أمير المؤمنين نقبل عظتك . ونتأدب بأدبك »[1] .

ومن ذلك ايضاً ما روي ان اصحابه سألوه عن الخوارج : « أمشركون هم يا أمير المؤمنين » :

قال : « من الشرك فرّوا » :

قالوا : « أمنافقون ؟ » :

قال : « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ! » :

قالوا : « فمن هم يا أمير المؤمنين ؟ » .

قال : « إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم . فاذكروا عني إذا لقيتموهم من بعدي أنهم طلبوا الحق فأخطأوه ، أما القاسطون فقد طلبوا الباطل فأصابوه! »[2] .

فهو يقاتلهم ، ولكنه يأبى ان يتهمهم بما ليس فيهم !

ثم ان القتال عنده له أُصوله ايضاً ، فليس الغدر قتالاً ، ولا المباغتة من دون الاعذار جائزاً عنده بل لا بد من الالتزام بالأصول الأخلاقية . ومن هنا فان الإمام حينما أرسل الأشتر في مقدمة الجيش إلى مناوئيه اوصاه قائلاً :

إياك أن تبدأ بقتال إلا أن يبدأوك ، حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ، ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة ،

---

(١) كتاب صفّين : لنصر بن مزاحم ، ص١٠٣ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٢٠٢ .

واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحاً ، ولا تَدْنُ منهم دُنُوّ من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تتباعد عنهم تباعد من يهاب البأس . حتى أقدم إليك حثيث المسير في إثرك إن شاء الله تعالى »[1] .

وأوصى معطل بن قيس الرياحي حين انفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف كمقدمة لجيشه ، قائلاً :

« اتق الله الذي لابدّ لك من لقائه ، ولا منتهى لك دونه ، ولا تقاتلن الاّ من قاتلك . . . فإذا لقيت العدو فقف من اصحابك وسطاً ، ولا تدن من القوم دنو من يريد ان يُنشب الحرب ، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس ، حتى يأتيك أمري ، ولا يحملنّك شنآئهم على قتالهم قبل دعائهم والأعذار إليهم »[2] .

لقد كان الإمام يتمتع بصفة التورع عن البغي ، والمرونة مع الخصم سواء كان خصمه قوياً أم ضعيفاً ، كما كان يتمتع بصفة سلامة الصدر من الضغن على العدّو بعد الفراغ من القتال . .

فمن تورعه عن البغي ، مع قوته البالغة وشجاعته المعروفة ، انه لم يبدأ احداً قط بقتال وله مندوحة عنه . كان لا يدعو إلى مبارزة ، ولكنه إذا دعي إليها يهرول إليها هرولة الولهان . .

لقد علم انّ الخوارج بدأوا يفارقون عسكره ليحاربوه ، وقد قيل له « انهم يُبيّتون النية للخروج عليك فبادرهم قبل ان يبادروك» فقال : « لا اقاتلهم حتى يقاتلوني . وسيفعلون »[3] .

---

(١) المصدر السابق : ج٢ ص٢٦ .
(٢) كتاب صفين : ص١٩٨ .
(٣) عبقرية الإمام علي : ص١٩ .

وكذلك فعل قبل وقعة الجمل ، وقبل وقعة صفّـين ، وقبل كل المعارك صغرت أم كبرت ، سواء كانت نية العدو واضحة في العدوان أم غير واضحة ، كان يدعوهم الى السلام ، وينهى أصحابه عن المبـادأة بالشّـر ، فما رفـع يده بالسيف قط الاّ وقد بسطها للسلام من ذي قبل .

ولقد أصاب المقتل من أعدائه عدة مرات ، فلم يهتم بالفرصة السـانحة بين يديه ، لأنّه كان ملتزماً باخلاقيات المقاتل المؤمن ، وكان يـريد ان ينتصـر على عدوه انتصار الشريف ، لا انتصار الأنذال ، ولم يكن يريد قط أن يستلب الغلبة قصاصاً أو تشفياً . .

ففي معركة الجمل ، لاحت له فرصة ان يمنع اعدائـه الماء ، فـابى أن ينتهزها كما فعل ذلك فيما بعد مع أصحاب معاوية . .

وبعد المعركة ، منع أصحابه ان يستبيحوا السّبي ، ويأخذوا غنائم منهم ، فغضب بعض أصحابه من ذلك فقالوا له : « يا أمير المؤمنين . . اتراه تحلّ لنا دماءهم ، وتحرم علينا أموالهم ؟

فقال ( عليه السلام ) : « انما القـوم امثالكم . . من صفـح عنّا فهـو منّا ونحن منه ، ومن لجَّ فقتاله منّي حتى يصاب على الصدر والنحر »[1] .

وكان ( عليه السلام ) لا يتّبع منهزماً ، ولم يكن يجهز على جريح[2] وكان يوصي أصحابه بذلك أيضاً . فقد قال قبيل معاركه مع أهل الشام :

« لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم . وأنتم ـ بحمد الله ـ على حجة ، وترككم قتالهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فـاذا هزمتمـوهم بإذن الله فـلا تقتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عـورة ،

---

(١) عبقرية الإمام علي : ص٣٧ .

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ، ص٧٣ .

ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم من عدة الحرب وأدواتها[1] .

* * *

وكان مع عدوه رحيماً . . يريد له الخير، وينصحه لعله يأوب عن ذنبه، ويخلص نفسه من نار جهنم . لقد خرج عليه طلحة والزبير فوقف معهما الإمام ينصحهما طويلاً ، حتى استطاع أن يؤثر على الزبير فاعتزل عن القتال ، ولكن أحدهم تعقبه طمعاً في بعض المغنم فقتله ، ثم جاء بسيفه إلى الإمام ، وهو يظن انه ( عليه السلام ) سيثمن عمله ، ويمنحه الجائزة على ذلك ، فغضب الإمام ، وقال وهو يقلّب سيف الزبير :

ـ « سيف طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله ! » .

كان متأثراً مما آل إليه أمر الزبير فإذا بالزبير يجرد سيفه الذي كشف به الكرب عن وجه رسول الله ، في وجه وصيّه فتأثر الإمام لمقتله، وبكاه . .

ثم التفت إلى قاتله وقال :

ـ « سمعت رسول الله يقول : بشّر قاتل إبن سميّة بالنار » وطرده من محضره !

لقد كان الإمام يتمنى على طلحة والزبير أن يعودا إلى رشدهما ، ولكم حذّرهما من مغبّة تسعير نار الحرب . وفتح باب الفتنة ؟

ولكن الشيطان غلبهما من قبل ، فوقع ما وقع ، وقد قال لهما ولرجالهما ، قبيل اندلاع المعارك : « . . ثم ان الأمر الذي كنت احذركم منه قد وقع ، والذي وقع لا يُدرك ، وانّها لفتنة كالنار ، كلّما سعرت ازدادت اضطراماً .

---

(١) مروج الذهب : ج٢ ، ص٧٣١ .

وسأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بداً ، فآخر الدواء الكي »[1] .

ووقعت الحرب ، وتساقط القتلى على الجانبين ، عشرات عشرات ثم مئات ومئات ، واحيط بطلحة ، واوشك ان يقتل فصاح الإمام باصحابه : « إياكم وصاحب البرنس . ! إياكم وطلحة . ! إياكم ان تقتلوه! »[2] .

ولكن طلحة قتل فيما بعد بسهم مروان بن الحكم فأصاب مقتله . .

واستعرت المعركة من جديد ، وخاضت الخيل في دماء الرجال ، ورأى الإمام أنه ما من سبيل لحقن الدماء بعد . . فالجنون والغيظ والاحتدام والانفعالات المدمرة هي التي تحرك سواعد الرجال !! ورآهم يتساقطون صرعى حول الجمل، فصاح: « اعقروا الجمل، فانه إن عقر تفرقوا ». ولم يقل ( عليه السلام ) اقتلوا صاحبة الجمل، ولا اقتلوا الرجال من حولها، بل قال: « اعقروا الجمل» ليحقن الدّماء!

وبعد المعارك . . بكى أعداءه، كما بكى اصحابه ، وصلى عليهم كما صلى على هؤلاء . !

يقول أحدهم :

« لقد كان رضاهُ من الآداب في الحرب والسلم رضا الفروسية العزيزة من جميع آدابها ومأثوراتها .

فكان يعرف العدّو عدواً حيثما رفع السيف لقتاله . ولكنه لا يعادي إمرأةً ، ولا رجلاً مولّياً ، ولا جريحاً عاجزاً عن نضال ، ولا ميّتاً ذهبت حياته ولو ذهبت في سبيل حربه . . بل لعله يذكرُ له ماضيه يومئذٍ فيقفُ على قبرهِ ليَبكيه

(١) التاريخ ـ للطبري : ج٥ ، ص١٥٨ .

(٢) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٢٧٩ .

ويرثيهِ ويصلّي عليه »[1] .

* * *

كان يعاقب على قدر الذنب ، ويأخذ على قدر الاستحقاق .

فبالرغم مما كان بينه وبين مُعاوية وجنوده من اللدد في العدَاء فانّه لم يكن ينازلهم ولا يأخذ من ثاراته وثارات أصحابه عندهم إلا بمقدار ما استحقوه في موقف السّاعة : ففي يوم من أيام صفّين أتفق أن خرجَ من أصحاب مُعاوية رجل يسمى « كريز بن الصباح الحميري » فصاح بين الصفين : من يبارز ؟ . .

فخرج إليه رجل من أصحاب علي فقتله ووقف عليه ونادى : من يبارز ؟

فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأوّل ، ثم نادَى : من يُبارز ؟

فخرج إليه الثالثُ فصنعَ به صنيعه بصاحبيه .

ثم نادَى رابعة : مَن يُبارز ؟ . فأحجم الناسُ ورجَعَ من كانَ في الصفّ الأوّل إلى الصفِ الذي يليه .

وخاف عليّ أن يَشيع الرّعب بين صُفوفه فخرجَ إلى ذلك الرجل المدّل بشجاعته وبأسه فصَرعه ثم نادَى نِداءه من يبارز؟ حتى أتم ثلاثة قتلهم جميعاً صنعَ بهم صنيعه بأصحابه فكلما خرج أحد أصحاب معاوية، صرعه الإمام ونادى من يبارز؟ حتى أتم الثلاثة، ثم قال مسمِعاً الصفوف:

يا أيها الناس . ان الله عزّ وجلّ يقول : ﴿الشهرُ الحرامِ بالشهر الحرامِ والحرمات قصَاص ، ولو لم تبدأونا ما بدأناكم﴾.

ورجع إلى مكانه[2] . !

* * *

---

(١) عبقرية الإمام علي : ص٣٨ .

(٢) عبقرية الإمام علي ( عليه السلام ) : ص٢٠ .

. . وكانت للّرحم عنده حرّمة خاصة ، يأمر باحترامها ويعتبرها مهماً إلى جـانب الإيمان ، والجهـاد ، والإخلاص ، والصَّـلاة والصوم ، كمـا كـان يعتبـر صلة « مثراةً في المال ومنسأة في الأجل »[1] فحتى في حـالة الحـرب كان يـأمر أن يُحترم الرحم ، ففي صفّين « تبارز رجلان ، فصرع أحدهما الآخر ، فسقـطت خوذة المغلوب ، فإذا هو شقيق الغالب ، فتوقف حتى استأذن الإمام في أمره ، فأمره الإمام ان يدع أخاه ويعفو عنه »[2] .

* * *

وفي حالات السّلم «كان للناس أباً رحيماً» ـ حَسب تعبير أحد أصحابه ـ ولقد ظهرت أخلاقه الكريمة ، والتزامه بالأصول الإنسانية في كثير من المواقف والأعمال نكتفي فيما يلي ببعضها . .

١ ـ

بالرغم من انه ( عليه السلام ) كان يحكم بلاداً شاسعة ، فإنه كان يمشي وحده من غير حرس أو حاشية وذات يوم شاهد في الطريق المشترك بين البصرة والكوفة ، رجلاً فسأله عن وجهته فقال انه يقصد البَصرة وفي المقابل كان الإمام يقصد الكوفة . وبعد ان سأله الإمام عن إسمه وقبيلته تبين أنه ليس مسلماً بل هو ذمّي . كان الطريق مشتركاً ، وحينما وصلا إلى المفترق انصرف الـرجل نحـو طريق البصرة ففوجىء بالإمام ينصرف معه في ذات الطريق .

فقال للإمام ـ ولم يكن يعرفه بعد ـ : ألم تقل انك تقصد الكوفة ؟

قال الإمام : بلى . فقال الرجل : . . ولكن هذا طريق البصرة .

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطب : ١١٠ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ص٦٤ .

قال الإمام: «قد عرفت. ولكن نبيّنا أمرنا ان نشيّع أصحابنا أربعين خطوة .

فقال الرجل : وهل أصبحت صاحبك ؟

قال الإمام : نعم . . أنت صاحبي في هذا الطريق .

فسأل من الإمام اسمه ، فتبين له أنه أمير المؤمنين . فأسلم على يديه وقال : والله إنها أخلاق الأنبياء [1] .

٢ -

بلغ من عمق تأثير أخلاق الإمام علي بن أبي طالب على الناس أنه اشترى عبداً ، فعلمه الإسلام وأعتقه ، لكن العبد لزمه . . حتى إذا مات النجاشي ملك الحبشة ، واضطربت الأمور من بعده ، اكتشف الملأ من الحبشة أن هذا العبد هو ابن للنجاشي قد خطفه تجار الرقيق وهو غلام وباعوه في مكة !!

فجاءه الملأ من الحبشة يعرضون عليه مُلك الحبشة خلفا لأبيه النجاشي ، لكنه رفض الملك وآثر البقاء على الإسلام في صحبة علي !![2] .

٣ -

يروى أنّ رجلاً جاء إلى عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) فقال له : يا أمير المؤمنين إنّ لي إليك حاجة .

فقال : أُكتبها في الأرض فإنّي أرى الضرَّ فيك بيّناً .

---

(١) الإسلام في مواجهة الجاهلية : ص١٥٧ .
(٢) علي إمام المتقين : ج١ ص١٧ .

فكتب في الأرض : أنا فقير محتاج .

فقال عليّ ( عليه السلام ) : يا قنبر اكسه حلّتين ، فأنشأ الرجل يقول :

كسوتني حلّة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ولست تبغي بما قد نلته بدلا
إنّ الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكلّ عبد سيجزى بالّذي فعلا

فقال ( عليه السلام ) : اعطوه مائة دينار .

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، حلةٌ ومائة دينار ؟ لقد أغنيته !

فقال : إنّي سمعت رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) يقول: أنزلوا النّاس منازلهم .

ثمّ قال ( عليه السلام ) : إنّي لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم[١] .

يروى أنّ أعرابياً جاء الإمام فقال : يا أمير المؤمنين إنّي مأخوذ بثلاث علل : علّة النفس ، وعلّة الفقر ، وعلّة الجهل .

فأجابه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) بقوله : يا أخا العرب علّة النفس تعرض على الطبيب ، وعلّة الجهل تعرض على العالم ، وعلّة الفقر تعرض على الكريم .

---

(١) أمالي الصدوق : ص١٦٤ .

فقـال الأعرابيّ : يـا أمير المؤمنين أنت الكـريم ، وأنت العـالم ، وأنت الطبيب ، فأمر أمير المؤمنين ( عليه السلام ) بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم ، وقـال : تنفق ألفـاً بعلّة النفس وألفـاً بعلّة الجهـل وألفـاً بعلّة الفقر[1] .

هـ -

لقد هاله ترك علماء الشام مسؤولياتهم الأخلاقية فأرسل إلى بطانة معاويـة من علماء الشام ، الذين زعموا أن انضمامهم لمعاوية ضد أمير المؤمنين قضاء من الله وقدره : « أما بعد . . أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضل المتقون !؟ ، وتنهون النّاس عن المعاصي وبكم ظهر العاصون ؟! هل منكم إلا مفتر على الله يحمل إجرامه عليه وينسبه علانية إليه ؟! . . وهل منكم إلا مَن السيف قلادته ، والـزور على الله شهادتـه ؟ خالفتم أهـل الحق حتى ذلـوا وقلوا ، وأعنتم أهـل الباطل حتى عزوا وكثروا ، فأنيبوا إلى الله وتـوبوا ، وتـاب الله على من تاب ، وقبل من أناب »[2] .

وهكذا كان الإمام عصامياً في تمسكه بالأخلاق لا يتنازل عنها ، مهما كلّفه من أمر وهكذا يجب ان يكون المؤمنون في كل موقع ومورد .

وتلك هي وصيته للناس : ان تعصبوا للأخلاق الكريمة . . فهو القائل : « ان كـان لابد من العصبيّـة ، فليكن تعصبكم لمكـارم الخصـال ، ومحـامـد الافعال ، ومحاسن الأمـور التي تفاضلت فيهـا المجداء والنجـداء من بيوتـات العرب ، ويعاسيب القبائل بالأخلاق الـرغيبة ، والأحـلام العظيمـة ، والأخطار الجليلة ، والآثار المحمودة .

---

(١)جامع الاخبار : ص١٥٨ .
(٢)علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣٦٧ .

فتعصبوا لخلال الحمد : من الحفظ للجوار والوفاء بـالذمـام . والطاعـة للبـرّ . والمعصية للكبـر . والأخذ بـالفضـل . والكفّ عن البغي . والاعـظام للقتل . والانصاف للخلق . والكظم للغيظ . واجتناب الفساد في الأرض . .

واحـذروا مـا نـزل بـالأمم قبلكم من المثـلات بسـوء الأفعـال ، وذميم الأعمال ، فتذكروا في الخير والشرّ أحوالهم ، واحذروا ان تكونوا أمثالهم »[1] .

---

(١) أعلام النبوّة ـ للماوردي : ص٩٧ .



# اليقين

زاد العاملين ، في مواجهة الصعاب ثلاث : الاعتزاز بالله تعالى والثقة بالنفس ، واليقين . فإذا اجتمعت في امرىء فلابد ان يشفع علمه بعمله ، ويقينه باقدامه .

فبمجرد ان تعلموا فلابد أن تعملوا .

وبمجرد ان تتيقنوا فلابّد ان تقدموا . .

وإذا بدأتم فلابد من مواصلة المسير من غير ما تردد أو تخاذل أو تراجع . .

فـ « لا تجعلوا يقينكم شكاً ولا علمكم جهلاً ، فإذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقنتم فاقدموا »[1] .

ان اليقين قد ينقلب إلى شك إذا إنفصل عن العمل ، فمشاكل الحياة وضغوط الأعداء ، قد تحمل الشخص على التشكيك في معتقداته ، والتردد في مواقفه ، والتراجع عن حقوقه . .

وهنا تبرز قيمة « اليقين » في العمل ، وضرورة الإصرار على الموقف في

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .

الممارسة ، فـ « باليقين تدرك الغـاية القصـوى »[1] و « كفى باليقين غنى »[2] لأنّ « من أيقن أفلح »[3] و« ما أعظم سعادة من بوشر قلبه اليقين »[4] . وهكذا فان « اليقين رأس الدين »[5] و « عماد الإيمان»[6] . ولقـد كان أميـر المؤمنين ( عليه السلام ) يطلب من الناس أن يسـألوا الله تعـالى اليقين ويقول : «أيها الناس . . سلوا الله اليقين ، وارغبوا اليه في العافية فان أجلّ النعمة : العافية ، وخير مادام في القلب : اليقين ، والمغبون من غبن دينه ، والمغبـوط من غبط يقينه »[7] .

ونظراً إلى ما لليقين من الدور الهائل فقد قال ( عليه السلام ) « نوم على يقين خير من صلاة على شك »[8] وقال : « يحتاج الإيمان إلى إيقان»[9] . .

وفي الحقيقة فان يقين الفرد هو الذي يدفعه إلى الجهاد ، والصمود فان « من يستيقن يعمل جاهـداً »[10] كما أنّه سبب الحـزم ومجـاهـدة النفس فـان « المـوقن أشد النـاس حزمـاً على نفسه »[11] إذ « يستـدل على اليقين بقصـر الأمل ، وإخلاص العمل ، والزهد في الدنيا » فان « المؤمن يـرى يقينه في

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطب : ١٥٧ .
(٢) البحار : ج٧٠ ، ص١٧٦ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) مستدرك الوسائل : ج٢ ، ص٢٨٤
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) المصدر السابق .
(٧) البحار : ج٧٠ ص١٧٦ .
(٨) تنبيه الخاطر ص٢٤ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم .
(١٠) ميزان الحكم : ج١٠ ، ص٧٨٢ .
(١١) غرر الحكم ودرر الكلم .

عمله ، وان المنافق يرى شكه في عمله »[1] .

ولهذا كله كان « الصبر أول لوازم الإيقان »[2] فهو الدافع للاستقامة تماماً كما ان « سبب الإخلاص من اليقين »[3] وهو سبب الاستهانة بالمصائب . يقول الإمام علي ( عليه السلام ) في وصيته لابنه الحسن ( عليه السلام ) : «إطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر وحسن اليقين . . وأحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوّه باليقين ، ونورّه بالحكمة »[4] .

* * *

ولقد كان أمير المؤمنين على اليقين من أمره ، والثقة بدينه ، والإعتزاز بالله وهذه الصفات هي وراء عظمة شخصيته ، حيث انه لم يشك ولا لحظة واحدة في انه على حق ، وأن مناوئيه على باطل .

وكما يقول أحدهم « كانت لديه الثقة التي تتراءى مكشوفة في صراحتها واستقامتها ، لأن صاحبها لم يتكلف مداراتها ، ولم يحس إنه يحتاج إلى مداراتها ، ولأنه يعقدها ولا يتعمّد إبداءها ، ولقد كانت فيه ثقة اصيلة لم تفارقه منذ حبا ودرج ، وقبل ان يبلغ مبلغ الرّجال فما منعته الطفولة الباكرة يوماً ان يعلم انه شيء في هذه الحياة الدنيا ، وانه قوة لها جوار يركن إليه المستجير . ولقد كان في العاشرة أو نحوها يوم أحاط القروم القرشيون بالنبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ينذرونه وينكرونه وهو يقلّب عينيه في وجوههم ويسأل عن النصير ولا نصير . فلو كان بعلّي ان يرتاع في مقام نجدة أو مقام عزيمة لارتاع يومئذٍ بين أولئك الشيوخ الذين رفعتهم الوجاهة ورفعتهم آداب القبيلة البدوية إلى مقام

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) تحف العقول : ص٥٢ .

الخشية والخشوع . ولكنه كان علياً في تلك السن المبكّرة ، كما كان علياً وهو في الخمسين أو الستين . فما تردّد ـ وهم صامتون مستهزئون ـ ان يصيح صيحة الواثق الغضوب : أنا نصيرك! فضحكوا منه ضحك الجهلِ والاستكبار . وعلم القدر وحده في تلك اللحظة ان تأييد ذلك الغلام أعظم وأقوم من حرب أولئك القروم »[1] .

ومن شواهد هذه الثقة بالنفس ، انه حملها من ميدان الشجاعة إلي ميدان العلم والرأي حين كان يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني في شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة ، الاّ انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ومحط رحالها . . ! » .

ومن شواهدها انه كان يقول ـ والخارجون عليه يرجمونه بالمروق ـ : « ما أعرف أحداً من هذه الأُمّة عبد الله بعد نبيّنا غيري ، عبدت الله قبل ان يعبده أحد من هذه الأمة تسع سنين »[2] .

لقد كان الإمام على يقين من إيمانه ، وعلمه ، وموقفه ، وصدق عزيمته وهو القائل : « إني على يقين من ربّي ، وغير شبهة من ديني »[3] .

ولقد جاءه حبر من الأحبار فقال له :

يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته ؟

فقال : «ويلك ماكنت أعبد ربّاً لم أره» ، قال : وكيف رأيته؟ قال : «ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»[4].

---

(١) عبقرية الإمام علي (عليه السّلام ) : ص٢٥ .

(٢) المصدر السابق : ص٢٠٠ .

(٣) الإمامة والسياسة : ج١ ، ص١٥٤ .

(٤) التوحيد : ص٩٦ .

لقد عبد الله تعالى عبادة من يراه ، وهو القـائل : « مـا رأيت شيئاً ، الا ورأيت الله قبله ، ومعه ، وبعده »!

وكما في العبادة، كذلك في المواقف السياسية كان على يقين من أمره فقد جاءه أحد رجاله فقال: «يا أمير المؤمنين، ما أرى عائشة وطلحة والزبير اجتمعوا إلا على حق».

فقال : « إن الحق والباطل لا يُعْرَفان بالنـاس ولكن اعرف الحق تعـرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه » .

فقال الرجـل : فهلا أكـون كعبدالله بن عمـر وسعد فـأعتزلكم جميعاً ؟

فقال الإمام : « إنهما خذلا الحق ، ولم ينصرا الباطل . متى كانا إمامين في الخير يتبعهما الناس » !! فأقسم الرجل أن يتبع أمير المؤمنين وحده ! [1] .

وإذا كان الإمام (عليه السلام) يجادل أعداءه فلكي يهديهم الطريق ويرشدهم السبيل ، والاّ فلم تكن به حاجة إلى ذلك فيما يرتبط بيقينه فهو على بصيرة من دينه ، وبينةٍ من ربه ، لم يكـذب ولم يكذَّب ، وهـو القائـل : « ما كذبت ولا كذّبت ، ولا ضللت ولا ضلّ بي »[2] والقائل : « فوالذي لا اله إلاّ هو إني لعلىٰ جادة الحق ، وانهم ( الأعداء ) لعلىٰ مزلة الباطل »[3] .

وقال قبيل معركة الجمل ـ بعد ان استيأس من ان عائشة وطلحة والـزبير سيجيبونه إلى السلام ، او إلى حقن الدماء ، ورأى ما صنعوا آنفا بعـامله على

(١) علي إمام المتقين : ج١ ص٢٦٤ .
(٢) نهج البلاغة : الحكم ١٨٥ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم : ٢٤٣ .

البصرة عثمان بن حنيف ، وقتلهم أنصاره ، ولما رجعت رسله من عند عائشة وطلحة والزبير يؤذنونه بالحرب لا محالة ! . . قال عندذلك :

« إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يَرْعَوُوا ، أو يرجعوا ، وَوبَّختهم بنكثهم ، فلم يستحيوا ، وأخرجوا ابن حنيف عاملي على البصرة بعد الضرب المبرح ، والعقوبة الشديدة ، وقتلوا رجالاً صالحين ، ثم تتبعوا منهم من نجا ، وقتلوهم صبراً ! ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ؟! وقد بعثوا إليّ أن أبرز للطعان ، وأصبر للجلاد هبلتهم الهبول ، لقد كنتُ وما أُهُدَّد بالحرب ولا أُرهب بالضرب . فليرعووا فقد رأوني قديماً ، وعرفوا نكايتي ، فكيف رأوني»؟![1] . .

أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين ، وفرقت جماعتهم ! وبذلك القلب ألقى اليوم عدوي ، وإني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد ، وعلى يقين من ربّي ، وفي غير شبهة من ديني» .

« أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيد ولا محيص . من لم يقتل مات ، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش »![2] .

وقال عن طلحة والزبير ـ بعد الإحتجاج معهما : ـ « إن شأنهما مختلف ، فأما الزبير فما أحسبه يقاتلنا وإن قاده اللجاج ! وأما طلحة فسألته عن الحق فأجابني بالباطل ولقيته باليقين ، فلقيني بالشك ، فوالله ما نفعه حقي ، ولا ضَرّني باطله ، وهو مقاتل غداً فمقتول في الرعيل الأول »[3] !

لقد قال الإمام ذات مرّة : « ما شككت في الحق منذ أريتهُ ، لم يوجس

---

(١) كشف المحجة : ص١٧٣ .

(٢) العقد الفريد : ج٢ ، ص٢٨٢ .

(٣) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٢٧٠ .

موسى ( عليه السلام ) خيفة على نفسه ، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال ، اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل . . . من وثق بماء لم يظمأ »[1] .

فقال له بعض من سمعه : « يا أمير المؤمنين ما سمعنا قبل اليوم مثل هذا !! إنه أفضل تفسير لقوله تعالى : ﴿**وأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾ وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره »!

ولأنه ( عليه السلام ) ما شك في الحق منذ رآه ، فانه كان مستعداً للمواجهة مع الباطل ـ بعد الإحتجاج عليه ، وإتمام الحجة له ـ مهما كانت النتائج بما في ذلك الهزيمة . ولقد قال : « ما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه »[2] .

وحينما أغار أحد أصحاب معاوية ـ وإسمه الضحاك ـ برجاله على الحيرة واليمامة ، فنهبوا بيت المال ، وهربوا إلى الشام . أرسل إليه أخوه عقيل بن أبي طالب كتاباً ينبئه فيه بأمر هذه الغارة ، ويعرض عليه أن يخرج إليه ليؤيده . فرد عليه الإمام علي ( عليه السلام ) برسالة جاء فيها : « . . . إن قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك ، إجتماعها على رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قبل اليوم . وجهلوا حقي ، وجحدوا فضلي ، ونصبوا لي الحرب وجدوا في إطفاء نور الله ، اللهم فأجز قريشا عني بفعالها ، فقد قطعت رحمي وظاهرت علي .

أما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة ، فهو أذل وألأم من أن يكون مر بها ، فضلاً عن الغارة ، ولكنه جاء في خيل ، فسرّحت إليه جند

(١) المسترشد ـ للطبري : ص٩٥ .
(٢) صبح الأعشى : ج١ ، ص٢٢٩ .

المسلمين ، فلما بلغه ذلك ولى هارباً ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق . حين همت الشمس للإياب ، فاقتتلوا ، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا هارباً بعد أن أخذوا منه بالمخنق ، ولولا الليل ما نجا !

وأما ما سألت أن أكتب إليك فيه ، فان رأيي الجهاد حتى ألقى الله ، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، لأني محق ، والله مع المحق . .

وما أكره الموت على الحق ، لأن الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا إلى الحق .

وأما ما عرضت به من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك ، فلا حاجة إلى ذلك ، فذرهم راشدا مهديا ، فوالله ما أحب أن نهلكوا معي إن هلكت »[1] .

وفي المعمعة من المعارك في صفّين . خرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفين : « يا أبا الحسن . يا علي ، ابرز إلي » :

فبرز إليه الإمام فقال : « يا علي ! إن لك قدما في الإسلام والهجرة . فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء ؟ »

قال له علي : « وما ذاك ؟ »

قال : « ترجع إلى عراقك فنخلّي بينك وبين العراق ، ونرجع نحن إلى شامنا فتخلى بيننا وبين شامنا » .

فقال له علي : « لقد عرفت . إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة . ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني ، وضربت أنفه وعينيه ، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) . إن الله تبارك وتعالى لم

---

(١) الأغاني : ج١٥ ، ص٤٤ .

يـرض من أوليائـه أن يُعْصَى في الأرض وهم سكوت مـذعنـون ، لا يـأمـرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فوجدت القتال أهون على نفسي من معالجة الأغلال في جهنم وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة »[1] .

ولقد حاول معاوية، حينما رأى في احدى مراحل الحرب أن الدائرة توشك أن تدور عليه ، وأن عليا يوشك أن يكسب الحرب ، فأراده التخلص من ذلك بحيلة التظاهر بالمنطق والتلاعب بالألفاظ والتشكيك في حق الإمام فقال لعمرو: « قد رأيت أن أكتب لعليٍّ كتاباً أسأله الشام ـ وهو الشيء الأول الذي ردني عنه وألقى في نفسه الشك والريبة » . فضحك عمرو قائلاً : « أين أنت يا معاوية من خدعة علي ؟ » .

فقال : « ألسنا بني عبد مناف ؟ » .

قـال عمـرو : « بلى ؛ ولكن لهم النبـوة دونـك ! وإن شئت أن تكتب فاكتب » .

فكتب معاوية لعليٍّ : « أما بعد ، فـاني أظنك أن لـو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا ، لم يجنها بعضنا على بعض وإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونصلح به ما بقى ، وقد كنت سألتك الشـام على ألا يلزمني لك طـاعة ولا بيعـة ، فأبيت ذلـك عليَّ . فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى مـا دعوتـك إليه أمس ، فـإني لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو ، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف ، وقد والله رقت الإجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يُستذل به عزيز ، ولا يُسترق به حُرّ ، والسلام » .

فلما قرأ الإمام كتاب معاوية قال : « العجب لمعاوية وكتابه ! » .

ثم كتب إلى معاوية : « أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت

---

(١) مصباح المتهجد : ص٤٢٩ .

وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض .

فأنا وإياك منها في غاية لم نبلغها . وإني لو قتلت في ذات الله وحييت ، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة ، لم أرجع عن الشدة في ذات الله ، والجهاد لأعداء الله .

وأما قولك أنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فإني ما نقّصت عقلي ، ولا ندمت على فعلي . فأما طلبك الشام ، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما قولك : « إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت » . إلا ومن أكله الحق فإلى الجنة . ومن أكله الباطل فإلى النار ، وما استواؤنا في الخوف والرجاء فلستَ أمضى على الشك مني على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة .

وأما قولك«فأنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل»، فلعمري إنا بنو أب واحد ، ولكن ليس أمية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ، ولا المحق كالمبطل . ولا المؤمن كالمدغل ، ولبئس الخلف خلف يتّبع سلفاً هوى في نار جهنم .

وفي أيدينا بعدُ فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ، وأعززنا بها الذليل ، ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً ، واسلمت له هذه الأُمة طوعاً وكرهاً ، كنتم ممن دخل في الدّين ، إمّا رغبةً وإمّا رهبة ، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً ولا على نفسك سبيلاً والسلام »[1] .

فلما قرأ معاوية كتاب الإمام ، أخفاه .

---

(١) الفتوح ـ لابن اعثم : ج٣ ، ص٢٥٩ .

ثم إن عمرو بن العاص ألح على معاوية حتى أطلعه على كتاب الإمام ، فأثنى عمرو عليه ، وأغضب ذلك معاوية . . فقال لعمرو عاتباً : « أردت تسفيه رأيي وإعظام عليٍّ ! وقد فضحك » وكان عمرو يعظم عليًّا لأنه بعد أن صرعه لم يجهز عليه بل أشاح عنه بوجهه وتركه ينجو . فقال عمرو : « أما إعظامي عليًّا فانك بعظمته أشد معرفة مني ، ولكنك تطوي ما تعرفه وأنا أنشره ، وأما أنه فضحني يوم صارعته ، فلم يفتضح امرأً لقى أبا الحسن »[1] .

وبمقدار ما كان الإمام ( عليه السلام ) على يقين من أمره، كان أصحابه كذلك، فهذا « عمار بن ياسر » حينما انتصر مع الإمام على عائشة في معركة الجمل جاءها معاتباً لها عما فعلت، فقالت له :

ـ « أترى انكم حين انتصرتم علينا كنتم على حق وكنا على باطل ؟

فقال لها عمار :

ـ « والله لو ضربتمونا حتى بلغتم بنا سعفات هجر : لعلمنا انا على حق وانكم على باطل ، وان قتلانا في الجنة ، وان قتلاكم في النار » .

فالقضية بالنسبة اليه لم تكن قضية انتصار أو هزيمة فلو انهم كانوا ينهزمون لكانوا على ما هم عليه : يقين بلا حدود ، وإيمان بلا دخل . .

وكما كان عمار بن ياسر ، كذلك كان الكثيرون من صحابة الإمام . . فمثلاً « حينما ذاع في جند العراق أن معاوية يعد من ينضم إليهم منهم بالغنى والجاه . . جاء إلى عليٍّ فارس من همدان فقال له : « يا أمير المؤمنين إن أقواماً طلبوا من معاوية العطاء فأغدق عليهم ، فباعوا الدين بالدنيا . وإنا رضينا بالآخرة من الدنيا ، وبالعراق من الشام ، وبك من معاوية .

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٨٨ .

يا أمير المؤمنين . . والله لآخرتنا خير من دنياهم ، ولعـراقنا خيـر من شامهم ، ولإمـامنا أهـدى من إمامهم ، فاستفتحنا بالحرب ، وثق منا بالنصر ، واحملنا على الموت »[1] .

هؤلاء كانوا من الذين وصفهم ( عليه السّلام ) بقوله :

ـ « ان من أحب عباد الله اليه عبـداً أعانـه الله على نفسـه ، فـاستشعـر الحزن ، وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه ، واعدّ القرى ليومـه النازل به ، فقرّب على نفسه البعيد ، وهـوّن الشديـد . . قد ابعـد طريقـه وسلك سبيله ، وعـرف مناره ، وقـطع غماره ، واستمسـك من العرى بـأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، فهو من اليقين على ضوء الشمس »[2] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ص٩٦ .
(٢) نهج البلاغة ـ الخطب ٨٧ .
وربيع الأبرار ـ للزمخشري ـ باب العز والشرف .

# الـــزهـــد

ما من نبي من أنبياء الله العظام ، الاّ وبشّر الناس بالآخرة ودعــاهــم إلى العمل من أجلها .

ومـا من صالـح من الأولياء ، الاّ وطلب منهم الـزهد في درجـات هـذه الدنيا . ليس لأن هنـالك تنـاقضاً بين الـدنيا والآخـرة ، بل لأن الأولى خُلقت للآخرى . وليس لأن علينا أن نهمل حياتنا ، بـل لأن علينا ان نصلحها . . ولا صلاح للنفس الاّ بالزهد والتقوى ، والورع والإجتهاد ، والعفة والسداد .

وبحق أقول لكم :

إن من يعرف حقيقة الدنيا ، يزهد ، لا محالة فيها .

وإن من يجهل حقيقتها ، يتيّم ـ ولاشك ـ بها.

فمن عرف النهايـة ، زهد في البـداية . ومن تـذكر المـوت والبلى عمل الخير والهدى، وشتان ما بين من يعمل لآخراه ، وبين من يعمل لدنياه . . وبين من انشغل بالصلاح ، ومن انشغل بـاللذات ، وبين من عبد الله ، ومن اتخـذ إلهه هواه . .

والحق فان « الزهد شيمة المتقين[1] وهو أصل الدّين »[2] و« ثمرتـه »[3] و « ينته »[4] وهو « مفتاح الصلاح »[5] فقـد « جعل الخيـر كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا »[6] . فـ « الزهد ثـروة »[7] و« الزهـد متجر رابـح »[8] و« مع الزهد يثمر الحكمة »[9] .

هـذا بالإضـافة إلى ان « الـزهد في الـدنيا : الـراحـة العـظمى »[10]لأن « الزهد في الدنيا يريح القلب ، والبدن »[11] بينما « الـرغبة في الـدنيا تـورث الغمّ والحزن »[12] فان « من زهد في الدنيـا استهان بـالمصيبات »[13] و«أعتق نفسه وأرضى ربّه »[14].

ولهذا كله فانه « ما عبد الله بشيء ،أفضل من الـزهد في الـدنيا »[15] ، ولذلك ايضاً « ما اتخذ الله نبيّاً إلاّ زاهداً » [16]. .

* * *

ثم ان أول موجبات الزهد : النظر إلى الآخرة ، والإهتمام بها فان « أصل

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ميزان الحكم : ج٤ ص٢٥٠ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٥) المصدر السابق .
(٦) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٤٩ .
(٧) نهج البلاغة : الحكم ٤ .
(٨) مستدرك الوسائل : ج٢ ، ص٣٣٢ .
(٩) ميزان الحكمة : ج٤ ص٢٦٣ .
(١٠) كنز العمال : خ٦٠٦٠ .
(١١) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٢٤٠ .
(١٢) حلية الأولياء : ج١ ص٧٤ .
(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(١٤) مستدرك الوسائل : ج٢ ، ص٣٣٣ .
(١٥) و(١٦) المصدر السابق .

الزهد حسن الرغبة فيما عند الله »[1] ، فقد أوحى الله إلى موسى : «ان عبادي الصالحين زهدوا فيها ( الدنيا ) بقدر علمهم بي ، وسائرهم من خلقي ، رغبوا فيها بقدر جهلهم بي ، وما من أحد من خلقي عظّمها فقرّت عينه »[2] .

وهكذا فان « زهد المرء فيما يفنى ( من الدنيا ) بقدر يقينه بها يبقى »[3] وإلّا « كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة »[4] ؟

***

وثاني موجبات الزهد : تذكر الموت ، وما فيه من البلى .

فما قدر لذة تفنى ، ونعيم يزول ، وراحة يعقبها التعب ، وشهوة تزول وملك لا يبقى ؟

أن « من صور الموت بين عينيه ، هان أمر الدنيا عليه »[5] ، ولذلك فـ «إن العقلاء زهدوا في الدّنيا ، ورغبوا في الآخرة ، لأنّهم علموا ان الدنيا طالبة ومطلوبة ، وأن الآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ، ومن طلب الدّنيا طلبته الآخرة ، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته »[6] .

ولقد مرّ أحد الأولياء على قبر ، فقال : «إنّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوّله . وإنّ شيئاً هذا أوّله لحقيق أن يخاف آخره »[7] .

وثالث موجبات الزهد : معرفة نواقص الدنيا ، فهي بقدر ما تنفع تضرّ ،

---

(١) ميزان الحكمة : ج٤ ص٢٥٥ .
(٢) بحار الأنوار : ج١٣ ، ص٣٣٩ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ميزان الحكمة : ج٤ ، ص٢٥٦ .
(٦) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٣٠١ .
(٧) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٣٢٠ .

وهي بقدر ما تفرح تحزن ، وهي بمقدار ما تعطي تأخذ ، وهي بمقدار ما تعافي تمرض، وهي بمقدار ماتكون لك فهي عليك فإنّ «الدهر يومان ، يوم لك ويوم عليك »[1] ، وهي تنقلب عليك بينما أنت تركن إليها ، وتفجعك بينما أنت فرح بها .

فانما « مثل الدنيا ، كمثل الحيّة ليّن مسّها ، والسّم الناقع في جوفها ، يهوى إليها الغرّ الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل »[2] .

والحق « ان الدنيا كالشبكة تلتف على من رغب فيها ، وتتحرر عمّن أعرض عنها ، فلا تمل إليها بقلبك ، ولا تقبل عليها بوجهك ، فتوقعك في شبكتها ، وتلقيك في هلكتها »[3] .

وهكذا فإن « . . متاع الدنيا حطام موبوء فتجنّبوا مرعاه. . قلعتها أحظى من طُمأنيتها ، وبُلغتها أزكى من ثروتها ، حكم على مكثرٍ منها بالفاقة ، وأعين من غني عنها بالراحة ، ومن راقه زبرجها أعقبت ناظريه كَمَها ، ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجاناً، لهن رقص على سويداء قلبه ، همٌّ يشغله وهمٌّ يحزنه ، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالغضاء منقطعاً أبهراه، هيناً على الله فناؤه وعلى الأخوان إلقاؤه»[4] .

فـ « كم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون ، كان في الدنيا غذّى ( يتغذى ) ترف . وربيب شرف ، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ، ويفزع إلى السلوة إنْ مصيبة نزلت به . . . . فبينما هو يضحك إلى الدنيا وتضحك الدنيا

(١) تحف العقول ـ للحراني : ص٢٠٧ .
(٢) الارشاد ـ للمفيد : ص١٢٤ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم : ١١٧ .
(٤) نهج البلاغة : الحكم ٣٦٧ .

إليه في ظل عيش غفول ، إذ وطىء الدهر به حَسَكه ( نبات فيه شوك قوى ) ، ونقضت الأيام قواه ونظرت إليه الحتوف من كثب . . . . وإن الموت لغمرات . هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدنيا »[1] .

ورابع موجبات الزهد : الإنشغال بإصلاح النفس .

فمن عرف قدر نفسه ، روّضها بالقناعة والكفاف ، وترك الشهوات والملّذات ، وزكّاها بالإنقطاع عن تلبية سؤلها ، ومقاومة طلباتها ، ومجاهدة رغباتها . فإن النفس غرارة غدارة ، الاّ من أدبر عنها ، وتحررّ من ربقتها . .

***

وقد يسأل البعض : إذا كان الزهد مطلوباً فما هو ؟ وأين يكون ؟ وما هي نتائجه ؟

والجواب : « ان الزهادة في الدّنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكنّ الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله عزّ وجلّ »[2] .

فـ « الزهادة قصر الأمل ، والشكر عند النعم ، والتورع عن المحارم[3] وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله ، من غير تأسف على فوتها ، ولا إعجاب في تركها ، ولا انتظار فرج منها ، ولا طلب محمدة عليها ، ولا عوض منها »[4] .

وهكذا فإن « الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن : قال الله تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[5] « فمن لم يأس على

---

(١) مطالب السؤول : ج١ ، ص١٠٠ .
(٢) كنز العمال : خ٦٠٥٩ .
(٣) روضة الواعظين : ص٤٣٤ .
(٤) بحار الأنوار : ج٧٠ ، ص٣١٥ .
(٥) آل عمران : ١٥٣ .

الماضي ، ولم يفرح بالآتي ، فقد أخذ الزهد بطرفيه »[1] .

ولذلك فان الإمام علي ( عليه السلام ) كان يوصي قائلاً : يا بن آدم . . لا تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت ، ولا تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت »[2] .

أما أين يكون الزهد ، فأولاً : فيما حرّم الله . وثانياً : في الزيادة مما أحله الله . . فالزهد هو ترك الحرام مهما كانت لذته ، ومنفعته . . فـ « الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ، ولم يشغل الحلال شكره[3] فلا زهد كالزهد في الحرام »[4] .

كما هو ترك الزائد من الحلال ، فالزاهد هو « الذي يترك حلالها ( الدنيا ) مخافة حسابه ( الله تعالى ) ، ويترك حرامها مخافة عذابه »[5] .

ولقد أوحى الله تعالى إلى نبيه ليلة أسرى به فقال : « يا أحمد . . ان احببتَ ان تكون أورع الناس ، فازهد في الدنيا ، وارغب في الآخرة » . فقال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) : « يا إلهي كيف أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ؟

فقال تعالى : « خذ من الدنيا خفاً من الطعام والتراب واللباس »[6] .

امّا ما هي نتائج الزهد ، ففي الآخرة ثواب الله العظيم ، كما أن من نتائج حبّ الدنيا ، وترك العمل للعقبى عقاب الله الأليم . **﴿فأمّا من طغى وآثر الحياة**

---

(١) البرهان في تفسير القرآن : ج٤ ، ص٢٩٦ .

(٢) تنبيه الخواطر : ص٣٥٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٣٧ .

(٤) البصائر والذخائر : ص٢٥ .

(٥) ميزان الحكمة : ج٤ ، ص٢٥٣ .

(٦) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص٢٢ .

**الدّنيا ، فان الجحيم هي المأوى ، واما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى﴾**[1] .

وأما في الدّنيا فالزهد هو الطريق إلى الحق ، وعبادة الله تعالى . يقول الإمام علي : « العلم يرشدك إلى ما أمرك الله به ، والزهد يسهّل لك الطريق إليه »[2] .

وفي الحقيقة لا يمكن ان يرى الإنسان نواقص الدنيا ، وعيوبها الاّ إذا زهد فيها ، فان حب الشيء يعمي ويصم . يقول الإمام ( عليه السلام ) : « ازهد في الدنيا يبصّرك الله عوراتها »[3] .

فالحكمة ، في الفهم والعمل والوعي ، هي من نتائج الزهد ذلك انه « ما زهد عبد في الدنيا الاّ أنبت الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه ، ويبصّره عيوب الدنيا ، وداءها ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام »[4] .

فمن يزهد في الدنيا يتحرر من الشهوات والرغبات والعقد النفسية ، ولن يتعصب لباطل ، ولا ينحاز لمعصية ، ولا يرغب في مضرّة احد . . وبذلك يرى الحقيقة كما هي وتنبت الحكمة في قلبه . .

هذا بالإضافة إلى أنّ الزهد يجعل الإنسان نشيطاً في العمل الصالح ، قوياً في تحمل المكاره ، خلوقاً في التعامل مع الناس ، ملتزماً بالعدل والإنصاف ، لأنه لا يرغب في مصلحة حتى يظلم الآخرين من أجلها ، ولا يخاف من مضرة حتى يغدر للتخلص منها . .

---

(١) سورة النازعات ، آية : ٣٧ ـ ٤١ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) بحار الأنوار : ج٧٠ ، ص٣١٩ .
(٤) بحار الأنوار : ج٦٩ ، ص٤٠٦ .

فالزاهد « يختار الجهد على الراحة ، والجوع على الشبع والذكر على الغفلة »[1] .

* * *

ولكل ما سبق ، كان الإمام علي ( عليه السلام ) زاهداً في دنياه ، موصياً بنيه وأصحابه بالزهد ، تاركاً لملذات الحياة ، صابراً على بلاء الله ، طالباً أجر الآخرة ، محباً للمساكين ، صديقاً للفقراء ، نشيطاً في العمل الصالح ، راغباً عن حطام الدنيا .

لقد قال فيه رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلم ): « يا علي ! إن الله تعالى قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها وهي زينة الأبرار عند الله عزّ وجلّ : الزهد في الدنيا ، فجعلك لا ترزأ ( أي تصيب ) من الدنيا شيئاً ولا ترزأ منك الدنيا شيئاً ، ووهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضى عنهم أتباعاً ويرضونك إماماً ، فطوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب عليك . فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك فهم ( في الآخرة ) جيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرك ، وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين »[2] .

فكان الإمام ينظر إلى الدنيا من منظور الآخرة ، وهو القائل : « والله ، لدنياكم هذه ، أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم »[3] .

ولقد كان لزهده( عليه السلام ) ستة أبعاد . .

**البعد الأول** :الزهد للبساطة في الحياة .

**البعد الثاني**: الزهد لترويض النفس .

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٠ ، ص٣١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٣٠ .

(٣) نهج البلاغة : الحكم ٢٣٦ .

**البعد الثالث**: الزهد للتأسي بالفقراء والمساكين .

**البعد الرابع** : الزهد للعطاء للآخرين .

**البعد الخامس**: الزهد لرفض الترف والسلطان والأبهة والجلال .

**البعد السادس**:الزهد للإلتزام بالعدل .

* * *

ففي البعد الأول ، وهو الزهد للبساطة في الحياة .

كان الإمام حريصاً على أن يعيش على الكفاف ، في المأكل والملبس وكل شؤون الحياة ، ففي المدينة المنورة حيث بويع بالخلافة كان مسجد رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) مقر حكومته ، وبيته المتواضع مسكنه ، لم يغير ولم يبدّل . وفي الكوفة رفض السكنى في دار الإمارة ، بل بنى إلى جنبها بيتاً متواضعاً . من ثلاث غرف ،وسكن فيه ، ولا تزال آثار قصر الإمارة الضخم ، وآثار بيته المتواضع إلى جنبه ، موجودةً في الكوفة . .

وكانت فلسفته في ذلك : « وما أصنع بفدك ، وغير فدك ، والنفس مظانها في غد جدث ( قبر ) تنقطع في ظلمته آثارها ، وتغيب أخبارها ، وحفرة لو زيد في فسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطها الحجر ، والمدر ، وسد فرجها التراب المتراكم[١] . ؟ » .

ولقد حكم الناس خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، ولا أورث بيضاء ، ولا حمراء، إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها لأهله خادماً ، وما أطاق عمله منّا أحد ، وإن كان عليّ بن الحسين ( عليهما السلام ) لينظر في كتاب من كتب عليّ

(١) روضة الواعظين : ص١٢٧ .

( عليه السلام ) فيضرب به الأرض ويقول : من يطيق هذا ؟ [١] .

ومن كان يطيق أن يفترش الأرض ويلتحف السماء ، ويأكل من الطعام ما جشب، ويلبس من اللباس ما خشن وهو أمير المؤمنين ؟

ومن قبل ذلك أيضاً ، عاش الزهد وهو في ريعان الشباب ، فحينما تزوج بفاطمة في ليلة زفافه جاء بالرّمل فأفرش بـه غرفتـه[٢] . اما فـراشه فكـان كما قـال : « ما كان لنا الا اهاب كبش ( الجلد غير المدبـوغ ) ابيت مع فـاطمة بـالليل ، ونعلف عليها الناضح ( البعير لُسيتقى عليه ) بالنهار »[٣] .

« وكان أحياناً لا يجد عملاً يقتات منه إلا أن يملأ الـدلو في بستـان أحد الأغنياء من يهود المدينة ، ليروى به البستان ، وكان اليهودي يعطيه في كل دلو تمـرة ، فيعود إلى فـاطمة بتمر يـطعمهـا هي وأولادهمـا ، وربمـا أهـدى منـه الـرسـول ، إذا أصـابتـه عليـه الصـلاة والسّـلام خصـاصـة . . ولكم كـانت تصيبه ! ! . . هكذا كان ﴿**يؤتي ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا إبتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى**﴾ وفي الحق أنه كان عند ربه مرضيا »[٤] .

ثم انه ( عليه السلام ) « ما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس اداماً وملبساً »[٥] .

وماذا كان طعامه ؟ وماذا كان ملبسه ؟

روى النضـر بن منصور ، عن عقبـة بن علقمة قـال : دخلت على علي

---

(١) الأمالي ـ للصدوق : ص٧٣ .
(٢) السبيل إلى انهاض المسلمين : ص٤٣٦ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٢٠ .
(٥) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٣٧ .

عليه السلام ) فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته وكسرة يابسة .

فقلت : « يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا ؟!

فقال لي : «يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ، ويلبس أخشن من هذا (وأشار إلى ثيابه) وأخاف إن لم آخذ بما أخذ به، أن لا ألحق به »[1] .

. . وزاره رجل من أصحابه فطلب الطعام ، ولم يكن أمير المؤمنين موجوداً فأخرج إليه أبناؤه قصعة فيها مرق بحبوب . فقال : « تطعمون هذا وأنتم أمراء الناس ؟ »

قالوا : « كيف لو رأيت طعام أمير المؤمنين !؟ »[2] .

وقال عبدالله بن أبي رافع «دخلت إليه يوم عيد فقدّم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرصوصاً ، فقدّم فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين فكيف تختمه ؟ قال أما إنّي لا اختمه بخلاً به ، ولكني خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت » .

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أُخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرابيس الغليظة فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه بشفرة فلم يخطه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدىً لا لحمة له .

وكان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو بملح ، فإن ترقّى عن ذلك فببعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللّحم إلاّ قليلاً ويقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوانات .

وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة وأعظمهم يداً ، لم ينقص الجوع قوّته ولم

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص١٣٧ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٢٩٨ .

يخور الإقلال منّه وهو الّذي طلّق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلّا من الشام فكان يفرّقها ويمزّقها ثمّ يقول :

هــذا جــنــاي وخــيــاره فــيــه إذ كــلّ جــان يــده إلــى فــيــه[1]

وكان ( عليه السلام ) لا يأكل من الأموال التي تجبى إليه من العراق ، بل مما يؤتى به من الحجاز ، حيث كانت له مزارع زرعها بيده[2] .

وروي «انه كانت لـه بالكـوفة امـرأتان ، فـإذا كان يـوم هذه اشتـرى لحماً بنصف درهم ، وإذا كان يوم هذه اشترى لحماً بنصف درهم . وكان ينفق هذه النفقة من شيء يأتيه من الحجاز[3] .

أمّا عن بساطة ثيابه فقد روي أنه « رأوه يحمل تمراً في ردائه ، فقيل له : أعطنا نحمل عنك . فقال : ومن يحمل عني أوزاري يوم القيامـة ؟ . فانـطلق للبيت ، ثم رجع مرتدياً الشملة ذاتها ، وفيها قشور التمر ، فصلى بالناس فيها الجمعة[4] .

وكان يرقّع ثوبه عنـد ولده الحسن ( عليه السلام ) وقد قال كلمته الشهيرة : «واللّهِ لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل : الاَ تنبذها ؟ فقلت : اغرب عنيّ . ! فعند الصباح يُحمد القوم السرى »[5] .

وقيل له : « لم ترقّع ثوبك ؟

فقال : ليخشـع القلب ، ويقتدى به المؤمنون »[6] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ج١ ، ص٨ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢٥ .
(٣) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٤٠ .
(٤) شرح نهج البلاغة : ج١ ، ص٨ .
(٥) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٣٥ .
(٦) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص١٦١ .

وروي : انه ( عليه السلام ) كان يطوف الأسواق بازار ، مرتدياً بـرداء ، ومعه الدّرة ، كأنه اعرابي ، فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس ، فاشترى من غـلام كان هنـاك قميصاً بثـلاثة دراهم ، فلمـا جاء أبـوه ، وعرف ان ولـده باع أميـر المؤمنين القميص بثلاثـة دراهم ، جاء اليه ( عليـه السـلام ) ليـدفـع لـه درهماً ، فقال الإمام : « ما هذا»؟

قال الرجل : يا مولاي . . ان القميص الذي باعك ابني كـان يسـاوي درهمين .

فلم يأخذ الإمام الدرهم ، وقال : « باعني برضاي ، وأخذ برضاه »[1] .

أمير المؤمنين ، وقائد المسلمين ، يلبس ثوباً بثلاثة دراهم ، وذلك حينما كـانت الإمبراطوريتان الثـريتان : الـرومانيـة ، والفارسيـة قد سقـطت بـأيـدى المسلمين ، وكـان كثير من الصحـابة والتـابعين ، قد اغتـروا بالمـال والثراء ، وكانت تجبى إلى الإمام الملايين . . غير انه يرفض ترك البساطـة في الحياة ، ويعتبـرها قيمـة من القيم . . ويقول : « الاّ وان لكـلّ مأمـوم إمامـاً يقتـدي بـه ويستضيىء بنور علمه ، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنّكم لا تقـدرون على ذلك ، ولكن أعينـوني بورع وإجتهـاد ، وعفة وسداد، فوالله ماكنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادَّخرت من غنـائهما وفـراً ولا أعددت لبالي ثـوبي طمراً ، ولا حـزت من ارضها شبـراً ، ولا أخذت منـه الا كقوت اتانٍ دَبِرة (التي قرح ظهرها) ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصةٍ مقرة »[2] .

لقد كان زهد الإمام ، زهد الحاكم المقتدر ، لا زهد المحكوم العاجز ، فلو شاءلعاش -على الأقل- كسائر النـاس،وليس بشكل هم لا يقدرون على ما هو

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص١٦١ .
(٢) ربيع الأبرار : ص٢١٦ .

عليه : مجرد طمرين، ومجرد قرصين ، ولا شبر من الأرض ، ولا ادخار درهم أو دينار . .

وحقاً فان الإمام ( عليه السلام ) كان يرى البساطة مغنماً، والقناعة كنزاً، وعيش الكفاف فخراً وإعتزازاً.

وملخص فلسفته في رفض الزيادة على الكفاف انه « من رضي من الدّنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ، ومن لم يرضَ من الدّنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه »(1) .

اما البعد الثاني في زهد الإمام ، فهو الزهد لترويض النفس ، ومجانبة الهوى ، ومقاومة الشهوات وتزكية الذات . فالإمام كان بشراً ، تتوق نفسه إلى المسكن الهنيء، والمطعم الشهي والمركوب البهي ، والزوج المرضي ، ولكنه كان يزهد فيها جميعاً لكسب الاجر ، فما من أجر كمثل أجر نهي النفس عن الهوى . . وقد روى في ذلك انه «أهدي إلى علي ( عليه السلام ) وفاطمة بعض الفالوذج ، فأطعما أولادهما ولم يطعما منه ، وقال علي ، وقد وضعه أمامه: «إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم ، ولكني أكره أن أعوّد نفسي مالم تعتده»(2).

انّه يريد ترويض نفسه ، وهو القائل : «وإنما هي نفسي أروّضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة . . . فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها ، تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها ، أو أُترك سدىً ، أو أُهمل عابثاً ، أو أجرّ بحبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة .

(1) الكافي : ج2 ، ص140 .
(2) علي إمام المتقين : ج1 ، ص91 .

وكـأنّي بقائلكم يقـول : إذا كان هـذا قوت ابن أبي طـالب فقد قعـد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان .

ألا وإنَّ الشجـرة البرّيّـة أصلب عوداً ، والـرواتع الخضـرة أرقّ جلوداً ، والنابتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً .

وأنا من رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) كالصنو من الصنو والذراع من العضد ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ، ولـو أمكنت الفـرصة من رقـابها لسـارعت إليها ، وسـأجهـد في أن أُطهّـر الأرض من هـذا الشخص المعكـوس والجسم المـركـوس حتّى تخـرج المـدرة من بين حبّ الحصيد .

إليك عنّي يا دنيا فحبلك على غاربك ، قد انسللت من مخالبك ، وأفلت من حبائلك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك .

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك ؟

أين الأُمم الّـذين فتنتهم بـزخـارفـك ؟ هـا هم رهـائن القبـور ومضـامين اللحود .

والله لو كنت شخصاً مرئيّاً وقالباً حسّيّـاً لأقمت عليك حـدود الله في عباد غررتهم بالأمـانيّ ، وأُمم ألقيتهم في المهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف ، وأوردتهم موارد البلاء ، إذ لا ورد ولا صدر .

هيهات من وطأ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ، ومن ازورَّ عن حبالك وفّق ، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه .

اعزبي عنّي فوالله لا أذلُّ لك فتستذلّيني ، ولا أُسلس لك فتقوديني .

وأيم الله يميناً ـ أستثني فيها بمشيئـة الله ـ لأروضنَّ نفسي رياضـة تهشّ معها

إلى القرص ، إذا قدرت عليه ، مطعوماً ، وتقنع بالملح مـأدوماً ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها ، مستفرغة دموعها .

أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك ؟ وتشبع الربيضة من عشبها فتـربض ؟ ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع !؟ قرّت اذن عينه ، إذا أقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعيّة .

طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل غمضها حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها ، وتوسّدت كفّها ، في معشـر أسهـر عيـونهم خـوفُ معـادهم ، وتجـافت عن مضـاجعهم جنـوبهم ، وهمهمت بذكر ربّهم شفـاههم ، وتقشّعت بطول استغفـارهم ذنوبهم ، اولـئك حزب الله ، إلا ان حزب الله هم المفلحون »[1] .

وهكذا فانه ( عليه السـلام ) «كان يـرى الزهـد مكسباً لـلأجر ، ومـربحاً للثـواب ، وطريقـاً إلى الجنـة ، بينمـا التـرف ، والتكـاثـر مـوجبـاً للضـلال ، والطغيان ، وهمـا يجران إلى النار . . فكان يروّض نفسه ليحيـى قلبه ، ويرى ان كثرة الطعام تميت القلب ، كما تميت كثرة الماء الزرع[2] .

وكـان ( عليه السـلام ) يريـد الثواب ، لا الحـطام ، والجنة لا الـدنيا ، ورضى الله تعالى لا الراحة في الحياة . ولقد سأله رسول الله ( صلى الله عليـه وآله وسلم ) يوماً فقال :

« يا علي ! كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا ، وأكلوا التراث أكلا لمّا ، وأحبوا المال حباً جمّا؟ » .

فقال علي ( عليه السلام ) : « أتركهم ومـا اختاروا، واختار الله ورسولـه

---

(١) روضة الواعظين : ص١٢٧ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣٠١ .

والدار الآخرة ، وأصبر على مصيبات الدنيا وبلواها حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى » .

فقال الرسول : « صدقت . اللهم أفعل ذلك به »[1] .

وكان يوصي أصحابه فيقول :

« رحم الله رجلاً نزع عن شهوته ، وقمع هوى نفسه ، فان هذه النفس أبعد شيء منزعا ، وإنها لا تزال تسرع إلى معصية في هوى ، إن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) كان يقول : « إن الجنة حفت بالمكاره ، وإن النار حفت بالشهوات »[2] .

« التقي من ألزم نفسه العدل ، فكان أول عدّته نفي الهوى عن نفسه » .

« من لج قلبه بحب الدنيا التاط ( التصق ) قلبه بثلاثة : هم لا يبرحه ، وحرص لا يتركه ، وأمل لا يدركه »[3] . .

« عباد الله ، زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق ( انقادوا لما يطلب منكم قبل أن تساقوا إليه بالعنف ) واعلموا أنه من لم يُعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر : لم يكن من غيرها زاجر ولا واعظ » .

« اتقو الله تقية ذي لب شغل التفكير قلبه ، وأنصب الخوف بدنه ، وأسهر التهجد غرار نومه ، وأرجف الذكر بلسانه » .

« اتقوا تقية من سمع فخشع . واقترف فاعترف . ووجل فعمل ، ورجع

---

(١) المصدر السابق : ج١ ، ص٣٩ .

(٢) تفسير العياشي : ج٢ ، ص٢٦٢ .

(٣) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٦٣٠ .

فتاب ، واقتدى فاحتذى »[1] .

وهكـذا فان الـزهد عن الإمـام كان لقمـع الهوى، وكسب الأجـر، وخفـة الحساب يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أليس في حلال الدنيا حساب ؟ وفي حرامها عقاب ؟ فلم لا يزهد فيها ؟

ثم لماذا الإستزادة، والحرص ، وجمع الأموال ؟

يقول ( عليه السلام ) : «يابن آدم ، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتاك ، فأنّه ان يك من عمـرك يأت الله فيـه برزقـك . . . وأعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك وإلا كنت خازنا لغيرك فيه »[2] .

***

لقد كان يجوّع نفسه متعمداً ليعلّمها القناعة ، ويروّضها على طاعة الله ، ويخشى إن لم يفعل ذلك أن يكون قد عصى الله تعالى .

وقد روى في ذلك أن عدي بن حاتم رآه ، وبين يديه قراح ماء وكسرات خبـز شعير وملح فقـال : إني لا أرى لك يـا أمير المؤمنين لتـظل نهارك طـاوياً مجاهداً ، وبالليل ساهراً مكابداً ، ثم يكون هذا فطورك ؟ فقال ( عليه السلام ) شعراً :

عـلّم النـفس بـالقـنـوع وإلاّ　　　طلبـت مـنـك فـوق مـا يـكـفـيـهـا[3]

وروي أيضاً «أنه ترصد عمرو بن حريث غذائه فـأتى له بجـراب مختوم فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً ، فقال عمرو لخادمته : يـا فلانـة لو نخلت هـذا الدقيق وطيبتيه ؟

(١) النهاية : ج٢ ، ص٣٤٥ .
(٢) عيون الأخبار : ج٢ ، ص٣٧١ .
(٣) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٣٦ .

قالت : كنت أفعل فنهـاني ، وكنت أضع في جـرابه طعـاماً طيبـاً فختم جرابه .

ثم إن أمير المؤمنين فته في قصعة وصب عليه الماء ، ثم ذر عليه الملح وأكل . .

فلما فرغ من الأكل توجه إلى عمرو قـائلاً « لقـد خانت هذه (وأشار إلى لحيته) وخسرت هذه ، ان أدخلتها النار من أجل الطعام ، وهذا يجزيني »[1] .

والحق انه ( عليه السلام ) كان يـريد النقص في دنيـاه ، وكان يـرى في ذلك كمالاً . . وهو الذي قال :

« اعلموا أن ما نقص في الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص في الآخرة وزاد في الدنيا ، فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ؟

إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه ، فذروا ما قل لما كثر ، وما أحـل لكم أكثر ممـا حرّم عليكم ، وذروا مـا ضـاق لمـا اتسـع ، فـالله قـد تكفـل لكم بـالـرزق وأمـركم بـالعمـل . فـلا يكـونن المضمـون لكم طلبـه أولى بكم من المفروض عليكم عمله . . فبادروا العمل ، وخافوا بغتة الأجل ، فانه لا يرجى من رجعة العمر مـا يرجى من رجعـة الرزق ، مـا فات من الـرزق يرجى غـداً زيادته ، وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته . الرجاء مع الجائي ( ما سيجىء ) ، واليـأس مع المـاضي ، فاتقـوا الله حق تقاتـه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »[2] .

وبمقدار ما كان( عليه السلام ) زاهداً في الدنيا .

كان ( عليه السلام ) شديد الإلحاح على الناس في دعوته للزهد ، فحتى

---

(١) المصدر السابق .

(٢) تحف العقول : ص١٥٦ .

الصغار كان يوصيهم بالزهد ، كما يوصيهم بالتقوى ، والعبادة . .

من ذلك ما رواه الحسن البصري فقال : « كنت جالساً بالبصرة ـ وأنا حينئذ غلام ـ أتَطَهّرُ للصلاة ، إذ مر بي رجل راكبٌ بغلةً شهباء مُعْتَمٌّ بعمامة سوداء ، فقال لي : « يا حسن ! أحسن وضوءك يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة . يا حسن ! أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان ؟ » .

فرفعت رأسي فتأملتُ فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( عليه السلام )، فأسرعت في طُهوري ، وجعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاتة .

فقال لي : « يا غلام ألك حاجة ؟ » .

قلت : « نعم يا أمير المؤمنين . تفيدني كلاماً ينفعني في الدنيا والآخرة » .

قال : « يا غلام إنه من صدق الله نجا ، ومن أشفق من ذنبه أَمِنَ الردى ، ومن زهد في هذه الدنيا قَرّتْ عيناه بما يرى من ثواب الله غداً » . ثم قال : « يا غلام ألا أزيدك ؟ » .

قلت : « بلى يا أمير المؤمنين » .

قال : « إن سَرَّكَ أن تلقى الله غداً وهو عنك راض فكن في هذه الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً ، وعليك بالصدق في جميع أُمورك تَنْجُ مع الناجين غداً ، يا غلام إنْ تَضَعْ هذا الكلام نصب عينيك ، ينفعك الله به » .

ثم أطلق عنان البغلة منَ يده ، فجعلت أقفو أثره ، إذ دخل سوقاً من أسواق البصرة ، فسمعته يقول : « يا أهل البصرة يا أهل تدمر ، يا عبيد الدنيا وعُمَّال أهلها ، إذا كنتم بالنهار تخدمون الدنيا ، وفي الليل تنامون ، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون ، فمتى تُحْرِزُون الزاد ، وتفكرون في المعاد ؟ » .

فقام إليه رجل من السوق فقال : « يا أمير المؤمنين إنه لابد من طلب

المعاش فكيف نصنع ؟ » .

فقال : « أيها الرجل إن طلب المعاش من وجهه الحلال لا يشغلك عن الآخرة ، فان قلت لابد لنا من الإحتكار ، لم تكن معذوراً » . فتولى الرجل وهو يبكي .

فقال أمير المؤمنين : « أَقْبل عَلَيَّ يا ذا الرجل أزدك تبيانا ، إنه لابد لكل عامل من أن يـوفّ يومَ القيامَة أجر عمله ، فمن كان عمله للدنيا وحدها ، فأجره النار »[1] .

***

البُعد الثالث لزهد الإمام ، هو الزهد للتأسي بالفقراء والمساكين ، فكثيراً ما كان الإمام يرفض مطعماً معيناً ، أو مركباً معيناً ، أو ملبساً معيناً لان بعض أفراد الأمّة لا يملك مثله . .

والتاسي عند الإمام ، أصل من أُصول الأخلاق ، خاصة عندما كان أميراً للمؤمنين ، فكان يرى الزهد فيما لا يملكه الآخرون واجباً عليه بإعتباره أميراً لهم ، فلابد ان يعيش كاضعفهم . .

يقول ( عليه السلام ) : « ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّىٰ هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع .

أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى ؟ ، أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة ... وحولك أكباد تحنُّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال : أمير المؤمنين ، ولا أُشاركهم في مكاره

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٢٩١ - ٢٩٢ .

الدهر ؟ أو أكون أُسوة لهم في جشوبة العيش ؟![1] .

فعليٌّ إمام المساكين يضرب لهم مثلاً في الصبر والإحتمال ويعيش كاحدهم ، فهو زاهد ناسك ، يحب من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن ، فإن شعر بزهو يتسلل إلى نفسه قمعه بإذلال باطنه لله ، واخشيشان ظاهره للناس ، فهو كما قال عنه الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) « مخشوشن في الله ! » .

يقول أحد أصحابه : « دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالخورنق ، وهو يرعد تحت سمل البالي ) قطيفه فقلت له :

- « يا أمير المؤمنين ، ان الله تعالى قد جعل لك ، ولأهل بيتك في هذا المال ما يعمّ ، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟!

فقال : « واللّهِ ، ما ارزأكم من أموالكم شيئاً ، وان هذه لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ، وما عندي غيرها »[2] .

والحق ، ان الإمام لم يكن ليكتفي ان يكون كأحد المسلمين ، ويعيش مثلهم فحسب بل أنزل منهم درجة ، وأقل من أضعف من فيهم . .

وفي ذلك روي :

« أنّه أتى البزّازين فقال لرجل : بعني ثوبين . . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين عندي حاجتك ، فلمّا عرفه مضى عنه ، فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين .

فقال : يا قنبر خذ الّذي بثلاثة .

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ٤٥ .

(٢) كشف الغمّة : ص٤٩ .

فقال قنبر : أنت أولى به، تصعد المنبر وتخطب الناس .

فقال : وأنت شابٌّ ولك شره الشباب ، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك ، سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) «يقول : «ألبسوهم ممّا تلبسون وأطعموهم ممّا تأكلون » . فأخذ قنبر الثوب الـذي بثلاثـة دراهم وأخذ علي الذي بدرهمين .

فلمّا لبس القميص مدَّ كمَّ القميص فأمر بقطعه واتّخاذه قلانس للفقراء :

فقال الغلام : هلمّ أكفّه ( أي اخيطه لك ) ، فقال : دعه كما هو ، فإنّ الأمر أسرع من ذلك :

فجاء أبو الغـلام فقال : إنّ ابني لم يعـرفك ، وهـذان درهمان ربحهمـا فقـال ( عليه السـلام ) : ما كنت لأفعـل، قـد مـا كست ومـا كسني واتّفقنـا على رضى »[1] .

كل ذلك يفعله بنفسه ، في الوقت الذي لو اتخذ أحسن ملبس ومأكل لم يكن يعترض عليه أحد ، بل كثيراً ما كان البعض يطالبـه بذلـك ، خاصـة وانّ الذين عاصروه كانوا هم قد تزاحموا على الثراء ، والمناصب والجاه والراحة . .

« ولقد تحدث إليه بعض الذين لحقوا به من أتقياء أهل الشام وقرائهم عن بذخ معاوية ، وعن إغداقه على من يصطنعهم . . فزعموا أن على مائدة معاوية عشرة أصناف من الحلوى وحدها ، وأنـه يرتـدي كل يـوم حُلّتين ، وقد اتخـذ لسيفه مقبضاً من ذهب ، وما هو إلا أحد الولاة ، فما بال أمير المؤمنين لا يملك غير إزار قصير ، من غزل أهل بيته ، لا يغطي إلا نصف ساقه ؟! وما بال طعامه أخشن طعام ، وما باله يحمل سيفه على حبل من ليف ، وقد اتخذ من حصير المسجد سرير ملكه ؟! » .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣٠٥ .

فضحك الإمام وقال لهم : « أما والله ما أحب الفقر ، ولو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته . ولكني والله لا أرزأ من أموالكم شيئاً » .

ولاحظ أحد الحاضرين أن أمير المؤمنين ليس عليه مايكفي من الثياب فسأله : « يا أمير المؤمنين الم يجعل الله لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً ؟ » .

فتبسم قائلا : « إن مس الحصير كان يوجع جنب رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، وما شبع هو وأهله من طعام قط وقد حيزَتْ له الدنيا وما فيها ، وأنا على سنته . . ولقد سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقول : لا يحل للخليفة من بعدي من مال الله إلاّ قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يتصدق بها ، وحلة للصيف وحلة للشتاء ! على أني أعيش على ما يأتيني من ينبع ، وأستغني به عن بيت المال »[1] .

***

البعد الرابع من زهد الإمام ، زهده للعطاء للآخرين . .

فلكم زهد ( عليه السلام ) لانه أعطى ما يملك لغيره ؟ ولكم انشغل عن إسعاد نفسه بإسعاد الآخرين ؟ ولكم شعر في أغوار نفسه بالرضا كلما أمكنه ان يسد حاجة لمحتاج ، ولو بكل ما عنده ، واثقاً بما عند الله تعالى ؟

ولعمري ، أن ذلك هو زهد العارف بالله ، المتقي له ، الراغب في ثوابه . .

كان يرى أنّ المساكين الذين ارتضوه إماماً ، إذا انقطعت بهم أسباب الرزق لعلة ، أو نحوها ، فإنّ عليه دون غيره أن يكفيهم مطالب الحياة ، وأن يوفر لهم المقام الكريم في هذه الدّنيا ، فكان لا يكتفي بالعدل ، بل يعطي من نفسه ، ومن حصته لكل محتاج ، حتى يضطّر إلى بيع سيفه ، ذلك السيف

---

(1) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٢٧ ـ ٢٨ .

العظيم الذي قام عليه الإسلام ، وعبد به الله ، وانتصر به المؤمنون في الأرض .

فقد روي انه ( عليه السلام ) عرض ذات مرّة سيفه على البيع قائلاً :

«من يشتري سيفي هذا؟!» ثم سمعوه يقول: « فوالله لو كان عندي ثمن عشاء ما بعته ! » .

ومرةً أُخرى عرض سيفه للبيع قائلاً : « من يشتري سيفي هذا ؟ » . ثم سمعوه يقول : « ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته »[١]!

وروي « ان كمّه ، لم يكن يتجاوز اصابعه ، ويقول : « للكمّين على اليدين فضل » . وقد نظر ذات يوم إلى فقير انخرق كمّ قميصه ، فخرق الإمام كمّه ، والقاه إليه[٢]!

لقد أعطى كل ما عنده للناس ولم يبق لنفسه شيئاً . . وقال :

ـ « معاشر الناس : أني تقلدت أمركم هذا فوالله ما حبست منه بقليل ولا كثير الاّ قارورة من دهن اهداها اليّ دهقان »[٣] .

وعبارة «ماحبست»، تعني انه أعطى كل شيء لهم ، إلا قارورة واحدة!

وما ادّخر هو شيئاً فوق قوته ، بل انّه كان يتصدق بقوته ان سأله جائع ، أو محروم .

ذات يوم وهو يصلّي في المسجد، سأله سائل، فلم يخرج من الصلاة، ولم ينتظر حتى يفرغ منها، بل مدّ يده للسائل وفيها خاتمه، وما

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ص٣٠٥ .
(٢) انظر : مسند أحمد . .
(٣) نهج السعادة ـ للمحمودي : ج١ ، ص٤١٣ .

كــان يملك غيــره، فخلعــه الســائــل من إصبعــه. ومضى لسبيله، وأكمــل الإمام صلاته راضياً مرضياً ، وانزل الله تعالى قـوله ﴿**انمـا وليّكم الله ورسولـه والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[1] .

البعد الخامس من زهـد الإمام : زهـده لرفض التـرف والسلطان والأبهة والجلال . .

وهو زهد ذو شقين :

**الأول** : الزهد لرفض الترف ، بكل أشكاله .

**الثاني** : زهده في السلطة ومظاهرها المختلفة .

ففي الشق الأول : يقـول ( عليه السـلام ) : « انـظروا إلى الـدنيـا نـظر الزاهدين فيها ، الصادفين عنها ، فانّها واللّهِ ، عمّا قليل تزيل الثاوي الساكن ، وتفجع المترف الآمن ، وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن ، فـلا تغرّنكم كثرة ما يعجبكم فيها ، لقلة ما يصحبكم منها »[2] .

ويقول : ( عليه السلام ) : « إياك أن تغتر بها ترى من اخلاد أهل الدنيا اليها ، وتكالبهم عليهـا فقـد نبـأك الله عنهـا لـك نفسهـا وتكشفت لـك عن مساوئها فـإنما أهلهـا كلاب عـاوية ، وسبـاع ضاريـة ، يهرّ بعضهـا بعضاً »[3] ويقـول : « التكاثـر لهو ولعب وشغـل ، واستبدال الـذي هو أدنى بـالـذي هـو خير »[4] .

ويخاطب معاوية قائلاً : « فانك مترف قد أخذ الشيـطان منك مـأخذه ،

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف : ص٢٧٩ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج٣ ، ص٣٦٢ .

((٤) الكافي : ج٢ ، ص٣٩٤ .

وبلغ فيك أمله »[1] .

ولأن الترف حرام على الحكّام، فقد رفض الإمام أي شيء فيه رائحة الترف، أو مظهر من مظاهره . .

ومن ذلك ما روي انه ( عليه السلام ) أُتي بدابة دهقان ليركبها ، فلّما وضع رجله في الركاب قال : « بسم الله » فلما وضع يده على القربوس زلّت يده من الضفّة ، فقال : « ادبياج هي ؟! قالوا : « نعم . . » فلم يركبها[2]!

ومن ذلك أيضاً : ان خادمته اعطته في بعض الليالي قطيفة ، فتعجب من دفئها، فقام ، ليسأل الخادمة : ما هذه ؟

قالت : « هذه من قطف الصدقة . .

فقال : «احردتمونا، بقيّة ليلتنا »[3] .

وروي عن « سويد بن غفلة » قال : « دخلتُ على أمير المؤمنين ( عليه السلام ) يوم عيد ، فإذا عنده فاثور ( الطشت ) وعليه خبز السمراء ( الحنطة ) ، وصفحة فيها خطيفة ، وملبنة ( ملعقة ) فقلت : « يا أمير المؤمنين . . يوم عيد وخطيفة؟!

فقال ـ : « انما هذا عيد من غفر له »[4] .

وروي انّه جيء إليه بفالوذج ، فادخل فيه أصبعه ، ثم سلبها ، ولم يأخذ منه شيئاً ، فقيل له : اتحرّمه يا أمير المؤمنين ؟

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ١٠ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢٥ .
(٣) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣١٢ .
(٤) المصدر السابق : ص٣٠٦ .

فقال : « لا . . ولكن أخشى ان تتوق إليه نفسي » ثم تلا قوله تعالى : ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[1] .

وروي : « انه ( عليه السلام ) تزوّج « ليلى » فجعلت له حجلة ، فهتكها ، وقال : « حسب آل عليّ ، ما هم فيه[2] . . وتزوج أخرى فنجدّت له بيتاً ، فرفض أن يدخله »[3] .

وحينما تزوج من الكلابية ، زفت إليه على حمار بأكاف تحتها قطيفة ، وخلفها قفة معلقة ، ولا شيء غير ذلك[4] .

« ولاحظ أحد أصحابه أنه يلبس قميصاً جديداً ولكنه يضع عليه رداء قديماً فسأله في ذلك ، فقال الإمام ضاحكاً : « إنما ألبس هذا الرداء ليكون أبعد لي عن الزهو والكبر »[5] .

وروي : انه كان يحمل التمر والملح بيده ، وكان ينشد هذا الشعر :

لا ينقص الكامل من كماله    ما جرّ من نفع إلى عياله

وكان عليه الصلاة والسلام ، كما يرويه زيد بن علي ، يمشي في خمسة مواضع حافياً ، ويعلق نعله بيده اليسرى : يوم الفطر ، والنحر ، والجمعة ، وعند العيادة ، وتشييع الجنازة ، ويقول : « انها أحب المواضع لله ، وأحب أن أكون فيه حافياً »[6] .

وكان يكتفي ببعض الطعام ، فيأكل تمراً فقط ، ثم يشرب عليه الماء ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣٠٦ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢٧ .
(٣) المصدر السابق : ص٣٢٧ .
(٤) المصدر السابق : ص٣٢٧ .
(٥) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣٠٧ .
(٦) السبيل إلى انهاض المسلمين : ص٤٣٩ .

ويضرب يده على بطنه ، ويقول : « من أدخله بطنه النار ، فابعده الله » وينشد قول الشاعر :

وانك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذّم أجمعا[1]

وروي عن نوف قال : بتُّ ليلة عند أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فكان يصلّي اللّيل كلّه ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السماء ويتلو القرآن ، فمرّ بي بعد هدء من اللّيل فقال : يا نوف أراقد أنت أم رامق ؟

قلت : بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين .

قال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، أولئك الّذين اتّخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن دثاراً ، والدعاء شعاراً ، وقرّضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم ، إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى بن مريم : « قل للملأ من بني إسرائيل : لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأكفّ نقيّة ، وقل لهم : اعلموا أنّي غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة»[2] .

وروى «انه ذات صباح لم يجد ما يلبسه إلا لباساً من الصوف به خروق ، فرقعه ولبسه وخرج إلى الناس ، فلما لامه نفر من أصدقائه من فتيان المهاجرين والأنصار لم يبسط لهم عذره : إنه لم يجد غيره ، ولكنه تبسم وقال لهم : « إن لبس هذه المرقعة من الصوف تقمع في الإنسان ما قد يشعر به من كبر ، وتقهره على أن يتواضع لله ، وتحمله على الخشوع حملا ! »[3] .

امّا زهده في السلطة ، وكل ما يمَتّ إليها بصلة ، فكان نابعاً من إيمانه

---

(١) دعوات الراوندي .
(٢) الخصال : ج١ ، ص١٦٤ .
(٣) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٥٠ .

العميق بقول تعالى : ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾[1] .

فلم يكن يريد السلطة في أي يوم من الأيّام ، شأنه في ذلك شأن أصحاب الرسالات العظام في التاريخ ، فما بالإمام ـ كما يقول أحدهم ـ « حرص على الإمارة بجاهها وسطوتها وسلطانها[2] . . وهو الذي قال حينما جاؤوه للبيعة بعد مقتل عثمان : « دعوني ، والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وان الآفاق قد اغامت ، والمحجة قد تنكّرت . . واعلموا : أني إن أجبتكم، ركبت بكم ما أعلم ، ولم اصغ إلى قول القائل ، وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم »[3] .

وكم رفض الخلافة ، وكم قبض يده فجذبوها، وكم التفوا حوله ، ومشوا معه ، لكي يقبل الخلافة، بمفهومه الخاص لها ، وهو تحمل المسؤولية ، وإقامة الحق . .

يقول ( عليه السلام ) : « وبسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم عليّ تداك الأبل الهميم على حياضها يوم ورودها حتى انقطع النعل وسقط الرداء ووطىء الضعيف »[4] .

« فما راعني الا والناس كعرف الضبع اليّ، ينثالون عليّ من كل جانبٌ حتى لقد وطيءِ الحسنان وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم »[5] .

وعندما تمت له البيعة ، نهض بالأمر ، ليس كسلطان ، يبحث عن التاج

---

(١) سورة القصص ، آية : ٨٣ .
(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣٤٣ .
(٣) التاريخ ـ للطبري : ج٦ ، ص٣٠٦٦ .
(٤) المسترشد : ص٩٥ .
(٥) الفهرست ـ لابن النديم : ص٢٢٤ .

والصولجان ، بل كصاحب رسالة ، وكان ما يكابده حقاً ، هو حرص الإمام على صياغة مجتمع فاضل على أساس وطيد من العدل ، وفي ظل الحرية ، والأخلاق . . من أجل ذلك كان يناضل لكي يغرس قيماً نبيلة شريفة تثمر في نفوس المسلمين ، وتزدهر بالفضائل ، لا أن يؤسس ملكاً شامخاً عضوضاً يمنحه الجاه والعزة والكبرياء . . فهو يعرف أن الكبرياء والعزة لله جميعاً . . !

وقد روي انه : كان يخصف نعله ذات يوم بذي قار فدخل عليه وزيره وتلميذه عبدالله بن عباس، فعجب ابن عباس من أن يخصف أمير المؤمنين نعله بنفسه وهو يحكم نصف الأرض التي يعرفها البشر حينئذٍ، والناس قد اجتمعوا خارج خيمته ليسمعوا منه . . فقال لابن عباس: « ما قيمة هذه؟ ».

قال : « لا قيمة لها » .

فقال الإمام : « والله لهي أحب إليّ من إمرتكم ، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً »[1] .

تلك كانت قضيته ورسالته : إقامة الحق ودفع الباطل . .

ولم يكن يتنافس مع أحد من أجل غير ذلك . . وهو القائل :

« اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحُطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك »[2] .

صحيح أن أعداءه كانوا يريدون السلطان ، ليحوّلوا الإمامة إلى ملك عضوض يتوارثه الإبن من أبيه ، ولكنّ الإمام كان يريد إحقاق الحق ، وإماتة

---

(١) الإرشاد ـ للمفيد: ص١٥٤.

(٢) دعائم الإسلام ـ للنعمان : ص٥٣١ .

الباطل ولذلك فانّ رد فعله إزاء بيعته ، لم يكن ردّ فعل من يفوز بالإنتخابات فيفرح للفوز ، ويرتاح إلى النجاح . كما أن ردة فعله إزاء هزائمه لم تكن كردة فعل مهزوم في حرب ، لأنّه كان يعمل لكي لا يتجافى عن الحق ، ولا يرتكب معصية ، أما بعد ذلك فكل شيء كان يهون عنده .

فعندما قتل محمد بن أبي بكر ، رضوان الله عليه وسقطت مصر في يد معاوية فان الإمام لم يحزن لخسارة مصر ، بالرغم من عظمتها ، لان الإمام لم يكن يرى مصر يوماً غنيمةً ليرى سقوطها خسارة ، بل حزن لمقتل محمد بن أبي بكر وغلبة الباطل .

ولم يزد علي أن خطب خطبة موجزة ليوعّي الناس ، وكتب رسالة مختصرة إلى ابن عباس يخبره بذلك . .

وفي ذلك يقول المؤرخون :

« جاء علياً رجلان ينعيان إليه محمد بن أبي بكر ، أما أحدهما فقد جاء من مصر ، يتحدث باكياً عما أصاب محمداً ، وأما الآخر فقد جاء من الشام يروي عجباً مما رآه في الشام .

فقد صعد معاوية منبر المسجد الجامع في دمشق فأذن في فرح عظيم بقتل محمد بن أبي بكر . . وكأنها بشارة كبرى يبشر بها أهل الشام !! بقتل محمد !! ثم قرأ كتاب عمرو الى معاوية ، وفيه : « أما بعد فأنا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع جمة من أهل مصر ، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب ، فرفضوا الحق ، فجاهدناهم ، واستنصرنا الله عليهم ، فضرب الله وجوههم وأدبارهم ، ومنحونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وأماثل القوم . والحمد لله رب العالمين . والسلام » .

وقال صاحب الإمام الذي جاء من الشام لعلي : « والله يا أمير المؤمنين

قلما رأيت قط قوماً أسر ، ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم هلاك محمد بن أبي بكر » فقال علي : « أما أن حزننا عليه على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافاً ! » .

فأرسل ( عليه السلام ) إلى مالك بن كعب الذي كان قد أرسله لينجد محمداً في ألفي رجل ، فرده قبل أن يبلغ مصر ، ويهلك بجيشه . .

ثم وقف يخطب الناس فقال : « ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله ، وبغوا الإسلام عوجا . ألا وأن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله ، وعند الله نحتسبه ، أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ، ويحب سمت المؤمن ، إني والله لا ألوم نفسي على تقصير ولا عجز ، وإني بمقاساة الحرب لجد بصير ، إني لأقدم على الحرب ، وأعرف وجه الحزم ، وأقوم بالرأي المصيب ، فأستصرخكم معلناً ، وأناديكم مستغيثاً ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى تصير الأُمور إلى عواقب المساءة . ودعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة . . . فتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من لا نية له في الجهاد ، ولا رأي له في الإكتساب للأجر ، ثم خرج إلي منكم جنيد ( تصغير جند ) متذائب ( مضطرب ) ضعيف ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ! فأف لكم! »

ثم عاد إلى داره[1] .

وكتب إلى ابن عمه ووزيره ، عامله على البصرة عبدالله بن عباس : « سلام عليك ورحمة الله وبركاته . أما بعد فان مصر قد افتتحت ، وقد استشهد محمد بن أبي بكر ، فعند الله عزّ وجلّ نحتسبه ، وقد كنت كتبت إلى النّاس ، وتقدمت إليهم في بدء الأمر ، وأمرتهم باغاثته قبل الوقعة ، ودعوتهم سراً

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

وجهـراً ، وعوداً وبـدءاً ، فمنهم الآتي كارهـاً ، ومنهم المتعلل كاذبـاً ، ومنهم القاعد خاذلاً ، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً ، وأن يريحني منهم عاجلاً ، فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة وتوطين نفسي عند ذلك ، لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً . عزم الله لنا ولك على هداه وتقواه إنه على كل شيء قدير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[1] .

وعـز على عبدالله بن عبـاس أن يبلغ السـأم والمضض والأسى بـأستـاذه وخليله وإمامه هذا المبلغ . فكتب إليه مـواسياً : « لعبـدالله عليٌّ أمير المؤمنين من عبدالله بن عباس ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر ، وأنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجاً ومخرجاً وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتـك ، وأعلم أن الله صانـع لك ، ومعـز دعوتـك ، وكابت عـدوك . وأخبـرك يا أميـر المؤمنين أن الناس ربمـا تباطأوا ثم نشـطوا ، فـارفق بهم يـا أمير المؤمنين ودارهم ومَنِّهم . واستعن بالله عليهم . كفـاك الله الهم ! والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

وهكـذا لم يـزد ردّ فعله على خســارة مصر التي سمى أهلهـا «أعـظم أجنادي »[2] على خطبة قصيرة ، ورسالة مختصرة إلى ابن عباس ، ولم يحاول استردادها ، كل ذلك زهداً في السلطان ، فلقد ادىّ ما عليه ، واتم الحجة على من يجب اتمامها عليه ، وهو زاهد في بسط النفوذ ، وامتلاك البلاد .

البعد السادس لزهد الإمـام : هو زهـده للالتـزام بالعـدل ـ حيث انّ من طبيعة البشر الرغبة في المزيد مما لديهم ، والطمع في امتلاك أكثر مما يحتاجون إليه ، والتكاثر في كل شيء ، فلا يملأ عيني ابن آدم الاّ التـراب ، كما يقـول

(١) الكامل ـ لابن الأثير : ج٣ ، ص١٧٨ .

(٢) بشارة المصطفى : ص٥٢ .

الحديث الشريف .

ولعمري : هذا ما يدفع البعض إلى الطغيان ، وتقسيم الناس إلى غني وفقير ، وجائع ومتخم ، ومسكين ومترف ، وعادل وظالم . .

في الوقت الذي « ان الله فرض على أغنياء الناس في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، فإذا ضاع الفقراء ، أو أُجهدوا ، أو أعروا فبما يمنع اغنيائهم ، فان الله محاسبهم بذلك يوم القيامة ، ومعذبهم عذاباً أليماً »[1] .

وهذا يعني « ان الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء ، أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلّا بما مُتّع به غنيّ ، والله تعالى سائلهم عن ذلك »[2] .

فلو زهد الأغنياء في الدنيا ، واخذوا منها قدر حاجتهم منها لما اختل ميزان العدل ولا جاع فقير ، في جنب غنيّ . .

ولو أن أصحاب الأموال نظروا إلى الحياة ، كما كان ينظر إليها أمير المؤمنين لما بخلوا بما عندهم على المحتاجين .

وماذا يحصل عليه البخلاء من البخل ؟

اليس يتركون أموالهم بالرغم عنهم ويرحلون ؟

« فقد رأيت من كان قبلك ممن جمع المال ، وحذر الأقلال ، وأمن العواقب ، (بعد) طول أمل ، واستبعاد أجل ، كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه وأخذه من مأمنه محمولاً على أعواد المنايا ، يتعاطى به الرجال الرجالا ، حملاً على المناكب ، وإمساكاً بالانامل . .

« اما رأيتم الذين يأملون بعيداً ، ويبنون مشيداً ، ويجمعون كثيراً ، كيف

(١) دعائم الإسلام : ج١ ، ص٢٥٠ .
(٢) تاريخ بغداد ـ للخطيب : ج٥ ، ص٣٠٨ .

اصبحت بيوتهم قبوراً ، وما جمعوا بوراً ، وصارت أموالهم للوارثين ، وازواجهم لقوم آخرين ، لا في حسنةٍ يزيدون ، ولا من سيئة يستعتبون »(١) ؟

لقد مرّ الإمام ( عليه السلام ) على قذر بمزبلة ، فقال : « هذا ما بخل به الباخلون »(٢) .

وحقاً ان نهاية الأموال مزابل ، وعاقبة الأشياء قاذورات ، ولو انّ الأثرياء نظروا إلى أموالهم ، من خلال نهاياتها لما بخلوا بما عندهم ، ولزهدوا في الإحتكار ، والتكاثر . .

ثم من يستطيع ان يأخذ من الدنيا أكثر من حاجته ؟

فمن يستطيع ان يأكل أكثر من حجم معدته ؟

وان ينام فوق أكثر من سرير ؟

وان يسكن في أكثر من دار ؟

وان يلبس أكثر مما يحتاج ؟

وان يحمل معه من الذهب أكثر مما يستطيع حمله ؟

يقول الإمام علي ( عليه السلام ) : « يا بن آدم . . ما كسبت فوق قوتك ، فانت فيه خازن لغيرك »(٣) .

ويقول : « ما يصنع بالمال من عمّا قليل يُسلبه ، وتبقى عليه تبعته وحسابه »(٤) .

---

(١) النهاية : ج٢ ، ص٢١٠ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢٨ .
(٣) الفرج بعد الشدة : ج٢ ، ص٣٧ .
(٤) النهاية : ج٢ ، ص٥١٠ .

إذن « فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، ويُنفى عنك وباله ، فالمال لا يبقى لك ، ولا تبقى له»[1].

ثم ان الأموال التي لا تنفع الإنسان مضرّة ، لأن « المال يفسد المال ويوّسع الأمال »[2] كما ان « المال للفتن سبب »[3] ولذلك فانه « إذا أحب الله سبحانه عبداً بغّض اليه المال ، وقصّر منه الآمال ، وإذا أراد الله بعبد شراً ، حبب إليه المال ، وبسّط منه الآمال[4] حيث ان « كثرة المال تفسد القلوب ، وتنسي الذنوب »[5] وهكذا فان « المال مادّة الشهوات »[6] و « المال يرفع صاحبه في الدنيا ، ويضعه في الآخرة » [7] .

ولهذا فان « كثرة المال مفسدة للدّين مقساة للقلوب »[8] بينما « العلم أفضل من المال : إنه ميراث الأنبياء ، والمال ميراث الفراعنة »[9] .

ولا يعني كل ذلك ان الفقر مطلوب ، بل يعني ان على الأغنياء أن لا يخافوا الفقر ، فيمنعوا جودهم عن الفقراء ، وأن لا يحبوا المال فيترفوا فيه ، يكثروا منه ، ويمنعوه المساكين والمحتاجين .

وإلّا فان « الفقر طرف من الكفر »[10]غير أنّ الزهد في المال عند الأغنياء

---

(١) العقد الفريد : ج٣ ، ص١٥٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص٣٣ .
(٣) المصدر السابق : ص٣٤ .
(٤) المصدر السابق : ص١٤١ .
(٥) المصدر السابق : ص٢٤٤ .
(٦) مجمع الامثال : ج٢ ، ص٤٥٤ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم : ص٤٧ .
(٨) تحف العقول : ص١٤١ .
(٩) منية المريد : ص١٩ .
(١٠) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص١٢ .

قـد يرفـع الفقر عن الفقـراء . فإذا لم يفعلوا ذلـك ازداد الشرّ ، وقـلّ الخير . ويكون الأمر كما قال الإمـام علي ( عليه السـلام ) : « قد اصبحتم في زمنٍ لا يزداد الخير فيه إلاّ إدباراً والشر فيه إلا اقبالاً . . إضْرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الاّ فقيراً يكابد فقراً ، أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً »[1] .

ومن هنا . فانّ « أفضل الفعال صيانة العـرض بالمـال »[2] ومن لا ينفقه كيف يصون عرضه به ؟

وفي الحق أن الإمام ( عليه السلام ) كان زاهـداً في الدنيـا ، لكي ينشر العدل ، وكان يطالب الناس بالزهد ، حتى تنتشر الفضيلة ، وكان ينصح بالعطاء حتى ينشغـل الناس بـطلب العلم والمكارم ، ويقـول لاصحابـه : « انكم إلى مكارم الأفعال أحوج منكم إلى جمع الأموال »[3] .

ويقـول : «إنكم إلى إكتساب الأدب أحـوج منكـم إلى اكتساب الفضـة والذهب »[4] .

ويقول : « أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجار »[5] .

ويقـول : « العلم خير لـك من المـال : العلم يحـرسـك وأنت تحـرس المال . والعلم تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله . . هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر »[6] .

فـالـزهـد في المـال مـطلوب للتفـرغ للعلم ، وللعـطاء للنـاس ولبنـاء

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطب ١٢٩ .
(٢) مستدرك نهج البلاغة : ص١٨ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم : ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق : ص١٣١ .
(٥) الأستيعاب : ج٤ ، ص١٦٩ .
(٦) تفسير الرازي : ج٢ ص١٩٢ .

الحضارة . وهوالزهد الذي يشيد العدل في المجتمع ، ويمنع العوز والبؤس والمسكنة .

وهو النوع الوحيد من الزهد الذي يمكن لوليّ الأمر أن يفرضه على الأغنياء ، لأنّ إقامة العدل ، واجب من واجباته ، فان لم يجد الوالي في بيت المال ما يسد حاجة الفقراء والمساكين ، وما يبلغ بهم حد الكفاية ، كان له أن يفرض في أموال الأغنياء حقاً لهم ، ففي أموال الأغنياء حقوق غير الزكاة ، وإذا احتاجت الأمة فلا مال لأحد . . وقد لعن الله أقواماً في الغابرين لأنهم كانوا يصنعون بأموالهم الخاصة ما يشاؤون لا ما يقتضيه الصالح العام ، ولا ينفقون أموالهم في سبيل الله ، والإنفاق في سبيل الله ، هو الإنفاق على مصالح المجتمع كله ، من جهاد لتوفير أمن الأمة ، وإقامة ما يقتضيه صالح الأُمة من المرافق في الصناعة والزراعة والتعليم والصحة والتثقيف ونحو ذلك . .



# التـــواضـــع

التواضع حالة روحية لدى الفرد ، تظهر نتائجها في مفردات حياته اليومية كطريقة جلوسه ومشيه ، ونوعية ملبسه ومركبه ، وفي تعامله ـ بشكل عام ـ مع الآخرين .

وهي حالة تنبع أساساً من وعي الإنسان ، ومعرفته من جهة . ومن عظمة روحه من جهة أُخرى ، فكلّما ازداد علماً ورفعة في النفس ازداد تواضعه . وعلى العكس كلما عظم جهله ، وحقرت نفسه ازداد تعالياً وكبراً .

من هنا فانه « ما تواضع إلاّ رفيع »[1] وما تكبر إلاّ وضيع . تماماً كما تتدلى الأغصان وتتواضع كلما حملت ثماراً ، ولكنها ترتفع وتتعالى كلما خليت من الثمار .

فالتواضع إذن قيمة بحد ذاتها ، كما العلم والشجاعة والكرم وغيرها من الفضائل « فزينة الشريف التواضع »[2] وهو « زكاة الشرف »[3] ولا يوضع على شيء إلاّ زانه ، كما أن الكبر لا يوضع على شيء إلاّ شانه . .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٢) بحار الأنوار : ج٧٥ ، ص١٢٠ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .

ولذلك كان الأنبياء ( عليهم السلام ) ، وهم أنبل بني البشر ، أكثر الناس تواضعاً بعد ان « كرّه إليهم الله سبحانه التكابر ورضي لهم التواضع فألصقوا بالأرض خدودهم ، وعفّروا في التراب وجوههم ، وخفّضوا أجنحتهم للمؤمنين وكانوا قوماً مستضعفين »[1] .

ولقد كان الإمام علي ( عليه السلام ) : يرى أن « التواضع من أعظم العبادة »[2] ، ولا يعتبر للحسب قيمة إلا به إذ « لا حسب إلاّ بتواضع »[3] . يراه صفة أساسية من صفات المتقين حيث ان « منطقهم الصواب ، وملبسهم الإقتصاد ومشيهم التواضع »[4] .

ثم إنّ التواضع ـ بالإضافة إلى كل ذلك ـ سبب من أسباب النجاح ، وشرط من شروط حسن الإدارة حيث أنه « بخفض الجناح تنتظم الأمور »[5] .

وهو يرفع المؤمن في عيون أعدائه لان « التواضع يكسوك المهابة »[6] .

أوليس قد وصف الله الذين يحبهم ويحبونه من الذين هم أعزة على الكافرين بأنهم **﴿أذلة على المؤمنين﴾**[7] ؟ فقدم « الذلة على المؤمن » على « العزة على الكافر » فلا يكون عزيزاً على الكافرين الا من كان ذليلاً على المؤمنين ومتواضعاً لهم .

يقول الإمام علي ( عليه السلام ) في خطبته المعروفة « بالقاصعة » :

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطب ١٩٢ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٥ ، ص١١٩ .
(٣) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص١٦٨ .
(٤) كنز الفوائد : ص٣١ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) المصدر السابق .
(٧) سورة المائدة ، آية : ٥٤ .

« الحمد لله الذي لبس العزّ والكبرياء ، واختارهما لنفسه دون خلقه ، وجعلهما حمى وحرماً على غيره واصطفاهما لجلاله ، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ، ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين ، فقال سبحانه ـ وهو العالم بمضمرات القلوب ، ومحجوبات الغيوب ـ : ﴿إني خالق بشراً من طين ، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس﴾ إعترضته الحميّة ، فافتخر على آدم بخلقه ، وتعصب عليه لأصله ، فعدو اللّهِ إمامُ المتعصبين وسلف المتكبرين ، الذي وضع أساس العصّبية ، ونازع الله رداء الجبريّة ، وأدرع لباس التعزز ، وخلع قناع التذلل ، الا ترون كيف صغرّه الله بتكبرّه ، ووضعه بترفعه ، فجعله في الدنيا مدحوراً واعدّ له في الآخرة سعيراً » [1] ؟

ويقول ( عليه السلام ) : « اعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم ، والقاء التعزز تحت أقدامكم ، وخَلْع التكبر من أعناقكم ، واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم : إبليس وجنوده ، فإن له من كل أُمة جنوداً وأعواناً ، ورجِلاً وفرساناً ، ولا تكونوا كالمتكبر على إبن امّه من غير ما فضلٍ جعله الله فيه سوى ما الحقتِ العظمة بنفسه من عداوة الحسد ، وقدحت الحميّة في قلبه من نار الغضب ، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر »[2] .

بهذا كان الإمام يوصي أصحابه . .

وكما أوصى كان يعمل . . فكان متواضعاً مع الناس ، يرفض ان يترفّع عليهم ، او يكون له ما ليس لهم . .

فقد كان ( عليه السلام ) لا يحب حتى المديح ، ويرفضه . . فحينما

---

(١) اعلام النبوة : ص٩٧ .

(٢) نهج البلاغة ـ الخطب ١٩٢ .

اثنى عليه أحد أصحابه وأطال في ذلك قال له الإمـام : « إنّ من حقّ من عظم جلال الله سبحانه في نفسه وجلّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده ـ لعظم ذلك ـ كلّ ما سواه ، وإنّ أحقّ من كان كـذلك لمن عـظمت نعمة الله سبحـانه عليـه ولطف إحسانه إليه ، فإنّه لم تعـظم نعمة الله على أحـد إلاّ ازداد حقّ الله عليه عظماً .

وإنّ من أسخف حالات الولاة ، عند صالحي الناس ، أن يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع أمرهم على الكبـر ، وقد كـرهت أن يكون جـال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء واستماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك ، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلـك ، لتركتـه انحطاطـاً لله سبحانـه عن تنـاول مـا هـو أحقّ بـه من العـظمـة والكبرياء .

وربّمـا استحلى الناس الثنـاء بعد البـلاء ، فـلا تثنـوا عليّ بجميـل ثنـاء لإخـراجي نفسي إلى الله سبحـانـه وإليكم من البقيّـة في حقـوق لم أفـرغ من أدائها ، وفرائض لابدّ من إمضائها .

فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة ، ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة ، ولا تخالطوني بالمصانعة .

ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي ، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعـرض عليه كـان العمل بهمـا أثقل عليه .

فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل ، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أُخطىء ولا آمن ذاك من فعلي إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي .

فانّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيـره ، يملك منّا مـا لا نملك من أنفسنـا ، وأخرجنـا ممّا كنّـا فيه إلى مـا صلحنا عليـه ، فأبـدلنا بعـد الضلالـة

بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى »[1] .

وكما كان لا يحب المديح ، كان لا يحب المشي في كبرياء وابّهة ، فقد خرج ذات مرة وهو راكب على الفرس ، فمشى البعض خلفه فالتفت اليهم ، وقال :

« ألكم حاجة ؟

فقالوا : « لا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنا نحب ان نمشي معك » .

فقال لهم : « انصرفوا ، فان مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ، ومذلة للماشي » !

وركب مرة أُخرى فمشوا خلفه فقال ( عليه السلام ) :

ـ « انصرفوا ، فان خفق النعال خلف أعقاب الرجال ، مفسدة لقلوب النوكي »[2] .

ومرة أُخرى وكان ( عليه السلام ) في طريقه إلى صفين مر هو وأصحابه بمدينة الأنبار ، فخف وجهاء المدينة وأعيانها إلى إستقبال الإمام ، يسوقون دواباً مطهمة حملوها أشهى الطعام هدية للإمام وجنوده .

فسألهم الإمام : « ما أردتم بهذا الذي صنعتم ؟ » .

قالوا : « أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأُمراء : فالمطايا هدية لك ، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً ، وهيأنا لدوابكم علفاً كثيراً » .

فقال ( عليه السلام ) : « أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأُمراء ، فوالله ماينفع هذا الأمراء ! وإنكم لتشّقون به على أنفسكم وأبدانكم ،

---

(١) روضة الكافي : ص٣٥٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٥٥ .

فلا تعودوا له . وأما دوابكم هذه فان أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم . وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فاننا نكره أن نأكل من طعامكم شيئاً إلا بثمن » .

قالوا : « يا أمير المؤمنين نحن نُقَوِّمه فنقبل ثمنه » .

قال : « وإن غصبكم أحد فأعلمونا »[1] .

وكان ( عليه السلام ) متواضعاً في الدار ، كما كان متواضعاً في السوق ، فهو في الدار « كان يحتطب ، ويستسقي ، ويكنس ، بينما كانت زوجته فاطمة ( عليها السلام ) تطحن ، وتعجن ، وتخبز »[2] .

وكان في السوق هو الذي يشتري ، ويحمل ما اشتراه في طرف ردائه ، وذات مرة رآه الناس فتبادروا إليه وقالوا :

ـ يا أمير المؤمنين : نحن نحمله .

فقال : ـ « ربّ العيال أحق بحمله »[3] .

وكثيراً ما كان يحمل التمر والملح بيده ويقول :

لاينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله[4]

وربما كان يركب حماراً ، ومن حوله الذين يركبون الخيل والبغال المطهمة ، ويدلي رجليه من على ظهر الحمار إلى موضع واحد ويقول : « أنا الذي أهنت الدنيا !! »[5] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣١٠ .
(٢) المصدر السابق : ص٣٠٩ .
(٣) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣٠٩ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٢٣٨ .

وذات مرة قابله رجل في الطريق وهو يحمل التمر إلى أهله ، فـأفرط في الثناء عليه وكان الإمام يتهم هذا الرجل ، فقال له : « أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك »[1] . .

وكان يمشي في خمسة حافياً ويعلّق نعليه بيده اليسـرى : يوم الفـطر ، والنحر ، والجمعة ، وعند العيادة ، وتشييع الجنازة ؛ ويقـول : « إنّها مـواضع الله ، وأُحبّ أن أكون فيها حافياً »[2] .

وكان يعجبه المتواضعون ، ويكره المتكبرين في التاريخ ، فيمدح النبي سليمان ( عليه السلام ) مثلاً لتواضعه ويقول : « كان سليمان ( عليه السـلام ) إذا أصبـح تصفّح وجـوه الأغنياء والأشـراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعـد معهم ، ويقول : « مسكين مع المساكين »[3] .

وعلى العكس من المتكبرين الذين كلّما بولـغ في مدحهم ازدادوا فـرحاً فإن الإمام أقدم على حرق من سلم عليه بالالـوهية . فقـد ذكر المؤرخـون انه « أتى قوم أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فقالوا : السلام عليك يا ربّنا !

فاستتابهم فلم يتوبوا ، فحفر لهم حفيرة وأوقد فيها ناراً ، وحفر حفيرة إلى جانبها أُخرى وأفضى بينهما ، فلمّـا لم يتوبـوا ألقاهم في الحفيـرة ، وأوقد في الحفيرة الأُخرى النار حتّى ماتوا »[4] .

ولقد كان يؤنب كل من يفخر على الناس ويقول له :

« ما بال ابن آدم والفخر ؟ أوله نطفة ، وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ، ولا

---

(١) المصدر السابق .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٥٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٤ ، ص٨٣ .

(٤) فروع الكافي : ج٧ ، ص٢٥٧ .

يدفع حتفه »[1]!

* * *

وحينما كان حاكماً على البلاد الإسلامية وأميراً للمؤمنين « ورد عليه أب وإبن ، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر المجلس وجلس بين أيديهما ، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ، ثم جاء قنبر بطشت وإبريق خشب ومنديل لليبس وجاء ليصب على يد الرجل فقام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل .

قال الإمام (عليه السلام) : اقعد واغسل، فان الله عزّ وجّل يراك وأخوك الذي لايتميّز منك ولايتفضل عليك ، يخدمك ، يريد بذلك في خدمته في الجنة ، مثل أضعاف عدد أهل الدنيا وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها .

فقعد الرجل ، فقال له الإمام علي ( عليه السلام ) :

أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر .

ففعل الرجل ذلك ، فلما فرغ ناول الإمام الإبريق إلى ولده محمد بن الحنفية ، وقال :

يا بني لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببتُ على يده ، ولكن الله عزّ وجلّ يأبى ان يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان ، ولكن صبَّ الأب على يد الأب فليصب الإبن على يد الإبن» .

فصب محمد بن الحنفية على يد الإبن »[2] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٧٩ .

(٢) الإحتجاج : ص٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

ثم انه إذا كانت « آفة الرئاسة حب الفخر »[1] فان أمير المؤمنين ، لم تكن عنده ذرة منه ، والاّ لم يقم بغسل يد ضيف عادي من عامة الناس ، وهو يعتذر إليه ، ويُقسمه أن يغسل مطمئناً ، وكأنّ قنبراً خادمه ، هو الذي يقوم بخدمته .

وكما كان الإمام لا يفتخر ،فانه لم يكن يرضى الفخر لأحد . . فقد حدث ان « افتخر عند أمير المؤمنين ( عليه السلام ) رجلان . فقال لهما :

ـ « اتفتخران باجساد بالية ، وأرواح في النار ؟

« إن يكن لك عقل فان لك خلقاً ، وان يكن لك تقوى فان لك كرماً ، والاّ فالحمار خير منك ، ولست بخير من أحد »[2] .

وكم كان يوصي أصحابه بالتواضع ، ويقول لهم على لسان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) « ان الله أوحى اليّ ان تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد »[3] .

ويقول ( عليه السلام ) : « اهلك الناس اثنان خوف الفقر ، وطلب الفخر »[4] .

ويقول ( عليه السلام ) : « من صنع شيئاً للمفاخرة حشره الله يوم القيامة أسود »[5].

وكان يرى المحبة من نتائج التواضع ويقول : « ثمرة التواضع المحبّة ، وثمرة الكبر المسبّة »[6] .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٠ ـ ص٢٩١ .
(٣) الترغيب والترهيب : ج٣ ، ص٥٨٨ .
(٤) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٥٤ .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٢٩٢ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .

ويـرى ان « التواضـع يكسبك السـلامة »[1] وان « من تـواضـع قلبـه لله ـ تعالى ـ لم يسأم بدنه من طاعة الله »[2] وان « بـالتواضـع تتم النعمة »[3] وان « التواضع ينشر الفضيلة ، والتكبر يظهر الرذيلة » [4] .

وكان ( عليه السلام ) يقول : « ما من أحد من ولـد آدم الاّ وناصيتـه بيد ملك ، فان تكبّر جذبه بناصيته إلى الأرض وقال له : تواضع ! وضعك الله » !

« وان تواضع جذبه بناصيته ثم قال له : إرفع رأسك ! رفعـك الله ، ولا وضعك بتواضعك الله » [5] .

ويقول : « التواضع سلّم الشرف ، والتكبر رأس التلف »[6] .

ويقول : « اتضع ترتفع »[7] .

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٥ ، ص١٢٠ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٩ .
(٣) سراج الملوك ـ للطرطوشي : ص١٠٨
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٥) بحار الأنوار: ج٧٥ ، ص١٢٠ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٧) المصدر السابق .

# المبـادرة

الفـرص كسحابـات الصيف: غنية بالمطر، جميلة في المنـظر ، ولكنها سريعة في المسير . فمن أراد منها الماء فلابد ان يبادر قبل ان يأتي السحاب ، فيهيىء وسيلته ، متطلعاً نحو الأفق ، منتظراً أخباره ، فإذا هطل المطر كان لـه النصيب الأوفر .

امّا من يبحث عن الوسيلة ، بينما السحابات تمرّ فوق رأسه ، متثاقلاً في حركته ، فانه يضيّع على نفسه امرين : الوقت والمطر معاً .

وهكذا فان « الفرصة تمر مرّ السحـاب »[1] فهي « سريعـة الفوت بـطيئة العود »[2] .

وكمـا الطيـور التي تقفز في السمـاء ، تطيـر بخفة وسـرعة ، فـإذا أردنا اصطيادها فلابد ان نهيىء السلاح مسبقـاً ، ونفتح عيـوننا جيـداً حتى إذا مرّت رميناها فوراً ، والاّ فلن نحصد الا الحسرات . .

كذلك الفرصة ، تقفز في الزمن مثل الشهاب ، فمن أرادها فلابد ان يتهيأ

---

(١) بحار الأنوار : ج٧١ ، ص٣٣٧ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .

لها سلفاً ، فيرميها بنبال مبادرته والاّ فان « اضاعة الفرصة غصة »[1] و« من انتظر بمعالجة الفرصة مؤاجلة الإستقصاء ، سلبته الايام فرصته ، لأنّ من شأن الايام السلب ، وسبيل الزمن الفوت »[2] .

ونظراً إلى ان « الفرصة خلسة »[3] فان « من أخرّ الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها »[4] ذلك « ان الشمس والقمر يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد »[5] فالايّام ليست ثابتة ، والزمن ليس جامداً ، ولذلك فانّ « الفرص » تظهر وتختفي على دقات الساعات .

من هنا كانت « المبادرة » من صفات العظماء .

هذا علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) كان المبادر في كل خير . .

فهو أول من آمن .

وأول من ضرب بالسيف في سبيل الله .

وأول من لبّى وأجاب وأعلن نصرته لرسول الله .

وأول من قاتل وجاهد وهاجر بعد رسول الله . .

وكان يوصي أصحابه بالمبادرة ويقول : « ايّها الناس الآن . . الآن من قبل الندم ، ومن قبل ان تقول نفس **﴿يا حسرتي على ما فرطّت في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين﴾** . أو تقول : **﴿لو أنّ الله هداني لكنتُ من المتقين﴾** ، أو تقول حين ترى العذاب : **﴿لو أن لي كرة فأكون من**

---

(١) نهج البلاغة : الحكم ١١٨ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٢٦٨ .
(٣) المصدر السابق : ص٧٩ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٥) النهاية : ج٢ ، ص٣٤٥ .

المحسنين﴾[1] ويقـول : « بادروا الفـرصة قبـل أن تكـون غصّـة[2] ويقـول : « الجنة غاية السابقين ، والنار غاية المفرّطين »[3] .

وكان يخاف على المؤمنين ضياع الفرص ، وترك المبادرات ، ويرى ذلك تفريطاً تعقبه الندامـة والحسرة ، حيث لا تنفـع الحسرات . ويقـول : « إياكم والتفـريط فتقع الحسـرة حين لا تنفع الحسـرة »[4] لأنّ « من فـرّط تـورّط »[5] « فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه ، وبادر الهدى قبل ان تغلق أبـوابه ، وتقطع أسبابه »[6] .

« عبـاد الله . . ان التقوى حمت أوليـاء الله ، فبادروا العمـل ، وكـذّبـوا الأمل ، ولاحظوا الأجل »[7] .

وحقـاً انّ هناك أكثـر من عقبة تـرصد الإنسـان مثل عقبـة الموت وعقبـة الأمراض وعقبة الشيخوخة ، وهي عقبات لا يمكن التخلص منها ، فـلابدّ من اغتنام الفرص قبل الوصول إليها .

يقول الإمام ( عليه السلام ) : « بادروا بالأعمال عمراً ناكساً ، أو مـرضاً جالساً »[8] .

ويقـول : « بادروا آجـالكم باعمـالكم ، فانكم مـرتهنون بمـا أسلفتم ،

---

(1) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص٣٧٥ .
(2) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد : ج١٦ ، ص٩٧ .
(3) نهج البلاغة : الخطب ١٥٧ .
(4) بحار الأنوار : ج١٠ ، ص٩٥ .
(5) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٢٦٩ .
(6) نهج البلاغة : الخطب ٢١٤ .
(7) الأمالي : ج٢ ، ص١٠٧ .
(8) النهاية : ج٢ ، ص٦١ .

ومدينون بمـا قدّمتم»[1]. وهكـذا فان المبـادرة في الخير ضـرورة من ضرورات الحياة، كما ان تركها يؤدي إلى الندم، والخسران..

وهكذا كان الإمام علي (عليه السلام) في عمل الخير فقد روي انه في الكر والفرّ بين أصحاب الإمام وجنود الشام، كان الإمام يتجنب إراقة الدماء لعل وعسى ان تنفع الموعظة في المناوئين، فيعودون عن غيهم، ويتوبون إلى ربّهم ولكن حينما وقعت المواجهة، كان الإمام يطالب أصحابه بأخذ المبادرة، والاّ ستضيع عليهم الفرص.

ولقد صدر منه أقوى أنواع التقريع والعتاب، حينمـا خسروا المبـادرة، وأصبح لمعاوية القدرة على ان يشن الغارات على المناطق التي كـانت تخضع لحكم الإمام، ومنها الغارة التي شنها «سفيان بن عوف الغامدي» عامل معاوية على «الأنبار» فقتلوا رجالها وانتهكوا نساءها ونهبـوا أموالهـا حتى حلى النساء وخرجوا عائدين إلى معاوية لم يمسسهم سوء، ولم يصبهم قرح ولا تعرض لهم أحد.. فوقف الإمام على مرتفع صنعه بيده من الأحجار، وسيفه على حمائل من ليف، فحمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على رسوله وآله ثم قال:

«أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة. فمن تركـه رغبة عنـه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ودُيِّث بالصغار والقمـاءة (لُوِّث وأصبح ديوثاً لا غيرة له)، وضرب على قلبه بالإسهاب (والإسهاب هو ذهـاب العقل وكثـرة الكـلام بـلا جـدوى). وأديـل الحق منـه، بتضييـع الجهـاد، وسيم الخسف، ومنع النصف (الإنصاف).

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلانـاً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزِيَ قوم قط في عقر دارهم إلا

---

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٩٠.

ذلــوا ، فتـواكلتم وتخــاذلتم ، حتى شنت عليكم الغـارات ، وملكت عليكم الأوطان .

وهذا أخو غامد ( عامل معـاوية ) ، وقـد وردت خيله الأنبار ، وقـد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ( المسلحة : المعسكر ) وقتــل رجــالاً ونســاء كثيــرين . وقــد بلغني أن الــرجــل منهــم كــان يــدخــل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ( ذات العهد : أي الذمية ) وينتـزع حجلها (خلخالها) وقلبها (أساورها) وقلائدهـا ورعاثهـا (قرطهـا)، ما تمتنـع منه إلا بـالاسترجـاع والاسترحـام . ثم انصرفـوا وافرين ومـا نـال رجـل منهم كلـم ( جرح ) ، ولا أريق لهم دم !

« فلو أن امرأً مسلماً مات بعد هـذا أسفاً، مـا كان بـه ملوماً، بـل كان بـه عندي جديراً!

فيا عجباً ! عجباً والله يميت القلب ، ويجلب الهمّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقكم عـن حقكم ! فقبحاً لكم وترحاً ( همـاً وحزنــاً ) حين صـرتم غرضـا يرمى ، يغـار عليكم ولا تغيرون ، وتُغـزَوْن ولا تغـزُون ، ويُعْصَى الله وتُرضون ! » .

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ ، ( شدة الحر ) أمهلنا ينصرم عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتـاء قلتم هذه صبّارة القر ( شدة البرد ) ، أمهلنا فينسلخ عنا البرد ، فكل هذا فرارا من الحـر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر ! .

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ، معرفة ـ والله ـ جرت ندما وأعقبت سدما ( غيظاً ) !

قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعتموني

نغب التهمام ( نغب جمع نغبة كجرعة لفظا ومعنى ، والتهمام : الهم ) أنفاساً ، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب .

لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاماً مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وهأنذا قد ذرفت على الستين ! ولكن لا رأي لمن لا يطاع ! »[1] .

* * *

ولابد من توضيح نقطة هامّة ، وهي أن المبادرة المطلوبة ، هي المبادرة في أمر الخير ، وليس في أعمال الشّر . . ذلك ان الشيطان يدفع بالإنسان عادةً إلى إستعجال الشّر ، امّا أعمال الخير فلا تجد من يدفع إلى استعجالها ، الاّ ضمير الإنسان ودينه . .

والقاعدة التي يجب الإلتزام بها هنا هي : « إذا عرض شيء من أمر الآخرة ، فابدأ به ، وإذا عرض شيء من أمر الدّنيا فتأنّه حتى تصيب رشدك »[2] .

فـ « التؤدة ممدوحة في كل شيء إلاّ في فرص الخير »[3] .

وهذا يعني أنك : « إذا هممت بخير فبادر ، فإنك لا تدري ما يحدث »[4] وذلك « أن الله يحب من الخير ما يعجّل »[5] .

---

(١) الأغاني : ج١٥ ، ص٤٥ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧١ ، ص٢١٥ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) الكافي : ج٢ ، ص١٤٢ .
(٥) ميزان الحكمة : ج٦ ، ص٧٤ .

وهكذا فإن « من همّ بشيء من الخير فليعجّله ، فإنّ كل شيء فيه تأخير فإنّ للشيطان فيه نظرة »[1] .

ولقد أوصى الإمام علي ( عليه السلام ) في قضاء الحوائج ، بالمبادرة فقال « لا يستقيم قضاء الحوائج الاّ بثلاث : باستصغارها لتعظم ، وباستكتامها لتظهر ، وبتعجيلها لتهنؤ »[2] ذلك أنه « ليس من عادة الكرام تأخير الإنعام» [3] .

وبالطبع فانّ المبادرة ، تختلف عن العجلة ، فالإستعجال هو نوع من التسرّع في غير موقعه ، أو المبادرة إلى الشّر . . مثل الاستعجال إلى العقوبة قبل التثبّت ، ولذلك كان « من كمال الحلم تأخير العقوبة »[4] .

ولهذا أوصى الإمام ولده الحسن بقوله : « أخّر الشّر فإنك إذا شئت تعجّلته »[5] .

أمّا المبادرة المطلوبة ، فهي اغتنام فرص الخير ، والولوج إلى أبواب العمل الصالح فور انفتاحها ، وعدم إضاعة الوقت . .

---

(١) الكافي : ج٢ ، ص١٤٣ .
(٢) قوت القلوب : ج٢ ، ص٢٢٢ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) ميزان الحكمة : ج٦ ، ص٧٣ .
(٥) العقد الفريد : ج٣ ، ص١٥٥ .



# الـوفـاء

من أعظم صفات الرجال : الوفاء ، ومن ارذلها الغدر .

ذلك ان « الوفاء أشرف الخلائق »[1] كما أنّ « الغدر شيمة اللئام »[2] و « الوفاء عنوان النبل »[3] و « الغدر أقبح الخيانتين »[4] .

وما أحوج الذين لهم مكانة في المجتمع ، من الزعماء والحكام وأصحاب المناصب ، إلى التزام الوفاء واداء الامانة .

وما أقلّهم . !

فكم من رجال في التاريخ رفعتهم الأحداث إلى مصاف العظماء ، ثم غدروا بمن كان معهم ، فسقطوا في حضيض المقبوحين ؟ وكم من اناس مغمورين أوفوا للآخرين ، فوقف لهم النّاس إجلالاً وإكباراً على مرّ الزمان ؟

وإذا أخذنا بعين الإعتبار أن « أقل الناس وفاء الملوك »[5] ومن يدور في

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) ميزان الحكمة : ج٧ ، ص١٧٤ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص١١٢ .

فلكهم ، حيث للشيطان سلطان في قصورهم ، فان أعظم الحكام هم أكثرهم وفاءاً ، والتزاماً بالعهد ، ومجانبة للغدر . .

وحقاً فان « الوفاء حصن السؤدد »[1] « وحفظ الذمام »[2] وبه « يعرف الأبرار »[3] بينما « الغدر يعظّم الوزر[4] ومجانب للقرآن »[5] و« يضاعف السيئات »[6] .

والغريب انّ كثيراً من الحكّام ابتلى بالغدر ، حتى أصبح ذلك صفة من صفات الملوك والأُمراء ، وعادةً من عادات أصحاب التاج والصولجان ، وحقاً من حقوقهم ! ووسيلة مشروعة لارتقاء سلالم الحكم ! معتبرين ذلك من الحيل التي يجوز التوسل بها في الأعمال السياسية . .

ويبدو أنّ ذلك كان من الأُمور التي عانى منها الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في عصره ، كما عانى كل الصادقين منه في التاريخ .

يقول ( عليه السلام ) : « ايها النّاس : ان الوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جنة أوقى منه ، وما يغدر مَن عَلِم كيف المرجع ، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ( شطارة ) ، ونسبهم أهل الجهل إلى حسن الحيلة .

« ما لهم ؟! قاتلهم الله . ! قد يرى الحوّل القلّب ( البصير بتحولات الأُمور وتقلباتها ) وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه ، فيدعها رأى العين بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين »[7] .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) ميزان الحكمة : ج١٠ ، ص٦٠٢ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق .
(٦) المصدر السابق .
(٧) نهج البلاغة : الخطب ٤١ ـ ورسائل الجاحظ : ص١٢٥ .

لقد ابتلى الإمام ( عليه السلام ) بمناوىء يتخذ الغدر ، والإغتيال ، وشراء الضمائر وسيلته لمواجهة الإمام وهو « معاوية بن أبي سفيان » الذي كان يرفع شعار : « والله لأغلبن بدنياي دين علي » ، وكان الإمام يرى بأم عينيه كيف تنتقص أطراف مملكته شبراً شبراً بسبب الوسائل التي يستعملها معاوية ، ولكنه ( عليه السلام ) كان يرفض ان يستخدم نفس أساليبه . . ويقول : « والله ما معاوية بأدهى منّي ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس ، ولكن كلّ غُدرة فجرةَ ، وكل فجرة كفرة ، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة ! « والله ما استغفل بالمكيدة ، ولا أستغمز بالشديدة »[1] .

كان يعرف جيداً داء النّاس ودواءهم، ولكنه كان من أهل « الوفاء » ، ومن أئمة العدل ، ومن الأبرار الأخيار الذين كلّما قوي أعداؤه في الكذب والدجل ، كان يقوى هو في الصدق والصراحة والحق . .

كان الإمام يقول : « والله اني لأعلم بدائكم ودوائكم ولكن هيهات أن أصلحكم بخراب نفسي » .

كان معاوية يستخدم الغدر والإغتيال لقتل مناوئيه ، فيضع السم في العسل ويهديه لهم ثم يضحك ويقول : « إن لله جنوداً من العسل » ، وكان أمير المؤمنين يشير إلى ابن ملجم ويقول :

- « هذا قاتلي » !

- فيقال له أفلا نقتله ؟ فيرفض ذلك ويقول : « إذاً تقتلون بي غير قاتلي » !

وكان معاوية يكتب إلى ولاته وعماله : « انظروا إلى من روى حديثاً لابي

---

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد : ج١٠ ، ص٢٠٩ .

تراب فاقتلوه » ويقول : « خذوهم بالتهمة واقتلوهم بالظنّة » .

وكان أمير المؤمنين يكتب إلى عماله : « فلا تغدرنّ بذمتك، ولا تخيّسن بعهدك ، ولا تختّلن عدّوك ، فإنّه لا يجترىء على الله إلاّ جاهل شقى ، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره فلا ادغال ، ولا مدالسة ، ولا خداع فيه ، ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب الفساخة بغير الحق ، فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل، عاقبته خير من غدر تخاف تبعته ، وان تحيط بك من الله فيه طلبه »[1] .

لقد رفض الإمام مجموعة أُمور بسيطة ، ومنها قبول ولاية معاوية ، وتثبيته على الشام ، وجرّ ذلك عليه الكثير من المشاكل . . فقط لان الإمام كان يرفض المناورات الشيطانية والغدر، والاّ كان باستطاعته أن يثبت معاوية أياماً ثم يغدر به بكل سهولة .

لقد جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته ، فقال له :

ـ « ان لك حق الطاعة والنصيحة ، وان الرأي اليوم تحرز به ما في غد ، وان الضياع اليوم تضيع به ما في غد ، اقرر معاوية على عمله ، واقرر العمال على أعمالهم ، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت » .

فابى ( عليه السلام ) وقال : « لا أداهن في ديني ، ولا أعطى الدنيئة في أمري » .

قال المغيرة : « فان كنت ابيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية ، فانّ في معاوية جرأة ، وهو في أهل الشام يُستمع له ولك حجة في إثباته . . اذ كان عمر قد ولاّه الشام » .

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ٥٣ .

فقال علي ( عليه السلام ) : « لا واللّهِ .. لا استعمل معاوية يومين »[1] .

لقد كان الإمام يرفض الغدر ، إلى درجة انه يعتبر الغادر والخائن ممن لا يجوز الوفاء معهما ، فمن كسر حرمة الوفاء ، فلابدّ من ردعه بالشدة والحزم ، لا باللين واللطف .

يقول ( عليه السلام : « الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله »[2] .

ويقول : « الخائن لا وفاء له »[3] .

(١) عبقرية الإمام علي ( عليه السلام ) : ص١٢٢ .
(٢) روض الأخيار : ص١٣٩ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .



# التضحية

لا يمكن ان تنتصر قضية ليس اصحابها مستعدين للتضحية من أجلها .

غير أن هنالك فرقاً بين من يبحث عن المجد الشخصي ، واحراز الانتصار على أعدائه في حياته ، وبين من يمتلك قضية ، ويسعى من أجل انتصارها ، حتى وإن أدى ذلك إلى التضحية بنفسه . .

**فالأول** : إذا خسر ، ستكون في خسارته نهايته .

**والثاني** : إذا خسر ، فقد تكون في خسارته نجاحه .

فالأهداف العليا ، كالمثل والقيم والدّين ، ستجد من ينتصر لها يوماً ، وكل من يقدم حياته لها يتحول إلى رمز مقدس على مرّ الأيام ، ولذلك فمن يموت دون قضية ، يزيدها قوة ومناعة . .

فالتضحية بالنفس للقضايا . . تقوّيها .

بينما التضحية للنفس بالقضايا . . تنهيها .

وعلى أيّة حال فان المغامرة من أجل الأهداف ، وخوض الغمرات في الدفاع عنها ، ضرورة من ضرورات العمل للحق .

وأساساً كيف نعرف صدق المدّعين إلاّ حينما يدعون إلى التضحية والفداء . ؟

إن أدعياء الحق كثيرون ، ولكن المستعدين لبذل كل شيء له ، هم الصادقون منهم . وهم الأقلون.

« فالناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يدورونها ما درت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون »[1] .

ويبدو أن ذلك من سنة الله في الخلق حتى يميز المجاهدين منهم عن الكاذبين . **﴿احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ؟ . . ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين﴾**[2] .

إن الطريق إلى تحقيق المثل العليا ، مليء بالأشواك كما هي الطريق إلى الجنة ، فقد « حفت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات »[3] .

وإذا كانت لنا برسول الله قدوة حسنة ، فان النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) « خاض إلى رضوان الله كل غمرة ، وتجرع فيه كل غصّة وقد تلوّن له الأدنون ، وتألّب عليه الأقصون ، وخلعت اليه العرب أعنتها ، وضربت إلى محاربته بطون رواحلها حتى أنزلت بساحته عدواتها ، من أبعد الدار وأسحق المزار »[4] .

إذن « لا تفرطوا في صلاح ، وان تخوضوا الغمرات إلى الحق »[5] .

---

(١) حياة الإمام الحسين ـ القرشي .
(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٢، ٣
(٣) المحاسن : ص٦ .
(٤) نهج البلاغة : الخطب ١٩٤ .
(٥) الأمالي : ج١ ، ص٢٢١ .

لقد أوصى الإمام ولده الحسن (عليه السلام) ـ وهو العزيز على قلبه ـ ان يخوض كأبيه، الغمرات للحق قائلاً: « جاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخض الغمرات للحق حيث كان »[1] .

إن التضحية المطلوبة ، لا تعنى بالضرورة أن يموت الإنسان من أجل قضيته ، ولكنها تعني حتماً الإستعداد للمغامرة من أجلها وعدم وضع حدّ لما تتطلبه من الغالي ، والرخيص .

وهكذا كان الإمام علي ( عليه السلام ) فقد كان دائماً على استعداد للمغامرة بحياته في سبيل الرسالة ، فما من غزوة إلّا وهو أميرها ، أو بطلها ، وما من دعوة تتطلب التضيحة إلّا وهو أول من يستجيب لها .

وفيما يلي نموذج واحد من ذلك :

روي «أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج ذات يوم الفجر ، ثمّ قال : «معاشر الناس أيّكم ينهض إلى ثلاثة نفرٍ قد آلوا باللّات والعزّى ليقتلوني ، وقد كذبوا وربّ الكعبة»؟

فأحجم الناس وماتكلّم أحد، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أحسب عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) فيكم». فقال له عامر بن قتادة : إنّه وعك في هذه اللّيلة ولم يخرج يصلّي معك ، فتأذن لي أن أُخبره ؟

فقال النبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « شأنك » فمضى إليه فأخبره ، فخرج أمير المؤمنين ( عليه السلام ) كأنّه نشط من عقال ، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته ، فقال : يا رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) ما هذا الخبر؟ قال النبي : «هذا رسول ربّي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا لقتلي» فقال عليّ ( عليه السلام ) : يا رسول الله أنا لهم سريّة وحدي ، هوذا ألبس عليَّ

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ٣١ .

ثيابي، فقال رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم): «بل هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي» فدرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه .

وخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) فمكث النبيّ ثلاثة أيّام لا يأتيه جبرئيل بخبره ولا خبر من الأرض ، وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين على وركيها تقول : أوشك أن يُيَتّم هذان الغلامان.

فأسبل النبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) عينه ، ثمّ قال: «معاشر النّاس من يأتيني بخبر عليّ أبشّره بالجنّة»، وافترق الناس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وخرج العواتق ، فأقبل عامر بن قتادة يبشّر بعليّ ، وأقبل عليّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) معه أسيران ورأس وثلاثة أبعرة وثلاثة أفراس.

فسأله رسول الله عن قصته؟

فقال ( عليه السلام ) : يا رسول الله ، لمّا صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركباناً على الأباعر فنادوني من أنت ؟

فقلت : أنا عليّ بن أبي طالب إبن عمّ رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) .

فقالوا : ما نعرف لله من رسول سواء علينا : وقعنا عليك أو على محمّد ، وشدَّ عليَّ هذا المقتول ، ودار بيني وبينه ضربات فضربته ، وقطعت رأسه وأخذت هذين أسيرين .

فقال له رسول الله : «قدّم إليّ أحد الرجلين»، فقدّمه فقال: «قل: لا إله إلاّ الله واشهد أنّي رسول الله»، فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحبّ إليّ من أن أقول هذه الكلمة ! فقال : يا عليّ أخّره واضرب عنقه ، ثمّ قدّم الآخر فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) له: «قل: أشهد أن لا إله إلاّ الله واشهد أنّي

رسول الله»، قال: يامحمّد ألحقني بصاحبي فقال: (صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : يـا عليّ أخّره واضـرب عنقه ، وقـام أمير المؤمنين ( عليـه السـلام ) ليضرب عنقه فهبط جبرئيل على النبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فقـال : يا محمّد إنّ ربّك يقـرؤك السلام ويقـول : لا تقتله فإنّـه حسن الخلق سخيٌّ في قومه .

فقال النبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : «يا عليُّ أمسك فإنّ هذا رسـول ربّي عزّ وجلّ يخبرني أنّه حسن الخلق سخيّ في قومه».

فقال المشرك تحت السيف : هـذا رسول ربّـك يخبرك ؟ قـال : نعـم ، قال : والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قطّ ولا قطبت وجهي في الحرب ، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله .

فقال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) :«هذا ممّن جرّه حسن خلقه وسخاؤه إلى جنّات النّعيم»[1] .

(١) الخصال : ج١ ، ص٤٦ ـ ٤٨ .



# العطاء

العطاء سمة بارزة من سمات أولياء الله ، فهم يعطون من أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم ، وحياتهم ، من غير ما رغبة في الجزاء من أحد . .

ومن هنا فإنهم دائماً يبحثون عن ذوي الحاجة والعوز ، لا عن ذوي الثروة والمال . ويرون العطاء أصلاً من أُصول الحياة ، وواجباً من واجباتهم ، كما يقول رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « لم نبعث لجمع المال ، ولكن بعثنا لإنفاقه»[1] !

فرسالتهم هي الإنفاق لا الجمع . والعطاء لا التكاثر . والكرم لا البخل .

وهكذا كان الإمام علي ( عليه السلام ) يقدم الآخرين على نفسه ، ويبحث عمن يعطيه ويعتبر ذلك ديناً عليه ، لا له ، ويقول : « الكريم يرى مكارم أخلاقه دينا عليه يقضيه ، واللئيم يرى سوالف إحسانه ديناً له يقتضيه »[2] .

ولذلك فإنه ( عليه السلام ) كان يبحث عن ذوي الحاجة ليعطيهم ، كما يبحث أحدنا عن الدر والجوهر . .

---

(١) مشكاة الأنوار : ص١٨٣ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما يقول أحدهم : « ما كان علي لينتظر حتى يسأله سائل ، بل كان يبحث هو نفسه عن صاحب الحاجة ، والمسكين ، واليتيم ، والفقير والمحروم ، يمضي إليهم هو ويعطيهم من ماله ما يعتقد أنه حق لهم معلوم . وكان يقول : « السخاء ما كان ابتداء أما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم» (فرار من الذم ) .

هكذا كان يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . . ولسوف يرضى ! وقد جعله ربه رضيا .

ولشد ما كان يرضى إذ يسعد الآخرين !! . . وكان عند ربه مرضيا ! . . أرضى الله ورسوله ، فأرضاه الله ورسوله »[1] .

وحينما رزق الله المسلمين غنائم كثيرة واتسع رزق المجاهدين منهم ، اتخذ بعضهم المزارع ، والدور الكبيرة ، وفاخر الرياش . . أما هو ونفر من كبار الصحابة ، فقد كانوا يتصدقون بما يغنمون ! ، بل ولم يكن يؤخر العطاء من الليل إلى النهار . .

فعن سالم الجحدري قال:

« شهدت عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) أُتي بمال عند المساء ، فقال : اقتسموا هذا المال :

فقالوا : قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأخّره إلى غد .

فقال لهم : تقبلون لي أن أعيش إلى غد ؟

قالوا : ماذا بأيدينا ؟

فقال : لا تؤخّروه حتّى تقسّموه »[2] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢١ .

لقد كان كريماً بلا حدود ، وضد البخل بلا تحفظ .

فالسخاء عنده « يزرع المحبة »[1] و« يثمر الصفاء »[2] و« يزين الأخلاق »[3] و« يمحّص الذنوب ويجلب محبة القلوب »[4] وهو « ثمرة العقل »[5] .

ذلك أن « السخاء خلق الله الأعظم »[6] و« خلق الأنبياء »[7] ولذلك فانه « ما جبل الله ولياً إلّا على السخاء »[8] ومن هنا فانّ « سادة النّاس في الدنيا الاسخياء »[9] .

أمّا البخل ، فعند الإمام هو : « جامع لمساوىء العيوب ، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء »[10] إذن « البخل أذم الأخلاق »[11] وهو « عار »[12] .

كان ( عليه السلام ) يؤمن بالجزاء ولذلك كان يجود بالعطية .

وقد روي « ان علياً جلس في سوق المدينة المنورة ومعه ابنه الحسن وهو صغير ، ومر سائل مسكين ، فرق علي له فقال للحسن : « إذهب إلى أمك فقل

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ميزان الحكمة : ج٤ ، ص٤٢٠ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٥) المصدر السابق .
(٦) كنز العمال : خ١٥٩٢٦ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٨) كنز العمال : خ١٦٢٠٤ .
(٩) غرر الحكم ودرر الكلم .
(١٠) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٣٠٧ .
(١١) بحار الأنوار : ج٧٢ ، ص١٩٩ .
(١٢) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٣٠٧ .

لها : تركت عندك ستة دراهم . فهات منها درهماً » .

فذهب الحسن إلى أمه ثم رجع إلى أبيه فقال : « أمي تقول لك إنما تركت ستة دراهم للدقيق » .

فقال علي : « لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، قل لها ابعثي بالدراهم الستة جميعاً » . فبعثت بها إليه فدفعها كلها إلى السائل .

وبعد لحظات مر به رجل معه جَمَلٌ يبيعه .

فقال علي : « بكم الجمل ؟ » قال الرجل : « بمائة وأربعين درهماً » .

قال علي للرجل إنه يشتري الجمل ، ولكنه سيدفع ثمنه بعد حين ! . فوافق صاحب الجمل ، وتركه لعلي ومضى .

ثم أقبل رجل آخر فقال : « لمن هذا البعير ؟ » . قال علي : « لي » . قال الرجل : « أتبيعه » . قال : « بكم ؟ » . قال : « بمائتي درهم » . فأخذ الرجل البعير وأعطى علياً المائتين .

فأعطى صاحب الجمل ـ حين عاد إليه ـ حقه ، وهو مائة وأربعون درهماً . وجاء بستين درهماً إلى فاطمة . فقالت : « ما هذا ؟ » . قال : « هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »[1] .

وكان ( عليه السلام ) يعطي ، ولا يتوقع الشكر ، ويقول : « ان مكرمةً صنعتها إلى أحد من الناس ، إنما أكرمت بها نفسك ، وزيّنت بها عرضك فلا تطلب من غيرك شكر ما صنعت إلى نفسك »[2] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٠ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .

قال عنه الشعبي : « كان علي ( عليه السلام ) أسخى الناس ، كان على الخلق الّذي يحبّ الله : السخاء والجود، ما قال « لا » لسائل قطّ . . وقال عدوّه ومبغضه الّذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضّبيّ لمّا قال : جئتك من عند أبخل النّاس .

« فقال معاوية : « ويحك كيف تقول إنّه أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه؟ وهو الّذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها، وهو الّذي قال : يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري ، وهو الّذي لم يخلّف ميراثاً وكانت الدنيا كلّها بيده إلاّ ما كان من الشام »[1] .

وروي « أنّه كان يأتي عليه وقت لا يكون عنده قيمة ثلاثة دراهم يشتري بها إزاراً وما يحتاج إليه ، ثمّ يقسّم كلّ ما في بيت المال على النّاس ، ثمّ يصلّي فيه فيقول : الحمد لله الّذي أخرجني منه كما دخلته »[2] .

كان يكره البخل ، والباخلين ، ويقول : « البخيل يذل مصاحبه ، ويعزّ مجانبه »[3] ويقول : « البخل بالموجود سوء ظن بالمعبود »[4] ، ويقول : « ليس لبخيل حبيب »[5] ، ويقول : « عجبت للشقي البخيل ، يتعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء »[6] .

وكان يوصي بالابتعاد عن البخلاء ، ويقول : « اياك ومصادقة البخيل فانه

---

(١) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢١٥ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢١ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ميزان الحكمة : ج١ ، ص٣٧٥ .
(٦) بحار الأنوار : ج٧٢ ، ص١٩٩ .

يقعد عنك ، أحوج ما تكون إليه »[1] ، ويوصي بعدم استشارته أيضاً ويقول : « فلا تدخلن في مشورتك بخيلاً » [2] .

وكان يرى الكرم شرطاً لإمامة المسلمين ويقول : « لا ينبغي إمامة المسلمين : البخيل فتكون في أموالهم نهمته »[3] .

ولقد كان منبع العطاء ، ومصدر الكرم ، كان يعطي وهو محتاج يقول بعض من عاصره : «كانت غلّة عليّ أربعين ألف دينار ، فجعلها صدقة ، وإنّه باع سيفه وقال : لو كان عندي عشاء ما بعته »[4] .

ويقول ابن عباس : « إن علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) كان يملك أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وعلانية ، فأنزل الله سبحانه فيه : ﴿الذين ينفقون أموالهم باللّيل والنهار سرّاً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[5] .

كان يقول : « لا تستح من إعطاء القليل فانّ الحرمان أقل منه » [6] وقد روي أنه ( عليه السلام ) نظر إلى فقير انخرق كمّ ثوبه ، فخرق ( عليه السلام ) كمّ قميصه وألقاه إليه [7] .

وكان يعاتب من لا يشجّع على الكرم ، أو يدعو إلى البخل وقد روي : « ان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) بعث إلى رجلٍ بخمسة أوساق من تمر .

---

(١) نهج البلاغة : الحكم ٣٨ .
(٢) نهج البلاغة : الكتب ٥٣ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ١٣١ .
(٤) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٢٦ .
(٥) كشف الغمّة : ص٥٠ .
(٦) المستطرف : ج١ ، ص١٦٣ .
(٧) بحار الأنوار : ج٤٠ ، ص٣٢٣ .

فقال له رجل : « واللهِ ما سألك فلان ، ولقد كان يجزيه من الخمسة أوساق ، وسق واحد . .

فغضب ( عليه السلام ) وقال له ( عليه السلام ) : « لا كثّر الله في المؤمنين مثلك ، أعطي أنا وتبخل أنت ؟ »[1] .

لقد كان الإمام يعطي بمقدار كرمه هو ، لا بمقدار حاجة من يعطيه .

من ذلك ما روي أن اعرابياً سأله شيئاً ، فأمر له بألف ، فقال وكيله : من ذهب أو فضة ؟ ( أي دينار أو درهم ) :

فقال ( عليه السلام ) : كلاهما عندي حجر ، أعط الإعرابي أنفعهما له »[2] .

« وكان إذا أعطى شيئاً حتى خطأ ، فلا يسترجعه فقد ذكر المؤرخون «ان عبدالله بن الزبير قال للإمام: إني وجدت في حساب أبي أنّ له كذا من المال؟ فقال له: إن أباك لصادق إن قال هذا، فقضى ذلك، ثم جاءه ابن الزبير قائلاً : غلطت فيما قلت ، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك ، فقال : والدك في حل ، والذي قبضته مني هو لك »[3] .

لقد أوصاه رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ان يكون معطاء حتى مع أعدائه ، فقال له : « يا علي ، ألا أدلك على خير أخلاق الأولين والآخرين ؟ » .

قال : « بلى يا رسول الله » .

---

(١) الوسائل : ج٦ ، ص٣١٨ .
(٢) السبيل الى إنهاض المسلمين : ص ٤٤٢ .
(٣) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٤٢ .

قال « تعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك »[1] .

وعملاً بهذه الوصية ، لم يكن عطاء الإمام ( عليه السلام ) يقتصر على عامة النّاس ، أو من له هوى فيه ، بل كان يشمل حتى الأعداء . وهذا هو الإمتحان الصعب . فأنت قد تعطي من تحبّه ، أمّا أن تعطي من يعاديك وتعاديه ، فهو العطاء الذي لا تشوبه شائبة ، ولا يمكن إلاّ أن يكون في سبيل الله .

وقد تجلى ذلك في موارد كثيرة . ولكننا نقتصر على بعض النماذج ، فقد : روي أنّ عليّاً ( عليه السلام ) كان يحارب رجلاً من المشركين ، فقال المشرك :

« يا بن أبي طالب هبني سيفك » ، فرماه إليه .

فقال المشرك : « عجباً يا بن أبي طالب في مثل هذا الوقت تدفع إليّ سيفك ؟ !

فقال : « يا هذا إنّك مددت يد المسألة إليّ ، وليس من الكرم أن يردّ السائل » .

فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال : « هذه سيرة أهل الدين ، فقبّل جبهته وأسلم »[2] .

ومن ذلك أيضاً ما جرى بينه وبين معاوية في صفين ، حينما سبق معاوية وجنده ، الإمام إلى الماء . وكانت شريعة الماء التي ملكها معاوية هي المورد الوحيد على النهر إلى الماء . ولقد جعل معاوية عليه حرساً كبيراً بقيادة أبي الأعور، وأمرهم أن يمنعوا الماء علياً وجنوده . وجاء جنود علي يشربون فصدهم جيش

---

(١) كلمة الرسول الأعظم .

(٢) فضائل العشرة : أبو السعادات .

معاوية ، وشرعوا في وجوههم الرماح والسيوف ، ورشقوهم بالنبال !!

فقال له عمرو بن العاص : « يا معاوية خَلِّ بين القوم وبين الماء فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان . ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم » .

فأبى معاوية . .

فقال عمرو : « يا معاوية ما ظنك بالقوم إن منعوك الماء غداً كما منعتهم اليوم ؟ » . قال : « إن علياً لا يستحل منا ما نستحل منه » .

ولما أحس جند الإمام حر العطش شكوا إليه ، وطلبوا منه أن يأذن لهم بقتال جند معاوية على الماء .

فأرسل الإمام إلى معاوية من يقول له : « إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، فقدمت إلينا خيلك ورجلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ! ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك . وهذه أخرى قد فعلتموها ، منعتم الناس من الماء ، والناس غير منتهين أو يشربوا ، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس والماء ، وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له . فان أردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب ، فعلنا» .

فقام رجل من أهل الشام فقال : « أما والله لو سبقكم عليٌّ إلى الماء لسقاكم منه . أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له ؟ فهذا أول الجور ! يا معاوية لقد شجعت الجبان ، وبَصَّرت المرتاب ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك » .

وكان الرجل صديقاً لعمرو فقال له معاوية : « يا عمرو اكفني صديقك ! »

وأمر الإمام جنوده أن يحاربوا على الماء . . فاندفع بهم الأشتر والإمام يدعو قائلاً :

« اللهم إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي ، وسدّدنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقية أصحابي من الفتنة » .

وحمل جند الإمام حملة ضارية فانهزم جند الشام عن الماء ، وصار الماء في أيدي جند الإمام ، فقال رجال منهم : « والله لا نسقيهم »[1] .

وخاطبوا الإمام قائلين : « امنعهم يا أمير المؤمنين من الماء ، كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب » .

وكانت الفرصة سانحة للإمام بان ينتصر فعلاً على معاوية ، ولم يكن في ذلك يفعل إلّا ما فعله معاوية من قبل ، وبحكم الآية الكريمة : **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** كان للإمام كل الحق في ذلك ولكن لم يفعل . .

فقد رفض منع معاوية وجنده الماء ، وقال لأصحابه : « لا أفعل ما فعله الجاهلون ، ولا أكافئهم بمثل فعلهم » .

وأضاف ( عليه السلام ) : « خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى عسكركم ، وخلُّوا بينهم وبين الماء ، فإن الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم » .

وأرسل الإمام إلى معاوية : « إنا لا نجازيك بصنعك ! هلم إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء » .

وشعر معاوية بالخجل . وتغيظ عمرو على معاوية ، فقال له معاوية : « يا

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٤٥ ـ ٤٦ .

عمرو . كان فلتة من رأي أعقبتني بخطئها » ثم التفت إلى بطانته وقال : « لله در عمرو ! ما عصيته في أمر قط إلا أخطأت فيه ! »[1] .

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٥٣ .



# الشجاعة

الشجاعة من الشروط الأساسية للنجاح ، سواء على المستوى العام ، للزعماء وأصحاب الرسالات ، أم على المستوى الشخصي للآباء والأمهات ، أم للعاملين في الحقول المختلفة في الحياة .

وهي حجر الزاوية في صفات الفروسية . فهل يمكن تصوّر رجل عظيم جبان ؟ وهل هناك شخص واحد نجح من غير اقدام ؟

وحقاً فان « الشجاعة نصرة حاضرة وقبيلة ظاهرة »[1] وهي بلا شك « أحد العزّين »[2] .

بينما « الجبن آفة . والعجز سخافة »[3] كما أنه « عار ومنقصة »[4] .

وكما أن « السخاء والشجاعة غرائز شريفة يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه »[5] فان « الجبن والحرص والبخل غرائز يجمعها سوء الظن بالله »[6] .

---

(١) ميزان الحكمة : ج٥ ، ص٢٦ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٣٠٧ .
(٥) ميزان الحكمة : ج٥ ، ص٢٦ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .

وقد يتساءل البعض من أين تنبع الشجاعة ؟ وما هو مقدارها في الرجال ؟

والجواب إن للشجاعة مصادر شتى . منها : « الهمّة العالية » لان « شجاعة الرجل على قدر همّته »[1] .

ومنها : « الحميّة » المترسخة في النفس لأن « على قدر الحميّة تكون الشجاعة »[2] .

ومنها : « الأنفة » فـ « قدر الرّجل على قدر همته ، وصدقه على قدر مروئته ، وشجاعته على قدر أنفته »[3] .

ومنها : السخاء بالنفس ، والإباء من الذل ، وطلب الذكر . فقد « جبلت الشجاعة على ثلاث طبائع ، لكل واحدة منهن فضيلة ليست للأخرى: السخاء بالنفس . والأنفة من الذّل ، وطلب الذكر ، فإن تكاملت في الشجاع: كان البطل الذي لا يقام لسبيله، والموسوم بالإقدام في عصره، وإن تفاضلت فيه بعضها على بعض كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر وأشدّ إقداماً»[4]

ولكن متى تظهر شجاعة الرّجال ؟

في الإدعاء ، ربما لا يوجد من يعترف بالجبن . ولكن في المواجهة تظهر الحقائق. حيث أن «ثلاثة لاتعرف إلّا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب . ولا الشجاع إلّا عند الحرب . ولا الأخ إلّا عند الحاجة »[5] .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) ميزان الحكمة : ج٥ ، ص٢٧ .
(٣) نهج البلاغة : الحكم ٤٧ .
(٤) تحف العقول : ص٢٣٧ .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٢٢٩ .

ولعل ذلك هـو السبب في أن الإمام علي ( عليـه السلام ) الـذي اقترن اسمه بكل صفات الفروسية ، وامتزج ذكره مع الشجاعة كواحدة من أظهر وأشهر صفاته ، لـم يتحدث كثيراً عن الشجاعة . لأنه ( عليه السـلام ) كان يمـارسها بالفعل ، ولـم يكن يلهج بذكرها فحسب . . كما يفعل الكثيرون ، فحديثه عن الشجاعة ، هو مواقفه وأفعاله وممارساته ، وهي أصدق حديث وأقوى كلام .

إن الشجاع يعرف عند الحرب . وهكذا عرف الإمام . ففي كل مـوقف صعب كـان هو العلم والشـاخص . فهو العـون في النـوائب ، والحـاضـر في الصعـاب . والرايـة في المغازي، والـرفيق في البأسـاء . . يؤمن حينمـا يكفر الآخرون ، ويصمد حينما يهرب الآخرون ، ويقاتل حينما يفرّ الآخرون . كـرّار غير فرّار وتلك هي الشجاعة حقاً . .

« وتدل أخباره ـ كما تدل صفـاته ـ على قـوةٍ جسديـة بالغـة في المكانـة والصلابة على العوارض والآفات . فربّما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل ، ويمسك بذراع الرجل فكإنما أمسك بنفسه فـلا يستطيـع ان يتنفس ، واشتهر عنه أنه لم يُصارع أحداً إلاّ صرعه ، ولم يبارز أحداً إلاّ قتله ، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه إلاّ رجال أشداء ، ويحمل الباب الكبير الـذي يعجـز عن تحـريكـه الأشداء ، ويصيـح الصيحـة فتنخلع لهـا قلوب الشجعان »[1] .

وقد قيل عن ضرباته : « كانت لعليّ ( عليه السلام ) ضربتان : إذا تطاول قدَّ ، وإذا تقاصر قطَّ».

وقالوا «كانت ضرباته أبكـاراً ، إذا اعتلى قدَّ وإذا اعتـرض قطَّ ، وإذا أتى حصناً هدّ» .

---

(١) عبقرية الإمام علي ( عليه السلام ) : ص١٥ .

وقالوا : كانت ضرباته مبتكرات لا عواناً»[1].

« وكـان إلى جانب قـوته البـالغة شجـاعاً لا ينهض لـه أحـد في ميـدان مناجزة ، فكان لجرأته على الموت لا يهاب قرنـاً من الأقران بـالغاً مـا بلغ من الصولة ، ورهبة الصيت »[2] .

لم يفر من معركة قط ، وهو القـائل : « استحيـوا من الفرّ فـانه عـار في الأعقاب ونار يوم الحساب »[3] و«إن في الفرار موجـدة الله والذل الـلازم »[4] « وايم الله لئن فررتم من سيفـ العاجلة لا تسلموا من سيفـ الآخرة »[5] .

وقد قيل له :

ـ لمَ لا تشتري فرساً عتيقاً ؟

فقال : « لا حاجة لي فيه ، وأنا لا أفرّ ممّن كرّ عليّ ، ولا أكرُّ على من فرّ منّي ! »[6] .

وحقاً فإن الذي لا يهاب الموت لا يبالي في المواجهة ، ويتمتع بشجاعة خارقة بينما ضعاف النفوس واليقين هم الجبناء الخائفون فإن « شدة الجبن من عجز النفس ، وضعف اليقين »[7] .

ولقد كان الإمام قوياً في نفسه ، عظيماً في يقينه ، ولذلك كان شجاعاً في مواجهة الموت ، وهو القائل في أواخر لحظات حياته : « واللّهِ ما فاجـأني من

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٦٧ .
(٢) عبقرية الإمام علي ( عليه السلام ) : ص١٦ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ٦٦ .
(٤) الفتوح : ج٣ ، ص٧٣ .
(٥) نهج البلاغة : الخطب ١٢٤ .
(٦) أمالي الصدوق : ص١٠٢ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .

الموت وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلّا كقارب ورد ، وطالب وجد وما عند الله خير للأبرار»[1] .

ومن كانت هذه صفته فلا يبالي بالموت ، فقد روي «أن أمير المؤمنين كان يطوف بين الصفين ، بصفين ، في « غلالة » فقال له ولده الحسن ( عليه السلام ) : « ما هذا زيّ الحرب » !

فقال ( عليه السلام ) : « يا بني . . ان أباك لا يبالي وقع على الموت ، أو وقع الموت عليه »[2] .

وكان يقول : « والله لا أُبالي دخلت إلى الموت ، أو خرج الموت اليّ »[3] .

ويقول : « والله ، لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدي أُمّه »[4] .

وقال في الصبيحة التي قتل فيها :

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا
كما اضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا[5]

ولقد رفض أكثر من مرّة ان يتخذ حارساً ، بالرغم من ان خليفتين قبله كانا قد قُتلا فعلاً ، وهما الخليفة الثاني « عمر بن الخطاب » والخليفة الثالث « عثمان بن عفان » . وبالرغم من انه كان يخوض حروباً داخلية ، ولربما كان

---

(١) مروج الذهب : ج٢ ، ص٤٣٦ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٢ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ٥٥ .
(٤) نهج البلاغة : الخطب ٥ .
(٥) علي من المهد إلى اللّحد .

يتحول صاحبه خلال ليلة واحدة إلى عدّوه . وقد قتل فيما بعد على يد واحد من أمثال هؤلاء وهو الخارجي عبد الرحمن بن ملجم . .

ومع ذلك لم يتخذ حارساً . وحينما كان البعض يتبرع لذلك كان يرفضه . .

من ذلك ما روي انه : « كان لعليّ ( عليه السلام ) غلام اسمه قنبر ، وكان يحبّ عليّاً حبّاً شديداً ، فإذا خرج عليٌّ خرج على أثره بالسيف .

فرآه ذات ليلة فقال : يا قنبر مالك ؟

قال : جئت لأمشي خلفك ، فإنّ النّاس كما تراهم يا أمير المؤمنين ، فخفت عليك .

قال : ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض ؟

قال : لا بل من أهل الأرض ؟

قال : إنّ أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلّا بإذن الله عزَّ وجلَّ من السماء فارجع فرجع »[1] .

وفي معركة الجمل خرج إلى عدّوه للإحتجاج وهو حاسر فقال أصحابه : « ألا نحرسك ؟ » فقال : « حرس امرأً أجلُهُ».

فقالوا : « لا تخرج وأنت بقميص واحد وحاسر ! » .

فقال : « لقد قاتلت مع النبي وأنا حاسر ، أكثر مما قاتلت وأنا دارع . إنما أنا ذاهب إلى الزبير حواري رسول الله ، وابن عمته »[2]!!

وفي نهايات معركة « صفين » قرّر بعض أصحابه ان يختاروا كل ليلة

---

(١) التوحيد : ص٣٥٠ .

(٢) علي أمام المتقين : ج١ ، ص٢٧٠ .

عشرة منهم يبيتون بالسلاح ساهرين على حراسته دون أن يستأذنوه . . ورآهم ذات ليلة فسألهم : « ما يجلسكم ؟ » قالوا : « نحرسك يا أمير المؤمنين » : فقال ساخراً : « من أهل السماء ؟! » ثم قال : « إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضي في السماء ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكّل به ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خليا عنه ، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه »[1] .

* * *

ولقد ظهرت شجاعة الإمام مبكراً ، وهو بعد في العاشرة من عمره ، حينما نزل الوحي على رسول الله ووقفت قريش في وجه الرسالة ، وبدأت تؤذي النبي بشتى الوسائل ، ومنها دفع الأطفال للإعتداء عليه ، ورميه بالحجارة . فما كان من الإمام إلّا وقد نصب نفسه حارساً أميناً لرسول الله ، فكان إذا خرج ، خرج معه وأيّما طفل من أطفال قريش يحاول إيذاء النبي كان علي يصرعه على الأرض ولربما يقضم أنفه ، أو يعض أُذنه ، فسموه « القضم » وخافوا منه خوفاً شديداً ، فكانوا يبتعدون عن رسول الله ، كلما كان معه « علي » ويتجرأون عليه ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) إن لم يكن معه . .

وليلة الهجرة بات على فراش رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ليؤمّن تغطية خروج النبيّ حتى لا تعلم قريش بذلك ، بعد أن عزموا على قتله . .

وفي المواقع التي شهدها مع رسول الله ـ فيما بعد ـ منذ **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأنّ الله على نصرهم لقدير﴾** ، كانت الشجاعة تتلبسه ، فإذا هو الفارس الأول ، والمحور الأساسي للمعارك ، وصاحب الراية في كثير منها ، وقائدها في أغلب الأحيان . .

---

(١) المصدر السابق : ج٢ ، ص٣٨٩ .

«ولقـد كان في نحـو العشرين، يـوم بدر. . وتقـدم أقوى فـرسـان قـريش يتَحدّون المسلمين، ويستفزون محمداً، ويطلبون أقوى فرسانه للمبارزة .

فقـد برز من صنـاديد المشـركين عتبة وأخـوه شيبة و ابنـه الـوليـد فقـالـوا : «من يبارز ؟ » . فخرج من المسلمين فتية من الأنصار .

فقـال عتبة : « لا نـريد هؤلاء ، ولكن يبـارزنا من بني أعمـامنـا من بني عبد المطلب » .

فقال رسول الله ( صلّى الله عليـه وآله وسلّم ) : « قم يـا حمزة ، قم يـا عبيدة ، قم يا علي » .

فبرز حمزة لعتبة فقتله ، وبرز علي للوليد بن عتبة فقتله ، وقتل عبيدة بن الحارث شيبة بمساعدة حمزة وعلي ، بعد أن قطع شيبة رجل عبيدة .

ونزلت في ذلك الآية الكريمة : **﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾** . فالذين آمنوا هم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث . و« المفسدون في الأرض » هم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة[1] .

« وعنـدمـا التحم الجمعـان فعـل حمـزة وعلي في جيش المشـركين الأفاعيل ، كما أبلى المجاهدون في سبيل الله بلاء حسنا .

قال علي : « قاتلت يوم بدر قتالاً ثم جئت إلى النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فإذا هو ساجد يقول : يا حي يا قيوم . ثم ذهبت فقاتلت ثم جئت فإذا النبي ساجد يقول : يا حي يا قيوم . ففتح الله عزّ وجلّ عليه » .

وفي يوم بدر قتل علي أصحاب ألـوية قـريش جميعاً ، فـأبصر الـرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) جماعة من مشركي قريش فقـال لعلي : « احمل

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤١ .

عليهم » فحمل عليهم ففرق جمعهم ، وفروا ، وقتل منهم سيد بني جمح . ثم أبصر الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) جماعة أخرى من المشركين فقال لعلي : « إحمل عليهم » . فحمل عليهم ففرقهم وقتل منهم سيد بني عامر بن لؤي .

وفي يوم بدر قتل علي كثيراً من زعماء قريش[1] .

*** 

امّا في يوم أحد فقد ظهر في شجاعة الإمام ، وهو لا يزال فتىً يافعاً ، أكثر من كل الصحابة ، ولولا الإمام فلربّما كانت المعركة تنتهي إلى مقتل النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وهزيمة المسلمين جميعاً بل إنه سرت إشاعة مقتله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فعلاً مما دفع الكثير من المسلمين إلى الهرب بينما وقف الإمام ، وقفة الرجال . يقول الإمام عن ذلك ـ « لحقني من الجزع ما لا أملك نفسي ، وكنت أمامه أضرب بسيفي ، فرجعت أطلبه فلم أره ، فقلت : ما كان رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ليفرّ وما رأيته في القتلى وأظنّه رفع من بيننا ، فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي : لأقاتلنّ بهِ حتّى أُقتل ، وحملت على القوم ، فأفرجوا فإذا أنا برسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) قد وقع على الأرض مغشيّاً عليه ، فوقفت على رأسه ، فنظر إليّ وقال : ما صنع الناس يا عليّ ؟

قلت : كفروا يا رسول الله ، ولّوا الدبر من العدوّ وأسلموك » .

«ثم أنّه أبصر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتيبة معاوية فقال: «لعليّ» «إحمل عليهم» ، فحمل عليهم وفرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحيّ ؛ ثمّ أبصر كتيبة أُخرى فقال لعلي : ردّعنّي ، فحمل عليهم ففرّق

---

(١) المصدر السابق : ص٤٢ .

جماعتهم ، وقتل شيبة بن مالك العامريّ ، ثمّ رأى كتيبة أُخرى فقال : أحمل عليهم ، فحمل عليهم فهزمهم ، وقتل هاشم بن أُميّة المخزوميّ ، فقال جبرئيل : يا رسول الله إنَّ هذه لهي المواساة ، فقال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : إنّه منّي وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما ، فسمعوا صوتاً يقول : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ[1] .

ولقد أصابته في هذه المعركة ست عشرة ضربة ، فظلّ يطعن ويتلقى الطعنات ، فيعالج ويعود للطعان ، « وخرج إليه طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين فقال : « يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار، ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأيكم يبرز إلي ؟ » .

فبرز إليه علي بن أبي طالب وقال : « والله لا أفارقك حتى أُعجلك بسيفي إلى النار » . فاختلفا ضربتين ، فضربه علي فسقط إلى الأرض جريحاً ، وبانت عورته. فتوسل إلى علي قائلاً: « أنشدك الله والرحم يا ابن العم ». فانصرف علي عنه.

فقال المسلمون : « يا علي هلا أجهزت عليه ؟ » . فقال : « ناشدني الله والرحم ! ولن يعيش » . وظل طلحة ينزف حتى مات من ساعته .

وعاد من أحد بصحبة الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ، وسيفاهما يقطران دماً ، فصليًا بالمسجد ، ثم دفعا بسيفيهما إلى فاطمة فغسلت عنهما الدماء . وعاد الرسول إلى بيته[2] .

* * *

وفي غزوة الخندق ، التي جند المشركون لها كل قواهم ، مما اضطر

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٥٩٢ .

(٢) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٢ .

النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ان يتخذ ـ على غير عادته ـ موقف الدفاع لا الهجوم ، واجه الإمام علي ( عليه السلام ) الموقف بشجاعة نادرة . . حيث ان فارس الجزيرة العربية حينذاك « عمرو بن ودّ العامري » « الذّي كان يُقوّم بالف رجل »[1] وهو « مقاتل غادر فاتك من رؤوس المشركين»[2]كان قد عبر الخندق الذي حفره المسلمون ، وبدأ يطلب البراز قائلاً :

ـ « ألا رجل يبرز ؟ أين جنتكم التي زعمتم أنكم داخلوها ان قتلتم ؟

وكان رسول الله ، يقول لاصحابه :

ـ « من يأتيني برأس عمرو أضمن له الجنة ؟

ولكن المسلمون يُحجمون ، لهيبة الموقف من جهة ، ولما يعرفونه من « عمرو » من القوة والشجاعة والبأس من جهة أُخرى . .

والوحيد الذي وقف قائلاً : « أنا يا رسول الله . . » كان علي ( عليه السلام ) :

فقال له النبي في المرة الأولى :

ـ « اجلس يا علي ، انه عمرو . .

فجلس . وكرّر عمرو نداءه :

ـ « الا رجل يبرز ؟ يا محمد أخرج اليّ ؟ هل من مبارز ؟

وقام النبي مرة أُخرى يقول لأصحابه :

ـ «من لعمرو أضمن له الجنّة ؟

---

(١) عبقرية الإمام عليه ( عليه السلام ) : ص١٦ .
(٢) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٢ .

ويقول علي ( عليه السلام ) : « أنا يا رسول الله . . » بينما الآخرون كأن على رؤوسهم الطير. فيقول له النبيّ ـ : « اجلس ، انه عمرو!»

ويصرخ « عمرو » :

ـ : « من يبارز ؟ من يأتيني منكم حتى أرسله إلى الجنة !؟

وينشد :

| | |
|---|---|
| ولقد بححت من النداء | بجمعكم هل من مبارز |
| ووقفت إذ جبن الشجاع | بموقف البطل المناجز |
| إنّي كذلك لم أزل | متسرّعاً نحو الهزاهز |
| إنّ الشجاعة والسماحة | في الفتى خير الغرائز[1] |

فيكرّر النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) للمرة الثالثة قوله :

ـ « من يأتيني برأس عمرو أضمن له الجنة ؟ .

فيقول علي ( عليه السلام ) « أنا يا رسول الله . .

فيقول له النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « إجلس، انه عمرو

فيقول علي ( عليه السلام ) : « . . وأنا علي »!

فيأذن له النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ويعمّمه بعمامته ، فيخرج الإمام إلى عمرو ، مهرولاً وهو ينشد قائلاً :

| | |
|---|---|
| لا تعجلنّ فقد أتاك | مجيب صوتك غير عاجز |
| ذو نيّة وبصيرة والصبر | منجي كلّ فائز |
| إنّي لأرجو أن أُقيم | عليك نائحة الجنائز |

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٨٩ .

مـــن ضـــربـــة نـــجـــلاء يـــبـــقـــى    ذكـــرهـــا عـــنـــد الـــهـــزاهـــز[1]

وقـد وقف النبي ( صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم ) ينـظر إلى عليّ ، وهــو يقول : « خرج الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه » .

وحينما تواجها قال لـه علـي : « يا عمرو قد كنت عاهدت الله لقريش ألا يـدعوك رجـل إلى إحـدى خلتين إلا قبلت منـه إحـداهمـا » . فقـال عمـرو : « أجل » .

فقـال له علي : « فـاني أدعوك إلى الله عـزّ وجلّ وإلى رسـولـه ، وإلى الإسلام . فقال عمرو : « لا حاجة لي في ذلك ».

فقال له علي ( عليه السلام ) : « فانّي أدعوك إلى البراز .

فقال ـ « من أنت » ؟ .

قال علي ـ ولم يزد ـ : « أنا علي » :

قال عمرو ـ : « ابن عبد مناف ؟ » :

قال علي ـ : « ابن أبي طالب » .

قال عمرو ـ : « يا بن أخي . . من اعمامك من هو اسنّ منك فلم برزت انت ؟

وأضاف ـ : « اما أمن إبن عمك حيث أرسلك اليّ ، أن أشيلك برمحي هذا ، بين السماء والأرض ، لا أنت حيّ ولا ميّت ؟

فقال علي ( عليه السلام ) : « أرسلني ابن عمي وهو يعلم إن قتلتني كنت أنا في الجنة وأنت في النار ، وإن قتلتك كنت أنت في النار وأنا في الجنة .

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٨٩ .

قال عمرو ـ : « كلتاهما لك يا علي ؟ تلك اذن قسمة ضيزى !

وأضاف ـ : « كان أبوك نديماً لي ، وإني أكره ان أهريق دمك .

فقال علي ( عليه السلام ) : « ولكني ، والله لا أكره ان أهريق دمك » . .

فغضب عمرو ، وقال ـ : « ما كنت أظن أن احداً من العرب يرومني على ذلك ، ثم أهوى إليه بسيفه الذي كان يصفه البعض بقولهم « كأنه شعلة من نار »[1] .

واستقبل عليّ الضربة بدرقته ، فقدّها السيف وأصاب رأسه ، ثم ضربه عليّ على حبل عاتقه ، فسقط ونهض ، ثم سقط ونهض وثار الغبار ، فما انجلى الاّ عن عمرو صريعاً وعلي ( عليه السلام ) يجأر بالتكبير[2]

وسمع المسلمون صوته فصرخ رسول الله قائلاً :

ـ « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين »[3] .

« وكأنما كانت شجاعته هذه القضاء الذي لا يؤسى على مصابه ، لانه أحجى المصائب ، وأقلّها معابة ألاّ يُدفع ، فكانت أُخت عمرو تقول في التأسي بعد موته :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكنّ قاتله مَن لا نظير له ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد

فكانت شجاعته ( عليه السلام ) من الشجاعات النادرة التي يشرّف بها من يصيب بها ، ومن يُصاب»[4].

---

(١) عبقرية الإمام علي ( عليه السلام ) : ص١٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٩٠ . علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٣ .

(٣) الغدير للعلامة الأميني .

(٤) عبقرية الإمام علي ( عليه السلام ) : ص١٨ .

وذكر بعض المؤرخين ان علياً حينما قطع رجل عمرو رماها نحو معسكر المشركين فخاف من هيبتها رجلان ووقعا في الخندق!

وقال الطبري : ووجدوا « نوفلاً » في الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة ، فقال لهم : « قتلة أجمل من هذه» فنزل إليه علي ( عليه السلام ) فطعنه في ترقوته بالسيف حتى أخرج من مراقه . . ثم خرج إليه منية بن عثمان العبدري ، وخاف وهرب . فانشأ علي ( عليه السلام ) يقول :

وكانوا على الإسلام البأ ثلاثة وقد فرّ من تحت الثلاثة واحد[1]

* * *

وفي غزوة خيبر يروي أبو رافع مولى الرسول قال : « خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول علي باباً كان عند الحصن ، فترّس به نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتُني في نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقدر! »[2] .

كان على رأس هذا الحصن أحد شجعان يهود واسمه مرحب ، وهو الذي طرح الترس من يد علي ، فانقض عليه ( عليه السلام ) وبارزه متحصناً بباب الحصن الثقيل ، وطالت المبارزة ، حتى أهوى علي بسيفه على وجه مرحب ، وسقط الحصن واستأسر من فيه ، وغنم منه المسلمون مغانم كثيرة .

من أجل ذلك صاح نفر من المسلمين : « لا فتى إلا علي »! . . وكان هذا النداء يرج الآفاق كلما اشتبك في قتال ، فيلهب منه الحماسة ويثير الحمية . .

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٩ .

(٢) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٤ .

وقد شهدت أم سلمة ( أم المؤمنين ) غزوة خيبر فقالت : « وسمعت وقع سيف علي بن أبي طالب في أسنان مرحب »! .

وقال علي بن أبي طالب : « والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولكن بقوة ربانية » .

* * *

وفي يوم حنين كان علي بن أبي طالب من أشد الناس قتالا بين يدي الرسول .

وعندما حاصر الرسول بني قريظة ، وكان اللواء بيد علي صاح يستحث جنده : « يا كتيبة الإيمان » . ثم تقدم هو والزبير بن العوام وقال : « والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم » .

وفتح الله الحصن على يديه الكريمتين ! .

* * *

وعلى كل حال فإن الشجاعة في الإمام ، كانت من أبرز صفاته ، وكان يوصي بها بنيه أن لا يخافوا في الله أحداً ، كما كان يوصي الناس بأن لا يستشيروا جباناً . يقول ( عليه السلام ) : « لا تشركن في رأيك جباناً يضعفك عن الأمر ، ويعظم عليك ما ليس بعظيم »[1] ، وكان يوصي ولاته بأهل الشجاعة خيراً ، ويقول ( عليه السلام ) : « ثم الصق بذوى المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم[2] .

* * *

(١) غرر الحكم ودرر الكليم .
(٢) نهج البلاغة : الكتب ٥٣ .

ولقد كان الإمام بالإضافة إلى شجاعته النادرة ، مثيراً للحماسة ، مديراً للمعارك مشاركاً فيها على الرغم من كبر سنّه فيما بعد الرسول ، أيام خلافته وكان يوصي أصحابه بوصايا الشجاعة والثبات .

« ففي صفين نظم الإمام ( عليه السلام ) جيشه ، ثم قال لاصحابه :

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص . فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدِّموا الدارع ، وأخروا الحاسر ، وعضوا على الأضراس ، فانه أنبى للسيوف . . وغضوا الأبصار ، فانه أربط للجأش ، وأسكن للقلوب . وأميتوا الأصوات ، فانه أطرد للفشل ، وأولى بالوقار . راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم . واستعينوا بالصدق والصبر ، فانه بعد الصبر ينزل النصر » .

وبدأت المعركة ، واستحر القتال . . وما يسمع غير وقع الحديد على الحديد .

وكان الحسن والحسين ومحمد بنو الإمام معه ، والنبل يمر بين عاتقه ومنكبه ، فلما دنا منه أهل الشام وأطلقوا عليه السهام والنبال يريدون قتله ، قال له الحسن أكبر بنيه : « ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء القوم من صحبك فتلقوا بجمعكم أهل الشام ؟ » فقال : « يا بني إن لأبيك يوماً لا يعدوه ولا يبطىء به عنه السعي ، ولا يعجل به إليه المشي ، إن أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ! »[1] .

ولربّما كان الإمام في مثل هذه المواقف بلا مثيل ، حيث أن رئيس الدولة يشترك في الحرب ، بل ويحمي العشيرة ، ولا يدع العشيرة تحميه .

فقد رأى الإمام ـ بعد ان استعر الحرب ، في صفّين ، واشتجرت القنا

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٥٩ .

واشتبكت الرماح وتقارعت السيوف والحراب ، رأى ابنه الحسن ( عليه السلام ) في حومة الوغى ، فقال : « ابعدوا عني هذا الغلام لا يهدني » .

وكان الإمام قد نهى بنيه وبني عمه عن الدعوة إلى المبارزة ، فكان إذا دعي أحد منهم بارز الإمام عنه . . هكذا بارز عن ابن عمه عبدالله بن عباس وصرع متحديه ، وعرض أن يبارز عن ابنه محمد ابن الحنفية ، ولكن متحديه ولّى .

إنّه ( عليه السلام ) يحمي العشيرة ولا يدع العشيرة تحميه . . كما ضن بعدد من كبار الصحابة من غير المقاتلين من أهل الزهادة والنسك فمنعهم من القتال ، وقاتل هو عنهم ، واكتفى بصحبتهم يعظون المقاتلين ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويمجدون الجهاد في سبيل الله[1] .

* * *

وكم ظهرت شجاعته في المواقف المختلفة ؟ والمشاهد الصعبة ؟ وكم شارك شخصياً في القتال ، وهو رئيس الدولة ؟

يقول جابر بن نمير الأنصاري « لكأنّي أسمع علياً بعد ليلة الهرير بعد ان طحنت الرحى بأمر عظيم تشيب منه النواصي ، حتّى استقلّت الشمس وقام قائم الظهيرة وعليّ ( عليه السلام ) يقول لأصحابه :

« حتّى متى نخلّي بين هذين الحيّين ؟ قد فنينا وأنتم وقوف تنظرون ، أما تخافون مقت الله ؟ ثمّ انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله عزّ وجلّ .

ثمّ نادى « يا الله يا رحمن يا واحد يا صمد يا الله يا إله محمّد ، إليك اللّهمّ نقلت الأقدام ، وأفضت القلوب ، ورفعت الأيدي ، ومدّت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وطلبت الحوائج ، اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا ، وكثرة

---

(١) المصدر السابق : ص٩٦ .

عدوّنا ، وتشتّت أهوائنا ، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين : سيروا على بركة الله » ثمّ نادى : « لا إله إلاّ الله والله أكبر كلمة التقوى » .

« فلا والّذي بعث محمّداً نبيّاً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب ، إنّه قتل فيما ذكر العادّون زيادة على خمسة مائة من أعلام العرب ، يخرج بسيفه منحنياً فيقول : معذرة إلى الله وإليكم من هذا ، لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزني عنه أنّي سمعت رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) يقول : « لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ » وأنا أُقاتل به دونه » .

فكنّا نأخذه ونقوِّمه ، ثمَّ يتناوله من أيدينا فيتقحّم به عرض الصفّ ، فلا والله ما ليث بأشدّ نكاية منه في عدوّه[1] .

وبرز للإمام أربعة من أبطال الشام فصرعهم الواحد بعد الآخر . . واشتبك الجيشان ، وتساقط الناس صرعى ، وعز ذلك على الإمام . فنادى بأعلى صوته : « ويحك يا معاوية ! ابرز إليّ ولا تفن العرب بيني وبينك ! » .

فقال له عمرو بن العاص : « اغتنمه وهو مجهد فانه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة ! » .

فقال له معاوية : « والله لقد علمت أن علياً لم يُقْهَرْ قط . إنما أردت قتلي لتصيب الخلافة بعدي ! » .

واشتد القتال من جديد ، والإمام يدعو الله : « اللهم إليك رُفِعَت الأبصار ودَعَت الألسن ، وأَفْضَت القلوب . . اللّهمّ أعنّا عليهم بفتح تعجله ، ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره » .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١ ، ص٢٢٠ .

ثم قال لأصحابه : « قال الله تعالى لقوم : **﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلا﴾** ، وأيم الله لئن فررتم من سيف الدنيا لا تسلمون من سيف الآخرة »[1].

وتضرجت السيوف والحراب من مهج المسلمين ، وتطايرت الرؤوس وسقط القتلى .

فصاح الإمام مرة أخرى : « يا معاوية » فقال معاوية : « اسألوه ما شأنه » قال الإمام : « أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة » فبرز معاوية ومعه عمرو ابن العاص ، فقال ( عليه السلام ) :

« يا معاوية ويحك ! علام تقتيل الناس بيني وبينك ؟ أبرز إليَّ فأينا يقتل صاحبه فالأمر له » .

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال : « ما ترى أبا عبدالله ؟ أأبارزه ؟ » :

فقال عمرو « أعلم أنه إن نكلت مرة أخرى لم تزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي » .

قال معاوية : « يا عمرو بن العاص ، ليس مثلي يخدع عن نفسه . والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قط إلا سقى الأرض من دمه . والله إن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي » .

ثم انصرف معاوية راجعاً ومعه عمرو ، فاختبآ في آخر الصفوف .

فضحك الإمام[2] .

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يطلب فيها الإمام علي ( عليه

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٧٦ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٧٦ .

السلام ) من معاوية ، أو أي عدو آخر من أعدائه البراز لمواجهته . بل تكرّر ذلك مع معاوية بالذات عدة مرات . . وفي كل مرة كان هذا الأخير يتهرب منه ، للفارق الكبير بين شجاعة الإمام ، وبينه . .

فمثلاً حينما رأى ابن الصباح وهو من رؤساء أهل الشام فداحة الخسائر في الرجال ، وقف يخاطب أصحابه قائلاً : « والله إني يا أهل الشام لأظن أن الله قد آذن بفنائكم ، ويحكم ! خلوا بين علي ومعاوية فليقتتلا ، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه » .

فلما علم عليٌّ بذلك قال : « والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سروراً من هذه » .

أما معاوية فإنه لما سمع ابن الصباح ، اندس في آخر الصفوف ، واختبأ ، وقال لمن حوله : « إني لأظن ابن الصباح قد أصيب في عقله ! » فقالوا له : « والله إنه لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً ، ولكنك تكره مبارزة علي »[1] .

* * *

ومرةً أخرى لما رأى الإمام عليٌّ كثرة الضحايا من الجانبين ، ووجد معاوية مصمماً على القتال ، خشي فناء العسكرين فنادى : « يا معاوية . علام يذهب الناس ؟ على ملك إن نلتَه كان لك دونهم وإن نلتُه أنا كان لي دونهم ؟ أبرز إلي ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب » .

فقال عمرو بن العاص : « أنصف الرجل يا معاوية » .

فقال معاوية : « ما أراك إلا مازحا .

فقال عمرو : « والله ما أدري أشجاع أنت أم جبان ؟ » قال معاوية :

---

(١) المصدر السابق : ص٩٨ .

شجـاع إذا مـا أمكنتني فـرصـة ... فـان لم تكن لي فـرصـة فـجبـان

ورفض معاوية أن يبارز علياً . . وتوقفت الحرب عندما جاء الليل . .

ومضى الإمـام إلى معسكر القـراء ، فلما رأوه بـلا خوذة ولا دروع قـالوا مشفقين : « يا أمير المؤمنين أتقتل أهل الشام بالغداة وتخرج في العشى بـأزار ورداء ؟! » فقال : « أبالمـوت أُخَوّف !؟ والله مـا أبالي أسقط عليٌّ المـوت أم سقطت عليه ! »[1] .

وحينما حرض معاوية عمرو بن العاص على مبارزة علي ، قال له عمرو : « بارزه أنت فتكون على إحدى الحسنيين ، إما أن تقتله فتكون قد قتلت قـاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك ، وإما أن يقتلك فتكون قـد استعجلت مرافقـة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

فقال معاوية : « يا عمرو ! الثانية شر من الأولى » .

وكان معاوية واقفاً على تل يشاهد المعركة وعليٌّ يفلق الهامات ، وما من أحد يقوى عليه ، والصفوف تنهزم أمامه هو وفـرسان ربيعـة وهمدان ، وجيش الشام ينهار ، وصناديده يفرون يلتمسون النجاة من عليٍّ وأصحابه ! !

فقال معاوية وهو يتأمل كلَّ ذلك : « تبا لهؤلاء الرجال وقبحاً ! أمـا فيهم من يقتل علياً مبارزة أو غيلة ؟ » فقال له الوليد بن عقبة : « أبرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته » :

فقال معاوية : « والله لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قـريش ! إني والله لا أبرز إليه . وما جُعِلَ العسْكرُ بين يَدَيِ الرئيس إلاّ وقاية له »[2] .

وبمقدار ما كان الإمام شجاعاً ، وصامداً ، وصابراً على الشدائد ، فـانّه

---

(١) المصدر السابق : ص٦٥ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٨٨ .

كان يطلب من أصحابه الشجاعة والصمود حتى بعد موته . . فقد ذكر أحد أصحابه قائلاً :

« كنّا في بيت مع عليّ ( عليه السلام ) ونحن خواصّه ، فالتفت إلينا فلم ينكر منّا أحداً ، فقال : إنّ هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم ويسملون أعينكم» فقال رجل منّا : وأنت حيّ يا أمير المؤمنين ؟

فقال : أعاذني الله من ذلك » . . فالتفت فإذا واحد يبكي .

فقال له : «يا بن الحمقاء أتريد باللّذات في الدنيا الدرجات في الآخرة ؟ إنّما وعد الله الصابرين»[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص١٣٢ .



# قضاء حوائج الناس

« ان لله عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ، فيقرّها في ايديهم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم ، ثمّ حوّلها إلى غيرهم »[1] .

وهذا يعني ان « من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام لله بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء ، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء »[2] .

فقضاء حوائج الناس ليس مجرد عملٍ من أعمال الخير التي يجوز للناس أن يتركوه ، بل هو واجب لابد من أدائه . . ذلك أنه ضرورة لبقاء المجتمع وبناء الحضارة ، لأنّ « قوام الدين والدنيا بأربعة : عالمٍ مستعملٍ علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وجواد لا يبخل بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيّع العالم علمه ، استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بمعروفه ، باع الفقير آخرته بدنياه »[3] .

وكما يجب أن نترك الشر ، فلابد أن نفعل الخير « فإذا رأيتم خيراً فأعينوا

(١) نهج البلاغة : الحكم ٤٢٥ .

(٢) نهج البلاغة : الحكم ٣٧٢ .

(٣) المناقب : للخوارزمي : ص٢٦٦ .

عليه ، وإذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه ، فإن رسول الله كان يقول : يا بن آدم ! إعمل الخير ، ودع الشر ، فإذا أنت جواد قاصد[1] « فليس لما وعد الله من الخير ترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب »[2] .

وفي الحقيقة فان إغاثة الملهوف ، والسعي في الخيرات ، ورفع الحيف عن المظلومين وقضاء حوائج الناس هي من صفات أهل المروءة ، وطلّاب الحق ، وصنّاع المعروف ، ولها ثواب عظيم عند الله وعلى تركها يترتب عقاب شديد . . . . «فان من أحب عباد الله إليه عبداً لا يدع للخير غاية إلاّ أمّها ، ولا مظنةً إلاّ قصدها[3] و« لا خير في الدنيا إلاّ لرجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجل يسارع في الخيرات »[4] فـ« الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة[5] و« من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة »[6] و« من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان اللهثان عند جهده ، فنفس كربته ، وأعانه على نجاح حاجته كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله »[7] . و« من نفسّ عن مؤمن كربةً ، نفسّ الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد »[8] و« من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره ، قائماً

---

(١) تفسير العياشي : ج٢ ، ص٢٦٢ .
(٢) النهاية : ج٢ ، ص٥١٠ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ٨٧ .
(٤) العقد الفريد : ج٤ ، ص٧٤ .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٦ ، ص٣٦٧ .
(٦) بحار الأنوار : ج٧٤ ، ص٣٢٢ .
(٧) جامع السعادات : ج٢ ، ص٢٣٣ .
(٨) المصدر السابق .

ليله »[1] .

أمّا إذا امتنع عن ذلك « وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره ، حشره الله يوم القيامة ، مغلولة يده إلى عنقه ، حتى يفرغ الله من حساب الخلق »[2] لأنّه : « ما من مؤمن يخذل أخاه ، وهو يقدر على نصرته ، إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة »[3] و« أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها عيّره الله يوم القيامة تعييراً شديداً ، وقال له : أتاك أخوك في حاجة ـ قد جعلتُ قضاءها في يدك ـ فمنعته إياها ، زهداً منك في ثوابها ؟! وعزتي لا أنظر إليك في حاجة ، معذباً كنت أو مغفوراً »[4] .

ثم إن على الإنسان أن يقوم شخصياً بعمل الخير ، وإغاثة الملهوف ، ورفع حاجات الناس، وخاصة رئيس الدولة، فلا يجوز ان يكتفي بعمل الموظفين، والمسؤولين وحدهم لأنه كلما كان لامرىء موقع عظيم كانت مواقفه قدوة للآخرين ، فهو من جهة يكسب الثواب كفرد ، وهو كمسؤول يتحول إلى نموذج في عمل الخير . .

هكذا يجب أن يكون قائد المسلمين وأميرهم . .

وهكذا كان الإمام علي ( عليه السلام ) فقد تعود في الحرب والسلام ، أن يأخذ بيد من يسقط أمامه ، أوبالقليل يدعه فلا يجهز عليه ! . . كان شعاره : « أحسن كما تحب أن يحسن الناس إليك . ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه » .

أمّا إغاثة الملهوف ، والرفق بالضعيف ، والنجدة ، والعطف على المستعطف . . . فكل أولئك كانت خصائص فتوته ، وأخلاقه التي لابسها

---

(١) ميزان الحكمة : ج٢ ، ص٥٣٧ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٤ ، ص٢٨٧ .
(٣) بحار الأنوار : ج٧٤ ، ص٢٨٧ .
(٤) بحار الأنوار : ج٧٥ ، ص١٧٤ .

ولابسته حتى أوشكت أن تكون خليقة لا تخلقا ، وطبعاً لا تطبعا ! . .

كان يقول لمن حوله : « أعينوا الضعيف ، وانصروا المظلوم ، وتعاونوا » ويقول : « البغي والزور يزريان بالمرء » ويقول : « الفقر منقصة للدين داعية للمقت » . ويقول : « من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب »[1] .

ولقد كاد بعض هذه الفضائل أن يورده موارد الحتوف ، في مواطن كثيرة مما سيستقبله من الحوادث والرجال . . ولكنه ما نبا بهاتيك الفضائل ، ولا نبت عنه ![2] .

كان يفعل الخير ، ويوصي أصحابه بفعله ، فيقول لكميل بن زياد :

« يا كميل . . مُرْ أهلك ان يروحوا في كسب المكارم ، ويُدلجوا في حاجة من هو نائم ، فوالذي وسع سمعه الأصوات ، ما من أحد أودع قلباً سروراً ، إلاّ وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في إنحداره حتى يطردها عنه كما تُطرد غريبة الإبل »[3] .

ولقد كان (عليه السلام) حاكماً على خمسين دولة ، ومع ذلك كان يخرج إلى الطرقات يبحث عن الخير ليفعله ، وعن الملهوف ليسعفه ، وعن المظلوم لينصره ، وعن المحتاج ليسدى إليه ، وعن السائل ليعطيه . .

روي ان سعيد بن القيس الهمداني رآه في شدة الحرّ ، في فناء حائط ، فقال له :

ـ « يا أمير المؤمنين ( أتخرج ) بهذه الساعة ؟

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٢٣٠ .
(٢) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٤٨ .
(٣)ربيع الأبرار : ج١ ، ص٢٠٦ .

فقال ( عليه السلام ) : « ما خرجت الاّ لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً »[1] .

فهو يبحث عن الملهوف ، وليس ينتظر حتى يأتيه إلى داره ، مع ألف حاجب وحاجب كما يفعل حكام الجور عادةً . .

يقول المؤرخون ان أمير المؤمنين كان يأتي السوق كل يوم يصنع ما تعود أن يصنعه : يعين الحمال على حمولته ، ويرشد الضال ، ويعظ التجار . . وينصح من يجده في السوق ممن يلون أمرا من أُمور المسلمين ( أي الموظفين والمستخدمين ) ألا يقبلوا الهدايا من أهل السوق ، ولا من أحد من الرعية ، ويحتج بالحديث الشريف : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ( راتباً ) ، فأخذ أكثر من رزقه فهو غلول ( رشوة ) »[2] .

ولم يكن بين الإمام وبين الناس أستار وحجاب ، كان يمشي في السوق ، يحادث الناس ، ويسألهم ويسألونه ، وينصح التجار . . ويقول لهم : « بيعوا ولا تحلفوا ، فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ». روى نافع بن أبي مطر قال : « خرجت من مسجد الكوفة فإذا رجل ينادي من خلفي : إرفع إزارك فإنه أنقى لثوبك ، وأتقى لك ، وخذ من رأسك إن كنت مسلما » .

فمشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداء ومعه الدرة ( عصا صغيرة ) ، كأنه أعرابي بدوي فقلت :

من هذا ؟

فقال لي رجل : أراك غريباً بهذا البلد .

فقلت : «أجل أنا رجل من أهل البصرة .

---

(١) الاختصاص : ص١٥٦ .

(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٢٩٨ .

قال : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين[1] .

ثم مر مجتازاً بأصحاب التمر فقال : «يا أصحاب التمر **أطعموا المساكين** يـربـ ( يـزد ) كسبكم » ثـم مـر مجتـازاً ومعـه المسلمـون حتى انتـهى إلى أصحاب السمك فقال : «لا يباع في سوقنا سمك فاسد . . . » .

وروى أحد أصحابه : « كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة ، يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بـالتجار فيفتـح القرآن ويقـرأ : **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا﴾** . ثم يقول « نزلت هذه الآية في أهل العـدل والتواضـع من الولاة وأهـل القدرة من سـائر الناس »[2] .

وَمشىٰ في السوق ، فمر ببائع يحلف فقال له :

« لا تحلف . ويل للصانع وويل للتاجر من ( لا والله ) و( بلى والله ) ! يا معشر التجار ، ألا إن كـل يمين فاجـرة تذهب بـالبركـة . فاتقـوا ( لا والله ) ! و ( بلى والله ) . فقد كنا نتحدث أن التاجر فاجر وفجوره أنه يُحلِّي السلعة بما ليس فيها . قال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : اليمين الكاذبة مُنفقة ( مروجة ) للسلعة ، ممُحقة للربح ! واعلموا أن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطاه . وقد قال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) :

ألا إن التجار هم الفجار ، إلا من اتقى وَبرّ وصدق . وقـال : يا معشـر التجـار تحشرون مـع الفجار إلا من اتقى ربـه وصدق . كمـا أنه عليـه الصلاة والسلام قال : التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء »[3] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ٢٣٧ .
(٢) المصدر السابق : ص٢٣٨ .
(٣) المصدر السابق : ص٢٤٩ .

كان ( عليه السلام ) يوصي الحاكم بالمحكوم ، والتاجر بالعامة ، والأغنياء بالفقراء ويقول لهم ، معاتباً ، مزمجراً مهدداً :

« قدأصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً ، والشر فيه إلا إقبالاً ، والشيطان في هلاك الناس طمعاً ، فهذا زمان قويت عدته ( عدة الشيطان ) ، وعمت مكيدته ، وأمكنت ( سهلت ) فريسته .

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس ، هل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً ، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً ، أو متمرداً كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقراً ؟

أين خياركم وصلحاؤكم ؟ وأحراركم وسمحاؤكم ؟ وأين المتورعون في مكاسبهم ؟ والمتنزهون في مذاهبهم ؟ أليسوا قد ظعنوا ( رحلوا ) جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة ؟؟ وهل خلفتم إلا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لشأنهم ، وذهابا عن ذكرهم ؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون ! ظهر الفساد فلا منكر متغير ، ولا زاجر مزدجر ! أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه ، وتكونوا أعز أوليائه عنده ؟! هيهات ! لا يخدع الله عن جنته ، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته . لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، والناهين عن المنكر العاملين به .

« ألا وإن أفحش الظلم ظلم الحاكم للمحكوم ، والقوي للضعيف ، والمحتكر للعامة ! يا معشر التجار ألا إن التجار هم الفجار إلا من اتقى ربه وصدق ، وبر ، ووصل ، وأدى الأمانة ، والتاجر الصدوق مع النبيين والشهداء »[1] .

وكان ( عليه السلام ) يهتم بأصغر الحاجات ، كما يهتم بأكبرها ، ويقول لاصحابه :

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٢٩ .

« إفعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً ، فان صغيره كبير ، وقليله كثير ، ولا يقولّن أحدكم : ان أحداً أولى بفعل الخير منّي ، فيكون ـ واللّهِ ـ كذلك ، ان للخير والشر أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله »[1] .

وكما قال فعل ، فقد روي : « أن قصاباً كان يبيع اللحم من جارية وكان يحيف عليها ، فبكت وخرجت فرأت علياً فشكته إليه .

فمشى ( عليه السلام ) معها نحوه ، ودعاه إلى الانصاف في حقها ، وكان يعظه ويقول له : ينبغي أن يكون الضعيف عندك بمنزلة القوي فلا تظلم الناس »[2] .

ومرّ أيضاً على جارية قد اشترت لحماً من قصّاب ، وهي تقول : زدني .

فقال له أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : زدها فإنّه أعظم للبركة[3] .

وروي « انه ( عليه السلام ) كان يمشي في الأسواق وحده وهو ذاك يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ:

**﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين﴾**[4] .

وهكذا فانه كان يقوم بدور الموّجه والناصح ، كما كان يقوم بدور صاحب القرار . . وكان يتفقد ولاته وعماله ، كما كان يتفقد أُمور عامة الناس في السوق والطرقات ، ولم يكن يكتفي ببسط العدل في المجتمع ، بل كان يرعاه بنفسه ، ولا يكتفي بالتقارير تصل إليه بل يتعهد الخير في كل مكان وفي هذا المجال لم

---

(١) نهج البلاغة : الحكم ٤٢٢ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٢٠٣ .
(٣) فروع الكافي : ج٥ ، ص١٥٢ .
(٤) المناقب : ج١ ، ص٣١٠ سورة القصص ، آية : ٨٣ .

يكن الاّ مع الضعيف ضد القوي ، ومع الفقير ضد المترف ، ومع الناس ضد المحتكرين ، وكان يقول : « القوي العزيز عندي ذليل حتى آخذ الحق منه ، والضعيف الذليل عندي قوي حتى آخذ الحق له »[1] .

وقد روي «ان أمير المؤمنين (عليه السلام ) كان كلّ بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرّة على عاتقه ، وكان لها طرفان وكانت تسمّى « السيبة » ، فيقف على كل سوق فينادي :

« يا معشر التجّار قدّموا الاستخارة ، وتبرّكوا بالسّهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزيّنوا بالحلم ، وتناهوا عن الكذب واليمين ، وتجافوا عن الظلم ، وأنصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا **﴿وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** وكان يطوف في جميع أسواق الكوفة فيقول هذا ، ثمّ يقول :

تفنى اللّذاذة ممّن نال صفوتها    من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبّتها    لا خير في لذّة من بعدها النار[2]

وفي ذلك كان إذا رأى ظلماً يقاومه ، أو إهانة ضد أحد فيردها له ، أو يجد طالب حاجة فيرفع حاجته . . فقد حدث : أنّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي .

فقال : يا جارية ما يبكيك ؟

فقالت : بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه ، فلمّا أتيته به أبى أن يقبله !

فتوسط الإمام لها وقال للتّمار : يا عبد الله إنّها خادم وليس لها أمر ، فاردد

(١) المحاسن والمساوىء : ج١ ، ص٨٥ .
(٢) أمالي الصدوق : ص٢٩٨ .

إليها درهمها وخذ التمر .

فقام إليه الرجل فلكزه، فقال الناس له: ويلك هـذا أمير المؤمنين»! فـربا الرجل واصفرّ وأخذ التمر وردّ إليها درهمها ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إرض عنّي .

فقـال : مـا أرضـاني عنـك إن أصلحـت أمـرك . ووفيـت النـاس حقوقهم »[1] .

وكما كان يرعى حقوق الضعفاء من المسلمين ، فانه كان يـراعي حقوق أمثالهم من أهل الملل الأُخرى ، فحتى المستضعفين من النصارى واليهود كانوا يجدون من رعايته وتفقّده ماكان سائر المسلمين يجدونه منـه ، بل كـان يعاتب المسلمين إذا تعرض نصراني للإهمال، وهو أهل حاجة . .

فقد روي : « ان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) مرّ بشيخ مكفوف كبير ، وهو يسأل الناس » . فقال ( عليه السلام ) : « ما هذا »؟!

قالوا ـ : « يا أمير المؤمنين نصراني » !

فقـال ( عليـه السـلام ) : « استعملتمـوه حـتى إذا كـبـر ، وعجـز منعتموه » ؟؟!

ثم التفت إلى مسؤولي بيت المال ، وقال :

ـ « انفقوا عليه من بيت المال »[2] .

* * *

وإذا كان البعض يحجم عن عمل الخير ، لانه لا يجد التقدير عليه ، فان الإمام كان يقول له : « لا يزهدنك في المعروف من لم يشكره ، فقد يشكـرك

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٤٨ .
(٢) الوسائل : ج١١ ، ص٤٩ .

عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر ، والله يحب المحسنين »[1] .

ولربما كان بعضهم يستحي من إعطاء القليل ، فكان يقول له : « لا تستحِ من إعطاء القليل فان الحرمان أقل منه »[2] . وإذا كان يصل إلى بعض أصحابه شيء من المال ، فانه كان يقول له :

« من آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضيافة ، وليفك به الأسير والعاني ، وليعط منه الفقير والغارم ، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب ، فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ، ودرك فضائل الآخرة ان شاء الله »[3] .

ولربما كان يتعرض للإهانة، وهو يسدي المعروف ، إلاّ أنه كان ما يطلبه من ثواب الله تعالى أكثر مما يتوقعه من الناس من شكر . وقد روي في المناقب عن الإمام محمد بن علي الباقر ( عليه السلام ) قال :

ان علياً ( عليه السلام ) رجع إلى داره في وقت القيظ فإذا امرأة قائمة تقول : «إنَّ زوجي ظلمني ، وأخافني ، وتعدى علي وحلف ليضربني » !

فقال : يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ، ثم أذهب معك إن شاء الله ؟

فقالت إذن يشتد غضبه علي !

فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول :

---

(١) ديوان المعاني : للعسكري ج١ ، ص١٥٤ .
(٢) نهاية الارب : ج٣ ، ص٢٠٤ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ١٤٢ .

ـ « لا والله ، او يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع ! ثم التفت اليها وقال :

ـ « أين منزلك » ؟

فدّلته إليه .

فمضى ( عليه السلام ) إلى بابه فوقف فقال : « السلام عليكم » فخرج شاب .

فقال علي ( عليه السلام ) : « يا عبدالله ، اتق الله في أهلك ، فانك قد اخفتها وأخرجتها .

فقال الفتى ـ وهو لا يعرف أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ـ : وما أنت وذاك، والله لأحرقنها لكلامك !

فسلّ الإمام سيفه وقال له :

ـ « امرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر. تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف ؟

فاقبل الناس من الطرق وهم يقولون : السلام عليكم يا أمير المؤمنين :

فسقط الرجل في يديه فقال :

ـ « يا أمير المؤمنين أقلني في عثرتي ، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني .

فأغمد علي ( عليه السلام ) سيفه وقال : يا أمة الله أدخلي منزلك ، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه »[1] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج١ ، ص٣١١ :

# الايثــار

ينبغي للمؤمن ان يتصف بثلاث فضائل :

**الأول** : العدل . ويعني التعامل بالمثل ، فتعطي من يعطيك ، وتحسن إلى من يحسن إليك ، وتصل من يصلك .

**الثاني** : الإحسان. ويعني إعطاء الأفضل للطرف الآخر ، فتعطي من يعطيك بأكثر مما أعطى ، وتحسن إليه بأفضل من إحسانه ، وتجازيه بأكثر مما يستحق .

**الثالث** : الايثار . ويعني تقديم الآخرين على الذات . فتعطي لهم ما أنت أحوج إليه منهم ، وتقدّم حاجتهم على حاجتك ، ونفوسهم على نفسك .

أمّا العدل ، فهو للتعامل مع العدّو .

وامّا الإحسان ، فهو للتعامل مع الناس .

وامّا الإيثار، فهو للتعامل مع المؤمنين .

يقول الإمام علي ( عليه السلام ) : « عامل سائر الناس بالإنصاف ، وعامل المؤمنين بالإيثار »[1] .

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .

وهكذا فان « الإيثار أحسن الإحسان وأعلى مراتب الايمان »[1] كما هو « أعلى مراتب الكرم وأفضل الشيم »[2] .

وفي الحقيقة فإنه من دون «الإيثار» والمخاطرة بالعطاء بلا حساب لن يستطيع أحد أن يملك قلوب الرجال إذ أن « بالإيثار تسترق الأحرار »[3] وبه « تملك الرقاب »[4] ، وليس هنالك من يقبل الوقوف إلى جانب رجل أناني ، ليس مستعداً أن يؤثر رجاله على نفسه . أمّا القائد الذي يعطي بلا حدود ، ويؤثر الآخرين على نفسه ، فهو يجمع حوله أصحاب الشيم والفضيلة .

وهكذا كان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لقد « اشترى ثوباً فاعجبه فتصدق به وقال :

ـ « سمعت رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) يقول : «من آثر على نفسه ، آثره الله يوم القيامة الجنة »[5] .

ولقد كانت حياته كلها إيثاراً ، ففي ليلة « الهجرة » آثر رسول الله على نفسه ونام في فراشه ، وحوله أربعون سيفاً متعطشاً لإراقة دمه .. وقد جاء في الحديث : « بات علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) على فراش رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل : إني آخيت بينكما ، وجعلت عمر الواحد منكما أطول من عمر الآخر ، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟

« فاختار كلاهما الحياة ..

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) تفسير نور الثقلين : ج٥ ، ص٢٨٥ .

« فأوحى الله ـ تعالى ـ إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين محمد ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فبات على فراشه ، يفديه بنفسه ، فيؤثره بالحياة ؟

« فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رؤوف بالعباد﴾ »[1] .

* * *

وروى المفسّرون « أنّه لم يكن يملك إلاّ أربعة دراهم ، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية ، فأنزل فيه ﴿الّذين ينفقون أموالهم باللّيل والنهار سرّاً وعلانية﴾[2] .

كان ( عليه السلام ) شديد المروءة ، وكان يقول : « من آثر على نفسه بالغ في المروءة »[3] ويقول : « من آثر على نفسه استحق اسم الفضيلة »[4] يقول : « لا تكتمل المكارم الاّ بالعفاف والإيثار »[5] .

وكان ـ كما جاء في التاريخ ـ « أشبه النّاس طعمة برسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) يأكل الخبز والخلّ والزيت ويطعم النّاس الخبز واللّحم »[6] .

وروي عنه إنه كان يستقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت يده ، ويتصدّق بالأجرة ويشدّ على بطنه حجراً »[7] .

---

(١) تنبيه الخواطر : ص١٤٢ .
(٢) شرح نهج البلاغة : إبن أبي الحديد : ج١ ، ص١٤٤ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) التفسير المعين ، ص٣١٦ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) المحاسن : ص٢٨٣ .
(٧) شرح نهج البلاغة : ج١ ، ص٢١٥ .

كل ذلك ليس من أجل شيء إلاّ لكسب رضا الله تعالى حيث كان يرى « الإيثار أفضل عبادة وأجّل سيادة »[1] ، ومن هنا عوّد أهله على ذلك فقد روي عن أبي هريرة قال :

جاء رجل إلى النبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فشكا إليه الجوع ، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن : ما عندنا إلاّ الماء .

فقال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « من لهذا الرجل اللّيلة ؟

فقال عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) : أنا له يا رسول الله .

وأتى فاطمة ( عليها السلام ) فقال لها : ما عندك يا بنت رسول الله ؟

فقالت : ما عندنا إلاّ قوت الصبية نؤثر ضيفنا .

فقال عليٌّ ( عليه السلام ) : يا ابنة محمّد نوّمي الصبية واطفئي المصباح ففعلت ذلك واعطوا طعامهم للرجل . .

فلمّا أصبح عليّ ( عليه السلام ) غدا على رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فأخبره الخبر ، فلم يبرح حتّى أنزل الله عزّ وجلّ **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأُولئك هم المفلحون﴾** »[2].

* * *

وذات مرة حدث أن مرض الحسن والحسين وهما صبيان فعاودهما جدهما ومعه بعض صحابته . ونبه فاطمة وهو على باب دارهما أن معه غرباء ، ورمى إليها بردته وهي خلف الباب لتغطي بها من جسمها ما لا ينبغي أن يراه الغريب !

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٢) الأمالي : للطوسي ، ص١١٦ .

وقال أحد الصحابة لعلي : « يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً » . فقال علي : « إن برئا مما بهما صمت لله عزّ وجلّ ثلاثة أيام شكـراً » . وقالت فاطمة كذلك . وقال الغلامان كذلك . فلما برئا أصبح الجميع صياماً ومـا في الدار شيء من طعام يفطرون عليه .

فغدا علي بن أبي طالب على جار يهودي له يدعى شمعون ، كان يعالج الصوف ، فقال له : « هل لـك أن تعطيني جـزة من الصوف تغـزلها لـك بنت محمد بثلاثة أصوع من شعير ؟ » .

قال : « نعم » . فأعطاه فجاء بالصوف والشعير ، فأخبر فاطمة ، فقبلت وأطاعت . ثم غزلت ثلث الصوف ، وأخذت صاعاً من شعير فطحنتـه وعجنته وخبزته . . ؟ وصلى عليٌّ المغرب بالمسجد مع رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) ، ثم أتى منزله ليفطر ، فوُضِعَ الخوان فجلسوا فأول لقمة كسرها علي ، إذا مسكين واقف على البـاب فقالَ : « يـا أهل بيت محمـد . أنـا مسكين من مساكين المسلمين . أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة » .

فدفع علي الطعام إلى المسكين . وباتوا جياعاً ، وأصبحوا صياما ! .

وفي اليوم التالي طحنت فاطمة الصاع الثاني ، وخبزته ، ووضعت الطعام ليفـطروا ، إذ وقف بالبـاب يتيم من أولاد المهاجـرين استشهد أبـوه ، فأعـطوه الطعام ! . وفي اليوم الثالث طحنت آخر صاع وخبزته ، وعند المغرب وضعت الـطعام ، إذ وقف بـالباب أسيـر يقـول : « السـلام عليكم أهـل بيت النبـوة ، تأسروننا ولا تطعموننا . أطعموني فأنا أسير » . فأعطوه الطعام . . !

وأقبل علي ومعه الحسن والحسين يـرتعشان كـالفرخين من شـدة الجوع على رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فقال : « يا أبا الحسن ! لشـد ما يسوءني ما أدرككم . انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة » . فانـطلقوا إليهـا وهي في محرابها ، وهي قد غارت عيناها من شدة الجوع ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« واغوثاه ! » . . ثم ضمها إليه .

فأنزل الله تعالى آيات من سورة الإنسان . . ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿**وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا**﴾ . وفيها يتحدث سبحانه عن الأبرار : ﴿**يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**﴾[1] .

---

(١) علي إمام المتقين : ١٩٠ ، ٣٦ - ٣٧ .

# الحلم

بدون أن يكون الإنسان حليم      يكون عظيماً .

ذلك أن « الحلم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمّة »[1] ، فصاحب القلب الكبير يتحمل الشيء الكثير ، بينما أصحاب القلوب الصغيرة يغضبون ويثورون لأتفه الأشياء . .

وهكذا فان « الحلم رأس الرئاسة »[2] شأنه في ذلك ، شان سعة الصدر ، فان « من حلم ساد »[3] والغضوب أبعد شيء عن السيادة إذ ان « أول عوض الحليم من خصلته أن الناس أعوانه على الجاهل »[4] « فبالحلم تكثر الأنصار »[5] و« من حلم من عدوه ظفر به »[6] .

وعلى كل حال فأن « الحلم قدام السفينة »[7] و« نور جوهرة العقل »[8]

---

(١) البديع : لابن المعتز ، ص٢١ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص٢٠٨ .
(٤) بحار الأنوار : ج٧١ ، ص٤٢٥ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) بحار الأنوار : ج٧١ ، ص٤٢٨ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٨) المصدر السابق .

و« حجاب من الآفات »[1] و« حليـة العلم وعلة السلم »[2] و« نظام أمر المؤمن »[3] .

وقد يتساءل البعض : ما هو الحلم ؟ وكيف يكون الإنسان حليماً ؟

والجواب :

« انما الحلم كظم الغيظ وملك النفس »[4] .

فليس الحلم أن لا تثور في داخلك ، بل هو أن تملك غضبك ولا تنساق معه ، وتتحمل الأذى ، ولا ترد على كل ما يقال عنك ، وبكلمة فان « الحليم من احتمل إخوانه »[5] .

امّا كيف نحصل على فضيلة الحلم ، فبالتصميم على ذلك ، وبذل المحاولة والتدريب « فان لم تكن حليماً فتحلّم فإنّه قل من تشبّه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم »[6] « فمن تحلم حلم »[7] و« من لم يتحلم لم يحلم »[8] وهكذا فانه ليس ضرورياً أن تكون حليماً في داخلك ، بل يكفي أن تظهر الحلم مع قطع النظر عن حالتك النفسية ولذلك فإنه « قد يتزيا بالحلم غير الحليم »[9] .

* * *

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٥) المصدر السابق .

(٦) بحار الأنوار : ج٧١ ، ص٤٢٧ .

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٨) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص٢٨٣ .

(٩) غرر الحكم ودرر الكلّم .

ثم إن الحلم ، وضبط النفس لهما القيمة حين القدرة على الرّد والإنتقام لا عند العجز عن ذلك . فـ «من أحسن أفعال القادر ان يغضب فيتحلّم»[1] «فليس الحليم من عجز فهجم وإذا قدر فانتقم . إنما الحليم من إذا قدر عفا وكان الحلم غالباً على امره »[2] .

وهكذا كان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وقد جاء في كتب التاريخ : « ان علياً ( عليه السلام ) كان إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس ، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس ، فيعلّمهم الفقه والقرآن ، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك ، فقام يوماً فمرّ برجل ، فرماه بكلمة هجا فيها الإمام : فرجع عوده على بدئه ، وأمر فنودي : الصلاة جامعة .

ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيّها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه ، ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه .

ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ .

ألا وإنّه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلاّ عزّاً .

ألا وإنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته » .

ثمّ قال : أين المتكلّم آنفاً ؟ فلم يستطع الإنكار ، فقال : هأنذا يا امير المؤمنين .

فقال : أما إنّي لو أشاء لقلت .

---

(1) المصدر السابق .

(2) المصدر السابق .

فقال الرّجل ان تعفو وتصفح فأنت أهل لذلك ؟

فقال : عفوت وصفحت[1] .

***

ولقد تعلم الإمام من رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) الكثير في هذا المجال ، فقد أوصاه النبي حين زوجه ابنته فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) قائلاً :

« يا علي ! لا تغضب ، وإذا غضبت فاقعد وتذكر قدرة الله تعالى على العباد ، وحلمه عنهم . وإذا قيل لك : اتق الله ، فاترك غضبك عنك وارجع لحلمك »[2] . وعلّمه : « من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأه الله إيماناً وامناً »[3] . وعلّمه : « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من علمه : تقوى تحجزه عن معاصي الله ، وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش به في الناس »[4] وعلى هذه التعاليم التي تلقاها منذ نعومة أظفاره ، عاش الإمام علي ( عليه السلام ) وتربّى .

ولكم عفا وكظم غيظه ؟

ولكم حلم وضبط غضبه ؟

ولكم واجه السفهاء بوقاره وحلمه ؟

وقد روي في ذلك ذات مرة عربد عليه أحد حساده، فنصحه بعض أن يشكوه إلى رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) فرفض ذلك وقال: « إني

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص١٣٣ .

(٢) علي إمام المتقين : ج١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) جامع السعادات : ج١ ، ص٣٣٢ .

لأستحي من الله أن يكـون هنـاك ذنب أعـظم من عفـوي ، أو جهـل أعـظم من حلمي ، أو عـورة لا يـداريهـا ستـري ، أو خلة ( الحـاجـة والفقـر ) لا يسـدهـا جودي »[1] .

وفي حادثة أخـرى : روي : ان إمرأة جميلة في الكـوفة مـرت قرب الإمـام أميـر المؤمنين ( عليه السـلام ) وهو جـالس مع جمـاعـة ، فـرمقهـا بعض القـوم بأبصارهم ، فنهاهم أمير المؤمنين ( عليه السلام ) عن ذلك قائلاً :

« ان عيون هذه الرجال لواقح ، وان ذلك سبب هلاكها ، فإذا نظر أحدكم إلى إمرأة تعجبه فليلتمس أهله ، فإنما هي امرأة كامرأة .

فقال رجل من الخوارج : «قاتله الله من كـافر مـا أفقهه» فـوثب القوم إليـه يريدون تأديبه ، فقال ( عليه السلام ) ناهياً لهم :

رويداً إنما هو سب بسب ، أو عفو عن ذنب .

ثم عفا عنه وتركه وشأنه[2] .

* * *

حقاً إنّ أمير المؤمنين نموذج عظيم يجب الإقتداء به من قبل كل الحكام والرؤساء إذا أرادوا كسب رضا الله تعالى . فعدا عن عفوه العظيم ، كانت له قدرة كبيرة على ضبط النفس ، والحلم عن جهل الجاهلين . . رغم قدرته على ان ينتقم ويجازي .

فبعد معركة الجمل وانتصاره على طلحة والزبير وعائشة أمـر الإمام بأن توضع عائشة بإحترام في بيت « عبدالله بن خلف الخزاعي » وكان قصراً كبيراً ، له حديقـة وفناء واسع ، وقام بـزيارتهـا أكثر من مـرّة ، في الأولى منها استقبلتـه

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٤٠ .

(٢) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٤٠ .

« صفية بنت الحارث » بشكلٍ غير مؤدب فقالت له :

ـ « يا علي . . يا قـاتل الأحبّـة . ايتم الله منك بنيـك ، كما ايتمت بني عبدالله » . . وكانوا قد قتلوا في المعركة مع عائشة .

فلم يجبها الإمام بشيء ، سوى دعائه لها بالصبر .

وحينما خرج من عند عائشة أعادت صفية كلامها البذيء السابق . فقال لها الإمام :

ـ « لو كنتُ قاتل الأحبّة لقتلت من في هذه الدار ! » . وكان فيه كثير من الجرحى من انصار عائشة وغيرهم من قادة جيشها .

وحـاول بعض من كان مـع الإمام أن يبـطش بها فـزجرهم الإمـام زجـراً عنيفاً[1] .

حقاً إنّ « الحلم يطفىء نار الغضب، والحدّة تؤجج أحراقـه[2] . و« كفى بالحلم ناصراً »[3] .

ولهذا فإنه « ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك[4] .

ولقد سئل الإمام ( عليه السلام ) : من أقوى الخلق ؟ فقال الحليم[5] .

---

(١) حياة الإمام الحسين ( عليه السلام ) : ص٤٩ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) الكافي : ج٢ ، ص١١٢ .
(٤) جامع السعادات : ج١ ، ص٣٣٣ .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص٣٧٨ .

# العمل اليدوي

العمل اليدوي ليس عيباً بل هو مقدس .

فالإنتاج الشخصي ، وممارسة مهنة من المهن شيمة من شيم عظماء التاريخ ، فما من نبي إلّا وكان يسترزق من كد يمينه وعرق جبينه ، فمنهم من كان زارعاً ، ومنهم من كان حداداً ، ومنهم من كان يصنع الجلود ، ومنهم من كان تاجراً ، وكثير منهم كانوا رعاة أغنام . .

نبينا ( صلى الله عليه وآله وسلّم ) كان يعمل راعياً للاغنام ، واميناً على أموال خديجة ويعمل بيديه في أكثر الأحيان . وكان يقول : « من أكل من كدّ يده نظر الله إليه بالرحمة ، ثم لا يعذبه أبداً »[1] ويوصي أصحابه بالإعتماد على أيديهم ويقول : « من أكل من كدّ يده كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ، ويأخذ ثواب الأنبياء[2] .

و« كان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) يضرب بالمر ( المسحاة ) ، ويستخرج الأرضين ، وانه اعتق ألف مملوك من كدّ يده »[3] .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٣ ، ص٩ .
(٢) المصدر السابق : ص١٠ .
(٣) ميزان الحكمة : ج٤ ، ص١٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما « كان يخرج ومعه أحمال النّوى ، فيقال له : - « يا أبا الحسن ، ما هذا معك ؟ فيقول : «نخل إن شاء الله» فيغرسه ، فما يغادر منه واحدة »[1] .

وكان يقول : « من لم يصبر على كدّه ، صبر على الإفلاس »[2] . ويقول : « ان الأشياء لمّا ازدوجت ، ازدوج الكسل والعجز فنتج منهما الفقر[3] .

وروي « ان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لما كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم ، فإذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له ، يعمل فيه بيديه ، وهو مع ذلك ذكر الله تعالى »[4] .

وبالإضافة إلى أن العمل اليدوي عند الإمام كان ضرورياً للصحة والسلامة الجسمية ، فانّ الإمام ( عليه السلام ) كان يعمل بيديه حتى لا يأكل من بيت المال ، فهو يريد أن يعطي لا أن يأخذ ، حتى بمقدار حقه كفرد مسلم من عامة النّاس ، ولذلك فانه ( عليه السلام ) كثيراً ما كان ينفق سهمه في سبيل الله . . ثم يعمل أجيراً لدى بعض أصحاب الأراضي حتى يسترزق . .

كما أنه ( عليه السلام ) ، كان يرفض أن يعيش عالة على أحد ، ويقول : « استغنِ عمّن شئت تكن نظيره »[5] ويقول : « وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك »[6] .

فمهما كان فان في مقدور أي إنسان أن يكون منتجاً بمقدار حاجته ،

---

(١) فروع الكافي : ج٥ ، ص٧٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) الحياة : ج٤ ، ص٣١٩ .
(٤) المستدرك : ج٢ ، ص٤١٧ .
(٥) نهج البلاغة : الحكم .
(٦) شرح نهج البلاغة : ج١٦ ، ص٩٣ .

وعاملاً في الحياة قدر استطاعته ومعمراً للأرض على قدر همته « فإن الله تعالى في قوله : ﴿هو الذي أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ أعلمنا أنه قد أمرهم بـالعمارة ، ليكـون ذلك سبباً لمعـايشهم ، بمـا يخـرج من الأرض من الحبّ والثمرات وما شاكل ذلك مما جعله الله معايش للخلق[1] .

ولهذا فقد جاءت الروايات تترى في ضـرورة العمل اليـدوي ، والانتاج الشخصي مثل الحديث الذي يقول : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده »[2] و« أزكى الأعمال كسب المرء بيده »[3] و « ما أكل عبد طعاماً أحب إلى الله تعالى من كدّ يده ، ومن بات كالاًّ من عمله بات مغفـوراً له »[4] و« أطيب الكسب عمل الرجل بيده »[5] و« مرّ داوود بإسكـافي فقال : يـا هذا اعمل وكل ، فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل »[6] . و«من أكـل من كدّ يـده حلالاً فتـح الله لـه أبـواب الجنـة ، يـدخـل من أيّهـا شـاء»[7] و« من أكل من كدّ يده نظر الله إليه بالرحمة ثم لا يعذبه أبداً[8]» « ومن أكل من كدّ يده يكون يوم القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثـواب الأنبياء[9] ولقـد تعلم الإمام علي ( عليه السلام ) من أستاذه العظيم رسول الله ( صلّى الله عليـه وآله وسلّم ) ، فيما تعلم من معاني القرآن أن الله لا يكتفي من العبد المطيع التقي بالإيمان وحده ، بل الله يقرن الإيمان بالعمل . . فكلما ذكر الله تعالى الإيمان

---

(١) الوسائل : ج١٣ ، ص١٩٥ .
(٢) كنز العمال : ٩٢٢٣ .
(٣) المصدر السابق : ٩٢٢٠ .
(٤) التفسير المعين : ص٥٨٢ .
(٥) كنز العمال : ٩١٩٦ .
(٦) تنبيه الخواطر : ص٣٥ .
(٧) الصياغة الجديدة : ص١٦٩ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) المصدر السابق .

في آية عطف عليه العمل الصالح : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ .

أما الإيمان فمعروف ، وفيه أداء العبادات المفروضة ، وأما العمل الصالح فهو ما ينهض بأدائه وإتقانه كل إنسان في أية جماعة إنسانية من أعمال مشروعة تكفل له معاشه ، وتحقق المصلحة للأمة جميعاً . .

لقد تعلم عَلِيٌّ من رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) أن من يسعى في طلب الرزق كمن ينقطع للعبادة ، وأن طلب العلم فريضة ، وأن العمل شرف وإتقانه واجب شرعي ، وأن الجهاد في سبيل الله والعمل لعمارة الأرض وإسعاد الناس ، والجهد في تحقيق مصالح الأمة ، هي أفضل ما يتقرب به العبد الصالح إلى الله ، وهي الأعمال التي يحبها الله .

ولذلك فقد روي « أن أمير المؤمنين كان يكدح بكدّ يده ، ثم إذا جمع مالاً اشترى عبداً فأعتقه في سبيل الله »[1] .

وروي : « أن علياً ( عليه السلام ) كان يعمل بيده ، ويجاهد في سبيل الله ، وأقام على الجهاد أيّام حياة رسول الله ، ومنذ قام بأمر الناس إلى أن قبضه الله ، وكان يعمل في ضياعه ما بين ذلك . فأعتق ألف مملوك ، كل ذلك من كسب يده »[2] .

وهكذا فإنه كان يعتبر العمل اليدوي تأسياً بالأنبياء ويقول : « . . ولقد كان في رسول الله كاف لك في الأسوة . . . وان شئت ثلّثتَ بداوود (عليه السلام) صاحب المزامير ، وقارىء أهل الجنّة ، فلقد كان يعمل سفائف الحوض بيده ، ويقول لجلسائه : أيكم يكفيني بيعها ؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها »[3] .

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص٤٤٢ .

(٢) دعائم الإسلام .

(٣) نهج البلاغة : الخطب ١٦٠ .

# التوازن بين الدنيا والآخرة

هل « الدنيا والآخرة عدوان متفاوتـان ، وسبيلان مختلفـان ، فمن أحب الدنيا تولّاها وأبغض الآخرة وعاداها ، وهما بمنـزلة المشـرق والمغرب ،، وماشٍ بينهما ، كلّما قرب من واحد بعد من الآخر ، وهما بعد ضرتان »[1] ؟

وهل « أن في طلب الدنيـا إضراراً بـالآخرة ، وفي طلب الآخـرة إضراراً بالدّنيا[2] !

وهل « طلب الجمع بينهما من خداع النفس »[3] ؟

وهل هما « ككفتي الميزان فأيهما رجح ذهب بالآخر »[4] ؟

وهل كلما فات من الدنيا غنيمة[5] ؟

وهل « مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة »[6] ، وان

---

(١) حلية الأولياء : ج١ ، ص٨٣ .
(٢) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٦١ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٩٢ .
(٥) ميزان الحكمة : ج٣ ، ص٣٢٦ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .

« ما زاد في الدنيا نقص في الآخرة ، وما نقص في الدنيا زاد في الآخرة[1] ؟

أم إن الدنيا والآخرة وجهان لعملة واحدة وان« الدنيا مزرعة الآخرة »[2] و « بالدنيا تحرز الآخرة »[3] وإنه « لنعم العون الدنيا على الآخرة » [4] ؟

في الحقيقة إن الدّنيا ليست بالنسبة إلى الجميع واحدة ، فهي ليست امّا خيراً أو شراً ، بل إن « الدنيا دنياوان : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة » [5] .

فمن جعل همّه الدنيا ، فأراد الدنيا لذاتها ، واعتبرها هدفاً له ولا شيء وراء ذلك كانت بالنسبة إليه ملعونة ، لأن في ذلك هلاكه ، فهي إذن شرّ ، لانه خسر نفسه فيها ولم يربح شيئاً .

أمّا من جعلها مزرعة لآخرته ، وداراً بها يبلغ مبتغاه في العقبى ، فهي نعم الدار . « لمن لم يرض بها داراً ، ومحلّ من لم يوطنها محلاً »[6] فالدنيا « دار الظالمين إلاّ العامل فيها بالخير فإنها له نعمت الدار[7] فالله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها ، وابتلى فيها أهلها ، ليعلم أيهم أحسن عملاً ، ولسنا للدنيا خلقنا ، ولا بالسعي فيها أمرنا » [8] .

إن « الدنيا قنطرة »[9] ونحن فيها « كعابرى سبيل »[10] و﴿متاع الدنيا

---

(١) المصدر السابق .
(٢) ميزان الحكمة : ج٣ ، ص٢٨٥ .
(٣) الاحتجاج : ج١ ، ص٣٢٦ .
(٤) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص١٢٧ .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٢ ، ص٦٨ .
(٦) شرح نهج البلاغة : ج١١ ، ص٢٣٩ .
(٧) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص٣٦ .
(٨) الطراز لليماني : ج٢ ، ص٣٩٣ .
(٩) بحار الأنوار : ج١٤ ، ص٣١٩ .
(١٠) بحار الأنوار : ج٧٣ ، ص٩٩ .

قليل﴾[1] و« إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفربنابهم منزل جـديب فأمّوا منزلاً خصيباً ، وجناباً مريعاً فاحتملوا وعثاء الطريق ، وفراق الصّديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم »[2] .

وما مثل أحدنا « ومثل الدنيا الاّ كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها »[3] .

« فالدنيا أمد والآخرة أبد »[4] .

وهكذا فانه ليست الدّنيا الا لكي « يتزود العبد من دنياه لآخرته ومن حياته لموته ، ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة »[5] .

وبهذه النظرة الصائبة إلى الدنيا ، فانها تكون للناس على نوعين :

**الأول** : من يغتر بها ، ويعبدها ويفنى فيها .

**الثاني** : من يعبر منها ، ويتزود فيها ، ويكسب بها الآخرة .

ولا شـك اننا لا يمكن ان نستغني عن الحـد الأدنى من الـدّنيـا اذ كيف تعيش ، وتعمل ، وتطيع الله ، وتنفع العباد إذا تركناها جملة وتفصيـلاً . وهل يمكن تصور ترك الدنيا كاملة الاّ في صورة الانتحار ، أو الإضراب عن الطعام والشراب حتى الموت ؟

إن الحـد الأدنى من الدنيـا ضرورة ، ولـذلك لا يجـري الحديث حـول مشروعيتها وعـدمه ، لأن الأمـر ليس متروكـاً لنا ، مثلمـا الحفاظ على الحيـاة

---

(١) سورة النساء ، آية : ٧٧

(٢) العقد الفريد : ج٣ ، ص١٥٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٦ ، ص٢٣٨ .

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٥) تنبيه الخاطر : ص٣٦ .

ضرورة . أمّا الحد الأعلى منها فهو غير ضروري ، بل أنه وبال على الإنسان ، لأن ما يزيد عن الحاجة غنمه لغيرك وغرمه عليك .

إذن فما هو ضروري لك من الدنيا فهو واجب .

وما هو غير ضروري لك فهو زائد . .

نعم قد يتطرف البعض في الزهد ، أو يفهمه خطأً ، أو يظن أن المؤمنين مكلفون بترك الدنيا لأهل الكفر والفسق والفجور ، أو ان الزهد في الدنيا يعني الزهد في العمل والنشاط ، وإشاعة الخير . كما قد يتطرف البعض في البحث عن الدنيا إلى درجة الطمع والجشع والترف والتكاثر . .

فالحد الوسط هو أن نسعى لدنيانا من أجل آخرتنا ، فنجعل ما فيها لما بعدها . لا العكس . وأن نعمل لأجل الآخرين حتى تكون لهم حياة حرة كريمة . فيكون زهدنا في الدنيا زهد المقتدر لا زهد العاجز ، وزهد الذي يريد الآخرة ، ويبتغي بما أتاه الله الدار الآخرة ولكنه لا ينسى نصيبه من الدنيا . .

اننا مطالبون بالكد في الدنيا ، والعمل لعمارتها ، كما نحن مطالبون بالالتزام بالقيم والمثل وأحكام الشرع . فالمطلوب ليس هو الزهد في الدنيا بل الزهد عنها . فليس الزهد عن تعمير الأرض للآخرين وتطويرها لعباد الله ، وبنائها للنفع العام، الاّ زهداً في النشاط، وتركاً للعمل والطاعة وهو زهد مرفوض . كما أنّ الإنشغال بكل ما سبق عن العبادة، وهداية الناس، والعمل الصالح هو الولع الباطل بالدنيا ، وهو رأس كل خطيئة . .

إن الدنيا وسيلة . . فكيف نستخدمها بجعلها خيراً ، أو شراً ، صالحاً أو ضاراً ، طاعة ، أو معصية .

إن « الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون »[1] ربحها من نظر إليها

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٣٦٦ .

« نظر الزاهد المفارق »[1] وخسرها من نظر إليها « نـظر العاشق الـوامق »[2] . ربحها من يعطي منها ، وخسرها من يعطي لها . ربحها من اشترى ﴿نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[3] . وخسرها من ﴿آثر الحياة الدنيا﴾[4]

ان « النـاس أبناء الـدنيا ولا يـلام الرجـل على حب أمه »[5] لان الـولد مـطبوع على ذلـك[6] ، وإنما يـلامـون إذا نسـوا الآخـرة ، ولم يعملوا لهـا ، فاستعبدوا في الدنيا ، وفارقوها بلا أعمال صالحة ، ولا مواقف نافعة . .

يقول رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « لا تسبوا الدنيـا فنعمة مطيّة المؤمن فعليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر . انه إذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله اعصانا للرّب »[7] .

اذن فـ « ليس من حب الدنيا طلب مـا يصلحك »[8] وقـد روي ان رجلاً قال للإمام : « إنا لنحب الدنيا . فقال له الإمام : « وماذا تصنع بها ؟ » قـال : أتزوج منها ، وأحج ، وأنفق على عيالي وأنيل أخواني ، وأتصدّق . فقال ( عليه السلام ) : « هذا ليس من ( حب ) الدنيا ، هذا من ( حب ) الآخرة »[9] .

من هنا فليس الفقر خيـراً . ولا البؤس فخراً ، ولا الحـاجة صـلاحاً ولا الجوع فلاحاً . « لأن الفقر ( هو ) الموت الأكبر »[10] وقد « كاد الفقر ان يكون

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) المصدر السابق .
(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٠٧ .
(٤) سورة النازعات ، آية : ٣٨ .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص١٤ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٧) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص١٧٨ .
(٨) المصدر السابق : ج٧٣ ، ص١٢٨ .
(٩) ربيع الأبرار : ج١ ، ص٣٦٢ .
(١٠) بحار الأنوار : ج٧٢ ، ص٤٧ .

كفراً »[1] وذلك لان « الفقر يخرس الفطن عن حاجته »[2] و« الفقر في الوطن غربة[3] بينما الغنى في الغربة وطن »[4] .

. ان الحفاظ على التوازن بين طلب الحد الأدنى من الدنيا ، والعمل لأجل الحد الأعلى من الآخرة ، هو أعلى أنواع الصلاح ، ثم تتدرّج مراتبه حسب اختلال هذا التوازن . فقد يطلب أحدنا الحد الأعلى من الدنيا والحد الأدنى من الآخرة ، فيعيش في قضايا دينه على الحافة ، ولكنه في قضايا دنياه يطلب النصيب الأعلى ، فهو ليس من أهل الباطل ولكنه ليس من السابقين السابقين أولئك المقربون .

وعلى كل حال فقد روي : «انأعظم الناس هماً المؤمن : « يهتمّ بأمر دنياه وأمر آخرته »[5] وروي أيضاً : « اجعلوا لانفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال ، وما لا يثلم المروءة ، وما لا سرف فيه ، واستعينوا بذلك على أُمور الدّين ، فانه روي « ليس منا من ترك دنياه لدينه ، أو ترك دينه لدنياه »[6] .

ان من سوء الفهم لدى البعض الاسراف في الانكباب على الدنيا متعللاً بقوله تعالى ﴿قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق﴾[7] . . أو الاعراض عن العمل والعزوف عن الحياة متمسحاً بقوله تعالى

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٢ ، ص٤٧ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ج١٨ ، ص٨٧ .
(٣) نهج البلاغة : الحكم ٥٦ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٣٣ .
(٥) كنز العمال : خ٧٠٢ .
(٦) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص٣٢١ .
(٧) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

﴿وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور﴾[1] .

يقول الإمام علي ( عليه السلام ) : « الاّ وانّ من البلاء الفاقة ، وأشد من الفاقة مرض البدن ، واشد من مرض البدن ، مرض القلب . وأفضل من سعة المال صحة البدن ، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب »[2] .

لقد كان الإمام ( عليه السلام ) مع الفقراء .. ولكنه ( عليه السلام ) لم يكن يريد لهم الفقر ، بل الغنى ، ولم يكن يريد لهم المرض بل الصحة ، فهو لم يكن يدفع الفقراء جانباً ويطردهم كما يفعل المترفون ، بل كان يعيش معهم حتى يرفعوا الفقر عن أنفسهم ، ويزيلوا البؤس عنها . « فالخير : الصحة والغنى .. والشر : المرض والفقر »[3] و« الحرمان خذلان »[4] و« القلّة ذلّة »[5] ولقد قال الإمام لولده محمد بن الحنفية : « يا بني .. اني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه ، فانّ الفقر منقصة للدين ، مدهشة للعقل ، داعية للمقت »[6] .

* * *

ان الإمام علي ( عليه السلام ) يذّم أهل الدنيا ، ممن غرّتهم بهارجها فنسوا الآخرة ، فظن بعض أصحابه أنه يدعوهم إلى الخروج عمّا أحلّ الله تعالى من متاع الحياة فترك أحدهم ـ وهو « عاصم بن زياد» ـ أهله وبنيه ، ولبس مرقعة ، واعتكف للعبادة ، فجاء أخوه « الربيع بن زياد » إلى أمير المؤمنين وشكاه ، وقال : انه قد غم أهله ، وأحزن ولده بذلك ، فدعاه الإمام

(١) سورة ال عمران ، آية : ١٨٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) بحار الأنوار : ج٨١ ، ص٢٠٩ .
(٤) غرر الحكم .
(٥) بحار الأنوار : ج٧٨ ، ص١٢ .
(٦) ربيع الأبرار : ص٣٦٢ .

فلمّـا رآه عبس في وجهه ، وقـال له : أمـا استحييت من أهلك ؟ أمـا رحمت ولدك ؟ أترى الله أحلّ لك الطيّبات وهو يكره أخذك منها ؟ أنت أهون على الله من ذلك ، أوليس الله يقول : **﴿والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾**؟ أوليس يقول : **﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾** إلى قوله ـ : **﴿يخرج منهما اللّؤلؤ والمرجان﴾** فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال وقد قال الله عزّ وجلّ : **﴿وامّا بنعمة ربّك فحدّث﴾**[١] .

**فـدع التـواضـع في الثياب تخـوفـا ... فـالله يعـلـم مـا تُـجـن وتـكـتـم**
**فـرثـاث ثـوبـك لا يـزيـدك زلفـة ... عـنـد الالـه وأنت عـبـد مـجـرم**
**وبهـاء ثـوبـك لا يضـرك بعـد أن ... تـخشـى الإلـه وتتـقي مـا يـحـرم**

فاعلم رحمك الله أنـه لا بأس بـالغنى لمن أتقى ، واعلم أن الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك ، وأن لا يكون في حديثك فضل ( زيادة ) على عملك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك . . . . فلا تعتزل الناس ، فلا رهبانية في الإسلام . . . وتدبر قول الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « رهبانية أمتي الجهاد » . وتعلم وعلّم غيرك ، فما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلمـوا . وكفاك أدبـا لنفسك اجتناب ما تكرهه لغيرك . فخذ من الدنيا ما أتاك ، وتول عما تولى عنك »[٢] .

فقال عاصم بن زياد :

« يا أمير المؤمنين . . تنهاني عن العزوف عن زينة الحياة التي أحـل الله لعباده والطيبات من الرزق ، فعلام اقتصرت في مـطعمك على الجشـوبة وفي ملبسـك على الخشـونـة ؟ وتـركت قصـر الإمـارة ونـزلت منـزل أفقـر أهـل الكوفة ؟ ! » .

---

(١) أُصول الكافي : ج١ ، ص٤١٠ .
(٢) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣١ .

فضحك الإمام سلام الله عليه ، وقال : « إن الله الذي جعلني إماماً لخلقه فرض عَلَيّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي ومسكني كضعفاء الناس» وأضاف : «ويحك إن الله تعالى فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره » .

فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء ( وهو ثوب يلبس على الفخذين )[1] .

وفي الحق أن العمل لإصلاح الدنيا وعمارتها لا العزوف عن العمل واعتزال الدنيا ، كان جوهر دعوة الإمام علي ( عليه السلام ) إلى الزهد . . والعمل الصالح الذي يحض عليه ، ليس هو أداء العبادات المفروضة فحسب ، وإنما هو العمل المنتج في المعاملات . .وهو العمل الذي به عمارة الأرض ، وعليه تقوم مصالح العباد . .

من أجل ذلك اهتم بألوان النشاط الإنساني التي تخدم المجتمع وانشغل بها وحض عليها . . يدوية كانت أم فكرية ! . .

إنه ينكر الإنقطاع عن الدنيا زهداً فيها كما يرفض الإنقطاع لها انشغالاً بها . . من أجل ذلك عرف الزهد بقوله : « الزهد كلمة بين كلمتين في القرآن . قال سبحانه : **﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور﴾** . فمن لم يأس على الماضي ، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه »[2] . .

ويقول : « للمؤمن ثلاث ساعات ، فساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يروم فيها معاشه ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل . وليس

---

(١) أُصول الكافي : ج١ ، ص٤١١ .

(٢)) مجمع البيان : ج٩ ، ص٢٤١ .

للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث : مرمة لمعاش ، أو خطوة في معاد ، أو لذة في غير محرم » .

* * *

لقد رأى الإمام رجلاً قد بنى داراً واسعة ، كبيرة فقال له : لقد اتخذت داراً واسعة ، ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج » . فأجابه صاحبه في حياء وندم : « بلى يا أمير المؤمنين » :

فقال الإمام : « بلى . . إن شئت بلغت بها الآخرة : تقرى بها الضيف ، وتصل فيها الرحم ، وتطلع منها الحقوق مطالعها » .

فإذا أنت بلغت بها الآخرة(1) .

وهكذا فان نظرة المؤمن إلى الدنيا ، ليست نظرة العازف عن الحياة بل نظرة الحكيم الذي يعرف أن وراءها هدفاً ، ولذلك فإن أهل التقوى يحصلون من الدنيا ما يحصل الآخرون منها مع فارق واحد هو أن لمتقين يحصلون على الدنيا والآخرة بينما غيرهم قد يحصل على الدنيا ولكن ليس له في الآخرة من نصيب .

يقول الإمام علي ( عليه السلام ) « اعلموا ـ عباد الله ـ أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ ، والمتجر الرابح ، أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقّنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم ، لا ترد لهم دعوة ،

---

(1) تلبيس إبليس : ص١٩٤ .

ولا ينقص لهم نصيب من لذّة »[1] .

ثم إن هناك من يكون زهده في الدنيا هروباً من مواجهة الصعاب ، وتحمل المشاق فهو عاشقها ولكنه عاجز عنها . أو انّه يحاول ان يلقي كل المسؤولية عن تردي أوضاع الناس ، وأوضاعه على الدّنيا ، لتكون مسؤولية صلاح الأرض على غيره ومسؤولية الفساد على مجهول . .

لقد سمع الإمام علي ( عليه السلام ) رجلاً من هذا النوع ، يذم الدنيا هروباً من جهة وتخلصاً من المسؤولية من جهة أُخرى ، فقال له :

- « ايها الذام للدنيا ، المغترّ بغرورها المخدوع باباطيلها ، اتغتر بالدنيا ثم تذمّها ؟

« أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرمة عليك » ؟

« متى استهوتك ؟ أم متى غرّتك ؟ أبمصارع آبائك من البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى » ؟

« كم عللّت بكفّيك ؟ وكم مرّضت بيديك ، تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء ، غداة لا يغنى عنهم دواؤك ، ولا يجدى عليهم بكاؤك ، لم ينفع أحدهم إشفاقك ، ولم تسعف فيه بطلبتك ، ولم ترفع عنه بقوتك ! ، وقد مثّلت لك به الدّنيا نفسك ، وبمصرعه مصرعك » .

« إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافيةٍ لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزوّد منها ، ودار موعظةٍ لمن اتعظ بها . مسجد أحباء الله ، ومصلّى ملائكة الله ، ومهبط وحي الله ، ومتجر أولياء الله . . اكتسبوا فيها الرّحمة ، وربحوا فيها الجنّة » .

---

(١) بشارة المصطفى : ص٥٢ .

« فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببّينها، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، فمثلت لهم ببلائها البلاء ، وشوقتهم بسرورها إلى السرور ؟ راحت بعافية ، وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً ، فذمّها رجال غداة الندامة ، وحمدها آخرون يوم القيامة . ذكّرتهم الدنيا فتذكروا ، وحدّثتهم فصدّقوا ، ووعظتهم فاتعظوا »[1] .

فالدنيا إذن دار صدق لمن صدق معها ، واتعظ بما فيها ، وهي دار غرور لمن اغتر بها . وهكذا فإن الدنيا كما سبق دنياوان دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة . اعاذنا الله من شرورها وغرورها إن شاء الله . .

---

(١) البيان والتبيين : ج١ ، ص٢١٩ .

# الدعابة

هنالك من يتخذ الحياة لهواً ولعباً .

وهناك من يتخذها شدةً وغضباً .

وكلاهما على خطأ !

ففي الحياة ساعات جدّ ، لا بد أن يكون المرءُ فيها ، كجلمود من الصخر ، جاداً بلا حدود . . وفيها ساعات فرح فلا بد أن يتمتع فيها بالمرح .

إن العظماء ، شأنهم شأن باقي الناس ، يتمتعون بقلوب ملؤها الرحمة ، والعطف والحب . . ومن هنا فإنهم ، كغيرهم من البشر ، يحبون المرح الحق ، في ساعاته ، ويمارسون المزاح والدعابة مع من حولهم ، ولا يقولون إلّا حقاً . .

وحدهم الجبارون هم الذين لا يتضاحكون ، ولا يمزحون .

يقول الحديث الشريف « المؤمن : دعب لعب ، والمنافق : قطب غضب »[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٧ ، ص١٥٣ .

ولذلك فانه « ما من مؤمن الاّ وفيه دعابة »[1]..

الاّ ان المزاح له حدود ، فليس المؤمن كثير المزاح لان « من جعل ديدنه الهزل ، لم يعرف جدّه »[2] و « من كثر مزاحه قلّ وقاره »[3] .

وعلى كل حال « فان الله يحب المداعب في الجماعة بلا رفث »[4] .

وقد قال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « اني لأمزح ولا أقول الاّ حقاً »[5] .

وهكذا الإمام علي ( عليه السلام ) كان مع أصحابه كأحدهم يمزح معهم حيناً ، ويسوقهم إلى الحق بجد احياناً . . حتى لقد قالوا فيه بعد وفاة رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) انه أحق الناس بالخلافة ، لولا أن فيه دعابة !

وقد نشروا ذلك عنه في الشام ، حتى قال ( عليه السلام ) : « عجباً لابن النابغة ، يزعم لأهل الشام انّ فيّ دعابة ، واني امرؤ تلعابة ، اعافس وأمارس ، لقد قال باطلاً ، ونطق آثماً »[6] .

فدعابة الإمام كانت في حق، لا في باطل فلم يكن ( عليه السلام ) « تلعابة » ولم « يعافس » أو « يمارس ». .

وإليكم بعض مزاحه . . كما جاء في كتب التاريخ :

« أقبل رجلان من شيوخ القبائل يهنئان أمير المؤمنين بالعودة وبالنصر ، فأراد أن يكرمهما ، فألقى إليهما بوسادتين فقعد أحد الرجلين على الوسادة ،

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٦ ، ص٦٠ .
(٢ ـ ٣) غرر الحكم .
(٤) الكافي : ج٢ ، ص٦٦٣ .
(٥) شرح نهج البلاغة : ج٦ ، ص٣٣٠ .
(٦) نهج البلاغة : (خ ٨٤) ـ ١ .

ولم يقعد الآخر ، بل قعد على الحصير كما يقعد أمير المؤمنين ، فقال له الإمام مداعبا :

« اقعد على الوسادة يا رجل ، فلا يأبى الكرامة إلا حمار ! » وضحكوا جميعاً ، وقعد الرجل ، وذهبت مثلاً ! »[1] .

وحينما اقتحم أصحاب الجمل دار الصحابي الجليل « عثمان بن حنيف » ونتفوا شعر لحيته ورأسه وشعر عينيه تنكيلاً به ، ثم تركوه ذهب « عثمان » هذا إلى أمير المؤمنين وهو يستريح في موضع على طريقه إلى البصرة ، فلما رآه يبكي أراد الإمام أن يهون عليه فقال له مداعباً :

« ويحك يا عثمان بن حنيف ، أرسلناك وأنت شيخ كثيف الشعر ، فعدت إلينا بلا شعر كغلام أمرد ! » [2] .

***

وكما كان ( عليه السلام ) يمزح مع أصحابه ، كان أصحابه أيضاً يمزحون معه . . أو يذكرون عنده طرائف الحكم حسب ما أوصى به رسول الله حين قال : « ان هذه القلوب تمل كما تملّ الأجسام فاطلبوا لها طرائف الحكم » .

فقد لاحظ « أبو الأسود » بعد معارك صفين ان أمير المؤمنين لم يعد ضاحك السن كما عرفه من قبل ، فأراد أن يسري عنه فقال له : « يا أمير المؤمنين ما زلت أعمل بنصيحتك : «سل عن الجار قبل الدار وعن الرفيق قبل الطريق» حتى ابتليت بجار حسبته صالحاً ، فإذا به يقذفني بالحجارة كل يوم ، فبعت الدار ، فَعيَّرَني الناس بأني بعت داري ، فقلت لهم :

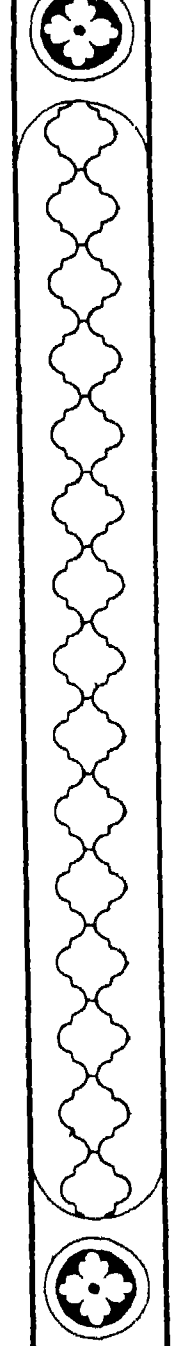
(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص١٤٣ .
(٢) المصدر السابق : ج٢ ، ص٢٥٩ .

« ما بعت داري بل بعت جاري ! » .

فضحك الإمام من دعابته ، وضحك معه الحاضرون[1] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج٢ ، ص٣٧٥ .





# أخلاقيات المعارضة



قد تكون المعارضة لباطل لا يشوبه حق .

وقد تكون لحق يشوبه باطل .

في الصورة الأولى ، مثل معارضة الإحتلال الأجنبي ، وسيادة أهل الباطل ممن لم يأت إلى الحكم باختيار الناس بل عنوة عنهم . أو حكم الكفر الصراح ، فلا بّد أن تكون المعارضة شاملة ، وبلا حدود إلاّ حدود المثل والقيم ، لأن الطرف الآخر يريد القضاء عليك ، وسحق شخصيتك .

وفي الصورة الثانية ، مثل المعارضة لحكم انتخبه الناس ولكن عليه مآخذ مثل ممارسة بعض الظلم ، وعدم تطبيق الحق بشكل كامل ، فإنّه لابدّ أن تلتزم المعارضة بحدودها الأخلاقية ، وموازينها الشرعية .

وهذه الحدود تشمل ـ فيما تشمله ـ الأمور التالية :

**أولاً** : ان لا تقع المعارضة في الأخطاء التي وقع فيها الحكم القائم ، فإذا كان المأخذ الذي على الحكم هو الظلم ، والعدوان ، فلا يجوز للمعارضة أن تمارس ـ هي الأخرى ـ الظلم بأي شكل من الأشكال ، وفي أي حدّ من الحدود ، وبحق أي شخص كان .

**ثانياً** : أن تلتزم المعارضة بالأخلاق ، مهما كانت الظروف والأسباب التي قد تدعوها إلى خلاف ذلك . لكي تكون البديل الحضاري حقاً ، ولا تكون معارضتها ضمن إطار الصراع على السلطة .

**ثالثاً** : أن لا تقف المعارضة ضد منافع الناس ، ولا تقدم مصالحها على مصالحهم . وأن تقتصر مواجهتها للسلطات على ما تعارضه فيها ، ولا تتعداه إلى غير ذلك . .

إنّ الأخلاقية ، هي التي تعطي للمعارضة مشروعيتها الحقيقية وهي التي تميزها عن الأوضاع القائمة . . وأيّ تجاهل لها تسلبها مشروعيتها ، ومن ثمّ يبتعد عنها الناس . .

لقد كانت للإمام علي ( عليه السلام ) آراءه الخاصة ، بما جرى بعد رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وكان معارضاً له ، كما كانت زوجته فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) حاملة الرآية في مواجهته ، ومع ذلك فإنّ الإمام لم يخرجه غضبه عن الحق ، كما لم يدخله رضاه في باطل . بقي معارضاً فترة خمسة وعشرين عاماً إلّا أنّه لم يتجاوز الحق ، ولم يخالف الشرع ، ولا ترك الإلتزام بالأخلاق الفاضلة ، حتى مع من كان يعارضه .

كان ( عليه السلام ) يرى نفسه الأحق بالخلافة ، ويصرّح بذلك جهاراً ، حتى لقد قال ـ بعد أن وصلت إليه أنباء السقيفة ـ وهو مشغول بغسل رسول الله ، وتدفينه ـ « ما قالت الأنصار » ؟ قالوا : « قالت منّا أمير ومنكم أمير» . فقال ( عليه السلام ) : « فهلّا احتججتم عليهم بأن رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وصّى بهم بأن يُحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ؟

قالوا : وما في هذه من حجة ؟

فقال ( عليه السلام ) : « لو كانت الإمامة فيهم ، لم تكن الوصيّة بهم » .

ثم قال ( عليه السلام ) : « فماذا قالت قريش ؟ قالوا : « احتجت بـانها شجرة الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) !

فقال ( عليه السلام ) : احتجوا بالشجرة ، واضاعوا الثمرة »[1]؟!

وكان يقول ( عليه السلام ) : « أنا خليفة رسول الله ووزيره ووارثـه . أنا أخـو رسول الله ووصيّـه وحبيبه . أنـا صفي رسول الله وصـاحبه . أنـا ابن عم رسول الله وزوج ابنته وأبو ولده . أنـا سيد الـوصيين ووصّي سيد النبيين ، أنـا الحجة العظمى وباب النبي المصطفى »[2] .

وكان بناء على ذلك يرى نفسه مظلوماً ، قد ظلم في حقـه ، ويروي في ذلك أنه سمع صارخاً ينادي : « أنا مظلوم » فقال له ( عليـه السلام ) : « هلمّ فلنصرخ معاً ، فإني ما زلت مظلوماً منـذ قبض رسول الله[3] ومـا لقي أحد من الناس ما لقيت »[4] .

وقال : « . . لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) أنّي لم أردّ على الله ، ولا على رسولـه ساعـةً قط . ولقد واسيتـه بنفسي في المـواطن التي تنكص فيها الأبـطال ، وتتأخـرُ فيها الأقـدام ، نجدةً أكرمني الله بها » .

« ولقـد قبض رسول الله ( صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم ) وإنّ رأسَـه لعلى صدري . ولقد سالت نفسه في كَفّي ، فأمررتها على وجهي ، ولقد وُلّيت غسله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) والملائكة أعواني ، فضجّتِ الدار والأقنيّة : ملأ

(١) نهج البلاغة : الخطب ٦٧ .
(٢) بحار الأنوار : ج٣٩ ، ص٣٣٥ .
(٣) شرح نهج البلاغة : ج٩ ، ص٣٠٥ .
(٤) المصدر السابق : ج٤ ، ص١٠٣ .

يهبط ، وملأ يعرج ، وما فارقت سمعي هينمة منهم ، يصلّون عليه ، حتى واريناه في ضريحه » . .

« فمن ذا أحقّ به منّي حياً وميتاً »[1] ؟؟

ولقد قال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) لأصحابه : « إن تولّوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم على الطريق المستقيم »[2] .

ومع إيمان الإمام بذلك ، لا تشوبه شائبة ، الاّ أنه وقف يعارض بشرف وأخلاق ، بل ونصح الخلفاء ومنحهم من عطفه ، وساعدهم في مشاكلهم ، وعلّمهم ما جهلوه ، وقضى لهم فيما أشكل عليهم ، وحاول مساعدة من تعرض منهم للرفض من قبل المسلمين . .

لقد كان الإمام سخي النفس حتى فيما يرتبط بالخلافة ، أوليس هو الذي قال لبعض أصحابه الذي سأله : « يا أمير المؤمنين . . كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم أحق به » ؟

قال ( عليه السلام ) : « يا أخا بني أسد : إنك لقلق الوضين ، ترسل في غير سدد ( استقامة ) وقد استعلمت فاعلم : أمّا الإستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً ، والأشدون برسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) نوطاً ( تعلقاً ) فانّها كانت إثرة ( استئثار ) شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس ( قوم ) أخرين ، والحكم لله والمعود إليه القيامة »[3] .

وقد لخّص الإمام موقفه العام في الخطبة المعروفة بالشقشقية والتي يقول فيها : « أما واللّهِ لقد تقمصها إبن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أن محلّي منها محلّ

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٩٧ .

(٢) تاريخ إبن عساكر : ج٣ ، ص٦٩ .

(٣) علل الشرائع : باب ١١٩ .

القطب من الرّحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى اليّ الطير ، فسدلت دونها ( الخلافة ) ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيدٍ جذاء ( مقطوعة ) أو أصبر على طخية ( ظلمة ) عمياء يهرمُ فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه » .

« فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ( أولى ) فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضىٰ الأول لسبيله ، فأدلى بها ( الخلافة ) إلى فلان بعده :

شتان ما بيني على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً . . بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ـ لشد ما تشطرا ضرعيها ـ فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ( الإبل الجامحة) أن أشنق لها ( شدّد لها ) خرم ( قطع ) وأن أسلس لها تقحّم ، فمني الناس ( ابتلوا ) بخبط وشماس ( بحيرة والتباس ) وتلوّن واعتراض .

« فصبرت على طول المدّة ، وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم » . .

« فيالله وللشورى . . متى أعترض الريب فيّ مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النضائر » ؟ .

« لكنّي اسففت اذ اسفّوا ، وطرت اذ طاروا . . فصغى رجل منهم لضغنه ( حقده ) ومال الآخر لصهره مع هَنٍ وهن . إلى ان قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ( الروث ) ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع » .

« إلى ان انتكث عليه فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته »[1] .

ذلك هو رأي الإمام فيما جرى بعد رسول الله ، ومع ذلك فانّه لم يبخل بكل ما في وسعه بالمساعدة مع الخلفاء لإقامة الحق وتحقيق العدل والحفاظ على منافع العامة وهداية الناس .

وهو الذي قال : « اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لردّ المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك[2] .

ولأنّه لم يكن ينطلق من معارضته من منطلق « التنافس على السلطان » فلم يكن لديه مانع من أن يسدي النصح للحاكمين فيما يرتبط بـ « رد المعالم » من دين الله و« الإصلاح » في البلاد ، والحفاظ على « أمن المظلومين » و« إقامة الحدود المعطلة . . » .

فكّم من معضلةٍ في عهد أبي بكر ، حلّها لهم الإمام ، حتى قال أبو بكر أكثرمن مرة « لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن » ؟ .

وكم من مسألةٍ استعصت على عمر بن الخطاب ، فأعطى الإمام الرأي الأصوب فيها ، حتى قال عمر أكثر من مرة « لولا علي لهلك عمر » ؟

وكم من محاولات بذلها لإصلاح الأوضاع في عهد عثمان بن عفان ، ومنع تدهورها حتى قال عثمان أكثر من مرة : « لا أبقاني الله في بلد ليس فيها علي » ؟ .

من ذلك ما أشار إليه في عهد عمر بن الخطاب ، حينما أراد الخروج إلى

(١) فهرست إبن النديم : ص٢٢٤ .

(٢) تذكرة الخواص : ص١٢٠ .

قتال الروم ولكن علياً بن أبي طالب أقنعه أن في الجيوش التي كان قد أعدها أبو بكر كفاية ، وقد حقق قوادها نجاحاً كبيراً ، وكل ما يحتاج هؤلاء القواد هو المدد من عمر .

ولكن عمر رأى أن مسيره لا مندوحة عنه ليقود المجاهدين بنفسه ، فيثير فيهم الحماسة ، ويحقق الله به النصر المبين . فقال له علي : « إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك ، فتلقهم فتنكب ، ولا تكن للمسلمين كانفة ( أي كنف ) دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلاً مجرباً ، واحفز معه أهل البلاد النصيحة . فإن أظهره الله فذاك ما تحب ، وإن تكن الأخرى ، كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين »[1] .

فولى عمر أبا عبيدة على الجيش .

وفتحت جيوش المسلمين أرض العراق والشام كلها ومصر ، وهرب هرقل إلى القسطنطينية ونظر إلى آخر معاقله في سوريا فبكى وهو يقول : « سلام عليك يا سورية ، سلام لا اجتماع بعده ! »[2] .

ومرة أُخرى ، حينما أراد عمر بن الخطاب أن يخرج بنفسه إلى الحرب مع الفرس . . فاستشار علياً في الخروج بنفسه ، فقال له الإمام : « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة ، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ . ونحن على موعد مع الله والله منجز وعده ، وناصر جنده . ومكان القيّم بالأمر مكان النظام ( أي السلك ) من الخرز ، يجمعه ويضمه ، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً .

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٣٤ .

(٢) كتاب الأموال : ص٢٥٢ .

والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً منهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالإجتماع . فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب ، واصلهم دونك نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض ، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك . إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكلبهم ( تكالبهم ) عليك ، وطمعهم فيك .

فأما ما ذكرت من سير القوم لقتال المسلمين ، فان الله سبحانه ، هو أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره . وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة ( من الله تعالى ) »[1] .

* * *

واستطاع المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي أن يفتحوا أرض فارس « المدائن » عاصمة الفرس ، واتخذ سعد إيوان كسرى مصلى . وقرأ في صلاته قوله تعالى : ﴿**كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين**﴾ .

وأرسل سعد إلى عمر بالمدينة كنوز كسرى وتيجانه ، وبنات كسرى ، وأسيافه . . . وكان الفرس من قبل قد غزوا الهند والترك . ومنهم غلبت الروم في أدنى الأرض ، ونهبوا جواهر ملوك الهند والترك وأباطرة الروم ، فآل كل ذلك للفاتحين[2] .

وأرسل سعد إلى عمر إلى جوار خمس الفيء . بساطاً واحداً طوله ستون

---

(١) الأخبار الطوال : ص١٣٤ .

(٢) علي إمام المتقين :ج ١ ،ص٩٦ .

ذراعاً وعرضه مثل ذلك ، وقد نقش عليه بالذهب والجواهر ، طرق وأنهار وأزهار وثمار ! . .

وقد نال كل جندي من جنود سعد بن أبي وقاص اثنى عشر ألفاً غير الدور . . وكانوا ستين ألفاً . . وبلغ ما دخل بيت المال ثلاثين ألف ألف أي ثلاثين مليوناً . .

ثم أشار إلى الغنائم النفيسة وأقسم على عبد الرحمن ابن عوف أن يقسمها فهو عليم بالجواهر ، لتوزع في الوقت .

وقسم إبن عوف المتاع ، ووزعه عمر على الناس ، بادئاً بأهل السابقة في الإسلام .

وبقي البساط المرصع بالذهب والجواهر النادرة ، وكان لا ينقسم ، وسألهم عمر المشورة في أمر البساط فقال بعضهم : « قد جعل الجند ذلك لك » . ومنهم من قال : « إنه لأمير المؤمنين لا يشركه فيه أحد » وزاد أحدهم : « يا أمير المؤمنين لقد أشغلناك عن أهلك وضيعتك وتجارتك فهو لك » .

فقال الإمام علي : « لا . . إنه لم يجعل الله علمك جهلاً ، ويقينك شكاً . إنه ليس من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، وقسمت فسويت ، أو لبست فأبليت ، أو أكلت فأفنيت . وإنك إن تبقه اليوم على هذا لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له » .

قال عمر : « صدقتني ونصحتني يا أبا الحسن » .

ثم قطع البساط وقسمه ، فأصاب علياً منه قطعة لم تكن أجود من غيرها فباعها بعشرين ألفاً . وانفقها في سبيل الله !

أما بنات ملك الفرس ، فقد أراد عمر أن يبيعهن كالجواري ، ويضع ثمنهن في بيت المال . . وأعطاهن للدَّلّال ينادي عليهن بالسوق ، فكشف

الدّلاّل عن وجه إحداهن ، فلطمته لطمة شديدة .

فصاح الرجل : « واعمراه ! » وشكا إليه ، فدعاهن عمر ، وأراد أن يضربهن بالعصا فقال له علي ( عليه السلام ) : « إن رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) قال : ( أكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ) إن بنات الملوك لا يبعن ، ولكن قوّموهن » فقوموهن وكنّ ثلاثاً ، فأعطاه أثمانهن ووهبهن واحدة لمحمد بن أبي بكر ، والثانية لعبدالله بن عمر ، والثالثة لابنه الحسن »[1] .

* * *

كانت للإمام مآخذ كثيرة على طريقة إدارة البلاد في العهود التي سبقت خلافته ولذلك فحينماإقترح عليه أن يكون هو الخليفة بعد عمر بشرط أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وسيرة الشيخين ، رفض الشرط الأخير ، وقال : « بل باجتهاد رأيي » .

إلاّ أنه ( عليه السلام ) كان لا يبخل على أي واحد من الخلفاء بالمشورة النافعة والموعظة الصالحة ، بما يضمن لهم السير على الطريق المستقيم .

ومن ذلك ما روي من « إن عمر بن الخطاب احتاج إلى مال ليجهز الجيش ، ولم تكن الفتوحات قد جاءت بالثراء العريض للدولة الجديدة بعد ، وما في بيت المال ! فذكر قوم حلي الكعبة وقالوا : « ما تصنع الكعبة بالحلي يا أمير المؤمنين ؟ خذ هذه الحلي فجهز بها جيوش المسلمين يكن لك أعظم الأجر » .

وَهمَّ عمر بذلك إلا أنه رأى أن يسأل علياً . فقال له علي ( عليه السلام ) : « إن القرآن أنزل على النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) والأموال أربعة : أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض ( المواريث ) ،

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص٩٧ .

والفيء فقسمه على مستحقيه ، والخمس ، فوضعه الله حيث وضعه ، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها ، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ، ولم يتركه نسياناً ﴿وما كان ربك نسيا﴾ ولم يخف عليه مكانا ، فأقرّه حيث أقره الله ورسوله » . .

فقال له عمر : « لولاك لافتضحنا » . وترك الحلي بالكعبة كما هي[1] .

***

كان الإمام في صف المعارضة ، وكان يختلف مع الخليفة في قضايا داخلية كثيرة . منها تولّيه لهذا المنصب ، إلاّ أن الأمر حينما كان يرتبط بهيبة الدولة ، أو حسب تعبير الإمام بـ « سلطان الإسلام » كان ينبري للأمر حتى يضمن سلامة توجه الخليفة ، وسلامة توجه الدولة . .

ولقد رأينا كيف أن الإمام منع عمر من أن يشخص بنفسه إلى قتال كل من الروم والفرس ، ولكن في مسألة بيت المقدس ، كان للإمام رأى معاكس تماماً ، كل ذلك حرصاً على هيبة الدّولة الإسلامية ، وحفاظاً على مكانة الخليفة فقد روي انه « عندما حاصر المسلمون بيت المقدس ، ودارت حوله معركة طاحنة ، طلب أهله أن يتصالحوا مع العرب على الجزية ، بشرط أن يقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه ليتفق على شروط الصلح .

وجمع عمر الناس في المسجد فشاروهم ، فقال عثمان : « لا تبرح المدينة فأنت إن أقمت هنا ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستعد ، فلم يلبثوا إلا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية » .

أما علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) فلم ير هذا الرأي ، وأشار على عمر أن يذهب ، وقال : « إذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن

---

(١) المصدر السابق : ص١٤٥ .

والعافية والصلاح والفتح . ولست آمن أن ييأسوا منك ومن الصلح ، ويمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم ، لاسيما وبيت المقدس مُعَظَّمٌ عندهم وإليه يحجون » .

وأخذ عمر برأي علي ، واستخلفه على المدينة . وركب إلى بيت المقدس . وكان الأمر كما قال الإمام علي ( عليه السلام )[1] .

* * *

وفي المسائل الداخلية ، إذا كان الأمر يرتبط بقضايا مهمّة ، مثل مسائل الولاة ، وطريقة التعامل معهم ، والتشدد بحقهم ، وما شابه ذلك كان الإمام يتدخل لمصلحة الأمة ، ولم يكن من أصحاب الرأي القائل دع الحاكم غيظاً ، وتزداد أخطاؤه واستحقاقاته ، لتزيد النقمة عليه وتكسب المعارضة . . فهو لم يكن يريد « كرسي » الحكم مثل كثير من المعارضين ـ حتى لا تهمّه أمور الأمة والدولة . . بل كان يريد الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ومن ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب كان يعمد بعض الأوقات إلى ما جمعه عمّاله فيصادر نصفه لبيت المال ، ويترك لهم نصفه . ارضاء لهم من جهة ، وإرضاء للعامة من جهة أُخرى . . مع ان بعضهم كان يجمع الأموال خيانةً ، ولصوصية ، مثل معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وغيرهما . . ولقد أقرّ أقوام من الصحابة ما كان يفعله عمر .

أما علي ( عليه السلام ) فقد كان يصنع ما يصنعه بهذا الصنف من الولاة رفقا لا يجوز ، أو شدة ليست من حقه !

فقد قال الإمام لعمر : « لئن كان عمالك خَوَنَةٌ ، وكان هذا المال في أيديهم خيانة ، ما حل لك تركه ، وكان لك أن تأخذه كله ، فانه فيء

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص١٢٩ .

للمسلمين ، فما لك تأخذ نصفه وتترك نصفه ؟! ولئن كانوا غير خونة . فما حل لك أن تأخذ أموالهم ، ولا شيئا منها قليلاً أو كثيراً ! وأعجب من ذلك إعادتك إياهم إلى أعمالهم ! . . لئن كانوا خونة ، ما حل لك أن تستعملهم! وإن كانوا غير خونة ما حقّت لك أموالهم »[1]!

من أجل ذلك كره هؤلاء علياً ( عليه السلام ) ، وخافوه على أطماعهم ، وخشوا إن أصبح هو أميراً للمؤمنين ، أن يصرفهم عما يفعلون بأموال العامّة فيحملهم على الزهد ، والتخلي عن زينة الحياة !

لقد كان الإمام ( عليه السلام ) يرى « ان أعظم الخيانة ، خيانة الأُمة وأفظع الغش غش الأئمة »[2] .

فلم يكن يرضى بخيانة عمال عمر ، كما لم يكن يغشه في النصيحة . . خاصة فيما يرتبط بمحاسبة الولاة ، ومنعهم من نقض القانون ومخالفة الشريعة . . معتبراً التساهل مع الولاة ، والسماح لهم بمخالفة الشريعة بداية وسقوط الحضارة الإسلامية ، ونهاية تماسك النظام الإسلامي من ذلك ما حدث بعد أن توالت الفتوحات شرقاً وغرباً ، فعكف بعض المجاهدين على الملذات والشراب .

وواجهت عمر مشكلة جماعة من خيرة فرسان المسلمين ، على رأسهم « أبو محجن » ، الذي أبلى أحسن البلاء في فتح العراق وبلاد الفرس ، وما وراء النهرين وأذربيجان . .

أرسل أمير الجند سعد بن أبي وقاص هذه الجماعة إلى عمر ، لأنهم شربوا الخمر ، بعد أن أمر عمر بأن يحد شاربها ثمانين جلدة . . .

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص١٤١ .
(٢) انساب الأشراف : ج٢ ، ص١٥٩ .

فقالوا لعمر : « ما حَرَّمَها الله ولا رسوله . إن الله تعالى يقول في سورة المائدة : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ . بل حرّمْتَهَا أنت بعد أن أفتاك علي بن أبي طالب ! » .

فأرسل عمر إلى عليٍّ ليجادلهم .

قال علي : « إن كان معنى هذه الآية كما يقولون ، فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير ! » .

فبهتوا وسكتوا .

فقال عمر لعلي : « فما ترى فيهم ؟ » . قال : « أرى إن كانوا شربوها مُسْتَحِلِّينَ لها أن يقتلوا . وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أن يُحَدُّوا ثمانين جلدة » .

فسألهم عمر فقالوا : « والله ما شككنا في أنها حرام ، ولكننا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه ! » .

فأمر عمر بجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة ، فلما انتهى إلى أبي محجن قام من الجلد فقال شعراً جاء فيه :

وإني لذو صبر وقد مات إخوتي ولست عن الصهباء يوما بصابر !

فقال عمر : « قد أَبْدَيْتَ ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر » .

فقال له علي : « ما ذلك لك ! ولا يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال الله تعالى في الشعراء : ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ . . » .

فقال عمر : « استثنىٰ الله منهم أقواماً » .

فقال علي : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[1] .

***

ومن ذلك ان عمر بن الخطاب انشأ الديوان الذي يحتفظ فيه برواتب المسلمين آخذاً بالنظم التي كانت سائدة عند الفرس والروم وقد خالفه الإمام علي ( عليه السلام ) لأن الإمام كان مخالفاً لتأخير الفيء ، وأموال الناس ولكن لم يعلن ذلك إلّا فيما بعد . غير أن عمر بن الخطاب بعد ان أنشأ الديوان وفرض للمسلمين فيئهم، جمع الناس وقال لهم :

« إني كنت امرأً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم ، فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال ؟ » فأكثر القوم عليه يقترحون الإغداق ، وعلي صامت .

فقال عمر :

« ما تقول يا أبا الحسن ؟ » :

فقال الإمام : « ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف . وليس لك في هذا المال غيره » .

فقال عمر : « الله أكبر ، صدقت يا أبا الحسن . لولا علي لهلك عمر » .

واستنكف جماعة من أهل الشام من إسم الجزية ، وارتضوا أن يدفعوا بشرط تغيير اسمها ، ولكن عمر صمم على أن يدفعوا الجزية صاغرين باسم الجزية ، فاحتكموا إلى علي ، فأقنع عمر أن يقبل منهم الجزية باسم صدقة تطهرهم . . فلما اقتنع عمر ، دخل عدد منهم في الإسلام[2] .

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٢) المصدر السابق : ص١٠٠ .

واجتمع عند عمر مال ، فقسمه ، فبقي منه شيء فاستشار بعض الصحابة فيما بقي قالوا : « نرى أن تمسكه فان احتجت إلى شيء كان عندك » . فسأل علياً : « مالك لا تتكلم يا أبا الحسن ؟ » قال : « قد أشار عليك القوم » . قال : « وأنت فأشر » . قال : « أرى أن تقسمه » . فقسمه عمر :

وقال : « يا أبا الحسن لا أبقاني الله لشدة لست لها ، ولا لبلد لست فيه »[1] .

* * *

وحتى في المسائل الشخصية ، فإن الإمام ( عليه السلام ) كان لا يغش من استنصحه من الخلفاء ، فهو إذا كان يعارض فلم يكن لحبه أو بغضه الشخصي إذ لم تكن لمعارضته هذه الصفة لا في كلياتها، ولا في جزئياتها . .

من ذلك ما روي « ان عمر بن الخطاب أراد أن يتزوج عاتكة بنت زيد ، بعد ان قتل عنها زوجها عبدالله بن أبي بكر في احدى المعارك فقالت له : « قد كان عبدالله أعطاني حديقة على أن لا أتزوج بعده » .

فقال لها عمر : « استفتي علي بن أبي طالب » . . ولما استفته ( عليه السلام ) قال لها الإمام : « ردّي الحديقة على أهله ، وتزوجي عمر » .

وكانت عاتكة كماوصفها معاصروها : « امرأة ذات جمال ، وكمال ، وتمام في عقلها ومنظرها ، وكانت حسناء بارعة »[2] .

* * *

تلك كانت بعض الأمثلة على طريقة الإمام علي ( عليه السلام ) في المعارضة ، والتزامه بالأخلاق الفاضلة فيها ، في عهد عمر بن الخطاب .

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص١٠٤ .

(٢) المصدر السابق : ج١ ، ص١٢٣ .

أمّا في عهد « عثمـان بن عفان » فـان الإمام كـان أخلص من وقف معه ناصحاً أميناً ، ليردّه إلى الجادّة ويمنع عنه ما آل إليه ، فكم من موقف ردّ الإمام عنه الثائرين عليه ، أو توسط بينهما ، ولكن بعض الحاقدين الجشعين من أمثال مروان بن الحكم أفسدوا في الأمر . .

وكم من مرّة وقف الإمام مع الحق ، وحاول مع عثمان أن لا يتجاوز حدود الشريعة في أُموره الخاصة ، أو العامة ، ولكنه تحت تأثير بنى أمية ، كان يفعل ما يجب أن لا يفعله ؟

من ذلك مثلاً ما روي في بداية خلافة عثمان ، فقد روي أن عبد الرحمن بن عوف حين رأى الخنجر الذي اغتيل بـه عمر وهـو خنجر غـريب الشكل ذو نصلين ومقبضه في وسطه ، قـال إنه رأى أبـا لؤلؤة بالأمس يقلب هـذا الخنجر ومعه الهرمزان وجفينة ، واتهمهما في ذلك .

فخرج عبيدالله بن عمر في غضب عارم شاهراً سيفه . فقتل الهـرمزان ، وهو فارسي أسلم ، وجفينة ، وهو نصراني من نصارى الحيـرة ، ثم ذهب إلى بيت أبي لؤلؤة ، فقتل ابنته الصغيرة ، وأراد أن يقتل كل من في المدينة من سبي رجال كانوا أو نساء ، فتكاثر عليه عدد من المهـاجرين والأنصـار ، فنزعـوا منه السيف ، ووضعوه في محبس !

فلما جاءوا بعبيـدالله بن عمر ليحـاكمه عثمـان سأل عثمـان جماعـة من المهاجرين والأنصار فيهم علي : « أشيروا عليَّ في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق » .

وسكت الجميع فما يدرون بم يشيرون !

فقال الإمام : « مـا من العدل تـركه ، وأرى أن تقتله ، فقـد قتل رجـلاً مسلماً يصلي ، وقتل صبية صغيرة ، وقتل رجلاً نصرانياً من ذمة رسول الله ! » .

فقال أحد الحاضرين من أقرباء عثمان ، إن أبناء عمر كانوا ثائرين جميعا لمقتل أبيهم ، وهم الذين شجعوا عبيدالله على ما فعل . . حتى حفصة بنت عمر ممن شجع عبيدالله على قتلهم !

وعاد الإمام يؤكد أن القصاص لولي الأمر ، فما من حق أبناء عمر أن يقيموا الحد أو يقضوا ، فهذا لأمير المؤمنين وحده ، أما أولياء الدم ، فليس لهم إلا أن يعفوا إذا شاؤوا . ثم إن عبيدالله لو لم يقتل هؤلاء لأمكن أن تعرف أسرار ما حدث .

ولم يرتح عثمان لهذا الرأي !

وقال بعض الحاضرين : « أيقتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟ ! » .

ولم يعقب الإمام علي ! . .

وكان عمرو بن العاص حاضراً في مجلس عثمان ، فقال : « يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك من هذا الحدث ، فقد كان قبل البيعة لك ، وليس لك على المسلمين سلطان . تلك قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك » .

وضاق به الإمام ( عليه السلام ) واستشعر الأسى حيث أن أحكام الشريعة تنتقص للعواطف ، وتراق دماء بريئة من غير ذنب ثم يعفى عن القاتل .

وأخيراً قال عثمان : « أنا ولي الذين قتلهم عبيدالله بن عمر . وقد جعلتها دية ، واحتملتها في مالي »[١] .

وحدث حادث آخر ، وحاول الإمام مرة أخرى أن يمنع الخليفة من الإنسياق وراء بني أُمية . وحذّره بأشد ما يكون في ذلك . فقد روي ان عثمان بن عفان حج بالناس ، فزين له بعض قرابته من بني أمية أن يقيم مخيماً كبيراً

---

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص١٤٧ .

يليق « بـأمير المؤمنين » ، فكـان أول من ضرب فسطاطاً بمنى . وأتم الصـلاة بمنى وبعرفة ، والسُنَّة قصر الصلاة بهما .

فقـال له علي : « مـا حدث أمـر ، ولا قدم عهـد ، ولقد عهـدت النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وأبا بكر وعمر يصلون ركعتين ، وأنت صدراً من خلافتك » فقال : « رأي رأيته » .

وجاء قوم إلى عليٍّ يشكون عثمان ، وينكرون عليه أُمـوراً ، واشتدوا في النكير .

فجاءه علي فقال : « يا أمير المؤمنين ألا تنهي سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم ! ؟ والله لو ظلم عامـل من عمالـك حيث تغرب الشمس لكـان إثمه مشتـركاً بينـه وبينك . فـارجـع إلى الله . فحتى متى وإلى متى ؟! »[1] .

وحينمـا بدأت مـظاهر التـذمر من عـامة المسلمين وخـاصتهم تـزداد من تصرفات بني أمية وغيرهم من ولاة عثمان ، جاءه الإمام ناصحاً له ، وهو يريد ان يبعده من الذين استخدموا عباءته لنيل ملذاتهم ، وينقذه من ثورة وشيكة ، وكان الإمام قد نصحه قبل ذلك مرات عـديدة وكـانت هذه في الأواخـر . . فقال لـه الإمام :

ـ «إن الناس ورائي ، وقد استسفروني بينك وبينهم . ووالله ما أدري ما أقول لك ! ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه . أنك لتعلم ما نعلم . ما سبقناك إلى شيء فنجرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وقد رأيتَ كما رأينا ، وسمعت كمـا سمعنا ، وصحبت رسـول الله ( صلّى الله عليه وآلـه وسلّم ) كما صحبنا . . فالله . . الله . . في نفسك ، فإنك والله مـا تبصر من

(١) علي إمام المتقين : ج١ ، ص١٥١ .

عمىً ، ولا تعلّم من جهل ، وان الطرق لواضحة ، وانّ أعلام الدين لقائمة .

« فاعلم أن أفضل عباد الله ، عند الله : إمام عادل هُدي ، وهدىٰ فأقام سنّة معلومة ، وأمات بدعة مجهولة ، وإن السنن لنيّرة ، لهـا أعلام وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام . وإن شرّ الناس عند الله : إمام جائر ضلّ وضُلّ به ، فأمات سنة مأخوذة ، وأحيا بدعة متروكة . واني سمعت رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) يقول : « يُؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر ، وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ، ثم يرتبط في قعرها » .

« وإني انشدك الله الاّ تكون إمام هذه الأُمّة المقتول ، فإنه كان يُقال : « يُقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويلبس أمورَها عليها ، ويَبثّ الفتن فيها ، فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً » . .

« فلا تكونن لمروان ( ابن الحكم ) سَيِّقة ، ليسوقك حيث شاء بعد جلال السّن ، وتقضي العمر . !

فقال عثمان للإمام : « كلّم الناس في أن يؤجلوني ، حتى أخرج إليهم من مظالمهم . .

فقال علي ( عليه السلام ) : « ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه »[1] .

ولقد بقي الإمام ناصحاً لعثمان بالرغم من أن عثمان نفى الإمام إلى خارج المدينة ، ثم عندما اشتدت المعارضة عليه طلب الإمام للتوسط بينه وبين الناس ، وتهدئتهم ، ثم حينما ازداد هتاف الناس باسم الإمام للخلافة ، طلب

---

(١) العقد الفريد : ج٤ ، ص٣٠٨ .

عثمان من عبدالله بن عباس أن يوصل إلى الإمام رسالة من عثمان وهو محصور في دار الإمارة يأمره ( عليه السلام ) بالخروج من المدينة إلى « ينبع » ليقل هتاف الناس باسمه . . فقال الإمام :

- « يا بن عباس . . ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب ، أقبلْ وادبرْ . ! بعث إليّ أن أخرج فخرجت ، ثم بعث إلي أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إلي أن أخرج ؟ .

« والله لقد دفعتُ عنه حتى خشيتُ أن أكون آثماً » [1] .

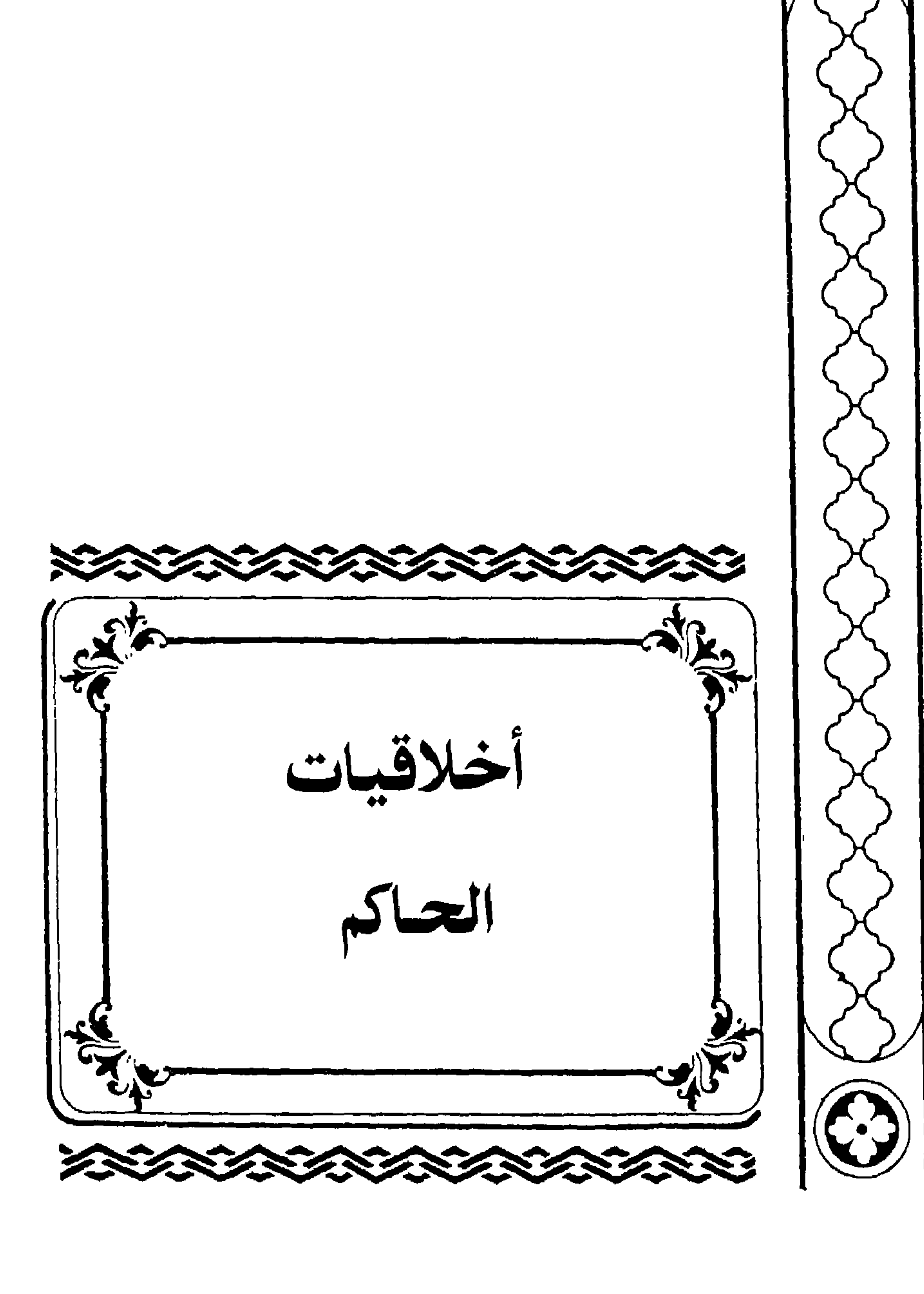
وبعد مقتل عثمان ، كتب الإمام رسالة إلى أهل الكوفة يخبرهم بما جرى وذكر فيه : «أما بعد فإني أخبركم عن أمر عثمان ، حتى يكون سمعه كعيانه ، إن الناس طعنوا عليه ، فكنتُ رجلاً من المهاجرين أُكثر استعتابه ، وأقل عتابه »[2] .

---

(١) الكامل : ج١ ، ص١١ .

(٢) الإمامة والسياسة : ج١ ، ص٦٧ .





# أخلاقيات الحاكم



# اعتماد الشورى في الحكم

ينقسم المجتمع البشري ، بشكل عام ، إلى فئتين : حاكمين ومحكومين ، أئمة وأمم ، أمراء وشعوب ، والعلاقة الممكنة بين الطرفين لا تتعدى تصورات ثلاث :

إمّا الإستبداد ، وإمّا الفوضى ، وإمّا الشورى .

فإذا كانت العلاقة تقوم على أساس أن للحاكم امتيازات من دون أن تكون عليه التزامات ، وإن له حقوقاً ، وليست عليه واجبات ، وأن من حقوقه أن يقرِّر ، ومن واجب الناس أن يطيعوه ، كانت العلاقة حينئذٍ مثل العلاقة بين مجموعة من « القاصرين » وبين « قيمهم » . . وكان الإستبداد !

أمّا إذا كانت العلاقة بدون أسس بين الطرفين ، فهي الفوضى .

وفيما إذا بنيت الأسس برضا الطرفين ، وضمن حدود « تقابل الحقوق والواجبات » فهي الشورى .

وفي الحق . . لا بديل عن الإستبداد . . إلا الشورى .

ولا بديل عن الفوضى . . إلا الشورى .

ولا بديل عن الشورى . . إلاّ الفوضى أو الإستبداد .

فالشورى هي الملجأ ، وهي الحلّ ، وغيرها باطل الأباطيل ، وقبض الريح . . فمن استبد برأيه هلك[1] و«الإستشارة عين الهداية » ، وقد خاطر من استغنى برأيه[2](وأمرهم شورى بينهم)[3] لأنه « ما تشاور قوم إلاّ هدوا إلى رشدهم »[4] .

وإذا كان « حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضمّ إلى علمه علوم الحكماء[5] في الأمور الشخصية ، والقضايا العادية فكيف في الأمور العامّة ، وقضايا الناس ؟ » .

ولقد وضحّ الإمام علي ( عليه السلام ) رأيه الصريح في هذه المسألة قائلاً : « ما هلك امرؤ عن مشورة ، ونعم المؤازرة المشاورة ، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواضع الخطأ : وقد قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « ما ندم من استشار » . فاعلموا أن الخطأ مع الإستشارة خير من الصواب مع الإستبداد . فتَعوَّذُوا من سكرات الإستبداد بصحوات الإستشارة، واعلموا أن الرَّأي يسد ثلم السيف ، والسيف لا يسد ثلم الرأي . فلا يرفع أحدكم صوته بغير حجة على أحد ، واعلموا أن الظفر لمن احتج ، لا لمن لج »[6] .

ثم أنه ( عليه السلام ) بيّن علّة الأمر بالمشاورة فقال : « إنما حُضّ على المشاورة لأن رأي المشير هدف ، ورأي المستشير مشوب بالهوى[7] ، ولقد

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) النهاية في غريب الحديث : ج ٣ ، ص ٤٢١ .
(٣) سورة الشورى ، آية : ٣٨ .
(٤) نور الثقلين : ج ٤ ، ص ٥٨٤ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) علي إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٤ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .

جاء في التوراة : « من لا يستشير يندم »[1] .

إذن « من شاور ذوي العقول ، تأمن من الزلل والندم »[2] .

وجاء في حديث للإمام قال : « قلت يا رسول الله . . إن عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ، ولا سنّة فكيف تأمرني ؟

قال( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقضي فيه برأي خاصة »[3] ويقول أيضاً : « بعثني رسول الله( صلى الله عليه وآله وسلم ) إلى اليمن ، فقال وهو يوصيني : « يا عليّ : ما حار من استخار ، ولا ندم من استشار »[4] .

وقد روي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قوله : « إذا كان أمراؤكم خياركم ،وأغنياؤكم سمحاؤكم ،وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها »[5] .

وروي عنه أيضاً : « من جاءكم يريد أن يفرّق الجماعة ، ويغصب الأمّة أمرها ، ويتولى من غير مشورة فاقتلوه ، فإن الله قد أذن ذلك »[6] .

« والمراد المشورة في التصدي لأصل الولاية لا المشورة في أعمالها لأن الأمر في الآية الشريفة « وأمرهم » . وفي الروايات ينصرف إلى الحكومة[7] .

وهكذا فإن الدولة في الإسلام مبنية على الشورى في كل شؤونها ، ومن

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ١٠٠ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) كنز العمال : خ ١٤٤٥٦ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ١٠٠ .
(٥) تحف العقول ، ص ٣٦ .
(٦) عيون أخبار الرضا : ج ٢ ، ص ٦٢ .
(٧) دراسات في ولاية الفقيه : ص ٤٩٧ .

الضروري تحكيم الشورى في الدولة الاسلامية ، وفي العالم أجمع ، فيجب أن تكون كل الأمور من القرية إلى العاصمة ومروراً بالمعمل والمصنع والمطار واتحاد الطلبة والمدارس والجامعات وغيرها مبنية على الشورى[1] . « فالشورى تنتهي بالمجتمع إلى القمة ، والإستبداد ينزل به إلى الحضيض »[2] .

والسؤال الآن هو : على ما تقوم الشورى ؟ وما هي مفرداتها ؟

والجواب : أن حكم الشورى يعتمد على أسس أربعة :

**الأول** ـ تأمين الحريات ، بما فيها حرية إبداء الرأي ، وحرية الاجتماع ، وحرية التنظيم ، وحرية المعارضة[3] .

**الثاني** ـ حاكمية الناس . وحقهم في اختيار الوالي ، وحقهم في تقرير مصائرهم في الحرب والسلام ، وضرورة خضوع الأقلية للأكثرية .

**الثالث** ـ قداسة القانون ، ومساواة الناس أمامه حاكمين ومحكومين .

**الرابع** ـ احترام حقوق الإنسان، باعتبار أن الله جعل الإنسان « خليفة » في الأرض ، بما في ذلك حقوق الإنسان الإقتصادية، والإجتماعية والشخصية . .

تلك هي الأسس التي اعتمدها الإمام عليّ ( عليه السلام ) في حكمه . وسنرى فيما يلي كيف اعتمد الإمام عليّ ( عليه السلام ) هذه الأسس ليس من خلال الحديث والقول ، بل من خلال العمل والموقف . .

* * *

---

(١) الصياغة الجديدة : ص ٤٧٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نهج البلاغة : الخطب ، ص ٢١٦ .

## حقــوق متبادلــة :

المبدأ الأساسي الذي بنى عليه الإمـام عليّ ( عليه السـلام ) حكمه هـو مبدأ « الترابط بين الحق والواجب » . فالحـاكم ليس سيداً على النـاس ، لأن سيدهم هو الله تعالى فحسب ، والله وحده هو الأحد الصمد الذي لـم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفوءاً أحد » ، فأي « حق » للحاكم ، يقابله « واجب » عليـه يساويه في الأهميَّة ، إذ ليس الحكم « منحة » من أحـد لأحد ، بـل هو مـوقع يحتله أكفأ النـاس ، لكي يؤدي حقـوق النـاس بـأفضـل ممـا يمكن أن يؤديـه غيره . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) في : خطبة له ( عليه السلام ) خطبهـا بين أصحابه : « أمَّا بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقّاً بولايـة أمركم ، ولكم عليَّ من الحقِّ مثل الذي لي عليكم . . فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف ، لا يجري لأحد إلاَّ جـرى عليه ، ولا يجـري عليه إلاَّ جرى له ، ولو كان لأحد أن يجري لـه ولا يجري عليـه لكان ذلـك خالصـاً لله سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباده ، ولعد له في كلِّ ما جرت عليه صروف قضائه ، ولكنَّه جعل حقَّه على العباد أن يطيعوه ، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله .

ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقـاً افترضهـا لبعض الناس على بعض ، فجعلها تتكافأ في وجوهها ويـوجب بعضها بعضـاً ، ولا يستوجب بعضهـا إلاَّ ببعض » .

وأعـظم مـا افتـرض [الله] سبحـانـه من تلك الحقـوق حقّ الـوالي على الرعيَّة ، وحقُّ الرعيَّة على الوالي ، فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ ، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزّاً لدينهم .

فليست تصلح الرعيَّة إلاَّ بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلاَّ باستقامة الرعيَّة ، فإذا أدَّت الرعيَّة إلى الوالي حقَّه وأدَّى الوالي إليها حقَّها ، عزّ الحقُّ بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على أذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ، ويئست مطامع الأعداء .

وإذا غلبت الرعيَّة واليها أو أجحف الوالي برعيَّته اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثر الإدغال في الدين ، وتركت محاجّ السنن ، فعمل بالهوى وعطّلت الأحكام ، وكثرت علل النفوس ؛ فلا يستوحش لعظيم حقّ عطّل ، ولا لعظيم باطل فعل ، فهنالك تذلُّ الأبرار وتعزُّ الأشرار ، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد .

فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه ، فليس أحد ـ وإن اشتدّ على رضا الله حرصه ، وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له .

ولكن من واجب حقوق الله سبحانه على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم .

وليس امرؤٌ ـ وإن عظمت في الحقّ منزلته ، وتقدّمت في الدين فضيلته ـ بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقّه ، ولا امرؤٌ ـ وإن صغّرته النفوس ، واقتحمته العيون ـ بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه[1] » .

وما يمكن استخلاصه من هذه الخطبة يؤكد ما يلي :

**أولاً** : أن هنالك تقابلاً بين الحقوق والواجبات فالحق « لا يجري لأحد إلاَّ جرى عليه ، ولا يجري عليه إلا جرى له » . وهذا مبدأ ثابت بين العباد . أمّا بينهم وبين الله ، فهو وإن لم يكن جارياً كواجب إلاَّ أنه جار كلطف من الله

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ص٢١٦ .

تعالى حيث جعل الله « حقه على العباد أن يطيعوه ، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً » .

ثانياً : أن الحقوق المتبادلة بين العباد هي أمور مقدسة ، ليس لأحد مصادرتها من أحد ، لأنها من حقوق الله تعالى ، فقد « جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض » .

ثالثاً : أن الحقوق متكافئة ، فإذا أدَّى أحد الأطراف ما عليه كان له أن يطالب بجزائه ، أمَّا إذا لم يؤد ما عليه ، فليس له أن يطالب بحقه . فكل حق يوجب حقاً ، وإذا لم يكن هنالك حق فلا يوجب شيئاً . « فجعلها تتكافأ في وجوهها ، ويوجب بعضها بعضاً ، ولا يستوجب بعضها إلاَّ ببعض » .

رابعاً : أن حق الحاكم على الناس ، يقابله حق الناس على الحاكم ، « وأعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق : حق الوالي على الرعية ، وحق الرعيَّة على الوالي » . وهي « فريضة فرضها الله سبحانه لكل » طرف « على كل » طرف .

وهذا التبادل في الحقوق هو « النظام » الذي يمنع الفوضى ، والتمزق ، « فجعلها نظاماً لإلفتهم ، وعزّاً لدينهم » ، فإذا أدَّى كل طرف ما عليه للطرف الآخر ، قامت الدولة على الحق ، وتحقق العدل « فإذا أدَّت الرعية إلى الوالي حقّه ، وأدَّى الوالي إليها حقَّها عزَّ الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطمع في بقاء الدولة ويئست الأعداء » ، وواضح أنّ أداء الحقوق من الأطراف يؤدِّي إلى التماسك الداخلي ، والذي بدوره يجعل العدو الخارجي ضعيفاً أمامه .

أمَّا إذا لم يؤدى الطرفان : الحاكم والمحكومين ، حقوق الطرف الآخر ، فإنه يظهر الخلاف ، ويختل ميزان العدل . « وإذا غلبت الرعيَّة واليها ،

وأجحف الوالي برعيَّته ، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجـور ، وكثر الادغال في الدِّين ، وتركت محاج السنن ، فعمل بالهوى ، وعطّلت الأحكام ، وكثرت علل النفوس » .

إذ أن كل طرف يتآمر على الطرف الآخر ، وحينما تدخل الدولة في دائرة التـآمر المتقـابل بين الـرعية والـراعي ، ينسحب الطيبـون وينجـح الأشـرار . « فهنالك تذل الأبرار ، وتعزّ الأشرار ، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد » .

خامساً : إن الحقوق المتبادلة بين الحاكم والمحكومين ، لا تستثني أحداً فليست الشورى عند الإمام خاصة بفئة دون أخرى ، ولا الحاكم ـ مهمـا كانت مكانته في العلم والكفاءة والمقـدرة الادارية ـ ممن يجـوز أن تسلم إليه مقـاليد الأمور من غير ما تعاون جاد بينه وبين الناس .

« فليس أحـد ـ وإن اشتـد على رضـا الله حـرصـه ، وطـال في العمـل اجتهـاده ـ ببالـغ حقيقة مـا الله سبحانـه أهّله من الطاعـة له ، ولكن من واجب حقوق الله سبحانه على العباد النصيحـة بمبلغ جهدهم ، والتعـاون على إقامـة الحق بينهم » .

« وليس امرؤ وإن عظّمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلتـه بفوق أن يُعان على ما حمّله الله من حقّه » .

« ولا امـرؤ وإن صغّرتـه النفوس واقتحمتـه العيـون بـدون أن يعين على ذلك ، أو يعان عليه » .

أمّا ما هي « حقوق الراعي » وما هي « حقوق الرعيّة » ؟

فقد ذكرها الإمام عليّ ( عليه السلام ) في كلماته التالية : « أيها الناس إن لي عليكم حقّاً ، ولكم عليّ حق ، فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا» .

« وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بـالبيعة ، والنصيحـة في المشهد والمغيب ، والاجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم »[1] .

وواضـح أن « العدل » والنصيحـة للناس ، هـو الحق الأول الذي يجب على الراعي رعايته ، ثم يأتي توفير الفيء ، والتعليم والتربية كحقوق للرعية ، وفي المقـابل « الـوفاء بـالبيعة » والنصيحـة والاجـابـة ، والـطاعـة هي حقـوق الراعي .

إنما كل ذلك في ظل القانون ، فالوالي ليس هو من يعمل بالهوى وعلى الناس إطاعته ، فليس من حقّه أن يكون مشرّعاً ، وتحوّل أوامره إلى قوانين ، وأهواؤه إلى دساتير . . كما ليس من حقه أن يصادر حرّيّات الناس في أي مجال من المجالات لأن ذلك ينفي عنه العدل ، وبذلك يُسقط حقّـه في الطاعـة . . فالحقوق متكافئة بين الطرفين . .

* * *

**الأوّل ـ تأمين الحرّيات :**

أساساً يُولد الانسان حرّاً ، وميّزته على الكائنات الأخرى هي « حرّيتـه » فلا يجوز له أو لغيره أن يتجاهلها لأن الحرّيّة ليست حقّاً ، بل هي واجب ولذلك كان الانسان مسؤولاً في الحياة . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « لا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله سبحانه حرّاً، [2] ويقول : « لا تكوّنن عبد غيرك فقد جعلك الله سبحانه حراً ، فما خير خيراً لا ينال بشر ، ويُسْراً لا يُنال إلاّ لعسر »[3] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ، ٣٤ .
(٢) غرر الحكم ، ودرر الكلم .
(٣) المصدر السابق .

ويقول « أيها الناس . . إنّ آدم لم يلد عبداً ، ولا أمةً ، وأن الناس كلهم أحرار »[1] .

ويقول : « الناس كلهم أحرار ، إلاّ من أقرّ على نفسه بالعبوديّة »[2]

إنّ ربّنا لم يقرر لأنبيائه مصادرة حرية الناس ، فهو القائل : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾[3] ، والقائل : ﴿ **إنما أنت مذكّر ، لست عليهم بمصيطر** ﴾[4] ، والقائل : ﴿ **لا إكراه في الدّين** ﴾[5] . .

فهل يجوز لغيرهم ذلك ؟! ثم إنّ الحرّيات للإنسان ، ليست محدّدة ، بل تشمل كل جوانب حياته ، والأصل في كل أموره هو « الحريّة » أمّا الاستثناء فهو يرجع إلى حقّ الآخرين في الحرّيّة ذاتها .

فكل إنسان حرّ ، ولكنه ليس حرّاً في مصادرة حرّيّات الآخرين .

وكلّ إنسان حرّ في أن يعمل ما يريد ، ولكنه ليس حرّاً في التجاوز على حقوق الآخرين . .

ثم إن «الحرّيّات العامة تشمل : الحريّة الفكرية ، فلكل إنسان الحقّ في أن يؤمن بما يعتقد به ، والحرية الإقتصادية ، والحريّة السياسية »[6] .

والذي يهمّنا الآن هي الحريات السياسية والتي تشمل الأمور التالية :

١ ـ حرية إبداء الرأي .

---

(١) نهج السعادة : ج ١ ، ص ١٩٨ .
(٢) الصياغة الجديدة : ص ٣١٠ .
(٣) سورة ق ، آية : ٤٥ .
(٤) سورة الغاشية ، آية : ٢١ ـ ٢٢ .
(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .
(٦) لصياغة الجديدة : ص ٣١٣ .

٢ ـ حريَّة الاجتماع والتنظيم .

٣ ـ حرِّيَّة المعارضة .

## أولاً ـ حرية إبداء الرأي :

لم يكن الإمام عليّ ( عليه السلام ) يسمح لأحد بإبداء رأيه فحسب بل كان يطلب منه ذلك معتبراً إياه جزءاً من العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وواجباً من واجبات الرعيَّة تجاه الراعي . .

يقول ( عليه السلام ) : « فلا تكفّوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإنّي لستُ في نفسي بفوق أن أخطىء ، ولا آمن ذلك من فعلي ، إلَّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منِّي فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره ، يملك منَّا ما لا نملك من أنفسنا » .

« ولا تظنُّوا بيّ استثقالاً في حقّ قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي ، فإنه من استثقل الحقّ أن يقال له ، أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه »[1]

وهكذا فإنّ « إبداء الرأي » حقّ أساسي للرعيَّة في أمورهم ، وربما يكون واجباً من واجباتهم تجاه الراعي . . « فلا تكفّوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل »[2] .

ولقد عوّد الإمام أصحابه على « إبداء الرأي » على عكس ما كان يفعله أعداؤه . . فمثلاً معاوية بن أبي سفيان كان يمنع الناس عن إبداء آرائهم فهو « الآمر » وهم « المأمورون » . وهو الحاكم وهم المحكومون . وهو الذي يفكر ويقرِّر ، وعليهم السَّمع والطاعة .

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ، ص ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق .

وقد روي في ذلك أن الحجاج بن الضمّة دخل على معاوية في بداية تمرّده على الإمام فقال له : « إني أخبرك يا أمير المؤمنين إنك تقوى على عليّ بدون ما يقوى به عليك ، لأن معك قوماً لا يقولون إذا قلت ، ولا يسألون إذا أمرت . وإن مع عليٍّ قوماً يقولون إذا قال ، ويسألون إذا أمر ، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه » ![1] .

إنّ « للرأي » قدسيته ، وإن الموت دونه من أجل الحقّ ، يجعل صاحبه شهيداً لأن « من قتل دون حقه فهو شهيد ، ومن مات دون مظلمة فهو شهيد ، ومن مات دون كلمة الحق فهو شهيد ، وأفضل من ذلك كلمة حق عند إمام جائر » ـ كما يقول الحديث الشريف ـ .

## ثانياً ـ حرّية الاجتماع والتنظيم :

فيما يرتبط بعمل الخير ، والسعي لمصلحة الناس فإن التنظيم ليس جائزاً فحسب بل هو مستحب أيضاً ، يقول الله تعالى :

**﴿ ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾**[2] .

ويقول : **﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾**[3] .

« فحق التجمع والتنظيم وتشكيل الجمعيات والمنظمات والأحزاب مكفول في الاسلام ، فقد جعل الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) المهاجرين والأنصار جماعتين . . ويستفاد من أحاديث متعددة أنه كلما ضغطت

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٤ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ١٢٢ .

عليه جماعة منهما كان يلتجىء إلى الجماعة الأخرى، ففي حديث رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) أنه قال: « لو سلك الناس وادياً ، وسلك الأنصار وادياً . . »[1] .

ولقد بقي كل من الأنصار والمهاجرين كحزبين إلى عصر أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، وكان لهما مظاهر حزبين مستقلين حتى في الحروب « فكانت راية الأنصار يوم صفّين بيد « قرظة » وهو من صحابة رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم )[2] .

وإذا كان التنظيم مشروعاً ، فهل يبقى « الاجتماع » محرماً ؟

## ثالثاً ـ حرية المعارضة :

سنرى فيما بعد أنّ انتخاب الحاكم هو حق من حقوق الناس ومن ثم فإنّ عزله أيضاً حق من حقوقهم . . ولا شك أن ذلك لا يمكن أن يتمّ إلاّ إذا كان حق المعارضة مكفولاً . . وإلاّ كيف يتم عزل الحاكم لو لم تسبقه المعارضة ؟

إلاّ أنّ المعارضة بحد ذاتها مشروعة ، وقد مارسها المسلمون الأولون بكلّ حرِّية . فابتداءً من أمير المؤمنين ( عليه السلام ) الذي رفض البيعة بعد رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إلى ما بعد وفاة فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) ، ومروراً بأبي ذرّ الذي رفع راية المعارضة ، وانتهاءً بسماح الإمام ( عليه السلام ) لمعارضته من قبل الخوارج ، كل ذلك يدلّ على مشروعية المعارضة ، للافراد وللجماعات معاً . .

## الثاني ـ حاكمية الناس :

الحكم ، أي حكم ، هو للناس ، لا عليهم فالحاكمية لهم دون غيرهم .

---

(١) الصياغة الجديدة : ص ٣٣٨ .

(٢) الصياغة الجديدة : ص ٣٣٩ .

ولا يجوز تقرير مصائر الناس من دون رضاهم ، ولا تعيين والي من غير اختيارهم .

فحكم الشورى ، يعني حق الناس اختيار الحاكم ، والنظام الذي يحكمهم كما يعني حقهم في عزل الحاكم ، وتغيير النظام الذي يحكمهم ، ضمن إطار القانون . .

وحكم الشورى يعني أيضاً مشاركة الناس في إدارة أنفسهم ، وفي تقرير مصيرهم في السلم والحرب وفي كل ما يمسّ شؤونهم . .

ونظراً إلى أنّ معنى حرية الناس في التنظيم وحقهم في المعارضة أن يختلفوا فإن من غير المتوقع إجماع الناس دائماً على أمر واحد ، ورأي واحد ، فإنّ « رأي الأكثرية » سيكون هو المرجح ، ومن هنا ضرورة خضوع الأقلية للأكثرية في الشؤون العامّة ، أمّا في الشؤون الخاصّة فلكل إنسان رأيه وحقّه الخاص به .

يقول الإمام علي ( عليه السلام ) : « الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين ، بعدما يموت إمامهم ، أو يقتل ضالاًّ أو مهديّاً، أن لا يعملوا عملاً ، ولا يقدموا يداً ولا رجلاً قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً ، عالماً ، ورعاً ، عارفاً بالقضاء والسنّة يجبي فيئهم ويقيم حجمهم ، وجمعهم ، ويجبي صدقاتهم[1]

فالمسلمون هم الذين يختارون إمامهم ، ولا يفرض عليهم فرضاً ، ولقد جاء اختيار المسلمين للإمام ( عليه السلام ) عن رغبة وحرية كاملة . . فعندما جاؤوا إليه بعد مقتل عثمان قال لهم : « دعوني والتمسوا غيري ، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد

(١) كتاب سليم بن قيس : ص ١٨٢ .

أغامت ، والحجّة قد تنكرت . واعلموا إنّي إن أجبتكم ، ركبت بكم ما أعلم ( أي طبقت فيكم الحق بلا تمييز ) ولم أصغ إلى قول القائل ، وعتب العاتب ، وإن تركتموني ، فأنا كأحدكم ، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً »(١)

وفي طريقة البيعة للإمام ذكر المؤرّخون أنه بعد مقتل الثالث جاءه المسلمون ، وفيهم زعماء أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) من المهاجرين والأنصار ، والذين اتّبعوهم بإحسان ، والذين جاؤوا من مصر والكوفة والبصرة وغيرها ، فقالوا يا أبا الحسن هل نبايعك ؟ فقال ( عليه السلام ) : لا حاجة لي في أمركم ، فقالوا : ما نختار غيرك فاختلفوا إليه مراراً وتكراراً ، وأصروا عليه إصراراً ، وخرج ( عليه السلام ) إلى السوق فاتبعه الناس وأصرّوا عليه ، فدخل حائط بني عمرو وقال لأبي عمرة : اغلق الباب فجاء الناس فقرعوا فدخلوا وفيهم طلحة والزبير ، فقالا : يا علي أبسط يدك فبايعه طلحة والزبير وثم الآخرون(٢) .

ولقد قال الإمام فيما بعد :

« والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية أربة ولكنكم دعوتموني اليها ، وحملّتموني عليها ، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به فاتّبعته ، وما استّن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فاقتديته »(٣) .

وقال أيضاً : « إني ما أكرهت أحداً على البيعة »(٤) .

---

(١) الكامل : ج ٣ ، ص ١٩٣ .
(٢) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٢٩ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ، ص ٢٠٥ .
(٤) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٧٠ .

فقد رفض البيعة عبدالله بن عمر ، وجماعة أخرى من أمثاله فلم يجبرهم الإمام على البيعة ، بل تركهم وشأنهم[1] . وهكذا كان الإمام يرى مشروعية حكمه بانتخاب الناس له ، لا فرضه عليهم . .

وهذا يعني أن الأصل هنا هو رأي الناس في انتخاب الحاكم ، وحقّهم في تعيين الوالي ، والخليفة ، دون غيرهم . .

* * *

وكما للناس حقّ اختيار « الوالي » و « الإمام » ، فإن لهم حق المشاركة في الحكم ، عبر الأخذ بآرائهم فيما يرتبط بمصائرهم من أمور هامَّة تترك الأثر على حياتهم . .

ولقد اعتاد الإمام عليّ ( عليه السلام ) على استشارة الناس في مثل تلك الأمور ، معتبراً ذلك حقّاً من حقوق الرعية ، وهو القائل :

« ألا وأن لكم عندي ( أي حقّكم عليّ ) ألاَّ أحتجز دونكم سراً إلاَّ في حرب ، ولا أطوي ( أمنع ) دونكم أمراً إلاَّ في حكم ، ولا أؤخّر لكم حقّاً عن محله ، ولا أقف به دون مقطعه »[2] .

ولكم يجد الباحث موارد في حياة الإمام عليٍّ ( عليه السلام ) أيام خلافته كان الإمام يستشير فيها أصحابه ، ويخضع لمشاوراتهم وآرائهم ، بالرغم من أنه ( عليه السلام ) كان له رأي آخر ، وبالرغم من أن رأيه كان الأصوب ، حسب النتائج .

فمثلاً قبيل معركة صفّين جمع الإمام من كان معه من المهاجرين والأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنكم ميامين الرأي ،

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٣١ .

(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٠ ـ الأمالي : ج ١ ، ص ٢٢١ .

مقاويل بالحق ، أهل الحلم ، مباركو الفعل والأمر ، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدّوكم فأشيروا علينا برأيكم » .

فقام عمَّار بن ياسر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « يا أمير المؤمنين إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على العدوان والفرقة ، وادعهم إلى رشدهم ، فإن قبلوا سعدوا ، فإن أبوا إلا حربنا فوالله إن سفك دماءهم، والجد في جهادهم لقربة عند الله » .

فقال الإمام : « لله درك يا عمار . سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقول : إن عماراً مليء إيماناً إلى مُشاشه ( رؤوس العظام كالمرفقين والمنكبين والركبتين ) . وكان عمار إذا استأذن على النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقول : ائذنوا له . فإذا دخل استقبله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بقوله : مرحبا بالطيب المطيب .

فلما فرغ الإمام من الثناء على عمار ، قام سعد بن قيس بن عبادة فقال : « يا أمير المؤمنين . عجّل بنا إلى عدونا ، فوالله لجهادهم أحب إليَّ من جهاد الترك والروم لإدهانهم في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ! إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيَّروه ( نفوه ) ، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ، ونحن لهم فيما يزعمون قطين ( أي رقيق وعبيد ) » .

ثم قام سهل بن حنيف فقال : « يا أمير المؤمنين . نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت . ورأينا رأيك . ونحن كف يمينك ، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخوص ، وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل ، فإنهم هم أهل البلد وهم الناس . فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب . وأما نحن صحابة رسول الله ( صلى الله عليه

وآلـه وسلم ) ، فليس عليك منّـا خلاف ، متى دعـوتنا أجبنـاك ، ومتى أمرتنـا أطعناك »[1] .

وبعد أخذ وردّ ، اتفق رأي الأكثرية منهم على الميسر إلى الشام ، وهكذا كان . .

فلم يصـدر الإمام أمـراً « ملكياً » أو « جمهـورياً » أو « إمـامياً » بـإعـلان الحـرب ، ويفرض على أصحـابه الخضـوع له ، ويعـاقب بـالإعـدام كـل من يخالف .

إنَّ الحرب فيها مصائر الناس ، فكيف يمكن إعلانها بدون أخـذ آرائهم فيها ، ومشورتهم حولها ؟

والغريب أن الإمام بالرغم من رأيه الشخصي في الحرب مـع معاويـة ، وبالرغم من رأي الأكثرية من أصحـابه معـه ، إلاَّ أنه تـريّث في ذلك لكي يتم الحجة على معاويـة ، حتى إذا أبطأ عن ذلـك ، اجتمع اليـه ( عليه السـلام ) بعض أصحابه ، وجرت بينهم المداولة التالية :

قال رجل من أهل الكوفة : « متى يقودنا أمير المؤمنين لنغزو الشام قبل أن يغزونا معاوية ؟ »

وقـال آخـر : « تعلمنـا من الإمـام أنـه مـا غـزي قـوم في دارهم قط إلاَّ ذلّوا . . ؟ » .

فأجابه شيخ : « دع الأمر للإمام فهو أدرى بالأمر منّا » .

فارتفع صـوت : « لا والله لا يصنع بنـا كما يصنـع معاويـة بأصحـابه : يـأمـرهم فيـطيعـون ، دون أن يفقهـوا ! إن لنـا في الأمـر رأيـاً ، وقــد علّمنـا

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

أمير المؤمنين أنه ما خاب من استشـار ، وأن من استشار الـرجال شـاركهم في عقولهم . لا والله لا يبرم أمراً دوننا أبـداً »[1] . يعني ذلك أن أصحـاب الإمام كانوا قد تعودوا بسبب ما ، أن لهم الحقّ في الأخذ بـآرائهم ، ولهم الحق في رفض القرار إذا لم يؤخذ بها ! فلم يجبرهم الإمام على ذلك . .

وقد حدث أكثر من مرَّة أن بعض من كان معه ، لم يكن له رأي موافق مع الحرب ، فكان ينوي الاعتزال فلم يجبره الإمام . . من ذلك ، « أن جماعة لم تحب الخروج معه إلى الشام وقد أفصحت عن ذلك ، فسمح لهم الإمـام بأن يعتزلوا الأمر » ثم شعر ( عليه السلام ) أن جماعة أخرى لا تحب الخروج ولكنها لا تفصـح عما في أعمـاقها تحـرجاً و حياءً منه . فـذهب اليهم ، وقال لهـم : « خـذوا عطاءكم ، وأخـرجوا إلى الـدّيلم » فحمدوا الله إليـه ، وهكذا أرسـل الجماعات التي لا تريد أن تنغمس في القتال ، إلى حدود البلاد ليحموا الثغور مـع حماتهـا مما عسى أن يتهـددها من الأعـداء . ولم يغاضب أحداً لأنه أبى الخروج معه . . »[2]

إن تـرسيخ دعـائم الشورى ، كـانت عنـد الإمـام أهم بكثيـر من إحـراز الانتصـار . ذلـك أن « الشـورى » مبـدأ من مبـادىء الحكم وقيمـة من القيم الدينية ، و « مثل » من المثل الانسانية ، بينما الانتصار قضيـة ماديَّـة وقتية . . فكان الإمام يقدّم القيم على حسابه الشخصي مهما كانت النتائج . .

لقد كان الإمام فعلاً بحاجة إلى الرجال ، فلم يكن خروج جماعة بالذي لا يؤثر على جيشه ، ولكنه لم يكن يجبر الناس على مصائرهم . .

لقد خضع الإمام لرأي أصحابه مرات ومرات ، حتى قال ( عليه السلام ) قولته الشهيرة : «أفسدتم عليّ رأيي حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٠ .

(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٢٤ .

شجاع ولكن لا علم له بالحرب .

لله أبوّهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً منّي ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنذا قد ذرفت على الستّين . ولكن لا رأي لمن لا يُطاع [1] .

* * *

ولقد خضع الإمام لآراء أصحابه في الظروف الصعبة والعادية معاً إلى درجة أن ذلك أدّى إلى تطاولهم عليه ، وتمزق صفوف جيشه ، غير أن الإمام لم يتراجع عن الأخذ بمشورتهم ، والتنازل لمواقفهم ، كما لم يصدر أمراً بمنع مناقشتهم له ، وضرورة خضوعهم لتعليماته ، بل بقي مخلصاً لمبدأ قبول آراء الأكثرية ، وضرورة المناقشة المستمرة ، والحوار الدائم مع أهل الحل والعقد منهم . .

ولقد حدث في معارك صفين أن الإمام لاحظ «أن معاوية يقف على التل تحت الترس الذهبي ، يتفقد طريق مؤخرته إلى الشام ، لينسحب إذا ما لم يجد حيلة إلا الإنسحاب . .

وشاهد الإمام تدفق الإمدادات والميرة من الشام إلى مؤخرة جيش معاوية ، فنظر الإمام في الأمر ، فوجد أن معاوية كلما حوصر ونفذت منه الميرة جاءه مدد ضخم من الشام ، فالطريق إليها مفتوح . . وإذن فلا سبيل إلى الإنتصار الحاسم على جيش الشام ومعاوية ما بقي طريق الميرة والإمداد مفتوحاً ومؤمّناً .

وأصدر الإمام عليٌّ أمره إلى أحد أصحابه : « سر في بعض هذه الخيل

(١) مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٤٠٣ .

فـاقطع الميـرة عن معاويـة ، ولا تقتل إلا من يحـل لـك قتله ، وضـع السيف موضعه » .

وبلغ ذلك معاوية ، فدعا أقوى أمراء جيشه وأمره أن يخرج بفرسانه لتأمين الطريق ، ولكنه عاد منهزماً بعد حين ، وقطع الإمام الميرة عن جيش الشام

فجمع معاوية رؤوس جند الشام وأصحابـه وقال لهم : « أتـاني خبر من ناحية من نواحيّ فيه أمر شديد » فقالوا جميعاً : « يا أمير المؤمنين ليس لنا رأي في شيء مما أتاك ، إنما علينا السمع والطاعة » .

وأراد الإمام عليٌّ أن يعرف رأي أصحابه من أهل العراق ، فقال : « أيها الناس ، إنه أتاني خبر من ناحية من نواحيّ » فقال بعضهم : « الرأي لك » وقال آخرون : « يا أمير المؤمنين ، إن لنا في كل أمر رأياً ، فما أتـاك فأطلعنـا عليه حتى نشير عليك » فقال عليّ ( عليه السلام ) : « ظفر والله ابن هنـد باجتمـاع أهل الشام له واختلافكم عليَّ ، والله ليغلبن باطله حقكم إنما أتـاني أن بعض خيلنا قطعت الميرة عن معاويـة ، وظفرت بفـرسانـه ، وأتى معاويـة نبأ هـزيمة أصحابه فقال : « يا أهـل الشام ، إني أتـاني أمر شـديد » ، فقلدوه أمـرهم ، واختلفتم عليَّ ! »[1] .

[يقول أحدهم عن طريقة الإمام في التعامل مع أصحابه «كان همّ الإمام أن يـعـود بـالـنـاس إلـى شـجـاعـة الـرأي، وصـدق الـنـصـيـحـة، كما كانوا أيام الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فالشورى واجبة شرعاً ، ولا خيار لولي الأمر فيها ، بل إنها لتلْزِمـه ، وإلا استبد بـرأيه على النـاس ، وهذا الإستبداد هو ما يأباه الله ورسوله ، هو الذي لعنا مقترفيه » !!

« إلا أن المستشار مؤتمن كما نص الحـديث الشريف ، فمن واجب من

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

يستشار أن يحسن المشورة ، ويخلص فيها ويصدق ، ولا يبتغي بها إلا وجه الله ومصلحة الأمة فحسب .

« وفي الحق أن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) استشار حتى أسرف عليه المشيرون ، وتطوع آخرون بالمشورة والرأي دون سؤال . . وعودهم الإمام على الرغم من هيبته أن يبدوا له حتى هواجس النفوس ، ورأى أن هذا أجدى من القمع ومن كبت الرأي » !

« وكان من هَمِّ الإمام أن يحض الناس على التفكير والتدبر ، وعلى ألا يطيعوا بلا فهم كالأنعام ، وألا يخروا على آيات الله إذا ذُكِّروا بها صماً وعمياناً وإلا كانوا شر الدواب »! .

« وإن الله خلق لهم الحواس والمشاعر والعقل ليروا ويسمعوا ويتدبروا . . فيعرفوا الحسن والقبيح بذاته ، وبالعقل ، وهو هكذا يُعْرَف قبل أن يحدده الشرع » !

« فالإمام هَمُّه أن يرتفع بمستوى العقل والإرادة في الإنسان » .

« وأمير المؤمنين هَمُّه أن تقوم الإمرة على العدل ، والورع والتقوى ، وأن يتساوى الناس كل وعمله ، والله يبلوهم ليعرف أيهم أحسن عملاً ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . وقد قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ » .

« والإمام كما قال مراراً وكرر تكراراً لم يجد في القرآن ولا في السنة ولا فيما يقرأ من كتب الأولين ، ولا فيما علَّمه الرسول من علم ، أن للعرب من أولاد إسماعيل فضلاً على غيرهم من أولاد أخيه إسحق ، وكلاهما كان رسولاً نبياً ، وكلاهما ولد إبراهيم .

« من أجل ذلك أحب الموالي وأهل الذمة الإمام كرم الله وجهه ، كما أحبه أهل الورع وأهل التقوى من العرب » .

وكـان جيش أميـر المؤمنين مؤلفـاً في أغلبـه من أهـل الـورع والتقـوى وممّنْ عودَّهم الإمام حرية التفكير، وأخذهم بالصراحة في التعبير عن الرأي فكان كـل مـقـاتـل فـي هـذا الـجـيش يـجـدل لـنـفـسـه حق مجادلة القـائد . . لكـل منهم رأيه المستقـل، وكأنـه أمـة وحـده! . . ومـا من أحد منهم يذعن للأمر أو النهي إلا إذا عرف عِلّتهُ وحكمته واقتنع بجدواه ، على خـلاف ما هـو مألـوف في الجيوش في ذلـك الـزمـان . وفي كـل زمـان ومكان ! . .

« من الحق أنهم اجتمعوا في حب الله ورسوله ، دفاعاً عن العدل ، وعن حق الإنسان في المساواة والكرامة والحياة الكريمة ، تحت راية الإمام علي . . ولكنّهم على الرغم من ذلك تعودوا ألا يمضوا خطوة ، وألا يأخذوا شيئاً أو يدعوا شيئاً ، إلا إذا اقتنعوا وفقهت عقولهم ما يفعلون ! . . هم يفعلون ما يُؤْمرون على أن يفهموا سبب الأمر ومغـزاه »!![1]

وفي مسـألـة « التحكيم » في صفّين حينمـا رفـع أصحـاب معـاويـة المصاحف على الرماح داعين إلى كتاب الله، كانت المعارك على مشـارف أن تـنـتـهـي بـانـتـصـار الإمـام، وكـان الأشـتـر عـلى قـاب قـوسـين من موقع معاوية ، ولقد كان رأي الإمام الإستمرار في الحرب حتى النصر ، وقد كان يلوح في الأفق فعلاً . إلاّ أن أصحـابه رأوا غيـر ذلك ولقـد حاول الإمـام إقناعهم بما يـراه ، وحاججهم ، ونـاقشهم ، وبيّن لهم ، ولكّنهم أصرّوا على القبـول . فتنازل لهم الإمـام بالـرغم من أنه كـان بـإمكـانـه أن يصم أذنيـه عن مقالتهم ، ويصدر أوامره بالتصدي لكل من يخالفه الرأي ، ويحرز النصر وينهي الأمر كله . ولكن لم يكن انتصاره ، انتصـاراً للشورى ، بـل انتصاراً للحـاكم وحـده . . وبقرار منفـرد منـه . . وعلى رغم قـرار النـاس . . وقـد آثـر الإمـام « التحكيم » بـالـرغم عنـه لكي يكـون قـد نـزل على رأي أصحـابـه ، يقـول

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٦٢ .

مصعب بن الزبير ، وكان مع الإمام حينئذ فروى الحادثة كما يلي :

« كنت عنده حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه ، وقد كان الأشتر أشرف على معسكر معاوية ليدخله ، فأرسل إليه علي زيد بن هانىء : أن إيتني . .

فأتاه فبلغه فقال الأشتر : «إيت أمير المؤمنين فقل له : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي . إني قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجلني » .

فرجع زيد بن هانىء إلى عليّ فأخبره .

فما هو أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر ، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ، ودلائل الخذلان ، والإدبار على أهل الشام .

فقال له القوم : والله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم .

قال : « أرأيتموني ساررت رسولي إليه ؟! أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟

قالوا : « فابعث اليه فليأتك ، وإلا فوالله اعتزلناك » .

قال : « ويحك يا يزيد بن هانىء . قل للأشتر أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت .

فأتاه فأخبره ، فقال الأشتر : ألرفع هذه المصاحف ؟!

قال : نعم .

قال : أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة ! إنها مشورة ابن النابغة ـ يعني ابن العاص ـ ثم قال ليزيد : ويحك ! ألا ترى إلى ما يلقون ؟ ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا ؟ أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه ؟!

فقال له يزيد : أتحب أنك ظفرت ها هنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يسلم إلى عدوه ؟ . قال : سبحان الله ! لا والله ما أحب ذلك . فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح فيهم: يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم على القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون ، ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ؟! قد والله تركوا ما أمر الله به فيها وتركوا سنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم أمهلوني فُوَاقاً ( ما بين الحلبتين للناقة ) فإني قد أحسست بالفتح .

قالوا : لا .

قال : فأمهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر .

قالوا : لا ، إذن ندخل معك في خطيئتك .

قال : فحدثوني عنكم - وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم - متى كنتم محقين ؟ أحين كنتم تقتلون أهل الشام ؟ فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون ؟ أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون ؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم ، في النار !

قالوا : دعنا منك يا أشتر . قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله . إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا .

قال : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ، ألا فقبحاً لكم ، ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً ، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فسبوه وسبهم ، وضربوا بسياطهم وجه دابته ، وضرب بسوطه وجوه دوابهم ، فصاح بهم عليّ فكفوا .

وقال الأشتر : يا أمير المؤمنين إحمل الصف على الصف يصرع القوم

وهكذا كان أصحابه يختلفون ويتصايحون ويتناقشون ويتضاربون وكأن برلمانهم مفتوح على الطبيعة في ميدان الحرب كما في حالات السلام وأخيراً يخضعون لأكثرية الآراء !

وفي عزّ المعارك جاء أحد أصحاب الامام وسأله : « ما رأي أمير المؤمنين ؟

فقال : « لم يزل أمري معكم على ما أحب إلي أن أخذت منكم الحرب . قد والله أخذت منكم وتركت ، وأخذت من عدوكم فلم تترك . وإنها فيكم أنكى وأنهك . ألا إني كنت أمس أميراً للمؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً . وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون » . إذن للإمام رأي استمرار الحرب ، ولكنهم لا يرغبون في ذلك وهو لا يجوّز لنفسه ( حيث يقول ليس لي ) أن يجبرهم على ذلك ( أن أحملكم على ما تكرهون ) . فليس قبول الإمام للتحكيم لعجزه ولا لخوفه من تهديد أحد ، لأنه لم يخف في حياته قط إلا من الله تعالى . وليس لأنه خاف الشقاق في أصحابه ، وقد وقع الشقاق على كل حال ، بل لأنه يؤمن بأن للناس رأيهم في مصائرهم ويجب أن يحترم هذا الرأي وإن كان خاطئاً .

. . . ومع إصرارهم قبل الإمام إيقاف القتال ، فتصايحوا : إن عليّاً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة وقد رضي بحكم القرآن ، قال الأشتر : إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي ، فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين . فأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين ، قد قَبِلَ أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين ساكن لا يبض ( لا ينبس ) بكلمة ، مطرق إلى الأرض .

فقطع الأشعث الصمت بقوله : « يا أمير المؤمنين إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد » . قال الإمام في سأم : « ذلك إليك ، فافعل إن شئت » .

فلما جاء الأشعث إلى معاوية رحب به ! وقال له : « نرجع نحن وأنتم إلى

كتاب الله وإلى ما أمر به في كتابه ، تبعثون رجلاً منكم تـرضونـه وتختارونـه ، ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد أن يعملا بما في كتاب الله ، وننقاد جميعاً لما اتفقا عليه من حكم الله » .

ثم أرسل معاوية إلى عليّ كتاباً قال فيه : كل واحد منّا يرى أنه على الحقّ فيما يطلب من صاحبه ، وقد قتل بيننا خلق كثير ، ولن يعـطي أحد منّـا طاعـة للآخر ، وإني أتخوّف أن يكون ما بقي أشد ممّا مضى .

فهل لك في أمر لنا ولك في حياة وعذر وبراءة أن يحكم بيننا حكمان رضيان ، أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك ، فيحكمان بما في كتاب الله بيننا ، فإنه خير لي ولك واقطع لهذه الفتن ، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله » .

فكتب إليه الإمام : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد ، فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتّباع ما يحسن به فعله ، ويستوجب فضله ، ويسلم من عيبه ، وإن البغي والزور يزريان بـالمرء في دينـه ودنياه . . فاحذر الدنيا ! لا فرح في شيء وصلت إليه منها ، وقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته . وقد رام قوم أمراً بغير الحق فتأولوا على الله تعالى ، فأكـذبهم ، ومتعهم قليلاً ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ ، فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمـد عاقبة عمله ، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحاده ، فغرتـه الدنيـا واطمأن اليها .

ثم إنّـك دعوتني إلى حكم القـرآن ، ولقـد علمت أنـك لست من أهـل القرآن ، ولست حكمه تريد ، والله المستعـان . وقد أجبنـا القرآن إلى حكمـه ولسنا إياك أجبنا ، ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » .

فلما عاد الأشعث بكلام معاوية إلى الإمام ، قال أكثر أصحابه : « رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا » .

وأشار الأشعث على الإمام بأن يبعث عنه أبا موسى الأشعري .

فقال الإمام : « قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أولي أبا موسى الأشعري ! » .

فقال الأشعث ومن خرج على الإمام من القراء المتطرفين : « لا نرضى إلا بأبي موسى ! » .

قال الإمام : « ويحكم ! هو ليس لي بثقة ! لقد فارقني وخذل الناس عنِّي ، ثم إنه هرب شهوراً إلى مكة حتى أمنته ، لكن هذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك » .

قال الأشعث والخوارج على الإمام : « والله لا يحكم فيها مضريان » فأبن العاص وابن عباس من قريش فهما مضريان ، أما الأشعث وأغلب الخوارج فمن قحطان ، وبين مضر وقحطان عداء قديم وتنافس منذ الجاهلية !!

وعندما رفضوا مرشحه لم يجبرهم على ذلك بل قال : « إن أبيتم ابن عباس ، فالأشتر » ( وهو قحطاني مثلهم ) .

قالوا : « وهل سعر الأرض ، وهاج هذا الأمر ، وأشعل ما نحن فيه إلا الأشتر ؟ لا نرضى بغير أبي موسى الأشعري . . فإنه حذرنا ما وقعنا فيه » . قال عليّ : « إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه في نظره من عمرو بن العاص ، وإنه لا يصح للقرشي إلا مثله . فعليكم بعبد الله بن عباس فارموا به ، فإن عمرو بن العاص لا يعقد عقدة إلا حلها عبد الله ، ولا يحل عقدة إلا عقدها » فقال الأشعث : « اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر » قال الامام ساخراً : « أخاف أن يخدع يَمَنِيُكم فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى » قال الأشعث : « والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن ، أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضريان » .

فقال الأحنف بن قيس : « يا أمير المؤمنين ، إنك قد رميت بحجر الأرض ( الداهية من الرجال ) ، ومن حارب الله ورسوله في أول الإسلام وإني عجمت أبا موسى وحلبت أشطره ، فوجدته كليل الشفرة وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ، ويتباعد عنهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم » .

فقال الناس : « لا يكون إلا أبا موسى » . لقد قبل الإمام رأي أصحابه في قبول الهدنة رغم النصر الذي كان يلوح له في الأفق ، وها هو يريد أن يُعيّن مبعوثاً من قبله ولكن أصحابه لا يقبلون ، فلا يقول لهم : ما لكم والدخول بين السلاطين . . ولا يجبرهم على ذلك ، بل يقبل منهم النقاش ويحاول اقناعهم برأيه ، فهو لا يريد أبا موسى ممثلاً له ، ولجبهته ، فهو يتذكر ما كان من أبي موسى الأشعري ، عندما أرسل إليه ليخرج معه إلى معركة الجمل ، وكان أبو موسى إذ ذاك أميراً على الكوفة فأبى ومنع الناس من الانضمام لعلي ، وقال للناس أنه سمع رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقول : « إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » .

فظل أبو موسى ينصح الناس ألاّ يخرجوا مع الإمام ، حتى جاءه الأشتر أميراً على الكوفة فاحتل قصر الإمارة وطرده ، فهرب أبو موسى إلى الحجاز ، وخرج الناس مع عمار والأشتر والحسن بن عليّ فوافوا الإمام قبل معركة الجمل !

لم يمر من الأعوام ما يكفي للنسيان !! ما مرّ إلا عامان فحسب . وها هو ذا الإمام يضطر إلى أن ينيب عنه أبا موسى الأشعري .

أمضّ الإمام أنهم يصرون على رأيهم الخاطىء فقال :

« أُعصى ويُطاع معاوية !! »

وحاول أن يبصرهم بما هم صائرون إليه ، ولكن بلا جدوى فقال لهم وقد قبل رأيهم . .

« اصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه ! »

فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري في مكة ، فقالوا له : « إن الناس قد اصطلحوا » . فقال : « الحمد لله » قالوا له : « وقد جعلوك حكماً » قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . هكذا عوّد الإمام أصحابه أن يكون لهم في شؤونهم رأياً ، كما عودّهم أن يحاول اقناعهم بما هو مقتنع به ، وأن يجادلهم ، وأن يوضح لهم ما يجب توضيحه ، ولكنه لم يعودهم أن يصدر الأوامر إليهم ، ويحملهم على الطاعة بالرغم عنهم .

لقد غرست تعاليمه في قلوبهم ، أن لا يخرّوا صمّاً وعمياناً إذا تليت عليهم آيات ربهم ، بل عليهم أن يتدبروا فيها ، ليفقهوها ، ليعبدوا الله عن بصيرة ، وعوّدهم أن يتفكروا ، في كل أمر يصدره حتى في اللحظات الحاسمة من الحرب ، وأن يقرروا ، حتى عندما يجب على الجند عادة أن يطيعوا ما يؤمرون . .

بينما عوّد معاوية أصحابه أن يسلّموا اليه القياد، وأن يغلقوا على أنفسهم باب الوعي والفهم ، وأن يطيعوه ولا يناقشوه ، لقد مشى معهم على قاعدة « أطع ولا تناقش » فقد « استخف قومه فاطاعوه » كما فعل فرعون من قبل .

أما الإمام الذي قام حكمه على الشورى ، والذي لم يقطع أمراً دون أصحابه ، إلاّ في أحكام الله وشريعته ، والذي لم يخف عنهم سراً إلا ما يتعلق بأسرار الحرب ، فقد أصرّ على اتباع الشورى ، حتى وأن أدّى ذلك إلى الهزيمة في القتال . .

كان رأيه غير رأيهم ، وكان الأفق واضحاً أمامه ، يرى من بعيد إلى ما ينتهي هذا الأمر ، ولكنه لم يكن المستبد برأيه ، ولم يرد أن يصادر آراء الناس

ويجبرهم على تغيير توجهاتهم . .

ولنستمع مرة أخرى إلى ما يذكره المؤرخون في هذا المجال . .

« روي أنه بعد كتابة صحيفة التحكيم ، دعي الشهود من الطرفين ليوقعوا على الصحيفة : من كل جانب عشرة ، فلما دعوا الأشتر قال : لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة . أو لست على بيّنة من ربي ، ويقيني من ضلالة عدوي ؟ أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور ؟!

فوثب الأشعث بن قيس ، فقال محتداً : « إنك والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً ، هلم فاشهد على نفسك ، وأقرر بما كتب في هذه الصحيفة ، فإنه لا رغبة بك عن الناس » .

قال الأشتر : بلى والله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا ، وفي الآخرة للآخرة ، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندي ، ولا أحرم دماً » .

فقال الأشعث : « ولكن قد رضيت بما صنع علي أمير المؤمنين ، ودخلت فيما دخل فيه ، وخرجت مما خرج منه ، فإنه لا يدخل إلا في هدى وصواب » .

والأشتر فارس اشتهر بأنه عظيم الصولة ، صارم القلب ، شديد الإقدام وهو خواض غمرات .

فآثر الأشعث أن لا يجادله أو يخاصمه ، وذهب ومعه عصابة من القراء إلى علي ، فقال الأشعث : « يا أمير المؤمنين » الأشتر لا يقر بما في الصحيفة ، ولا يرى إلا القتال » .

وحاولوا أن يصوروا الأشتر مخالفاً للإمام كارهاً لما رضيه القوم . فقال الإمام : « وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا ، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد

رضيت ، وإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يعصى الله ويتعدى كتابه ، فتقاتلوا من ترك أمر الله .

وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ولست أخافه على ذلك . ياليت فيكم مثله اثنين ! يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى ! إذن لخفت عليّ مؤنتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أُودكم ( الأود : العوج ) . وقد نهيتكم فعصيتموني ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن ( دريد بن الصمة الشاعر الجاهلي ) :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة ، وأسقطت منه ( قوة ) ، وأورثت وهناً وذلة ، ولما كنتم الأعلين ، وخاف عدوكم الإجتياح، واستحر بهم القتل ، ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب ، ويتربصوا بكم ريب المنون ، خديعة ومكيدة ، فأعطيتموهم ما سألوا وأبيتم إلا أن تهنوا وتغيروا وأيم الله ، ما أظنكم بعدها توفقون لرشد ، ولا تصيبون باب حزم »[1] .

فالإمام لم يرض بالتحكيم ، تماماً كما لم يرض الأشتر ، ولكنه حينما رأى أصحابه يرضون رضى به « فإذا أبيتم إلاَّ أن ترضوا فقد رضيت » .

إنه الشورى في الحكم ، والنتائج قد لا تكون مرضية ، ولكن لا بد من قبولها لأن التراجع عن الشورى تراجع عن المبدأ ، أمَّا النتائج فهي لا تتعدى أمور الدنيا هذه . وكان عليّ ( عليه السلام ) زاهداً فيها . .

* * *

ونجد مثالاً آخر لتدخل أصحاب الإمام في الشؤون التي تهمهم من أمور

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ .

الدولة ، في مناقشات « التحكيم » فعندما اقترب موعد اجتماع الحكمين ، فقد أرسل الإمام وفداً من أربعمائة رجل على رأسهم عبد الله بن عباس ، وشريح بن هانىء ، ومعهم أبو موسى الأشعري

وأرسل معاوية وفدا من أربعمائة رجل ومعهم عمرو بن العاص

والتقوا جميعاً في ( دومة الجندل ) بين العراق والشام .

وكانت الرسائل تتردد بين معاوية في دمشق وعمرو في دومة الجندل ، فلا يعرف أحد من وفد الشام ما بعث به معاوية ولا ما رد به عمرو ، ولا يحاول أحد أن يسأل ، فقد ألفوا أن يتركوا الأمر جميعاً لمعاوية منذ بايعوه على السمع والطاعة . .

أما وفد العراق فكانوا إذا علموا أن كتاباً وصل من عليّ وثبوا على ابن عباس يسألونه : « ما الذي كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ »

فإذا كتم عنهم شغبوا عليه وصاحوا غاضبين : « لماذا كتمتنا ما كتب به أمير المؤمنين ؟ أتراه كتب في كذا أو في كذا ؟ » .

وضاق ابن عباس بإلحاحهم وأخذ يؤنبهم : « أما تعقلون ؟! إذا جاء رسول أمير المؤمنين قلتم بأي شيء جاء ؟ فإذا كتمتكم قلتم لم تكتمنا . أجاء بكذا وكذا ؟ وما تزالون تظنون حتى تصيبوا ، فليس لكم سر . . ! ألا ترون رسول معاوية يجيء ويرجع لا يعلم أحد بما جاء ورجع ، ولا يسمع لهم صياح ولا لغط ، وأنتم عندي كل يوم تظنون !؟ أما تعقلون ؟ »[1] .

***

ولقد قال الإمام رأياً صريحاً في سبب قبوله للتحكيم حينما ناقش الخوارج

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ١٤٥ .

ـ فيما بعد ـ قبيـل معركـة النهروان ـ حيث أوضـح أن السبب هو « رأيهم » هم فقال :

« قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة ، فأبيتم عليّ إباء المنابذين ، حتى صرفت رأيي إلى هواكم، وأنتم معاشر إخفاء الهام ، سفهاء الأحلام»[1] .

فالإمام صرف رأيه إلى أهـوائهم ، بالـرغم من علمه بـأنهم أخفاء إلهام وسفهاء أحلام ، فهم على كل حال هم البشر ، ـ بما فيهم من عـلّات ـ الذين يحكمهم الإمام ، وإذا أخذنا الشورى كمبدأ فلا بد من قبول آرائهم ، مع قطع النظر عن النتائج ، حيث أن النتائج يتحمّلون وزرها هم دون الإمـام ثم إنه إذا كـان من حق النـاس انتخـاب القيـادة ، ومن حقّهم التـدخـل في مـا يـرتبط بمصائرهم ، فإن لهم أيضاً أمران :

الأوّل ـ حقّ مراقبة الحاكم .

الثاني ـ حقّ عزله .

فللناس حق محاسبة الحاكمين ، ومراقبتهم لكيلا يشطوا عن السبيل وهو ليس مجرد حق ، بل ربما كان واجباً ، وعليه الأجر والثواب ، وذلك ضمن إطار « الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر » والـذي يشمـل الحـاكم كمـا يشمـل المحكوم . .

وقد جاء في الحديث : « وهل الدين إلاّ النصيحة ؟

قيل : لمن ؟

قال : « لأئمة المسلمين »[2] « والنصيحة هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعطاء المشورة والتقويم والمحاسبة وغيـر ذلك . وليس الأمـر مجرد

(١) الموفقيات : للزبير بن بكار ، ص ٣٥٠ .

(٢) الصياغة الجديدة : ص ٣٢٥ .

حق ، بل إن الإنسان سيسأل عنه يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم : لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً ؟ قالوا : معذرة إلى ربكم ولعلهم يتّقون ﴾ [1] .

والذي نرى أن حق مراقبة الحاكم ، يسبقه واجب على الحاكم ، وهو واجب كشف أموره للناس ، وشرح مواقفه وأسباب ذلك ، وتوضيح ما يجب توضيحه .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) في عهده إلى مالك الأشتر : «وإن ظنت الرّعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك ، واعدل عنك ظنونهم بأصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيّتك ، واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق [2] .

وأمّا حق عزل الحاكم ، فهو مجرد حق ، إذا لم يرتكب الحاكم ما يوجب عزله ، فلو أن أكثرية الناس لم يرغبوا لأي سبب من الأسباب في استمرار الحاكم في إدارة شؤونهم فإن لهم انتخاب غيره ، ضمن إطار من القانون والشرعية .

أمّا إذا ارتكب الحاكم الموبقات ، فإن هذا « الحق » يتبدل إلى « واجب » فلو ظلم الحاكم رعيته ، فلا بدّ من تقويمه ، وإن لم ينفع معه التقويم فلا بد من عزله . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « أيها المؤمنون . . من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٦٤ .

(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ص٥٣ .

العليا ، وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين[١] .

ويقول رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يُحدِّثونكم فيكذبونكم ، ويعملون فيسيؤون العمل ، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم ، وتصدّقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد »[٢] .

ويقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « أخذ الله على العلماء ، أن لا يُقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم »[٣] .

وفي النقاش الذي جرى بين الإمام عليّ ( عليه السلام ) وبين كل من طلحة والزبير قال الإمام لهما في جواب قولهما : « كرهناك . . نحن ثلاثة . أنت واحد ونحن اثنان » .

فقال عليّ : « ألم تعلم أني ما أكرهت أحداً على البيعة ؟ الآن ليس لكما غير ما رضيتما به ! كان لكما أن تكرهاني ، وألا ترضيا بي قبل الرضى ، وقبل البيعة ، إلا أن تخرجاني مما بويعت عليه بحدَثٍ ، فإن كنت أحدثت حدثاً فسموه لي ![٤] .

وهكذا فإن الحاكم إذا خالف القانون ، ولم تنفع معه النصيحة « وجب إسقاطه »[٥] وإعلان العصيان ضدّه إذ « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[٦]

---

(١) الوسائل : ج ١١ ، ص ٤٠٥ .
(٢) كنز العمال : ج ٦ ، الحديث : ١٤٨٧٦ .
(٣) نهج البلاغة : الخطب ، ص ٣ .
(٤) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢ .
(٥) المعتبر : للمحقق الحلي .
(٦) الصياغة الجديدة : ص ٣٢٦ .

وقد ورد في كتاب رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إلى أهل البحرين عندما ولّي عليهم « العلاء بن الحضرمي » ، قوله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « وأنا أشهد الله تعالى على من وليته شيئاً ـ قليلاً أو كثيراً ـ من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم ، أنه لا طاعة له ، وهو خليع مما ولّيته ، وقد برئت ذمم المسلمين معه »[1] .

وفيما يرتبط بقضية احترام الأقلية لرأي الأكثرية وضرورة خضوعهم في الأمور العامة لهم . . فإنه لأمر يحكم به العقل . . حيث أن البديل عن ذلك سيكون العكس ، أي خضوع الأكثرية للأقلية ، أو الفوضى ولا شك « أن سيرة العقلاء في جميع الأعصار والأصقاع جرت على تغليب الأكثرية على الأقلية »[2] .

وقد روي عن أمير المؤمنين قوله : « الزموا السواد الأعظم ، فإن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة . . فإن الشاذّ من الناس للشيطان ! كما أن الشاذّ من الغنم للذئب »[3] .

وروي عنه أيضاً قوله : « ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامّة الناس فما إلى ذلك سبيل . ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها . ثم ليس للشاهد أن يرجع ، ولا للغائب أن يختار »[4] .

وروي عنه أيضاً قوله : « أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر ، وعمر ، وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردّ ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ( وكانوا يشكلون الأكثرية حينذاك )

---

(١) المصدر السابق .
(٢) دراسات في ولاية الفقيه : ص٥٥٣ .
(٣) معدن الجواهر : ص ٢٢٦ .
(٤) تحف العقول : ص ١٣٠ .

فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماما كان ذلك لله رضا ، فإن خـرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردُّوه إلى ما خرج منه . فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولّى »(١) .

**الثالث ـ قداسة القانون :**

الشـريعة قـانون المجتمـع الإسلامي ، وقـداستها تعني تسـاوي الأفـراد أمامها ، وتعني تطبيقها على كل أفراد المجتمع ، مع قطع النظر عن مواقعهم ، ومسؤولياتهم والمساواة أمام القانون ، هي أجلى مظاهر حاكميته وقدسيته . .

والرجوع اليه في المشتبهات هو نتيجة تلك الحاكمية .

وإجراء أحكامه على الجميع ، وأن يكون الحق لمن يتقيد به ، وعلى من يخالفه كل ذلك من مظاهر حاكمية القانون وقدسيته . .

وفي الحقيقة فلا يمكن تصـور ديمقراطيـة حقيقية من دون وجـود ثوابت قـانونيـة ، تكون مـرجعـاً للنـاس ، بحيث يكـون الضعيف والقـوي متسـاويين أمامه . .

فكيف كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) ؟

لقد أوضح الإمام مرّات عديدة أنّـه لا يفرِّق بين النـاس في الحق بل أن ذلك هو من أظهر مواقفه على الإطلاق إبّان خلافته فلقد صرّح بذلك قولاً وكتابةً فقال :

« ألا وإنَّ لكم عندي أن لا أوّخر لكم حقّاً عن محلّه ، ولا أقف به دون مقطعه ، وأن تكونوا عندي في الحقِّ سواء ، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ، ولي عليكم الطاعة »(٢) .

---

(١) الإمامة والسياسة : ج ١ ، ص ٩٣ .

(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٠ .

فجعل (عليه السلام) المساواة أمام القانون شرطاً عليه لهم ، وربطها بطاعتهم له ، فإذا فعل هو ذلك ، وجبت عليهم الطاعة وإلاّ فلا . .

وقال في رسالة له إلى بعض عمّاله ، وقد بلغه أنّه تصرّف في أموال العامّة ، وأثرى على حسابهم ، وصادر ما في بيت المال ، فكتب اليه رسالة شديدة اللهجة جاء في بعض مقاطعها :

« أيّها المعدود ـ كان ـ عندنا من أولي الألباب ، كيف تسيغ شراباً وطعاماً ، وأنت تعلم أنك تأكل حراماً ، وتشرب حراماً ، وتبتاع الإماء وتنكح النساء ، من أموال اليتامى والمساكين ، والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال ، وأحرز بهم هذه البلاد ، فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرنّ الى الله فيك ، ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلاّ دَخَل النار . .

« ووالله ، لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظفرا منّي بإرادة حتى آخذ الحق منهما ، وأزيح الباطل عن مظلمتهما »[1] .

وفي عهده إلى مالك الأشتر يؤكد عليه حاكمية القانون ، فيقول : « والزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغِ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإنّ مغبة ذلك محمودة »[2]

ويقول له أيضاً في مسألة الرجوع إلى الشريعة في موارد الخلاف والشبهة : « واردد إلى الله ورسوله ما يُضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من

---

(١) أنساب الأشراف : ج ٢ ، ص ١٧٤ .
(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

الأمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول** ﴾ فالردّ إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول : الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرِّقة »[1]

ولقد أدَّت المساواة بين الناس أمام القانون ، ببعض الملأ من أصحاب الإمام إلى الهرب إلى معاوية ، حيث كان يسمح للنخبة منهم بالاستئثار بما الناس فيه أسوة ، والاثراء غير المشروع ونقض القانون . .

فقد كتب الإمام ( عليه السلام ) إلى عثمان بن حنيف عامله على المدينة بعد فرار بعض الرجال إلى معاوية ، هرباً من مساواة الإمام للناس يقول له :

« أمَّا بعد . . فقد بلغني أن رجالاً ممن قبلك يتسلّلون إلى معاوية ، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ، ويذهب عنك من مددهم ، فكفى لهم غيّاً ولك منهم شافياً : فرارهم من الهدى والحق ، وإيفادهم إلى العمى والجهل ، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ، ومهطعون إليها ، وقد عرفوا الحق ورأوه ، وسمعوه ووعوه ، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة ، فهربوا إلى الأثرة ، فبعداً لهم وسحقاً »[2] .

وعلى كل حال فإن « مما يكفل الحريَّة في دساتير عالم اليوم هو « سيادة القانون » في علاقة السلطة بالشعب ، وعلاقة الشعب بالسلطة ، فالقانون هو السيِّد ، لا القدرة ، والمال والعشيرة وما أشبه . ومن الواضح أن منبع الدساتير الإسلامية القرآن الحكيم ، وسنَّة رسول الله ، والروايات الواردة عن الأئمة الطاهرين ، وفي كل ذلك نجد لزوم سيادة القانون يقول الله تعالى : ﴿ **ومن لم**

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التاريخ : لابن واضح ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

يحكم بمـا أنزل الله فـأولئك هم الكـافرون ﴾[1] ، ويقـول : ﴿ فـأولئـك هم الفـاسقـون ﴾[2] ، ويقـول : ﴿ فـأولئـك هم الـظالمـون ﴾[3] . وحتى رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) على عظمته فهو محكوم بالقانون ، قال الله سبحـانه : ﴿ ولـولا أن ثبتناك ، لقـد كدت تـركن إليهم شيئاً قليـلاً ، إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات[4] ﴾[5] .

## الرابع ـ احترام حقوق الإنسان :

إن الله وضـع الأرض للانـام[6] . والنـاس فيهـا مسلطون على أمـوالهم وأنفسهم[7] و « مـا من شيء أكرم على الله من ابن آدم ، حتى المـلائكـة »[8] فحقوقه الشخصية ، والاجتماعيـة ، والإقتصادية كحقوقـه السياسيـة ، مصانـة ومحترمة ، ولا يجوز مصادرتها . . لأن « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه[9] و « لا تبطل حقوق المسلمين فيما بينهم[10] كما « لا يبطل حق امرىء مسلم »[11] .

وهكذا فإن الله « شد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدهـا فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ـ إلا بالحق ـ ولا يحلّ أذى المسلم

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .
(٤) سورة الاسراء ، الآية : ٧٤، ٧٥.
(٥) الصياغة الجديدة : ص ٣٣٣ .
(٦) مضمون قوله تعالى والأرض وضعها للانام ، سورة الرحمن ، الآية : ١٠ .
(٧) الصياغة الجديدة : ص ٣٣٣ .
(٨) كنز العمّال : خ ٣٤٦٢١ .
(٩) الصياغة الجديدة : ص ٣٣٤ .
(١٠) الوسائل : ج ١٤ ، ص ٢١٠ .
(١١) الوسائل : ج ١٩ ، ص ٦٥ .

ـ إلا بما يجب ـ» بل إنه[1] « جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة على حقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله »[2].

ومن هنا فلا يجوز للحاكمين وغيرهم مصادرة أي حق من حقوق الانسان وهي أكثر من مائة حق، بما فيها حقوقه الاقتصادية، والشخصية والاجتماعية »[3].

تلك هي الأصول الأربعة للشورى، التي اعتمدها الإمام عليّ ( عليه السلام ) في حكمه، وهي الأصول التي حرّم الله المساس بها، والتي أمر باتباعها قائلاً: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ على أساس أن الشورى، هو الأمر المتصور الوحيد للتعامل بين المسلمين، دون غيره . .

---

(١) الخصائص : ص ٨٧ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٣) راجع الصياغة الجديدة : ص ٣١٦ ـ ٣٢١ .

# الاعتراف بحق المعارضة

مشروعية المعارضة ، تأتي من مشروعية وجود الانسان ذاته ، فما دام ان الله تعالى خلق كل إنسان بذوق خاص ، وعقل خاص ، وشهوات ورغبات مختلفة عن غيره ، ولم يفرض على الناس وحدة الفكر والذوق ، فإن من حق الناس أن يتصرفوا في شؤونهم الخاصة بالشكل الذي يعجبهم ، وأن يتخذوا المواقف التي يختارونها ، وأن يعبروا عما يؤمنون به ، إنما في حدود معقولة ، وضمن إطار لا يؤدّي إلى الفوضى ، ولا إلى الغاء حقوق الآخرين .

إن ربنا هو الذي خلقنا ﴿ **أطواراً** ﴾[1] فهل يجوز لنا أن « نوحّد » الجميع ونلغي أطوارهم ؟ . .

وأن الله هو الذي خلق الناس أحراراً ﴿ **فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر** ﴾[2] وهل تبقى لحريتهم من معنى ، لو منعناهم من ممارستها عملياً ؟ . .

وإن الله هو الذي ركّب فينا الرغبات والشهوات ، والعقل والضمير و ﴿ **زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب**

---

(١) سورة نوح ، آية : ١٤ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٢٩ .

**والفضّة ﴾**[1] فهل يمكن توحيد الرغبات والأهواء ؟

وإن الله هـو الذي فتـح أمام النـاس طريقين : طـريق الهدايـة ، وطريق الضلال ، طريق الخير وطريق الشر . طريق الحلال وطريق الحرام **﴿ إنا هديناه السبيل إمَّا شاكراً وإما كفوراً ﴾**[2] فهل يجب علينا إغلاق أحدهما لكي يمشي الجميع في طريق واحد بالإكراه والإجبار ؟ . .

إن الله جعل ابتلاءه للعباد على أساس حرّيتهم ، وقـدرتهم على الطاعـة والمعصية معاً . ولم يشأ لهم أن يحملهم على الطاعة ، وإلا لفعل . . **﴿ ولـو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ﴾**[3] . **﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾**[4] .

وقد سمح الله تعالى لمن شاء أن يكفر **﴿ قل الله اعبد مخلصاً له ديني ، فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾**[5] **﴿ من كـان يريـد العاجلة عجّلنـا له فيهـا ﴾**[6] **﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ﴾**[7] ، **﴿ ليس عليك هداهم ﴾**[8] ، **﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ، ومـا جعلناك عليهم حفيـظاً ﴾**[9] ، فهل علينا ان نجبرهم على الهداية ؟ .

وإن الله تعـالى أراد للناس أن يكـونوا أممـاً مختلفة ، وليس أمـة واحدة

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٤ .
(٢) سورة الانسان ، آية : ٣ .
(٣) سورة المائدة ، آية : ٤٨ .
(٤) سورة الانعام ، آية : ٣٥ .
(٥) سورة الزمر ، آية : ١٤، ١٥
(٦) سورة الاسراء ، آية : ١٨ .
(٧) سورة النحل ، آية : ٩٣ .
(٨) سورة البقرة ، آية : ٢٧٢ .
(٩) سورة الانعام ، آية : ١٠٧ .

بالأجبار . . ﴿ **ولو شاء الله لجعلهم أمةً واحدة** ﴾[1] فهل يمكن توحيدهم في أمّة واحدة ؟ .

وهكذا فإن سنة الله تعالى قائمة على التعددية ، لا الأُحاديَّة ، وأي إلغاء للمعارضة هو إلغاء للتطور ، وتجميد للحياة .

ثمّ إن الله تعالى سمح لابليس بالمعارضة ، وسجّل كلامه ، وحواره معه في الكتب التي أنزلها على أنبيائه ﴿ **قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾[2]

فهل هنالك من هو أعلا وأجلّ من رب العالمين ، وهل هنالك من هو أخس وأرذل من إبليس ، وقد عارض الله ولا يزال ، وهو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ؟

* * *

ثم إنّ الشورى في الحكم يتطلب السماح للمعارضة ، بشرط أن لا يتحول إلى تمرُّد ، وأن يخضع الأقلية للأكثرية ، مع السماح للأقلية بالنشاط البناء غير المخرِّب ، وبحريَّة العمل لكسب التأييد من الناس ، والتحول من أقليَّة معارضة ، إلى أكثرية لها القرار ، إن استطاعت . .

ولقد كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) قد ابتلى بمن عارضه كأفراد ، كما ابتلى بمن عارضوه كجماعات . . فكثيرون عارضوه منذ أن بويع بالخلافة فرفضوا مبايعته منهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن

---

(١) سورة الشورى ، آية : ٨ .

(٢) سورة الاعراف ، آية : ١٥ - ١٧

ثابت ، وزيد بن ثـابت ، ومحمد بن مسلمـة ، فلم يجبرهـم على البيعـة ، بل تركهم وشأنهم .

. . ومنهم من رفض الخروج معه في حـروبه مـع أعدائـه ، ومنهم من خذّل عنه الناس ، ومنهم من أخذ يبث الدعايات ضدّه ، ومع ذلك فـإن الإمام ـ وهو على حق ، وهم على باطل ـ لم يقم بما يلي :

**أولاً** ـ لم يكمّ الأفواه .

**ثانياً** ـ لم يمنع المعارضين من التجمع ، وعقد الاجتماعات .

**ثـالثـاً** ـ لم يضيّق الخنـاق على المعـارضـة بـأي شكـل من الأشكـال ، فأعطاهم حقوقهم التالية :

١ ـ حق الكلام .
٢ ـ حقّ الفيء .
٣ ـ حقّ التردد .

لقد بنى الإمام ( عليه السلام ) حكمه على أساس الشورى ، والحوار ، ولم يتراجع عن هـذين الأمرين في أحلك الـظروف ، بالـرغم من أنَّ كثيراً من الذين عارضوه كانوا ينطلقون ، ليس من خلاف في الـرأي ، بل من طمـع في الحكم ، أو حقه في النفس ، أو حب في الاثرة ، أو فرار من عدل ، أو رغبـة في الدنيا . .

ولكن للمعـارضة حقـوق ، ولا بدّ من مـراعاتهـا ، مع قـطع النظر عمّن يكونوا ، وعمّا ذا يريدون ، وماذا تكون منطلقاتهم .

ولذا فيما يلي نماذج من مواقف الإمام مع معارضيه . . الذي ابتلى الإمام بثلاث فئات منهم :

١ ـ الناكثون، وهم الذين بايعوه ثم نقضوا البيعة مثل أصحاب الجمل .

٢ ـ المارقون ، وهم الذين تمردوا عليه وهم أصحاب معاوية .

٣ ـ القاسطون ، وهم الذين ظلموه وخرجوا عليه ، وهم أصحاب النهروان .

ولقد كان تعامل الإمام معهم ، قبل أن يشنوا الحرب عليه تعاملاً إنسانياً رفيع المستوى . فقد سمح لهم بالعمل كافراد ، وكجماعات ، وحاور معهم طويلاً ، ولم يبدأهم بقتال ولا مرة واحدة . .

فمثلاً مع طلحة والزبير ، اعتمد اسلوب السماح . فقد جاءاه وقالا له : « نريد العمرة » ، فقال : « بل تريدان الغدرة » ولم يمنعهما من الخروج من المدينة ، مع علمه بأنهما ينويان الغدرة وحينما جمعا الجيوش ، وألبّا عليه ، وقتلا بعض أصحابه ، وطردا عامله « عثمان بن حنيف » حاول معهما أسلوب الهداية ، وكان يسمح لهما بالعمل كمعارضين ، ولذلك حاججهم طويلاً ، وحاول اقناعهم بالعدول عن العدوان والاكتفاء بالمعارضة ، وقد صرّح الإمام بذلك قبل الخروج اليهم . .

فقد روي أن رجلاً سأل الإمام وهم في الطريق إلى البصرة فقال : « يا أمير المؤمنين أي شيء نريد؟».

قال الإمام : « أما الذي نريد وننوي فإصلاحٌ إن قبلوا منّا » .

قال : « فإن لم يقبلوا ؟ »

قال الإمام : « ندعوهم ونعطيهم من الحق ما نرجو أن يرضوا به » .

قال : فإن لم يرضوا ؟ »

قال أمير المؤمنين : « نَدَعهُم ما تركونا » .

قال الرجل : « فإن لم يتركونا ؟ »

قال : « نمتنع عنهم »[1] . .

وعندما واجه أصحاب الجمل وقد بيتوا النية لقتال الإمام ، وباشروه في طريقهم إلى البصرة ، نادى الزبير ، وكان الإمام قد كتب اليه ، وإلى طلحة كتاباً جاء فيه :

« أما بعد ، فقد علمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني ، ولم أبايعهم حتى بايعوني ، وإنكما لممّن أرادني وبايعني ، وأن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر .

فإن كنتما بايعتماني كارِهَيْن فقد جعلتما لي عليكما السبيل ، بإظهاركما الطاعة ، وإسراركما المعصية ، وإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا ، وتوبا إلى الله ،

إنك يا زبير لفارس رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وحواريه ،

وإنك يا طلحة لشيخ المهاجرين ، وإن دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه ، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به ، وقد زعمتما للناس هنا أني قتلت عثمان ، فبيني وبينكما فيه بعض من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة . بل أنت يا طلحة من ألب عليه ، وأنت يا زبير خذلت عنه ! . . وزعمتما للناس هنا أني أويت قتلة عثمان ، فهؤلاء بنو عثمان معكم ، فليدخلوا في طاعتي ثم يخاصموا إلى قتلة أبيهم . وما أنتما وعثمان إن كان قُتل ظالماً أو مظلوماً ؟! وقد بايعتماني ، وأنتما بين خصلتين قبيحَتين : نكث بيعتكما ، وإخراج أمكما عائشة أم المؤمنين »[2] ! .

ثم قال الإمام للزبير : « ما أخرجك أنت يا زبير ؟ »

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٦٤ .

(٢) المقامات في مناقب أمير المؤمنين : أبو جعفر الاسكافي .

فقال الزبير : « أنت . . » !

فقال له الإمام « تذكر يابن العمَّة يوم مررت مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فنظر إلي ، فضحك وضحكتُ . فقلت أنت : « لا يدع ابن أبي طالب زهوه » . فقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « إنه ليس بزهو ، ولتقاتلنه يا زبير وأنت له ظالم »[1] .

فتذكر الزبير ، وهزّه ضميره فقال : « ولكن كيف ارجع الآن ؟ . . هذا والله هو العار الذي لا يغسله الدهر » !

فقال له الإمام : « يا زبير ، ارجع بالعار ، خير من أن ترجع بالعار والنار »[2] .

وكم من حوار جرى بينه وبين أصحاب الجمل ، حتى بعد انتصاره عليهم ، حيث كان في مقدوره أن يبطش بهم ، حتى لا تسمع منهم نأمة ، غير أنه بالعكس من ذلك حيث نراه يستقبل وجوه القوم الذين حاربوه ، وعفا عنهم ويتحاور معهم . .

فقد روي أنه اجتمع نفر من أهل قريش فيهم مروان بن الحكم ، وكانوا كلهم أسرى أطلقهم الإمام علي ، فقال بعضهم لبعض : « والله لقد ظلمنا عليّاً ، لقد بايعناه ونكثنا بيعته من غير حَدَث ، ولقد أظهره الله علينا . فما رأينا أكرم سيرة منه ، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) . تعالوا حتى ندخل ونعتذر اليه فيما صنعناه » .

وشَفَّعوا عنده ابن عمّه عبد الله ابن عباس ، فلما استقبلهم أمير المؤمنين ، جعل متكلمهم يتكلم فيتعثر من الحرج ، فقال الإمام لهم :

---

(١) عبقرية الإمام عليّ ( عليه السلام ) : ص ٢٤ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٧١ .

« أنصتوا أكفكم ! . . إنما أنا بشر مثلكم ، فإن قلت حقّاً فصدقوني ، وإن قلت باطلاً فردّوا عليّ ، أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله قبض وأنا أولى الناس به ، وبالناس من بعده ؟ » .

قالوا : « اللهم نعم » .

قال : « فعدلتم عني وبايعتم أبا بكر ، فأمسكت ولم أحب أن أشق عصا المسلمين ، وأفرق بين جماعاتهم ، ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكَفَفْتُ ، ولم أهج الناس ، وقد علمت أني كنت أولى الناس بالله ورسوله ومقامه ، فصبرتُ ، فلما قتل عمر وجعلني سادس ستة ، لم أحب أن أفرق بين المسلمين ، ثم بايعتم عثمان ، فطغيتم عليه ، وقُتل عثمان ، وأنا جالس في بيتي ، فأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر ، ولكنكم وفيتم لهما ولم تفوا لي ! فما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث بيعتي ؟ » .

قالوا : « يا أمير المؤمنين كن كالعبد الصالح يوسف إذ قال : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾ .

فقال الإمام علي ضاحكاً وهو يشير إلى مروان بن الحكم : « لا تثريب عليكم اليوم ، وإن فيكم رجلاً لو بايعني بيده مائة مرة لنكث بإسته! . . ولكن لا بأس بهؤلاء إذا تابوا إلى الله توبة نصوحاً ، وأخلصوا واستقاموا وأصلحوا »[1] .

لقد اعتمد الإمام لغة الحوار ، ومقارعة الحجة بالحجة ، والمنطق بالمنطق في تعامله مع المعارضة ، كما اعتمد لغة السن بالسن والجروح قصاص في تعامله مع الذين قاتلوه وحاربوه .

ولم يجرد الإمام سيفه قط لمواجهة منطق ، ولا ردّ كلاماً قط بالعنف . .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٨٦ .

وكان ينصح الذين يحاولون مواجهة المنطق بالقوة ، بقوله : « إن الطيش لا يقوم به حجج الله . . » .

فقد روي أنه خطب أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ذات مرة ، فقال : « سلوني فإني لا أُسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه ، لا يقولها بعدي إلا جاهل مدّع ، أو كذّاب مفتر » .

فقام رجل من جانب مجلسه وفي عنقه كتاب كأنه مصحف ـ وهو رجل ادم ضرب ، أي : خفيف اللحم ، طوال جعد الشعر كأنه من مهودة العرب فقال رافعاً صوته لعليّ ( عليه السلام ) : أيها المدّعي ما لا يعلم ، والمقلّد ما لا يفهم ، أنا السائل فأجب » !

فوثب إليه أصحاب الإمام من كل ناحية فهمّوا به .

فنهرهم عليّ ( عليه السلام ) ، وقال لهم : دعوه ولا تعجلوه فالطيش لا يقوم به حجج الله ، ولا به تظهر براهين الله .

ثم التفت ( عليه السلام ) إلى الرجل وقال له :

« سل بكل لسانك وما في جوانحك فإني أجيبك » .

فسأله الرجل عن مسائل فأجابه ، فأطرق برأسه هنيئة ثم قال :

ـ « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » [1] .

وروي في ذلك أيضاً : أن الحريث بن راشد السامي كان عدواً للإمام ، فجاءه قائلاً له :

« والله لا أطعت أمرك ، ولا صليت خلفك » .

فلم يغضب لذلك ، ولم يبطش به ، ولم يأمر به بالسجن أو العقوبة ،

---

(١) سفينة البحار : ج ١ ، ص ٥٨٦ .

وإنما دعاه إلى أن يناظر ، حتى يظهر أيهما على الحق ، ويبين له وجه الحق لعله يتوب ، فقال له الحريث أعود اليك غداً ، فقبل منه الإمام فانصرف الرجل إلى قومه ، ولم يعد[1] .

ثم إن الإمام تعامل مع معاوية في المرحلة الأولى ، كمعارض له ، فكم من رسالة بعثها اليه ، وكم مبعوث أرسله له ينصحه ، نصيحة الشفيق الذي يريد مصلحته ، ويدعوه إلى الحق . كما أنه (عليه السلام) لم يترك رسالة من رسائل معاوية إلاّ أجاب عليها . .

ويجد الباحث في « نهج البلاغة » وغيره عشرات من رسائل الإمام إلى معاوية ، أو إلى بعض قادة جيشه . .

أما في المرحلة الثانية ، حينما بدأ معاوية يجهّز للحرب ، ويشن الغارات فقد اختلف الوضع ، فواجه الإمام سيفه بالسيف وحربه بالحرب ، ورجاله بالرجال . .

***

أما مع الذين رفضوا الخروج معه في حروبه ، وهم من أصحابه ومع جماعته فقد تساهل معهم فمثلاً رفض جماعة من أتباع عبد الله بن مسعود الخروج مع الإمام جاؤوه (عليه السلام) فقال قائلهم : « يا أمير المؤمنين إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له ، أو بدا منه بغي كنا عليه » .

فتبسّم الإمام قائلاً : « مرحباً وأهلاً »[2] .

ولقد ظهر موقف الإمام العظيم من المعارضة ضد تشدد مسؤوليه معهم ،

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٤٩ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٢٣ .

بعد انتصاره على أعدائه . . فبعد معركة الجمل خطب الإمام في أصحابه وقال :

« الحمد لله الذي نصر وَلِيَّه ، وخذل عدوه ، وأعزّ الصادق المحق ، وأذلّ الناكث المبطل ، عليكم بتقوى الله ، وطاعة الله ، وأطيعوا أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه ، من المنتحلين المدعين المغالين الذين يتفضلون بفضلنا ، ويجاحدوننا أمرنا ، وينازعوننا حقنا ، ويدافعوننا عنه ، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا ، فسوف يلقون غياً ، ألا إنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم أنا عليهم عاتب ، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يُعتبوا أو نرى منهم ما نرضى » .

فقام إليه صاحب الشرطة فقال : « يا أمير المؤمنين ، إني والله لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً ، والله لئن أمرتنا لنقتلنهم » .

فعجب الإمام وقال لصاحب شرطته : « سبحان الله ! جُزْتَ المدى ، وعَدَوْتَ الحدّ ، وأغرقت في النزع !! » فقال صاحب الشرطة : « يا أمير المؤمنين بعض الغشمْ ( الظلم ) أبلغ في أمور تصيبك من مهادنة الأعادي » . فقال : « ليس هكذا قضى الله . قال تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ . فما بال الغشم ؟! وقال تعالى : ﴿ **ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً** ﴾ . والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك . وذلك هو الغشم ، وقد نهى الله عنه » !

فقام اليه رجل من الأزْد ممن تخلّف عنه فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بمَ قتلوا ؟ » قال : « بما قتلوا من شيعتي وعمالي ، وقتلوا أخا ربيعة رحمهُ الله في عصابة المسلمين لأنهم قالوا لهم : لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم ! فوثبوا عليهم فقتلوهم . فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ، ثم كتاب الله حكم بيني

وبينهم ، فـأبـوا علَيَّ ، فقـاتلوني وفي أعنـاقهم بيعتي ودمـاء ألف رجـل من إخواني ، فقاتلتهم بهم . أفي شك أنت من ذلك ؟ » قال : « قد كنت في شكّ فأما الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم ، وإنك أنت المهديّ المصيب » .

أمّـا بالنسبـة إلى الخـوارج ، وهم أبـرز المعـارضين لحكم الإمـام فقـد واجههم بـالأسلوب الذي يليق بهم ، حيث لم يصـادر أي حق من حقـوقهم ، فسمح لهم بأن يقولوا ما يريدون ، ويتهموا الإمـام بما يـرون ، ويتجمعوا كمـا يشاؤون . واجرى لهم أعطياتهم من بيت المال[1] .

فقد روي أن عليّاً ( عليه السلام ) ، كان يخطب ، فقـام أحد الخـوارج وقطع كلامه وقال : « الحكم لله لا لك يا عليّ » .

فسكت عليّ ( عليه السلام ) حتى أتمّ الرجل كلامه .

ثم بدأ يتكلم فقطع كلامه مرة أخرى وقال : « الحكم لله لا لك يا علي » فسكت علي ( عليه السلام ) حتى أتم كلامه .

وفي الثالثة ، قال الإمام : « كلمة حق يراد بها باطل » .

فلمّا كثروا . قال لهم الإمام ( عليه السلام ) :

« إن لكم علينا أن لا نبدأكم بقتال ، وأن لا نقطع عنكم الفيء، وأن لا نمنعكم مساجد الله »[2] .

وبذلك بيّن لهم حقوق المعارضة وهي ثلاث :

**الأول** ـ حق ابداء الرأي ، من غير الصد بالقوة .

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٥٢ .

(٢) دراسات في ولاية الفقيه : ج ٢ ، ص ٨٠٦ .

**الثاني** - حقّ الفيء، وما لهم على الدولة من رواتب ونصيبهم من الغنائم والصدقات .

**الثالث - حقّ التردد إلى مساجد الله ، والتي كانت حينئذٍ مراكز الحكم . فمنها كانت تصدر القرارات صلحاً أو حرباً ، وفيها كان القضاة يحكمون في المرافعات . .**

ومع أن من المفترض أن يبيِّن الإمام حقوق الطرفين : المعارضة والحكم معاً ، كما هو متّبع عادة في الدول المختلفة ، إلاّ أن الإمام لم يفعل ذلك فقد اكتفى بأن بيَّن لهم ما لهم عليه ، أما ما له عليهم فلم يقل عنه شيئاً ، وكأنَّه ليس للحكم شيء على المعارضة ، إلاّ اللهم المحافظة على أمن الناس ، فإذا بدأت المعارضة بإيذائهم ، أو بقتالهم كان للحكم أن يردّ السيف بالسيف . وهذا كل ما في الأمر . .

أمّا « كم الأفواه » فهو أمر لم يكن وارداً عند الإمام ، فكم من مرَّة سمع من المعارضة كلاماً قاسياً ، ولكنه لم يرد عليه إلا جميلاً .

من ذلك ما روي « أن الإمام علي» ( عليه السلام ) كان في صلاة الصبح ، فقرأ ابن الكوّاء ( وكان من الخوارج ) : ﴿ **ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ( معرضاً بالإمام ، وكان بعض قد أشرك بقبوله التحكيم ، كما كان هكذا رأي الخوارج ) فأنصت عليّ ( عليه السلام ) لقراءة القرآن اتباعاً لقوله تعالى : ﴿**إذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**﴾ حتى فرغ ابن الكوّاء من الآية ، ثم عاد ابن الكوّاء في قراءتها ، فأنصت الإمام أيضاً ، ثم قرأ الإمام فأعاد ابن الكوّاء المرة الثالثة فأنصت عليّ ( عليه السلام ) .

. . ثم لم يزد على أن يتلو الآية المباركة : ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق** ،

ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون ﴾ . ثم أتم السورة وركع[1]

ولقد وضع الإمام أسس التعامل مع المعارضة ، في كلام له مع أصحابه ، حينما أراد أولئك قتال الخوارج ، بادىء الأمر ، فقد أبى الإمام ( عليه السلام ) عليهم ذلك وأنكره ، وقال : « إن سكتوا تركناهم ، وإن تكلّموا حاججناهم ، وإن أفسدوا قاتلناهم »[2] .

فإذا عارضوا ، فلا ضير ولا كلام ضدهم ، ولكن إذا تكلموا فالرد هو بالكلام وحده ، أمّا إذا بدأوا الإفساد ، فشأنهم شأن غيرهم من الناس لا بدَّ من ردعهم . . هذا كل ما في الأمر . .

وكم من نقاش حاد جرى بين الإمام وبين الخوارج ، لم يكن الإمام يتخذ موقفاً غير موقف المحاور معهم ، رغم اتهاماتهم الرخيصة له . .

من ذلك ما روي أنه : جاء إلى الإمام فتيان منهم فقالا : « لا حكم إلا لله يا عليّ » .

فقال عليّ : « لا حكم إلا لله » .

قال أحدهما واسمه حرقوص : « تب من خطيئتك ، وارجع عن قضيتك ، وارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا » .

قال الإمام : « قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً ، وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهوداً » وقد قال الله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم ﴾ » .

فقال الفتى الثاني واسمه زرعة بن برج : « ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه يا عليّ »

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ٤٨ .

(٢) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٥٣ .

قال الإمامُ : « ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي ، وقد نهيتكم » .

قال الفتى لأمير المؤمنين ( عليه السلام ) : « يا عليّ ، لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله .

قال الإمام : « بؤساً لك ! ما أشقاك ! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح ! » .

قال الفتى : « وددت لو كان ذلك ! »(1)

إنّ حديث المعارضة مهما كان قاسياً ، لا يجوز ردّه إلا بحديث مثله فالكلمة هي الرد على الكلمة ، والمنطق هو الرد على المنطق ، ولا يمكن للسيف أن يردّ منطقاً ، كما لا يمكن للمنطق أن يرد سيفاً . .

ولقد اعتاد الإمام على رد المعارضين بمحاولة الاقناع ، بالرغم من تطاول هؤلاء عليه ، وتعرضهم له بالتهمة ، والسبّ ، وليس مجرد النقاش الهادف ، أو الإعلام المضاد . .

وفيما يلي بعض كلامه مع الخوارج ، وكان ذلك بعد نصف نهار من الخطاب فيهم والذي ترك على أثره نصفهم مواقف الخلاف وانضمُّوا إلى صفوف الإمام . .

فقد سأل الإمام عن ابن الكوَّاء ـ الذي سبق ذكره ، وكان من أشد المعارضين ، ومن قادة الخوارج ـ ، وكان ذلك قبيل معركة النهروان . أي أن المعارضة كانت قد تحولت إلى الحالة القتالية ، فأصبحت في خانة « العدو » لا في موقع « المعارض » ومع ذلك فقد رأى الإمام أن يحاججهم أولاً ، فسأل عن ابن الكوَّاء « أهو فيمن انصرف راشداً أم ما زال في الخوارج » ، فلما علم أنه ما

---

(٣) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ١٥٤ .

زال في الخوارج ناداه ، فبرز له ، وأتباعه الخوارج قد اصطفوا بقيادة عبد الله بن وهب ، و تهيأوا للقتال، ورجل منهم يمشي بين الصفوف يحرضهم على القتال ، وصوته كالفحيح ، وريحه منتنة !!

قال الإمام : « يا ابن الكوَّاء ما أخرجكم بعد رضاكم بالحكمين ومقامكم بالكوفة ؟!! » فقال ابن الكوَّاء « قاتلت بنا عدواً لا نشك في جهاده ، فزعمت أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقاً ، وحكمت كافراً » ؟

فقال رجل من الخوارج : « بل قل له يا عليّ إنك كفرت ونافقت » !

فلم يحفل به ابن الكوَّاء ، واستمر يقول للإمام : « وكان مما شككك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم : كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بايعتكم وإن قضى عليكم بايعتموني ، فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك » .

فقال الإمام : « يا بن الكوَّاء ، إنما الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ »

قال : « نعم » .

وقال أمير المؤمنين : « أما قتالك معي عدواً لا نشكّ في جهاده ، فصدقت ، ولو شكّكت فيهم لم أقاتلهم . وأما قتلانا وقتلاهم ، فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي ، وأما إرسالي المنافق وتحكيمي كافراً فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً ( أي في برنسه ، والبرنس ثياب النسك ) ، ومعاوية حكّم عمرو بن العاصّ ، أي ( ما هما بمنافق وكافر ) . أنت أتيت بأبي موسى مبرنساً فقلت لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلاّ قام إليَّ رجلٌ منكم فقال : يا علي ، لا نعطي هذه الدنية فإنها ضلالة ؟! وأما قولي لمعاوية إن جرني إليك كتاب الله

تبعتك ، وإن جرك إلي تبعتني ، وزعمت أني أعطي ذلك من شك ، فحدثني ويحك عن اليهودي والنصراني ومشركي العرب ، أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ » .

قال : « بل معاوية وأهل الشام أقرب » .

قال الإمام : « أفرسول الله كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ » .

قال : « بل رسول الله » .

فسكت الإمام مبتسماً ، ثم قال : « مرحى يا ابن الكوَّاء ، أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : ﴿ **قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منه اتبعه إن كنتم صادقين** ﴾ أما كان رسول الله يعلم أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى مما في يديه ؟ » .

قال : « بلى » .

قال الإمام : « فلم أعطي رسول الله القوم ما أعطاهم ؟ ! » .

قال : « إنصافاً وحجَّة » .

قال : « فإني أعطيت القوم ما أعطاه رسول الله » .

قال ابن الكوَّاء وقد تفتح عقله وقلبه : « فإني أخطأت . هذه واحدة . زدني » .

قال أمير المؤمنين : « فما أعظم ما نقمتم عليَّ ؟ » .

قال : « تحكيم الحكمين ، نظرنا في أمرهما فوجدنا تحكيمها شكّاً وتبذيراً » .

قال الإمام : « فمتى سمّيّ أبو موسى حكماً : حين أرسل أو حين حكّم ؟ »

قال ابن الكوّاء : « حين أرسل » .

قال : « أليس قد سار وهو مؤمن وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله ؟! » .

قال : « نعم » .

قال الإمام : « فلا أرى الضلال في إرساله » .

فقال ابن الكوّاء : « بل سمّي حكماً حين حكم » .

قال : « نعم ، إذن فإرساله كان عدلاً . أرأيت يا بن الكوّاء لو أن رسول الله بعث رجلاً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدّ على عقبه كافراً ، كان يضر نبي الله شيئاً ؟! » .

قال : « لا » .

قال : « فما ذنبي إن كان أبو موسى ضلّ ؟ هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذا قال ؟ » .

قال : « لا » .

وأدرك ابن الكوّاء أن الإمام سيبهته ويقيم عليه الحجّة ، وكان ما يزال في نفسه شيء من العناد في أمر الحكمين ، فهو يرى أن أبا موسى منافق وأن ابن العاص كافر ، وقد أوشك الإمام أن يقنعه بأن أبا موسى ربما ذهب إلى التحكيم وهو مؤمن ، ولكنه ضلّ في عمله فلا ذنب لمن أرسله ، أما عمرو فهو مخادع ، وما يحمل وزر خديعته غير الذي أرسله .

فقال له كأنه يريد أن يفلت من حجّة الإمام عليه : « ولكنك جعلت مسلماً

وكافراً يحكمان في كتاب الله ! » .

قال : « يابن الكـوَّاء هل بعث عمـرو بن العاص غيـر معاويـة ؟! وكيف وحكمه على ضرب عنقي ؟ إنما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك ، وقد يجتمع المسلم وغير المسلم يحكمان في أمر الله ؟ أرأيت لو أن رجلاً مسلماً تزوج يهودية أو نصرانية فخافا شقاق بينهما ، ففزع الناس إلى كتاب الله ، وفي كتاب الله : ﴿ **فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها** ﴾ فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين الذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله ، فحكما » .

ولم يجـد ابن الكوَّاء ردّاً ، فتنهـد وقال : « وهـذه أيضـاً ، أمهلنـا حتى ننظر » .

فجعل ابن الكوَّاء يناجي أصحابـه ، والإمام ينتـظر نهايـة نجواهم ، وإذ بجماعات يقودها عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير وغيـرهما تصيـح : « إن الحكم إلا لله ! » .

واختفى ابن الكوَّاء ، وتقدمت صفوفهم بالحراب المشرعة . .

فقال لهم الإمام : « إنكم أنكرتم عليَّ أمراً أنتم دعوتموني إليه ، فنهيتكم عنه فلم تقبلوا ، وهأنذا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ، ولا ترتكبوا محـارم الله ، فإنكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فيا أيتها العصابـة التي أخرجها المراء واللجاجة ، وصدها عن الحق الهوى ، وطمع بها النزق ، وأصبحت في الخطب العظيم ! إني نـذير لكم أن تصبحـوا تلعنكم الأمة غـدا صرعى بأثناء هذا الوادي بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، ونبأتكم أنهـا مكيدة ، وأن القـوم

ليسوا بأصحاب دين ، فعصيتموني ؟ فلما قبلت شرطت واستوثقت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، فنبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأول . فمن أين أتيتم ؟! » .

فقال الرجل ذو الرائحة المنتنة والصوت الذي يشبه الفحيح : « إنا حكمنا فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا ، فإن تبت فنحن معك ومنك ، وإن أبيت فإنا منابذوك على سواء ( منذروك بالحرب ) » .

فقال الإمام : « أبعد إيماني برسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر ؟! لقد ضللت وما أنا من المهتدين ! لقد أنبأتكم أن القوم إنما طلبوا الحكومة ( التحكيم ) مكيدة ووهنا ، فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، وعندتم عناد النكداء العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، رأي معاشر والله أخفّاء الهام ( الرؤوس ) سفهاء الأحلام ، فلم آت لا أبالكم هجراً ! والله ما ختلتهم عن أموركم ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم . . فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم ؟! إن هذا لهو الخسران المبين ! » . فأوبوا شرّ مآب وارجعوا على أثر الأعقاب ، أمّا إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة[1] . فقال رجل من الخوارج : « لا تكلموه واندفع بهم إلى جسر النهر» .

كل هذا الكلام الطويل ، والنقاش الموضوعي مع جماعة ترى أنه ( عليه السلام ) على باطل ، وتنوي القتال معه . . وفعلاً فقد وقعت المعركة بعد ذلك مباشرة وكانت فيها هزيمة الخوارج . .

* * *

(١) المسترشد : للطبري ، ص ١٦٢ .

هـذا . . ولم يكتف الإمـام ( عليـه السـلام ) بـالعـدل مـع الخـوارج ، ومنحهم حقوقهم كاملة إبان المعارضة ، بل أوصى بهم خيراً بعد وفاته . . فقال قولته الشهيرة : « لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فإنه ليس من طلب الحق ، فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه »[1] .

كما أنَّ قضاته ( عليه السلام ) استشاروه وهم من البصـرة ، في القضاء بشهـادة الخـوارج أي من أهـل البصـرة أو عـدم قبـول شهـادتهم ، فـأمـرهم ( عليه السلام ) بقبولها[2] .

ولقـد أدَّى التعامـل الأخلاقي الـرصين هذا مـع المعارضـة إلى أن يأبى المعارضون لأخـذ حقوقهم ، وأعـطياتهم من الإمـام مباشـرة . . ولا يرون في معارضتهم ما يتناقض مع ذلـك . . فقد روي « أن عبـد الله بن عمر وسعـد بن أبي وقـاص والمغيرة بن شعبـة ، جاؤوا إلى الإمـام (عليه السـلام) يطلبـون عـطاءهم ، وكانوا جميعاً قد اعتزلوا ، فلم يشهدوا الجمل ولا صفّين .

وكان الإمام قد تركهم وشأنهم منذ اعتزلوا ولم يبايعوه ، ولكن عـطاءهم كان يصلهم في منازلهم .

سألهم معاتبـاً : « ما أخـرّكم عنّي ؟ ألستم تعلمون أن الله عـزَّ وجلّ قـد أمـركم أن تأمـروا بالمعـروف وتنهوا عن المنكـر . فقـال ﴿ **وإن طـائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحـداهما على الأخـرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ ؟

فقـال سعـد بن أبي وقّـاص : «إنـا عـــارفـون بفضلك يـــا أميـر المؤمنين ولكن أعطني سيفاً يعـرف الكافـر من المؤمن . . ! . . أخاف أن أقتـل مؤمناً فـأدخل النار » .

---

(١) علل الشرائع : للصدوق ، ص ٢٠١ .

(٢) ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين : ص ١٢١ .

قال الإمام : « إن عثمان كان إماماً بايعتموه على السمع والطاعة ، فعلام خذلتموه إن كان محسناً ، وكيف لم تقاتلوه إن كان مسيئاً ؟! فإن كان عثمان أصاب بما صنع فقد ظلمتم إذ لم تعينوا من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وقد ظلمتم إذ لم تقوموا بيننا وبين عدونا بما أمركم الله ، فإنه قال : ﴿ . . **قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ » .

فلم يرد أحد منهم . . وما زاد الإمام على ما قاله لهم[1] .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

# الالتزام بالعدل

لو حذفنا العدالة من الحياة ، لم يبق للكون وجود ، لأن « العدل اساس به قوام العالم »[1] ، ففي البدء كانت الكلمة و ﴿ **تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته** ﴾[2] .

فالعدالة سنة الله في الحياة وأساسها « أقوى أساس »[3] ، لأن « العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه لإقامة الحقّ»[4] وأي تخطى عنه هو مخالفة لميزانه ومعارضة لسلطانه.

وإذا كان العدل مطلوب في كل شيء ، ومن كل أحد ، وفي كل المواقع لانه « فضيلة الإنسان »[5] ومن دونه يفقد الإنسان انسانيته، فإنه مطلوب من الولاة أكثر من أي شيء آخر، لأن «العدل قوام الرعية وجمال الولاة »[6] وهو

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ٨٣ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١١٥ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٤) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٧٨ .

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٦) المصدرالسابق .

« فضيلة السلطان»[1] و«جنَّة الدول»[2] و«نظام الأمر»[3] .

إن الناس لا يريدون الحاكم لأمواله ، ولا لأولاده ، ولا لهيئته ، وجمال منظره ، ولا حتى لزهده وعبادته وتقواه ، بل يريدونه لعدله ، ومراعاة لحقوقهم ، وتأمينه لحاجاتهم . « فالله عزَّ وجلّ ، جعل العدل قواماً للانام ، وتنزيهاً من المظالم والآثام ، وتسنية للإسلام[4] .

من هنا فإن « عدل السلطان خير من خصب الزمان[5] .

وقد سئل أمير المؤمنين ( عليه السلام ) « أيّهما أفضل : العدل أو الجود ؟

فقال : « العدل يضع الأمور مواضعها ، والجود يخرجها عن جهتها . والعدل سائس عام ، والجود عارض خاص ، فالعدل أشرفهما [6] . وقال ( عليه السلام ) : « حسبكم دلالة على فضيلة العدل أن الجور الذي هو ضدّه لا يقوم إلاَّ به ، وذلك أن اللُّصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم ، احتاجوا إلى استعمال العدل في اقتسامهم ، وإلاَّ أضرّ ذلك بهم»[7] .

وفي الحقيقة فإن « الأرض لتزين في أعين الناس إذا كان عليها إمام عادل ، وتقبح إذا كان عليها إمام جائر » [8] .

---

(١) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٨٠ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) المصدرالسابق .
(٤) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٧٨ .
(٥) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٠ .
(٦) نهج البلاغة : الحكم ، ٤٣٧ .
(٧) قاموس الحكم والامثال : ص ٤٣٣ .
(٨) المصدرالسابق : ص ٤٣٣ .

وقديماً قيل : « لا سلطان إلا بالرجال ، ولا رجال إلاّ بالمال ، ولا مال إلاّ بالعمارة ، ولا عمارة إلاّ بالعدل[1] إذن « ما عمرت البلاد بمثل العدل »[2] .

وهكذا فإن العدالة تشمل على كل الفضائل ، وهي الحقيقة المتحركة ، التي تحرِّك البشرية كلها ، في كل العصور . . ولذلك فإن « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة في حكم ، أشد عند الله من معاصي ستين سنة[3] .

ذلك أنَّ العدل يبني ، والجور يهدم .

والعدل يصنع الحضارات ، والجور يبيدها .

والعدل يَجمع ، والجور يفرِّق .

والعدل يُزين البلاد ، ويريِّح العباد ، والجور يقبِّح ، ويتعب ، ويفسد .

والعدل امتحان الله للحكام ، وبلاؤهم في الحياة ، وعليه الحساب يوم القيامة . . ولذلك « يجب على السلطان أن يلتزم العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه ، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان ، ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف ، فلا يقوم سلطان لأهل الإيمان والكفر إلاّ بهما ، والإمام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده »[4] .

ولأن للعدل هذا الموقع الحسّاس في النظام الإنساني فإنّ الله تعالى أمر أن : ﴿ **إذا حكمتم أن تحكموا بالعدل** ﴾[5] فهو تعالى ﴿**يأمر بالعدل**

---

(١) قاموس الحكم والأمثال : ص ٤٣٢ .

(٢) مستدرك الوسائل : ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٣) بحار الأنوار ، ج ٧٥ ، ص ٣٥٢ .

(٤) قاموس الحكم والأمثال : ص ٤٣٣ .

(٥) سورة النساء ، آية : ٥٨ .

والإحسان﴾[1] وأي تخطي عن العدل يوجب زوال النعم ، وعقاب الله تعالى فإنه « من ولّى عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فأس[2] .

وقد قال رسول االله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « أن أوّل من يدخل النار أمير متسلّط لم يعدل »[3] و « هو رابع أربعة ، من أشد الناس عذاباً يوم القيامة : ابليس ، وفرعون ، وقاتل النفس ، ورابعهم الأمير الجائر[4] .

وأي شيء أهم من العدل وهو أساس النظام ، وبه القوام ، وعليه الحساب ، وله الثواب ، وبه يبنى ، وبدونه يهدم ، وعنه يصدر العباد ، وبه تصلح البلاد ؟ .

ثم إن أولياء الله كانوا يعملون لأجل العدل، ويعتبرونه ثميناً يستحق أن يدفعوا حياتهم لأجله ، فهم يجاهدون الظالمين لإشاعة العدل ، فإذا حكموا عملوا من أجله ، من غير أن تأخذهم في ذلك لومة لائم . .

هذا أمير المؤمنين ( عليه السلام ) قال في أوّل خطبة ألقاها بعد مبايعة الناس له ، أنه سيلتزم بالعدل ، وأنه يعيد الأمور إلى نصابها ، عملاً بالعدل ، ومقاومة للظلم الذي لحق بالناس . . يقول ( عليه السلام ) :

« أيها الناس الدنيا دار حق وباطل ، ولكل أهلّ ، ألا ولئن غلب الباطل فقديماً كان وفعل ، ولئن قل الحق فلربما ولعل !! ولقلما أدبر شيء وأقبل ! ولئن رد عليكم أمركم إنكم لسعداء . إن الله عزّ وجل أدب هذه الأمة بالسيف والسوط فاستتروا في بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، فإن التوبة من ورائكم ،

---

(١) سورة النحل ، آية : ٩٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ٣٤٥ .

(٣) بحار الأنوار ، ج ٧٥ ، ص ٣٤٠ .

(٤) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٩٠ .

وما عليَّ إلا الجهـد» .

ألا وإن الخطايا خيل شُمُس حُمل عليها أهلها وخُلِعت لُجُمها ، فتقحمت بهم إلى النار .

ألا وإن التقوى مطايا ذُلُل حُمِـلَ عليها أهلهـا وأُعْطُوا أزِمَّتهـا ، فأوردتهم الجنة ، وفتحوا لهم أبـواباً ، ووجـدوا ريحها وطيبهـا وقيل لهم : ﴿ **ادخلوهـا بسلام آمنين** ﴾ .

اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجـادة عليها يـأتي الكتاب وآثار النبوة ، إن على الإمـام الاستقامـة ، وعلى الرعيـة التسليم . ليس أمري وأمركم واحداً ، وإني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم ! وأيم الله لأنصحن للخصم ، ولأنصفن للمظلوم . . . ذمّتي بما أقول رهينة وأنـا به زعيم ، إن من صـرحت له العبـر عما بين يـديـه من المثـلات ، حجـزتـه التقـوى عن تقحم الشبهات »[1] .

« ألا وإن كل ما أقطعه عثمان من مال الله مردود إلى بيت مال المسلمين ، فإن الحق قديم لا يبطله شيء ، ووالله لو وجـدتهُ تفرق في البلدان وتزوَّج بـه النساء وملك به الإماء ، لرددته ! فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل ، فـالجـور عليـه أضيق ، أقـول قـولي هـذا وأستغفـر الله لي ولكم »[2] . فكـان « العدل » هو البيان الأول الذي أذاعه الإمام في خلافته ، وكان السبب في ذلك ميلان ميزان العدل في عهد عثمان بن عفّان لمصلحة حفنة من المتزلفين الذين ظلموا العباد ، وأشاعوا الفساد ، وصادروا أموال العامَّة ، « فإن عثمان بن عفّان لما ولي أمر المسلمين أطلق أيـدي الأقارب والأعـوان في كل مـورد من موارد

---

(١) البيان والتبيين : ج ٢ ، ص ٦٥ .
(٢) دعائم الاسلام : ج ١ ، ص ٣٩٦ .

الجاه والثروة ، منقاداً بذلك إلى آراء بطانة السوء »[1] . ولقد حاول الإمام مع عثمان تصحيح ميلان الميزان ، ولكنه لم يفلح . .

فقد روى الواقدي عن ابن عباس ( رضي الله عنه ) قال : « شهدت عتاب عثمان لعلي ( عليه السلام ) يوماً فقال له في بعض ما قاله : « نشدتك بالله يا أبا الحسن ، أن تفتح للفرقة باباً ! » .

فقال علي ( عليه السلام ) : « أمَّا الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها باباً ، وأسهِّل إليه سبيلاً ، ولكنِّي أنهاك عما ينهاك الله ورسوله عنه ، ألا تنهي سفهاء بني أمية عن إعراض المسلمين وأبشارهم ، وأموالهم . . واللهِ لو ظلم عامل من عمَّالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك » .

قال ابن عباس ، فقال عثمان : « لك العتبى ، وافعل واعزل من عمَّالي كل من تكرهه ويكرهه المسلمون » . ثم افترقا فصدّه مروان بن الحكم عن ذلك ، وقال : يجترىء عليك الناس فلا تفعل ولا تعزل أحداً . ففعل عثمان ما أوصاه به مروان ، لا ما أوصاه عليّ ( عليه السلام ) [2] .

من هنا فإن محور حياة الإمام علي ( عليه السلام ) في أيام خلافته ، كان أن يرد الحق إلى نصابه ، ويصد الظلم والعدوان ، الذي استشريا في حياة المسلمين ، آنذاك . .

ولذلك فإن وصايا الإمام ورسائله إلى الولاة تكاد تدور حول محور واحد هو : العدل . . وما تواطأ عليه مناوئوه ، من أباعد وأقارب ، إلَّا لأنه ( عليه السلام ) كان ميزان العدالة الذي لا يميل إلى قريب ، ولا يساير نافذاً ، ولا يجوز فيه إلَّا الحق . .

---

(١) عليّ وحقوق الانسان : ص ٨٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ٩ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

ولقد كان من أوائل ما ألقاه من الخطب بعد البيعة ، خطبته التي يقول فيها : إنّ الله عزَّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر.

الفرائض أدُّوها إلى الله سبحانه يُؤَدِّكُمْ إلى الجنة .

إن الله حرم حُرَماً غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحُرَم كلها ، وشَدَّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق ، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة . .

اتّقوا الله عبادة في عباده وبلاده . إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله عزَّ وجلّ ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشرّ فدعوه « واذكروا إذ أنتم قليلون مستضعفون في الأرض . . »[1] .

يقول أحدهم : إن شعار عليّ ( عليه السلام ) كان « لا ظالم ، ولا مظلوم » . وكانت تلك إرادة ابن أبي طالب ، بالرغم من أن زمانه كان يأباه ! ويتخلف عن مسايرته في هذه الإرادة ، حتى المظلومين أنفسهم لخوف قديم ألمَّ بهم ، فباتوا يخشون معاندة ظالميهم . أو لجهل حملوا به على قبول الرشوة ، إلاّ من خلق ربك من كبار القلوب » .

« ولكن ابن أبي طالب ( عليه السلام ) لن يتراجع عن محاربة البغي ، ولن يضعف وفي الأرض عزيز يضطهد ذليلاً ، وكبير يقهر صغيراً ، لن يضعف ولن يتراجع وفي قلبه من الحنان والمحبة ، ما يكفل له الثبوت في الصراع بين العدل والظلم والحق والباطل .

« إن الحنان العميق الذي يكنّه عليّ ( عليه السلام ) للناس كان يحمله على أن لا يهادن من أساء للناس ولو كانت حياته الثمن لذلك . وأنه ليجهل

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٣٨ .

حقيقة الطبائع من يظن أن من شروط الحنان والرِّقة القعود عن الثورة على الظالمين ، وأن من مظاهر العاطفة والود الاستسلام دون التمرّد ، ودون العنف في هذا التمرُّد ، فالحنان والعطف يحملانك دون تردد على أن تتمرد وتثور على الظالم تخليصاً لمن تعطف عليهم مما يرسفون به من قيود ، وإن العطف والحنان والحب للناس هي التي قد تدفعك في بعض الحالات إلى العنف حتى أقصى حدوده ضد الظالمين »[1]

وكان الإمام يؤمن إيماناً وطيداً بأنه « لا بدّ من إمام يؤخذ به للضعيف من القوي وللمظلوم من الظالم حتى ليستريح بَرّ ، ويستراح من فاجر » و « إن الله قد أعاذ الناس من أن يجور عليهم »[2] فكيف يجور عليه الجائرون وأنه تعالى « امتحن الأمراء بالجور » فإذا ظلموا انتهى أمرهم لأنَّه : « لئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه »[3] ! وعند ذاك يكون « يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم »[4] . ولقد كان ( عليه السلام ) يقول : « أمرتكم بالشدَّة على الظالم »[5] ، ويقول : « خذوا على يد الظالم السفيه »[6] .

لقد خاض الإمام معركته الأساسية ضد الظلم ، ومن أجل العدل ، **أولاً** ـ لأن العدل واجب ، والظلم حرام . **وثانياً** ـ لأنه كوالٍ على المسلمين كان عليه أن يقيم الحق ، ويدحض الباطل ، والباطل هو الظلم والحق هو العدل . وهو القائل : « وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ،

(١) عليّ وحقوق الانسان : ص ٢٣٢ .
(٢) المصدرالسابق : ص ٢٣٣ .
(٣) حلية الأولياء : ج ١ ، ص ٧٦ .
(٤) الغرر والدرر : ص ٤٠ .
(٥) عليّ وحقوق الانسان : ص ٢٣٣ .
(٦) المصدر .

ولآخذنّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً »[1]، والقائل : « ما ضعفت ولا جبنت ! فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته »[2] .

إن الذنب الذي لا يُترك في نظره كان « ظلم العباد بعضهم بعضاً »[3] . كما أن « ظلم الضعيف أفحش الظلم »[4] .

لقد حارب الإمام الظالمين ، وربما كان ذلك هدفه الأساسي من قبول الخلافة لنفسه ، و« بقيت بقية من أهل البغي ، ولئن أذن الله في الكرّة عليهم لاديلّن منهم إلاّ ما يتشذر في أطراف البلاد تشذُّراً »[5] .

لقد كان تنفّر الإمام من الظلم ، بمقدار حبه للعدل ، وكانت حروبه مع الجائرين ، بقوة نصرته للمظلومين . . كان ( عليه السلام ) يرى أن « الظلم أم الرذائل »[6] لأن « الظلم في الدنيا بوار ، وفي الآخرة دمار »[7] وهو « يزل القدم ، ويسلب النعم ، ويهلك الأمم »[8] **﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾**[9] . ويرى أن « من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده »[10] . . ولذلك كان يطلب من أصحابه أن يختاروا خسارة الدنيا على خسران الآخرة ويقول : « اقدموا على الله مظلومين ، ولا تقدموا عليه

---

(١) النهاية : لابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ .
(٢) تحف العقول : ص ٥٢ .
(٣) الكافي : ج ٢ ، ص ٣٣١ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٧٧ ، ص ٢٢٧ .
(٥) الذريعة : ج ٧ ، ص ٢٠٤ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٧) ميزان الحكمة : ج ٥ ، ص ٥٩٥ .
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٩) سورة البقرة ، آية : ٢٥٨ .
(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم .

ظالمين »[1] . ويعتبر « بئس الزاد إلى المعاد : العدوان على العباد »[2] ، لأن « الظلم أكبر المعاصي »[3] ولذلك فإنه « ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد »[4] .

فالظلم نوع من أنواع الإلحاد ﴿ومن يرد فيه بالحاد ، بظلم نذقه من عذاب إليم﴾[5] فـ « كل الظلم فيه إلحاد ، حتى ضرب الخادم من غير ذنب »[6] .

ولقد سئل الإمام مرَّةً : أي ذنب أعجل عقوبة ؟ فقال : « من ظلم من لا ناصر له ، إلا الله ، وجاور النعمة بالتقصير ، واستطال بالبغي على الفقير »[7] .

وروى ( عليه السلام ) : أن الله تعالى قال وعزتي وجلالي ، لا يجوزني ظلم ظالم ، ولو كفّ بكف ، ولو مسحة بكف ، ونطحة ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجمَّاء فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب[8] .

فالحساب يوم القيامة ، بعد التقاص عن الظلم ، لأن العدالة هناك على عجلة من أمرها ، لا تؤخر الظالمين من بعد النشور ، إلى وقت المحاسبة !

إن أمر الظلم وخيم ، إلى درجة أن الراضي به ، حتى من دون المشاركة

---

(١) الطراز : ج ١ ، ص ٣٣٤ .
(٢) بحار الأنوار : ج ٧٧ ، ص ٢٣٩ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) نهاية الأرب : ج ٦ ، ص ١٩ .
(٥) سورة الحج ، آية : ٢٥ .
(٦) نور الثقلين : ج ٣ ، ص ٤٨٣ .
(٧) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ٣٢٠ .
(٨) المصدرالسابق : ص ٣١٤ .

فيه ، له حصة من العقاب ، وكما يقول الإمـام : « العامـل بالـظلم ، والمعين عليه ، والراضي به شركاء ثلاثة »[1] .

فمن يرضى بالظلم اليوم ، قد يعين عليه غـداً ، وربما يشـارك فيه بعـد غد ، فلا بدّ من أن يكون ردع الظلم عميقاً ، وعنيفاً ، وشاملاً لأن الظلم يدمر البلاد ، ويفسد العباد . . فـ «من أعان ظالماً على ظلمه جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب آيس من رحمة الله»[2] و « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام »[3] .

من هنا فقد كان البند الثابت تقريباً في خطب الإمام عليّ ( عليه السلام ) ورسائله إلى عماله ، الإبتعاد عن الظلم ، والإلتزام بالعدل ، ليس بالنسبة إلى المسلمين فحسب ، بل بالنسبة إلى الجميع .

فقـد اشتكى لبعض المـوالي ، من غيـر المسلمين ، إلى الإمـام أحـد عماله ، وكان لا يتورع عن إلحـاق بعض الظلم بهم . فكتب الإمـام إلى واليه يقول :

«إتقِ الله ، ولا تبغ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهل الذمة ، فإن الله لا يحب المتكبرين ، واعلم أن من آذى إنجيلياً فقد آذاني »[4] .

ولقد كان التزام الإمام بالعدل ، هو الذي دفع عدوّه إلى أن يطمئن اليه ، فكان أعداؤه لا يخافون جوره ، بينما كان أصحابه يخافون جور أعدائه . . فقد روي أنه في ليلة « الهرير » في معاركه مع معاوية بصفين ، حيث كاد أصحاب الإمام أن ينتصروا على جيش معاوية ، في تلك الليلة كان معاوية يضع رجله في

---

(١) ميزان الحكمة : ج ٥ ، ص ٦١٢ .
(٢) كنز العمّال : خ ١٤٩٥٠ .
(٣) المصدرالسابق : خ ١٤٩٥٥ .
(٤) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٤ .

ركاب فرسه ليفر وينجو بنفسه . . فنزل وقال : « يا عمرو ، إنما هي الليلة حتى يغدو علينا بالفيصل ! فما ترى ؟ » .

قال عمرو وقد برحت بـه الهزيـمـة : « إن رجالـك لا يقومـون لرجـاله . ولست مثله ! هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره . أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يخافونك إن ظفرت بهم ، وأهل الشـام لا يخافـون عليّاً إن ظفر بهم »[1] .

فلا أحد كان يخاف الإمام إلاَّ أهل الأثـرة ، والظلم ، وطـلاّب الدنيـا ، وعبدة الشهوات لأن الإمام كان عـادلاً ، لا يظلم الأعـداء ، ولا يتحامـل على الأصدقاء . .

لقد جاءه أحد أصحـابه فـرآه ، مفترشـاً الأرض ، في فناء حـائط ، في الكوفة ، ولا أحد يحرسه ، فقال له : عدلت فاطمأننت ! .

إنَّ الـظالم هو الـذي يخاف من ظِلِّه ، أمَّـا العادل ، فـلا يخاف بـل هو مطمئن البال ، والناس منه في راحة . .

ثم إن عدالة الإمام لم تكن لتشمل الآدميين وحدهم بل كانت لتشمل كل ما في الوجود من حيوان وإنسان ونبات وحجر ومدر . . فـالعدالـة لا تتجزأ . . فمن لا يظلم البشر لا يظلم الحيوان أيضاً . .

يقـول ( عليـه السـلام ) : « والله . . لئن أبيت على حسـك السعـدان مسهّداً ، أو أجرَّ في الأغلال مصفداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ، ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العبـاد ، وغاصبـاً لشيء من الحطام ، وكيف أظلم أحـداً لنفس الى البلي قفولها ، ويطول في الثرى حلولها » . .

« والله . . لو أعطيت الأقاليم السبعة ـ بما تحت أفلاكها ـ على أن أعصي

---

(١) المصدرالسابق : ص ١٠٢ .

الله في نملةٍ أسلبها جُلب شعيرة ما فعلته » . .

« ما لعليّ ولنعيم يُفنى ، ولذة لا تبقى ؟ » .

« نعوذ بالله من سبات العقل ، وقبح الزلل وبه نستعين »[1]

وكما يقول أحدهم فإن الإمام : ليس في هذا المجال قائلاً ، ثم عاملاً ، بل هو القول يجري من طبيعة العمل الذي يُعمل ، والشعور الذي يحس ، والحياة التي يحيا ، فعلي أكرم الناس مع الناس ، وأبعد الخلق عن أن ينال الخلق بأذى ، وأقربهم إلى بذل نفسه في سبيلهم ، أوليست حياته كلها سلسلة معارك في سبيل المظلومين والمستضعفين »[2]

***

وقد يتساءل البعض : ما هي مفردات العدل ؟

والجواب : أن العدل قبل كل شيء تجنب البغي ، والعدوان ، وإعطاء كل ذي حقّ حقّه . ومفرداته هي :

- التزام العدل في تقسيم الأموال العامة .
- إنصاف المظلومين .
- الإمتناع عن التعدي والبغي .
- الإمتناع عن التكبُّر .
- التشدُّد مع المسؤولين لمصلحة العامَّة .
- الإهتمام بحاجات الناس ، وطلبات الولاة .
- مساعدة الجميع ، واللطف بهم .
- المساواة ، وعدم التمييز .
- مجازاة المسيء ، والإحسان إلى المحسنين .

---

(١) ربيع الأبرار : باب الخير والصلاح .

(٢) عليّ وحقوق الإنسان : ص ٨٥ .

● الإهتمام بعامة الناس لا الخاصة فحسب .

● إلتزام الحق في جباية الضرائب .

تلك هي بعض مفردات العدالة المطلوبة من الحاكمين ، باعتبارهم أمناء على أمور الناس ، وأرزاقهم ، ودمائهم . .

ولنستعرض فيما يلي بعض كلمات الإمام عليّ ، ومواقفه ، وأعماله في كل واحدة من ذلك . .

***

**أولاً** : التزام العدل في تقسيم أموال العامة وهو يعني أمرين :

**الأول** ـ بذل المال لمن يستحق .

**الثاني** ـ منعه عمن لا يستحق .

فأموال الدولة ليست ملك الحاكم ، بل هي للمحكومين ، وليس الحاكم إلاّ أميناً على جبايتها ، وإيصالها لأهلها . .

لقد كتب الإمام عليّ ( عليه السلام ) لأحد ولاته يقول :

« انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله ، فاصرفه إلى من قبَلك ( عندك ) ، من ذوي العيال والمجاعة ، مصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت ( الحاجات ) وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قِبَلَنا »[1] .

وروي أنه جاء عليّاً « فيء » كثير ملأ بيت المال مرة بعد مرة ، ثم مرة ثالثة ، فقام فوزعه بالسوية بين المسلمين كما تعود ، وأخذ هو نصيبه كواحد منهم . . ثم جاءه مال آخر كثير من أصبهان فخطب الناس فقال : « اغدوا إلى عطاء رابع ، فوالله ما أنا لكم بخازن » وبعد أن وزع الأموال كنس بيت المال

---

(١) فقه القرآن : للقطب الراوندي .

وصلى فيه . . كما تعود . . ثم تمدد على أرضـه ، فأغفى . .[1] ، فـالمال لا قيمة له إن لم يرفع حاجة الناس ، ولم يبذل لمن يستحقه .

غيـر أنه لا بـدّ أيضاً من منعـه عمن لا يستحق ﴿لكيلا يكون دولة بين الأغنياء﴾[2] فلا يجوز العطاء من غير استحقاق ، أو لشراء الضمائر ، أو للتوزيع على الأقرباء والأنساب . .

يقـول الإمام عليّ ( عليـه السلام ) في كتـاب له إلى عـامله على إحدى الـولايات ، واسمـه مصقلة بن هبيرة الشيبـاني : « بلغني عنك أمـر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهـك ، وعصيت إمامك : إنك تقسّم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأريقت عليه دماؤهم ، فيمن اعتامك ( اختارك ) من أعراب قومك» ؟!

« فوالذي فلق الجنة ، وبرأ النسمة ، لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ لك عليَّ هواناً ، ولتخفَّن عندي ميزاناً ، فلا تستهن بحق ربّك ، ولا تصلح دنياك بمحق دينك ، فتكون من الأخسرين أعمالاً » . .

« ألا وأنَّ حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هـذا الفيء سواء يردون عندي عليه ، ويصدرون عنه »[3] .

وحينما سأله عبد الله بن زمعـة مالاً قـال : « إنَّ هذا المـال ليس لي ولا لك ، وإنَّما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم ، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم ، وإلاّ فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم »[4] .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٠٨ .
(٢) سورة الحشر ، آية : ٧ .
(٣) التاريخ : لابن واضح ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .
(٤) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣١٢ .

وجاء إليه عاصم بن ميثم وهو يقسِّم مـالاً ، فقال : يـا أمير المؤمنين إنِّي شيخ كبير مثقل.

قال : والله ما هو بكدّ يدي ولا بتراثي عن والدي ، ولكنّها أمانة أوعيتها .

ثمَّ قال للمسلمين : « رحم الله من أعان شيخاً كبيراً مثقلاً »[1] .

وكتب إلى زياد بن أبيه ، وكان عامله على البصرة وفارس :

« وإني أقسم بالله صادقاً ، لئن بلغني أنك خنت مِن فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنَّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظهر ، ضئيل الأمر والسلام »[2] .

وكم له من مواقف رفض فيها الإمام أن يعطي أقرب النـاس إليه فـوق ما يستحق من قسمته ، لأنه لا يجوز حرمان غيره من أجله ؟ . . هذا عقيل أخـوه قدم عليه من المدينة فقال له : « ما أقدمك يا أخي ؟ » .

قال : « تأخَّر العطاء عنّـا ، وغلاء السعـر ببلدنا ، وركبني دين عـظيم ، فجئت لتصلني » .

فقـال عليٌّ : « والله ما لي ممـا ترى شيئـاً إلا عطائي ، فـإذا خرج فهـو لك » .

قال عقيل : « أشخوصي من الحجاز إليك من أجل عطائك؟ وماذا يبلغ مني عطاؤك !؟ وما يدفع من حاجتي ؟ » .

فقال الإمام : « هل تعلم لي مالا غيره ؟ أم تريد أن يحرقني الله في نـار جهنم في صلتـك بأمـوال المسلمين ؟ وما بقي من نفقتنـا في ينبع عيـر دراهم

---

(١) المصدرالسابق : ص ٣١٢ .

(٢) المحاسن والمساوىء : ج ٢ ، ص ٢٠١ .

مضرورة . والله يا أخي إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي أو جهل أعظم من حلمي ، أو عورة لا يواريها ستري ، أو خلة لا يسدها جودي » .

فلما ألح عقيل عليه ، قال لرجل : « خذ بيد أخي عقيل وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق ، فقل له : دق هذه الأقفال . وخذ ما في هذه الحوانيت » . فقال عقيل : « أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم ، أتريد أن تتخذني سارقاً ؟! » .

فقال الإمام : أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكلوا على الله واقفلوا عليها ؟ وأنت تريد أن تتخذني سارقاً !؟ أن آخذ من أموال المسلمين ، فأعطيكها دونهم » . وأضاف الإمام : « وإن شئت أخذت سيفي وأخذت سيفك وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فإن بها تجّاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله .

فقال عقيل : أو سارقاً جئت ؟ .

فقال له الإمام : « تسرق من واحد خير لك من أن تسرق من المسلمين جميعاً »[1] .

فقال : « والله لأخرجن إلى رجل هو أوصل لي منك . لآتيّن معاوية » .

فقال الإمام : « أنت وذاك ، راشداً مهدياً !» .

فلما قدم على معاوية ، رحب به وقال : « مرحباً وأهلاً بك يا عقيل بن أبي طالب ، ما أقدمك عليّ !؟ » .

قال : « قدمت عليك لدين عظيم ركبني ، فخرجت إلى أخي ليصلني

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١١٦ .

فزعم أنه ليس له مما يلي إلا عطاؤه ، فلم يقع ذلك مني موقعاً ، ولم يسد مني مسداً ، فأخبرته أني سأخرج إلى رجل هو أوصل منه لي ، فجئتك » .

فازداد معاوية فيه رغبة ، وقال للناس : « يا أهل الشام هـذا سيد قـريش وابن سيدها ، عرف الذي فيه أخوه من الغـواية والضـلالة ، فجـاءني ، ولكني أزعم أن جميع ما تحت يدي لي ، فما أعطيت فقربة إلى الله ، وما أمسكت فلا جناح لي عليه » .

ثم قـال لعقيل : « يـا عقيل بن أبي طـالب : هذه مـائة ألف تقضي بهـا ديونك ، ومائة ألف تصل بها رحمك ، ومائة ألف توسع بها على نفسك » .

فـوقف عقيل فقـال : « صدقت ، لقـد خرجت من عنـد أخي على هذا القـول ، وقد عـرفت من في عسكره ، لم أفقـد والله رجـلاً من أهـل بـدر ولا المهاجرين والأنصار ، ولا والله ما رأيت في معسكر معاوية رجلاً من أصحـاب النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) » .

وأضاف : « أيها الناس ، إني أردت أخي علياً على دينه فاختار دينه ، وإني أردت معاوية على دينه ، فاختارني على دينه »[1] . .

## ثانياً ـ إنصاف المظلومين :

من غير الممكن إزالة الظلم من على وجه الأرض تماماً ، فأينما تـذهب سيكون هنالك ، ظالم ومظلوم ، وجزّار وضحيّة ، وواجب المؤمن الوقوف إلى جانب المظلوم ، ومقاومة الـظالم . فإن « أحسن العـدل إعانـة المظلوم »[2] . ولذلك « إذا رأيت مظلوماً فأعنه على الظالم »[3] فإنه « ما من مؤمن يعين مؤمنا

(1) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٩ .
(2) غرر الحكم ودرر الكلم .
(3) ميزان الحكمة : ج ٥ ، ص ٦١٥ .

مظلوماً ، إلاَّ كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام ، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلاَّ نصره الله في الدنيا والآخرة ، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاَّ خذله الله في الدنيا والآخرة »[1] .

وجاء في وصية الإمام لولديه الحسن والحسين ( عليهم السلام ) قوله : « كونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً »[2] .

ولم يحدد الإمام أي ظالم ، ولا أي مظلوم ، وهكذا أوصاهما بأن يكونا للظالم خصماً ولو كان ذا قربى ، وأن يكونا للمظلوم عوناً ، ولو كان من أقاصي البلاد . .

بل لا بدَّ أن ننصف المظلومين حتى من أنفسنا وأهلينا . .

يقول ( عليه السلام ) : « أنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إن لم تفعل تظلم[3] .

وتلك مهمة الحاكم ، أن يأخذ حق المظلومين ، وهي فلسفة وجود « الحكومة » . إذ ما قيمة نظام لا يأخذ حق المستضعفين ، ولا يضرب على أيدي الظالمين ؟ وما ضرورة وجود الحكومة ، إن لم يكن ذلك مهمتها الرئيسية ؟

ولقد قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع »[4] .

* * *

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ٢٠ .
(٢) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ، ص ٩٠ .
(٣) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .
(٤) دعائم الإسلام : ج ١ ، ص ٣٥٠ .

## ثالثاً ـ الامتناع عن التعدي والبغي :

كما أن آفة الغنى الإستعلاء، فإن آفة القوة البغي ، وكما أن المال يغري بالفساد ، فإن القدرة تغري بالعدوان . فما دام الحاكم قوياً فإن الشيطان يزين له البطش ، والتنكيل ، ومصادرة أموال الناس ، وظلم الرعيَّة ، حيث لا يهاب من قانون ، ولا يخشى من عقاب . .

ولكن لا بدَّ للحاكم أن يتذكر قدرة الله ، وبطشه ، فإن أخذ الله قد يأتي بطيئاً ، ولكنَّه حتماً سيكون رهيباً .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « إذا حدثتك القدرة على ظلم الناس فاذكر قدرة الله سبحانه على عقوبتك ، وذهاب ما أتيت إليهم عنهم ، وبقاءه عليك »[1] .

ويقول : « اذكر عند الظلم عدل الله فيك ، وعند القدرة ، قدرة الله عليك »[2] .

ويقول في عهده إلى مالك الأشتر : « ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان إمَّا أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق . يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ، ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولَّاك »[3] .

ويقول : « إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة ، أو مخيلة ( الخيلاء ) فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ٣٢٢ .
(٣) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

من نفسك ، فإنَّ ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ( نشوزك ) ويفيء إليك بما غرب عنك من عقلك »[1] .

* * *

## رابعاً ـ الامتناع عن الكبر ، والتكبّر ، والترفّع عن الناس :

مهما كانت مكانة المرء فإنه يبقى إنساناً ، لا يختلف عن الآخرين في حاجاته وقدراته وطاقاته . ولن يتحول أيّ شخص إلى إلّه بسبب منصبه أو مقامه . فالله واحد أحد ﴿ **لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد**﴾[2] .

فلا ندّ لله ولا نظير و ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[3] .

إلّا أن الأبهة والسلطان من جهة ، ومديح المتزلفين من جهة أخرى تزين للحاكمين الكبر ، وقد يدفعهم ذلك الى التصور بأنهم فعلاً أكبر من الناس ، وأن لهم قدرات إلّه . قال : «ربّي الذي يحيي ويميت» قال : ﴿ **أنا أحيي وأميت** ﴾[4] ، وهذا الاحساس قد يدفعهم إلى مسامات الله في عظمته ، إن لم يصرّحوا بذلك كما فعل فرعون فقال : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾[5] ، فلربما يصدّقون في قرارة أنفسهم أنهم يختلفون عن البشر فعلاً .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) لمالك الأشتر : « إياك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبّار ، ويهين كل مختال » . .

« وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ،

---

(١) المصدر السابق .
(٢) سورة التوحيد ، آية : ٣ ، ٤ .
(٣) سورة الشورى ، آية : ١١ .
(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥٨ .
(٥) سورة النازعات ، آية : ٢٤ .

فـإنَّ ذلـك من أوثق فـرص الشيـطان في نفســه ليمحق مـا يكـون من إحســان المحسنين »[1]

إن « من اختال في ولايتـه أبان عن حماقته »[2] . وقليل من الحكام هم الذين لم يبتلوا بالحمق ، ولم يصدّقوا مديح المداحين ، وأكاذيب المتزلفين .

ثم إن الإبتعاد عن الكبر يتطلب الأمور التالية :

**الأول** ـ أن لا يضيّع الحاكم نفسه .

**الثاني** ـ أن يتقيّد هو بالقانون ، فلا يسمح لنفسه بما يمنعه للآخرين ، وأن لا يحلِّل لها ما يحرمه على غيره

**الثالث** ـ أن لا يفترض لنفسه من القسمة بأكثر مما يفترضه للناس .

**الرابع** ـ أن يسمح للرعية ، بأن يتعاملوا معه كأحدهم .

وبكلمة واحدة أن يرى امتيازه في تقواه ، وما يكسبه من الأجر عند الله ، وليس فيما يحصل عليه من امتيازات مادية في الحياة الدُّنيا . . **﴿ فإن أكـرمكم عند الله أتقاكم ﴾**[3] . .

لهذا كله رفض الإمام عليّ ( عليه السلام ) كل مظاهر الأبّهة والسلطان ، وشرَّد مع نفسه ومع أقاربه فلما دخل الكوفة لم يدخل قصر الإمارة ، وإنما آثر أن يسكن في بيت يشبه مساكن الفقراء[4] .

ولم يكن يعطي لأقاربه زيادة عما يحق لهم ، وإذا كان أحدهم يأخذ شيئاً مهما قلّ أو كثر كان يتخذ منه موقفاً حازماً . .

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٤) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٣٣ .

ومن ذلك ما روي أنه أهدي إليه سمن وعسل ، فضمه إلى بيت المال ، وخرج يتفقد الأسواق ليقسمه عندما يعود .

فلما عاد وجده ناقصاً ، وعلم أن ابنته أم كلثوم التي توفي عنها عمر بن الخطاب ، قد أخذت منه ، فأرسل الإمام من يقوم ثمن ما أخذته من العسل بخمس دراهم ، فبعثها وباع السمن والعسل ، وقسم الثمن على الناس[1] .

وكان ( عليه السلام ) يعطي كل ما يأتيه ولربما لم يأخذ أي شيء منه فقد روى الشعبي قال : دخلت الرّحبة بالكوفة وأنا غلام في غلمان ، فإذا أنا بعليّ ( عليه السلام ) قائماً على صرّتين من ذهب وفضّة ، ومعه مخفقة وهو يطرد الناس بمخفقته ، ثمّ يرجع إلى المال فيقسّمه بين النّاس ، حتى لم يبق منه شيء ، ثمّ انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً .

فرجعت إلى أبي فقلت : لقد رأيت اليوم خير النّاس أو أحمق النّاس ،

قال : من هو يا بنيّ ؟

قلت : عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين رأيته يصنع كذا فقصصت عليه ،

فبكى وقال : يا بنيّ بل رأيت خير الناس[2] .

وكان يتعامل مع الناس كأحدهم ، وهم يتعاملون معه كأحدهم أيضاً . .

فقد روى ابن الأثير في التاريخ ( الكامل ) : « أن عليّاً ( عليه السلام ) وجد درعه عند نصراني فأقبل إلى شريح قاضيه وجلس إلى جانبه يخاصم النصراني مخاصمة رجل من رعاياه ، وقال : إنها درعي لم أبع ولم أهب .

قال شريح للنصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ؟

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
(٢) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١٣٥ .

قال النصراني : ما الدرع إلا درعي ، وما أمير المؤمنين بكاذب ٠

فالتفت شريح إلى عليّ ( عليه السلام ) يسأله يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟

فضحك علي ( عليه السلام ) وقال : ما لي بينة ، فقضى شريح بالدرع للنصراني ، فأخذها ومشى وأمير المؤمنين ( عليه السلام ) ينظر إليه ، إلا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ! . . أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه ، وقاضيه يقضي عليه » ، وأضاف : « الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين »[1] .

وفي عهد الخليفة الثاني ، شكا أحد الناس عليّ بن أبي طالب إلى عمر بن الخطّاب في خصومة ، فكان أن أحضرهما عمر ، وقال لعليّ : « يا أبا الحسن . . قف إلى جانب خصمك ! » .

فبدا التأثُّر على وجه عليّ !

فقال له عمر : « أكرهت يا عليّ أن تقف إلى جانب خصمك ؟ » .

فقال عليّ ( عليه السلام ) : « لا . . ولكني رأيتك لم تسوّ بيني وبينه ، إذ عظّمتني بالتكنية ، ولم تكنّه . . »[2] !

إن القانون الذي يجب أن يمشي عليه الحاكم ، هو أن يكون سيِّد القوم بتواضعه لا بتكبُّره ، وأن يكون أميرهم بالعطاء لا بالأخذ ، ويكون عظيمهم ، بالاهتمام بهم ، لا بأن يهتموا به . .

وهذا أمر واجب على الحاكم ، وليس مستحباً . .

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٥٢ .

(٢) عليّ وحقوق الإنسان : ص ٧١ .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره »[١] .

## خامساً ـ التشدد مع المسؤولين لمصلحة العامة :

وقد أفردنا لهذا فصلاً خاصّاً به نظراً لأهميته . .

## سادساً ـ الاهتمام بحاجات الناس ، وطلبات الولاة :

إن الولاية بالنسبة إلى الوالي مسؤولية لا ترفيه فيها فلا بـد أن يعطى من راحته ، ووقته ، ونفسه لمصلحة الناس . وهذا يتطلب منه المزيد من العمل ، والمزيد من النشاط ، والمزيد من العطاء . .

وأول ما يخطر في البال في ذلك أن يكون في متناول يـد الجميع ، فـلا يحتجب عن أحد ، ولا يتقمط بحاشية من المتزلفين ، والمـوظفين ، ولا يضع نفســه في برج من العـاج ، يطلّ منـه على الناس ، ويلتقي بهم عبـر صوره ، وصوته ثم لا يرى الناس ، ولا يرونه إلاّ في تشيـع جنازتـه ، حيث لا خدم ولا حشم !

فـالاحتجاب عن النـاس حـرام . . و« أيمـا مؤمن كـان بينـه وبين مؤمن حجاب ضرب الله بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور ، ما بين السور إلى السور مسيرة ألف عام »[٢] ، بينما « من تولّى أمراً من أمور الناس فعدل ، وفتح بابـه ورفع ستره ، ونظر في أمور الناس ، كان حقّاً على الله ، أن يؤمن روعته يـوم القيامة ، ويدخله الجنّة »[٣] .

والحق ، أن بداية فساد الحاكم ، هي في احتجـابه عن العـامّة ، حيث

---

(١) قوت القلوب : ج ١ ، ص ٥٣١ .
(٢) تنبيه الخواطر : ص ٣٩٧ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .

تتلقفه أيادي بطانة السوء ، وتلفه شهواتهم ، وتوجهه شهواتهم فيبتعد عن الناس ويبتعدون عنه ، ويكره الناس ويكرهونه ، ويكون للحاكم عالمه ، وللناس عالمهم ، وبينهما تناقض وتناطح ، وربما صراع وحروب . .

ومن هنا فإن أئمة العدل في التاريخ كانوا يتميزون بكونهم يعيشون مع الناس ، وللناس ، وبين الناس . ويمنعون ولاتهم من أن تضرب بينهم وبين أحد الأستار والكلل . .

يقول أمير المؤمنين ، في كتابه إلى « قثم بن العباس » وهو عامله على مكة المكرَّمة :

« ولا يكن لك إلى الناس سفير إلَّا لسانك ، ولا حاجب إلَّا وجهك ، ولا تحجّبن ذا حاجة عن لقائك بها ، فإنها ( الحاجة ) أن زيدت عن أبوابك في أول وردها ، لم تحمد فيما بعد على قضائها »[1] .

ويقول ( عليه السلام ) في عهده إلى مالك الأشتر : « أما بعد . . فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فإنَّ احتجاب الولاة عن الرَّعية شعبة من الضّيق وقلة علم بالأمور ، والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب . وإنما أنت أحد رجلين : إمَّا امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ، ففيمَ احتجابك من واجب حقّ تعطيه ، أو فعل كريم تسديه ، أو مبتلي بالمنع ، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك ! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة ، أو طلب انصاف في معاملة »[2] .

---

(١) مستدرك الوسائل : ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

هذا عن منع الاحتجاب . .

أمّا عن أمور الولاة ، والاهتمام برسائلهم ، وتقاربهم ، والإجابة عليها فقد قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لمالك الأشتر أيضاً : « . . ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها : منها إجابة عمالك بما يعيا ( يعجز ) عنه كتابّك . ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك ، وأمض لكل يوم عمله ، فإنَّ لكل يوم ما فيه[1] .

## سابعاً ـ مساعدة الجميع ، واللطف بهم :

أن الحكومة ، ليست مجرد ناظمة لشؤون الناس ، والحاكم ليس مجرّد قيّم على القاصرين ، أو الشرطي الذي همّه ضبط الأمور ، والعسكري الذي تقع عليه مسؤولية فرض القانون . بل الحكومة أيضاً مؤسسة خدماتية ، واجبها تطوير شؤون المجتمع ، وتنمية الكفاءات ، وتقديم ما يمكن تقديمه إلى ذوي الحاجة . والحاكم بالإضافة إلى مهماته كشرطي وكعسكري ، فهو « بمنزلة الوالد » حسب تعبير الإمام عليّ ( عليه السلام ) ومن واجباته تقديم العون ، ومساعدة الجميع . .

من هنا فإنّ على الحاكم أن يملك قلباً رحيماً ، وضميراً عطوفاً ، وخلقاً كريماً ، حتى يكون ممن يبحث عن المحتاجين ليقدم لهم يد العون ، لا أن يهرب منهم حتى لا يشغلوه ! .

وممن يلتذ بمساعدة ذوي الحاجة ، لا أن يطردهم حتى لا يزعجوه ! .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) في عهده إلى مالك الأشتر : « واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم »[2]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

ويقول ( عليه السلام ) في وصفه لرسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وكيف كان يبحث عن ذوي الحاجات : « طبيب دوَّار بطبه ، قد أحكم مراهمه ، وأحمى مواسمه ، يضع ذلك حيث الحاجة إليه ، متتبع بدوائه مواضع الغفلة ، ومواطن الحيرة »[1].

ثم إن حاجات الناس إلى الحاكم ، هي نعم الله التي تترى عليه ، فما أحس أن يجري الخير على يد انسان إلى الآخرين ؟ فإن « من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام لله فيها بما يجب عرّضها للدّوام والبقاء ، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء »[2] .

من هنا كان الإمام يكتب الى ولاته أنصفوا الناس من أنفسكم وأصبروا لحوائجهم[3] ويقول : « ولا تحمشوا أحداً عن حاجته[4] وكان ( عليه السلام ) يطلب منهم أن يجلسوا بشكل خاص لذوي الحاجات من الناس . فيقول في عهده إلى مالك الأشتر : « واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد ( تبعّد ) عنهم جندك وأعوانك من إحراسك وشرطك ، حتى يكلّمك متكلّمهم غير متعتع . . ثم احتمل الخُرق منهم والعيّ ، ونحّ عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ، واعط ما أعطيت هنيئاً ( بلا منّة ) وامنع في إجمال وإعذار »[5] .

ولا شك أن حاجات الناس كثيرة ومتنوعة ، ومن أهمها حاجاتهم الماديّة ، والتي يجب على الوالي الاهتمام بها لأنَّ قضية الأرزاق هي قضية

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) مجمع الأمثال : ج ٢ ، ص ٤٥٤ .
(٣) كتاب صفّين : لنصر بن مزاحم ، ص ١٠٨ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

الحياة بالنسبة إليهم في الحياة الدُّنيا ، ولا يمكن إهمالها بحجة أن الآخرة هي المنى ، والمبتغى .

ولذلك فإن على الوالي تحمُّل مسؤوليته تجاه طلبات الناس بما فيها تحمُّل قضاء ديونهم فلقد قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « ما من غريم ذهب بغريمه إلى والٍ من ولاة المسلمين ، واستبان للوالي عسرته إلاَّ برىء هذا المعسر من دينه وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين »[1] .

## ثامناً ـ المساواة ، وعدم التمييز :

من أهم مظاهر العدالة ، المساواة بين الناس ، وعدم التمييز بينهم . . ولربّما يعتبر الكثيرون المساواة هي العدالة ، والعدالة هي المساواة . إذ لا معنى للعدالة من دونها . .

ولعلّ من أخطر ما يبتلي به الحاكمون هو تمييزهم غير المبرّر بين أبناء البشر ، وترجيح بعضهم على حساب البعض الآخر . .

صحيح أنّ الحياة فيها ترجيح ، وتفضيل ، غير أن قانون التقادم والتفاضل يجب أن يدور عنه الحاكم حول « الحاجة » فالمحتاج إلى الرعاية له أفضليته على غيره ، فالفقير له الأفضلية على الغني ، والضعيف على القوي ، ومن ليست له عشيرة ، على صاحب العشيرة . كما قال ذلك الرجل الذي سُئل عن أحب أولاده إليه فقال : « صغيرهم حتى يكبر ، وعائلهم حتى يغنى ، ومريضهم حتى يعفى ، وغائبهم حتى يعود » .

وإذا عرفنا أن الوالي مع الناس بمنزلة الوالد مع أولاده فلا بدَّ أن يكون

---

(١) تفسير عليّ بن ابراهيم : ج ١ ، ص ٩٤ .

ذات القانون حاكماً في تصرفاته معهم . .

والحق فإن تمييز الظالم بين البشر يقتل فيهم روح المبادرة ، كما يقضي على الثقة فيما بينهم ، بينما المساواة يفتح باب التنافس ، وينمي كفاءاتهم ، ولهذا يجب أن يكون الجميع متساوين أمام القانون ويجب أن يكون الوالي هو الحافظ على المساواة . .

وفي هذا المجال روي : « أن أمير المؤمنين قال لعمر بن الخطاب ثلاث إن حفظتهنَّ ، وعملت بهنَّ كفتك ما سواهن ، وإن تركتهن لم ينفعك شيء سواهنّ » . .

قال عمر : « ما هنَّ يا أبا الحسن ؟ » .

فقال ( عليه السلام ) : « إقامة الحدود على القريب والبعيد والحكم بكتاب الله في الرضى والسخط . والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود » .

فقال عمر : « لقد أوجزت وأبلغت »[١] .

من هنا وجب على ولاة العدل ، أن يبالغوا في المساواة حتى تشمل النظر ، والكلام وما شابه . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين ولّاه مصر : « فاخفض لهم جناحك ، وألن لهم جانبك ، وابسط لهم وجهك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ، فإنَّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده ، عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة »[٢] .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ٣٤٩ .

(٢) مجموعة الشيخ ورام : ص ١٢ .

ويقـول ( عليه السـلام ) لأحد ولاتـه : « أحبّ لعامّـة رعيتـك مـا تحبّ لنفسك ، وأهل بيتك ، واكره لهم ما تكره لنفسـك ، وأهل بيتـك ، فإن ذلـك أوجب للحجّة ، وأصلح للرّعية »[1] .

وهكذا فإنَّ على الوالي أن يلتزم بالمساواة في مجالين : **الأول** ـ مساواة نفسه وأهل بيته مع عامة الناس . **الثاني** ـ مساواة أفراد المجتمع فيما بينهم . . خاصة فيما يرتبط بقضايا المال والفيء ، لأن أي تمييز فيما بينهم بالعطاء يعني ميلان ميزان العدالة ، واختلال توازن المجتمـع . . ومن ثم تقسيم الناس إلى آكل ، ومأكول ، وظالم ومظلوم ، ومتخم وفقير . .

وهذا ما يأباه الله تعالى . .

وفيه الدمار والهلاك . .

يقول سبحانه : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقـوا فيها فحق عليها القول فدمّرناها تدميراً** ﴾[2] .

من هنا كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) قد تميَّـز بتشدده في المسـاواة ، وعدم التنازل عنه ، حتى ولو على حساب سلطته ، وحياته . .

لقد كتب إلى بعض جنوده يقول :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين . أما بعد ، فـإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء أسودكم وأحمركم ( أي العرب وغير العـرب ) وجعلكم من الوالي بمنزلة الولد من الوالد ، وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد . وإن حقّكم على الوالي إنصافكم والعدل بينكم ، والكفّ عن فيئكم ، فإذا فعل ذلك معكم وجبت عليكم طاعته بما وافق الحق ، ونصرته في سيرته ، والدفع عن سلطان

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ٢٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١٦ .

الله ، فإنكم وَزَعةُ الله في الأرض ( المدافعون عمّا أمر به ) فكونوا له أعـواناً ، ولدينه أنصاراً ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها »[1] .

فالطاعة من الناس للوالي مشروطة بإنصاف الوالي وعدله ، وعدم تفضيل بعضهم على بعض . . فإذا فعل ذلك وجبت طاعته وإلاَّ فلا ! .

***

ولقد التزم في نفسه وخاصة أهله ، حيث لم يميِّز أحـداً على أحد فيمـا يرتبط بالفيء . .

ومن ذلك ما روي من « أن عليّاً ( عليه السلام ) كسى الناس بـالكوفـة ، وكان في الكسوة برنس خزّ ، فسأله إيَّاه الحسن ، فأبى أن يعطيه إيَّاه ، وأسهم عليه بين المسلمين فصار لفتى من همدان ، فأخذه الهمدانيّ ، فقيـل له : إنّ الحسن كـان سـألـه أبـاه فمنعـه إيَّـاه ، فـأرسـل بـه الـهمـدانـيّ إلى الحسن ( عليه السلام ) فقبله[2] .

وأصبحت المساواة ، سياسة الإمام في التقسيم من غير أن تأخذه في ذلك لـومـة لائم ، وقـد سبب لـه ذلـك الكثيـر من المشـاكـل ، حتى أن عـدداً من المهـاجرين والأنصـار عاتبـه لأنه يسـوي بين الجميع ، بينمـا كان عمـر يفضل المهاجرين وأهل بدر وأهل السابقة في الإسلام .

فقال لهم : « ألا إنه من استقبل قبلتنا وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ( يعني المسلمين ) ، ومن أكل ذبيحتنا ( يعني أهل الـذمة ) أجـرينا عليه أحكام القرآن ، وأقسام الإسلام ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله وطاعته ، جعلنا الله وإياكم من المتّقين ، وأوليائه وأحبائه الذين لا خوف عليهم

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ١٨ .
(٢) قرب الاسناد : ص ٩٦ .

ولا هم يحزنون . .

ألا إن هـذه الدنيـا التي أصبحتم تتمنونهـا ، وترغبـون فيها ، وأصبحت تغضبكم وتـرضيكم ، ليست بداركم ولا منـزلكم الذي خُلِقْتُم لـه ، ولا الذي دُعِيتُمْ إليه ، ألا وإنها ليست بباقية لكم ، ولا تبقون عليها . .

فانظروا يا معشر المهاجرين والأنصار ما وُصفتم به في كتاب الله ونزلتم به عنـد رسول الله ( صلى الله عليـه وآله وسلم ) وجـاهدتم عليـه ، فيم فُضِّلتم ؟ أبالحسب والنسب؟ أم بعمل وطاعة، فاستَتِموا نعمة الله عليكم ـ رحمكم الله ـ بالصبر لأنفسكم ، والمحافظة على ما استحفظكم الله من كتابه . .

ألا وإنـه لا يضركم تـواضـع شيء من دنيـاكم بعـد حفـظكم وصيـة الله والتقوى ، ولا ينفعكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى ، فعليكم عباد الله بالتسليم لأمره ، والرضا بقضائه ، والصبـر على بلائه » .

« فأما الفيء فليس لأحد فيه على أحد أثرة ، قـد فرغ الله عـزّ وجل من قسمه ، فهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله ، به أقـررنا وعليه شهدنا ، وله أسلمنا ، وعهد نبينـا بين أظهرنـا ، فسلموا ـ رحمكم الله ـ فمن لم يرض بهذا ، فليتول كيف شاء ، فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ، أولئك الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون وأولئك هم المفلحون» .

فلا يقولنّ رجال قد كانت الدنيا غرتهم ، فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار ، وركبوا أفره الدواب ، ولبسوا ألين الثياب ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفار فلا يقولن إذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون ، وصيَّرتهم إلى ما يستـوجبون ، فينقمـون ذلك ويستنكـرون ، ويقولـون ظلمنا ابن أبي طـالب ، وحرمنا ومنعنا حقوقنا ، فالله عليهم المستعان !! . .

ألا وإن للمتّقين عند الله أفضل الثـواب ، وأحسن الجزاء والمـآب ، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتّقين ثوباً ، وما عند الله خير للأبرار »[1] .

وعندما عاد بعض المهاجرين والأنصار فألحوا عليه أن يفضلهم في العطاء لأنهم أصحاب سابقة في الإسلام ـ كما كان يفعل عمر ـ قال لهم مؤنباً : « إني لا أرزؤكم من فيئكم شيئاً ! أفترونني مانعاً نفسي وولدي ومعطيكم ؟!

لأسوينَّ بين الأسود والأحمر . . والله لقد أدركت أقواماً كـانوا يبيتـون لله سُجَّداً وقياماً كأن صرير النار في آذانهم ، وإذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في اليوم العاصف . .

إن لله حدوداً فلا تتعدوها ، ولقد فرض فروضاً فلا تنقصوها ، وأمسك عن أشياء لم يمسك عنها نسياناً بل رحمة من الله لكم فاقبلوها ولا تكلفوها . الحلال بيّن والحرام بيِّن والشبهات بَيْنَ ذلك ، فمن ترك ما اشتبه عليه فهو لما استبان له أترك ، والمعاصي حمى الله ، فمن رتع حولها يوشك أن يقع فيها . . ومن حام حول الحمى وقع فيه ! »[2] .

وتعود أن يوزع كل مال يجيئه ولا يبقى منه شيئاً في بيت المال . . وبعد أن يفرغ من توزيع المال يذهب إلى بيت المال فيكنسه ، ويصلّي فيه .

وكان سبب ابتعاد بعض الصحابة عنه ، والتمرُّد عليه من قبلهم فيما بعد هو رفضه أن يفضلهم على غيرهم من المسلمين . . فقد روي أنه جاءه مال كثير من الخـراج ، فقال الإمـام عليّ : « اعدلـوا فيـه بين المسلمين جميعـاً ، ولا تفضلوا أحدا على أحد لقرابة أو لسابقة » . وكان قد جعل عمار بن يـاسر على بيت المال .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٣٨ .

فدفع عمار ومساعدوه إلى كل واحد ثلاثة دنانير ، لم يفرقوا بين عربي ولا أعجمي ، فجاء طلحة والزبير ، فسألا عمَّاراً ومساعديه : « ليس هكذا كان يعطينا عمر ! فهذا منكم أم أمر صاحبكم ؟ » .

قال عمَّار : « هكذا أمرنا أمير المؤمنين » .

فمضيا إليه ، فوجداه قائماً في الشمس ، ومعه أجيره ، وقد أمسك كل منهما بأدوات الزراعة ، وهو يغرس نخلاً . فقالا له : « يا أمير المؤمنين ألا ترى أن ترتفع بنا إلى الظلّ ؟ » .

فجاءهما حيث أويا إلى الظل ، فقالا : « إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفيء فأعطوا كلّ واحد منّا مثل ما أعطوا سائر الناس » .

قال : « وما تريدان ؟ » .

قالا : « ليس كذلك كان يعطينا عمر » .

قال الإمام : « فما كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يعطيكما ؟ » . فسكتا . . فقال : « أليس كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة ؟ » . فسكتا . قال : « أسنة رسول الله أولى بالآتباع أم سنَّة عمر ؟ » .

قالا : « بل سنَّة رسول الله . ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وغناء ( نفع ) وقرابة فإن رأيت ألا تسوينا بالناس فافعل » .

قال : « سابقتكما أسبق أم سابقتي ؟ وقرابتكما أم قرابتي ؟ وغناؤكما أعظم أم غنائي ؟ » .

قالا : « بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم غناء وقرابتك أقرب وسابقتك أسبق » .

قال : « فوالله ما أنا وأجيري هذا في هذا المال إلا بمنزلة واحدة » .

قالا : « جئنا لهذا ولغيره فأنت تحرمنا حقوقنا ! » .

فقال لهما : « ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه ؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به ؟ أم أي حقّ رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته ، أم أخطأت بابه ، والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ( حاجة ) ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وحملتوني عليها ، فلما أُفْضت إلي نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به فاتبعته ، وما استسن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فاقتديته ، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ، ولا رأي غيركما ، ولا وقع حكم جهلته ، فأستشيركما وإخواني المسلمين ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما » .

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة ( التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال ) فإن ذلك أمر لم أحكم فيه برأيي ، ولا وليته هوى مني ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قد فرغ منه ، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قَسْمِه ، وأمضى فيه حكمه ، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبىَ ، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق ، وألهمنا وإياكم الصبر . رحم الله من رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فرَدّه ، وكان عونا بالحق على صاحبه »[1] .

وانصرفا عنه مغضبين ، وتوجس في نفسه خيفة منهما ، وهجس في نفسه خاطراً أفزعه أيمكن أن ينقضا البيعة ؟ ويلحقا بمعاوية ؟! .

وأمر بأن يحتشد الناس في مسجد رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، ثم خطب الناس فقال

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١١٦ .

« أيها الناس إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي ، وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا ، فإن بايعوا فلا خيار لهم ، وإن على الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة من رغب عنها ، رغب عن دين الإسلام واتّبع غير سبيل أهل هذا الدين !! »[1] .

وفرح المساكين والفقراء وعامة الناس فرحاً عظيماً بالتسوية في القسمة ، وبما أحياه أمير المؤمنين من سنّة الرسول في هذا الأمر . . وفرح الموالي خاصة ، ولكن بعض العرب داخل نفوسهم شيء من هذا الأسلوب في توزيع المال !

ولكن الإمام لم يعبأ بذلك وبقي يساوي بين الناس حتى مع أقرب الصحابة اليه . فقد روي أنه لمَّا قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده فقال : يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا الغلام ، فأعطاه عليّ ( عليه السلام ) ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف .

وسأله بعض مواليه مالاً فقال : يخرج عطائي فأقاسمكه .

فقال : لا أكتفي بذلك . .

وخرج إلى معاوية فوصله ، فكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بما أصاب من المال .

فكتب إليه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : أمَّا بعد فإنَّ ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك ، وهو سائر إلى أهل من بعدك ، فإنَّما لك ما مهَّدت لنفسك ، فآثر نفسك على أحوج ولدك ، فإنَّما أنت جامع لأحد رجلين : إمَّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت ، وإمَّا رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له ، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ، ولا

---

(١) المصدر السابق .

تبرد له على ظهرك ، فارج لمن مضى رحمة الله ، وثق لمن بقي برزق الله[1] .

* * *

لقد اتخذ موقفاً حازماً ضد التفرقة ، حتى بالنسبة الى أولاده ، فقد روي إنه دخلت عليه أخته أم هانىء بنت أبي طالب ، فدفع إليها عشرين درهماً ، فسألت أم هانىء مولاتها الفارسية : « كم دفع إليك أمير المؤمنين ؟ » .

فقالت : « عشرين درهماً » .

فطلبت من أخيها أن ينصفها فيميزها فقال لها : « يا أختاه انصرفي رحمك الله . ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لآل إسماعيل على آل إسحاق ! »[2] .

وجاءه ذات مرّة ، أخوه عقيل يطالبه بالمزيد ، فكان موقفه أشد وأعنف . وها هو أمير المؤمنين يروي الحادث . . يقول ( عليه السلام ) :

« واللهِ لقد رأيت عقيلاً ، وقد أملق ( افتقر ) حتى استماحني ( استعطاني ) من برّكم ( قمحكم ) صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم ، كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم ( نبات يصبغ به ) وعاودني مؤكداً ، وكرّر عليّ القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيعه ديني ، واتبع قياده مفارقاً طريقتي ، فأحميت له حديدة ، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضجّ ضجيج ذي دنف ( مرض ) من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها ( مكواتها ) . .

فقلت له : « ثكلتك الثواكل يا عقيل ! . أتئنُّ من حديدة أحماها أنسانها

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣١٤ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٣٧ .

للعبه ، وتجرّني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ؟!

أتئنّ من الأذى ، ولا تئنّ من لظى ؟! »[1] .

وكما كان يرفض تفضيل أحد من قراباته على الآخرين ، كان ( عليه السلام ) يرفض أن يفضله الآخرون ، فيقدمون له الهدايا ، وما شابه ذلك لكسبه إلى جانبهم . .

ويرى في ذلك رشوة سافلة ويرفضها بأشد ما يكون . .

يقول ( عليه السلام ) : « . . واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة ( حلوى ) في وعائها ، ومعجونة شنئتها ، كأنما عجنت بريق حية ، أو قيئها . . فقلت : أصلة ، أم زكاة ، أم صدقة ؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت .

فقال : « لا ذا ، ولا ذاك ، ولكنّها هديّة » ! .

فقلت : « هبلتك الهبول ( ثكلتك الثواكل ) أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟ أمختبط أنت ، أم ذو جنّةٍ ، أم تهجر ؟ »[2] .

وجاءته امرأتان فقالتا : « يا أمير المؤمنين ، نحن امرأتان مسكينتان » . فقال لهما : « قد وجب حقكما علينا وعلى كل ذي سعة من المسلمين إن كنتما صادقتين » . فلما تبيَّن له صدقهما قال لأحد أصحابه : « انطلق بهما إلى السوق فاشتر لكل واحدة منهما طعاماً وثلاثة أثواب ، واعط كل واحدة منهما من عطائي مائة درهم » .

فلما وَلَّتا عادت إحداهما فقالت : « يا أمير المؤمنين بما فضلك الله به وشرّفك ؟ » .

---

(١) تذكرة الخواص : ص ١٥٥ .

(٢) الأمالي للصدوق : ص ٣٦٩ .

فقـــاطعـهاوقــال : « وبمـــاذا فضلني الله وشــرّفـني ؟ » . قــالــت : « برسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) » .

قال : « صدقت ، وما أنت ؟ » .

قالت : « امرأة من العرب وهذه من الموالي أفلا فضلتني عنها ؟ » .

فقال : « قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد إسماعيل ( العرب ) على ولد إسحق فضلاً ولا جناح بعوضة »[1] .

وبعد أيام جاءه خراج جديد ، فقال : « أيها النـاس إن آدم لـم يلد عبداً ولم يلدْ أَمةً ، وإن الناس كلهم أحرار ، فمن كان له بلاء فصبـر في الخير فـلا يمن به على الله عزّ وجل ، ألا وقد حضر شيء ونحن مُسَوُّون فيـه بين الأسود والأحمر » .

ولقد استغل أعداء الإمام ومناوئوه ، مساواته للجميـع في إثارة من شملتهم مساواته فبدأ معاوية مثلاً بتـوزيع الأمـوال لشراء الضمـائر ، حتى من بين قـادة جيش الإمام . . وكان منهم واحد اسمه « خالد بن معمَّر » وكان من قـادة رهط من الفرسان وقد زحف إلى معسكر الشام حتى كاد أن يفضي إلى سرداق معاوية ويزيل قبته العالية فإذ بمعاوية يهرب منهزماً ويختفي . . ليرسل إلى خالد يسأله ألا يتقدم بعد ، وألا يغامر بحياته . فما عساه يكسب من عليّ ؟! » .

إن معاوية ليعده بأن يوليه خراسان إن هو توقف عن الزحف !! وإن معاوية ليهدي خالداً من التبر مالا يستطيع أن يحصل على ذرة منه من أبي تراب !!

ويتوقف خالد عن الزحف !!

وهكذا كان معاوية يملك مال الله يوزعه على من يبيع ضميره .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١٣٧ .

أما الإمام عليٌّ فما عساه يملك ؟ !!

إنه لا يملك غير العدل في القسمة بين الناس !!

ما يملك إلا التقوى ، وما عساها تجدي مع الرجال الذين يصطنعهم معاوية ، من الذين قال عنهم هو نفسه : « إنهم لا يعرفون غير المال »[1] . ولكنه لن يتراجع عن الحق ، ولا يتجاوز العدل .

ولقد ذكر الذين جاؤوا من الشام أن معاوية قد اصطنع أهل الشام جميعاً ، وكلهم حديث عهد بالإسلام ، وكلهم لا يعرف إلا معاوية ، وما يغدقه معاوية ، ثم إنه ليصطنع رؤساء القبائل العربية ، فيجزل لهم في العطاء أضعافاً مضاعفة ؛ من أجل ذلك نكث الولاة الذين خافوا الإمام على ما كسبوه بغير حق وفروا إلى معاوية !

فقال أصحاب الإمام له : « يا أمير المؤمنين أَعْطِ هذه الأموال ، وفضِّلْ هؤلاء الأشراف من العرب ومن قريش على الموالي والعجم ، واستَمِلْ من تخاف خلافه من الناس » .

فقال لهم متعجباً منكراً : « أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ؟! . . لو كان المال لي لسويت بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله ؟! . . ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ، ويضعه في الآخرة ، ويكرمه في الناس ، ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ، ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم ، فإن زَلَّتْ به النعل يوماً فاحتاج إلى خدمتهم فشر خدين وألأم خليل ! . . إنه لا يسعنا أن نعطي أحداً أكثر من حقِّه . . إن هذا المال ليس لي وليس لكم ، ولكنه مال الله

---

(١) علي إمام المتّقين : ج ٢ .

يقسم بين الناس بالسوية فلا فضل لأحد على أحد »[1] .

فقال أحدهم : « يا أمير المؤمنين أنت تنصف الوضيع من الشريف ، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع ، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به ، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه ، ورأوا صنائع معاوية من أهل الغنى فباعوا أنفسهم وأكثرهم يشتري الباطل . فإن تبذل المال يمل اليك أعناق الرجال ويستخلص ودهم » .

فردّ الإمام : « أما ما ذكرت من عملنا ومسيرتنا بالعدل فإن الله عزّ وجل يقول : ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلّام للعبيد** ﴾ . وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف . وأما ما ذكرت أن الحق ثقل عليهم ففارقونا ، فعلم الله أنهم لم يفارقونا عن جور ، ولا لجأوا إذا فارقونا إلى عدل ! وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نؤتي أحداً من المال فوق حقّه » .

* * *

يقول فضيل بن الجعد ، وقد كان من المعاصرين للإمام :

آكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) أمر المال ، فإنه لم يكن يفضِّل شريفاً على مشروف ولا عربيّاً على عجميّ ، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك ، ولا يستميل أحداً إلى نفسه ، وكان معاوية بخلاف ذلك ، فترك النّاس عليّاً والتحقوا بمعاوية ، فشكا عليّ ( عليه السلام ) إلى الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية .

فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل الكوفة وأهل الشام بأهل البصرة وأهل الكوفة ورأي النّاس واحد وقد اختلفوا بعد وتعادوا ،

---

(١) المجالس : ص ٩٥ .

وضعفت النيَّة وقلّ العدد ، وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق ، وتنصف الوضيع من الشَّريف ، فليس للشَّريف عندك فضل منزلة ، فضجّت طائفة ممَّن معك من الحق إذ عموا به ، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه ، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشَّرف ، فتاقت أنفس النَّاس إلى الدُّنيا ، وقلَّ من ليس للدُّنيا بصاحب ، وأكثرهم يحتوي الحقّ ويشتري الباطل ، ويؤثر الدُّنيا .

فإن تبذل المال ياأمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال ، وتصفو نصيحتهم ، ويستخلص ودّهم ، صنع الله لك يا أمير المؤمنين ، وكبت أعداءك وفضّ جمعهم وأوهن كيدهم ، وشتّت أمورهم « إنَّه بما يعملون خبير » .

فقال عليّ ( عليه السلام ) : « أمَّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : **﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربُّك بظلّام للعبيد ﴾** وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف ؛ وأمَّا ما ذكرت من أنَّ الحقّ ثقيل عليهم ففارقونا بذلك فقد علم الله أنَّهم لم يفارقونا من جور ، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل ، ولم يلتمسوا إلاَّ دنيا زائلة عنهم كانوا قد فارقوها ، وليسألنَّ يوم القيامة : للدُّنيا أرادوا أم لله عملوا ؛ وأمَّا ما ذكرت من بذل الأموال ، واصطناع الرِّجال فإنَّه لا يسعنا أن نوفي أحداً من الفيء أكثر من حقِّه ، وقد قال الله سبحانه وقوله الحقّ : **﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾** .

وقد بعث الله محمَّداً ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وحده وكثّره بعد القلَّة وأعزَّ فئته بعد الذلَّة ، وإن يرد الله أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه ، ويسهّل لنا حزنه ، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزّ وجلّ رضي وأنت من آمن النَّاس عندي وأنصحهم لي وأوثقهم في نفسي إن شاء الله[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

## تاسعاً ـ مجازاة المسيء ، والإحسان إلى المحسنين :

بمقـدار ما يجب الإحسـان إلى المحسنين ، تجب معـاقبـة المسيئين . والحاكم العادل هو الذي يحب الجمال بمقدار ما يكره القبح ، ويقرِّب الطيبين بمقدار ما يبّعد الخبثاء ، وينفر من الجور بمقدار ما يطلب العدل .

أمّـا إذا لم يجـاز المحسن على إحســانـه ، ولم يعــاقب المسيء على إساءته ، فإن المحسنين يزهدون في إحسانهم ، كما أن المسيئين يزيـدون في إساءتهم . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنّ في ذلك تزهيـداً لأهل الإحســان ، في الإحسان ، وتـدريباً لأهل الإساءة على الاساءة ، والزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه[1]

وقد روي : ثلاثة تجب على السلطان للخاصة والعامّة :

ـ « مكافأة المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبةً فيه » .

« وتغمد ذنوب المسيء ليتوب ويرجع عن غيّه » .

«وتألفهم جميعاً بالإحسان والإنصاف »[2] .

صحيح أن للحاكم أن يعفو عن المسيء ، ولكن يجب أن يكون القانون واضحاً في أن للإساءة جزاءها العادل ، كما أن للإحسان جائزته العادلة . .

## عاشراً ـ الاهتمام بعامة الناس دون الخاصة منهم :

في كل مجتمع هنالك مجموعة من أهل الخاصة ، وهم الذين يمتلكون بعض القـدرات والطاقـات والمواقـع الإجتماعية المرمـوقة . . وهم عـادة قلة

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ص٥٣ .

(٢) تحف العقول : ص ٢٣٥ .

قليلة ، بينما الأكثرية من الناس ، يعيشون في مستوى أقل من الخاصة . .

ومهمة الحاكم العادل أن يهتم بعامة الناس ، لا بالخاصة .

كما أن من مهمته أن يبعد عن نفسه بطانة السوء ، والتي تتكون هي الأخرى كطبقة خاصة حول الحاكم ، فتجره إلى مستنقع شهواتها ورغباتها ، وتمنعه من التوجه نحو العامة . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) لمالك الأشتر حين ولّاه مصر : « إن للوالي خاصةً وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ، ولا يطمّعن منك في اعتقاد عقدة ، تضرّ بمن يليها من الناس ، في شر ، أو عمل مشترك ، يحملون مؤنته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبُه عليك في الدنيا والآخرة[1] .

والحق ، فإن إبعاد بطانة السوء ضروري للتواصل مع عامة الناس ، إذ من غير الممكن العمل لأجل الأكثرية ، والعطاء لهم ، مع وجود مجموعة من المتزلفين وأصحاب المصالح الخاصة . ولذلك فلا بد من إبعادهم أولا، ثم التوجه نحو الناس بالعطاء .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) لمالك الأشتر أيضاً : « وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمّها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة . وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء . وأقل معونة له في البلاء ، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء . وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمات الدّهر ، من أهل الخاصة .

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ص٥٣ .

« وإنما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدَّة للأعـداء : العامـة من الأمَّـة ، فليكن صِـغـوك لهم ، وميلك معهم ، وليكن أبعـد رعيتـك منـك ، واشنأهم عندك ، أطلبهم لمعاتب الناس »[1] .

**الحادي عشر ـ التزام الحق في جباية الضرائب :**

وقد أفردنا له فصلاً خاصاً لأهميته . .

(١) المصدر السابق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# التشـدد مع النفس

التشدد مع النفس . .

والتشدد مع الأقرباء . .

والتشدُّد مع المسؤولين . . من سمات حكام العدل ، كما أن التساهل مع الأقرباء والتراخي مع المسؤولين ، وإعطاء النفس هواهـا ، من سمات حكـام الجور . .

ذلك أن « السلطة » عند حكام العدل ، فرصة للمزيد من الجهاد والعمل في سبيـل الله ، وكسب رضاه ، بينمـا هي عند حكـام الجور فـرصـة لإشباع الرغبات والشهوات والتمتع بالملذات . .

فهي عند حكام العدل مسؤولية . وعند حكام الجور ملهاة . .

وإذا عرفنا أن أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه ، لأنها ﴿ **لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾[1] ، فان إصحاب الإيمان ينصبـون العداء لهـا عند الاستغنـاء ، ويتهمـونهـا عنـد الحكـومـات ، ويعتبـرون « الـولايـات مضاميـر

(١) سورة يوسف ، آية : ٥٣ .

الـرِّجـال »[١] . . بينمـا حكـام الجـور يـرون فيهـا المنى ، والمبتغى وتحقيق الأماني . .

وفي الحق . . « أن النفس لأمارة بالسوء والفحشاء ، فمن ائتمنها خانته ، ومن استنام إليها أهلكته ، ومن رضي عنها أوردته شرّ المورد[٢] والمشكلة هنا أن النفس « تتملّق تملق المنـافق ، وتتصنـع بشيمـة الصـديق المـوافق ، حتى إذا خدعت وتمكنت ، تسلطت تسلّط العدو ، وتحكمت تحكم العُتُو فأوردت موارد السوء»[٣].

ومن ثَمّ، فإن ذروة الغايات لا ينالها إلاّ ذووا التهذيب والمجاهدات[٤] الذين يقاومون أهواءهم كما يقاومون أعداءهم، ويعتبرون جهـاد النفس هو الجهـاد الأكبر ، ويعتبرون « أن انصح الناس ، أنصحهم لنفسـه ، وأطوعهم لـربّه »[٥] بينما « من أهمل نفسه ضيّع أمره »[٦] ، و« من سامـح نفسه فيمـا يحب أتعبته فيما يكره »[٧] ، ولذلك فإن « صلاح النفس مجاهدة الهوى »[٨] .

ثم إنَّ أولى الناس بمجاهدة النفس ، والتشدُّد معها هم الحكّام ، حيث تجد نفوسهم المجال واسعاً للفساد والإفساد . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تـأديبه بلسـانه ، ومعلّم

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ١٣٠ .
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٥) المصدر السابق .
(٦) ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ٥٨ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٨) المصدر السابق .

نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم »[1] .

أمَّا كيف يكون ذلك ، فبمخالفة الهوى ، ذلك أن « دواء النفس الصوم عن الهوى ، والحمية عن لذات الدُّنيا[2] فلا بدَّ من اتهام النفس ، ومخالفتها ، والإدبار عنها لكي نصلحها . . يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « اقبل على نفسك بالإدبار عنها »[3] . أمَّا « من لم يتدارك نفسه بإصلاحها أعضل داءه واعيا شقاءه، وفقد الطبيب »[4] وحينئذٍ كيف يمكن لمريض أن يعالج غيره ؟ وكيف يمكن لضال أن يهدي الناس ؟ و « كيف يصلح غيره من لا يصلح نفسه وكيف ينصح غيره من يغشّ نفسه »[5] ، و « كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه »[6] .

من هنا كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) يشدّد مع نفسه ، خاصةً فيما يرتبط بقضايا المال ، والجاه ، والطعام . فقد روي عن جعفر بن محمَّد ( عليهما السلام ) قال : ما اعتلج على عليّ ( عليه السلام ) أمران في ذات الله تعالى إلاَّ أخذ بأشدّهما ، ولقد كان في الكوفة يأكل من ماله بالمدينة[7] .

وجاءه غلامه قنبر ذات مرة وقال له : « قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً .

قال : وما هو ويحك ؟

---

(١) المستطرف : ج ١ ، ص ٢٠ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ١٤٤ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٤٥ .
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٦) المصدر السابق .
(٧) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١٣٧ .

قال : قم معي ، فقام فانطلق به إلى بيته فإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضّة ، فقال : يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئاً إلاّ قسمته فادّخرت لك هذا من بيت المال !

فقال عليّ ( عليه السلام ) : « ويحك يا قنبر لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ؟!

ثمّ سلّ سيفه وضربها ضربات كثيرة ، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه وآخر ثلثه ونحو ذلك ، ثمّ دعا بالنّاس فقال : اقسموه بالحصص .

ثمّ قام إلى بيت المال فقسّم ما وجد فيه ، ثمّ رأى في البيت أبزار سمل ( الإبرة والخيط ) فقال : وليقسّموا هذا ، فقالوا : لا حاجة لنا فيه . فضحك وقال : لتأخذن شرّه مع خيره[1] .

ولقد كانت نفسه ( عليه السلام ) ، شأنه في ذلك شأن غيره من الناس تتوق إلى الملذات ، ولكنه كان يجاهدها . . وهو القائل : « ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ، ونساج هذا القزّ ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، أو لا عهد له في الشبع[2] .

فكان يواسي شعبه ، فيجوع نفسه ، لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في قرص ، أو لا عهد له في شبع : وكان يأكل اللحم كل سنة مرة في عيد الأضحى ، ويقول : إني أعلم أن الكل يأكلون اللحم في هذا اليوم ، فكان تركه للّحم لمواساة المسلمين وسائر من في بلاده[3] .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٣٥ .

(٢) روضة الواعظين : ص ١٢٧ .

(٣) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٣٨ .

وكان( عليه السلام ) إذا أعجبه شيء تركه ، فقد اشترى ثوباً ، فأعجبه فتصدق به[1] .

وكان( عليه السلام ) يمتنع من أخذ شيء من بيت المال حتى يبيع سيفه ، ولا يكون له إلاَّ قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ، ورأى عقيل ابن عبد الرحمن الخولانيّ عليّاً( عليه السلام ) جالساً على برذعة [ ما يوضع على الحمار لركوبه ] حمار مبتلّة ، فقال لأهله في ذلك ، فقالت : لا تلوّمني فوالله ما يرى شيئاً ينكره إلاَّ أخذه فطرحه في بيت المال[2] .

وكان يصبر على الجوع ، ولا يقبل أن ترتهن نفسه عند أحد .

ومن ذلك ما روي : « أن أمير المؤمنين مرّ بقصاب فقال له :

« يا أمير المؤمنين . . هذا اللحم سمين ، اشتر منه . .

فقال( عليه السلام ) : « ليس الثمن حاضراً » .

فقال القصّاب : « أنا أصبر على الثمن ، يا أمير المؤمنين » .

فقال الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « وأنا أصبر على اللحم »[3] .

وكان ( عليه السلام ) يطعم الناس الخبز واللحم ، بينما كان هو يأكل الثريد بالزيت[4]

---

(١) مسند الموصلّي .
(٢) إحياء العلوم : للغزالي .
(٣) لآلِيء الأخبار : ص ١٢٧ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١٣٧ .



# التشــدد مع الأقرباء

تحت عباءة الزعيم ، يحاول أقرباؤه الحصول على مآربهم بـأية طـريقة ممكنـة ، ويعتبرون حضـوتهم لديـه حقاً من حقـوقهم لا يجوز لأحـد تنافسهم عليه .

ومن جهته فإن الزعيم يميل بطبعه إلى قراباته ، بحكم المحبة من جهة ، وبحكم المعـرفة والصـداقة من جهـة أخرى ، ولـربّما يـرى ـ بمرور الـزمن ـ باطلهم حقاً وحق غيرهم باطلاً ، فيمنحهم ما ليس لهم ، ويعطيهم ما يمنعه عن الآخرين . .

وهكذا تتحول عشيرة الرّجل إلى طبقة تتحكم في مصائر البلاد ، وتصبح قراباته آفة تأكل خيرات العباد ، ويخسر الناس حقوقهم الإجتماعية والسياسيـة والاقتصادية لتحكم هؤلاء فيها ، واحتكارهم لها . .

فإذا لم يضع حكّام العدل ، منذ البداية حدّاً لتصرفات القرابات فسرعان ما يبتلي بهم ، محيطين به كإحاطة السوار بالمعصم ويجروّنه ذات اليمين وذات الشمال ، حتى يوردونه موارد الهلاك وينتهون بأمره إلى الدمار . .

من هنا فقد وجدنا الأنبياء والصالحين ، يقفون بحزم أمام الأقرباء ، ولا

يسمحـون لهم التعدي على القـانون ، ويـأخذونهم بـالشدة ، لـربما أكثـر من غيرهم . .

لقد قال أحـدهم لقريب لـه : « إن الحسن من كل أحـد حسن ، ومنك أحسن . وإن القبيح من كل أحد قبيح ، ومنك أقبح لقربك منّا » .

ولقد روى رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) في الحديث القدسي فقال : « يقول الله تعالى خلقت الجنّة لمن أطاعني ولو كان عبداً حبشياً وخلقت النار لمن عصاني ولو كان سيداً قرشيـاً» .

وقال لابنته فاطمة الـزهراء( عليهـا السلام ) : « يـا بنيَّة . . لا يخـدعنَّك الناس ، يقولون ابنة محمد ، فإني لا أكفيكِ من الله شيئاً » .

وكان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقدم أقرباءه في الحروب ، ويتّقي بهم الموت عن صحابته . .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إذا احمرّ الباس ( اشتـد القتال ) ، وأحجم النـاس ، قدّم أهـل بيته ، فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنّة ، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وقتل حمزة يوم أحد ، وقُتل جعفر يوم مؤتـة ، وأراد من لو شئتُ ذكـرت اسمه مثـل الذي أرادوا من الشهادة ، ولكن آجالهم عجّلت ، ومنيّته أجّلت »[1] .

ولقد كان الإمام يوصي ولاته ، وأصحابـه ليس بعدم السمـاح للقرابـات بتعـدي الحدود ، بـل بعدم الانشغـال بالأهـل والأقربـاء عن الواجبـات وأمور العامة . .

ويقـول لأحدهم : « لا تجعلنّ أكثر شغلك بأهلك وولـدك ، فـإن يكن

(١) العيون والمحاسن : ج ٢ ، ص ٧٦ .

أهلك وولدك من أولياء الله ، فإن الله لا يضيِّع أولياءه ، وأن يكونوا أعداء الله ، فما همَّك وشغلك بأعداء الله »[1] .

وكم من مرَّة منع الإمام أقرباثه من الحصول على شيء بسيط من المال أو أي شيء يرجع إلى عامة المسلمين . .

من ذلك ما روي أنه خرج ابن للحسن بن عليّ( عليه السلام ) ( حفيد الإمام ) ـ وعليٌّ في الرحبة ، وعليه قميص خزّ وطوق من ذهب .

فقال : ابني هذا ؟

قالوا : نعم ، فطلبه الإمام فشق القميص الذي عليه ، وأخذ الطوق منه فجعله قطعاً قطعاً[2] .

ومن ذلك ما روي أنه نزل بابنه الحسن ضيف ، فاشترى الحسن خبزاً واحتاج لإدام ، فطلب من قنبر غلام أبيه أن يفتح له زقاً من زقاق عسل ، جاءتهم هدية من اليمن ، فأخذ منها ما أطعم به الضيف .

فلما جاء أمير المؤمنين ، وطلب الزقاق ليفحصها قال : « يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث ! » فأخبره ، فغضب وسأل الحسن : « ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة » .

قال الحسن : « إن لنا فيه حقاً فإذا أعطيناه رددناه » .

قال الإمام : « وإن كان لك حق فليس لك أن تنتفع به قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم » .

ثم دفع إلى قنبر درهما ، وقال : اشتر به خير عسل تقدر عليه ، ليقسم مع

---

(١) ربيع الأبرار : ص ٣١١ .
(٢) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣٠٤ .

ما في الزقـاق» .

قال الراوي : فكاني انظر إلى يدي علي( عليه السلام ) علي فم الزّق ، وقنبر يقلب العسل فيه ثم شدّه ، وقال : اللهم اغفرها للحسن فإنه لا يعرف[1]

وروي أيضاً أن عبد الله بن جعفر الطيار ، ابن أخيه ، وصهـره على ابنته زينب الكبرى ( عليها السلام ) .

وكان رجلاً صالحاً ، مؤمناً ، من سادات بني هاشم ، كريماً يطعم الناس وله سفرة مفتوحة صيفاً وشتاءً ، وليلاً ونهاراً .

ضاقت عليه الدنيا ذات مرّة فجاء إلى عمّه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وقال : يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي .

فقال( عليه السلام ) له : لا والله ما أجد لك شيئاً ، إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك[2] وروت إحدى زوجاته وهي أم عثمان نقالت: « جئت علياً وبين يديه قرنفل مكتوب في الرحبة ، فقلت : « يا أمير المؤمنين هب لابنتي من هذا القرنفل قلادة ، فقال : هاكذا ونفـذ بيده إليّ درهمـاً ـ فإنمـا هذا للمسلمين أولاً ، فاصبري حتى يأتنا حظّنا منه ، فنهب لابنتك قلادة[3] .

وروي أيضاً أنه أتي بأترجّ ، فـذهب الحسن أو الحسين يتناول أتـرجّة ، فنزعها الإمام من يده ، ثمّ أمر به فقسّم بين الناس[4] .

وروي إنّ رجلاً من خثعم رأى الحسن والحسين( عليهما السلام ) يأكلان

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣١٢ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ج ١ ، ص ٢١٥ .
(٣) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣١٢ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١١٣ .

خبزاً وبقلاً وخلاً فقلت لهما : أتأكلان من هذا وفي الرحبة ما فيها ؟

فقالا : ما أغفلك عن أمير المؤمنين( عليه السلام )[1] .

وكان شديداً في مراقبة أهله ، حتى لا يأخذوا أكثر مما لهم من الحق ، وقد روي في ذلك « أن أمير المؤمنين سمع صوت مقلى في بيته ، فنهض وهو يقول :

« في ذمة علي بن أبي طالب مقلى الكراكر ؟ ( وهو صدر البعير، وقيل إحدى نفثاته ) .

ففزع عياله ، وقالوا : « يا أمير المؤمنين ، إنها إمرأتك فلانة ، نحر جزور في حيّها ، فأعطي لها نصيب منه . .

فقال : « فكلوا هنيئاً مريئاً » .

فقد خاف أن يكون ذلك من بيت المـال ، أو هديّـة من بعض الرعيّـة ، يمكن أن تستخدم كرشوة مثلاً[2]

وروي أيضاً عن عليّ بن أبي رافع قال : كنت على بيت مال عليّ بن أبي طالب( عليه السلام ) وكاتبه ، وكان في بيته عقد لؤلؤ كان قد أصابه يوم البصرة فأرسلت إليَّ بنت عليّ بن أبي طالب( عليه السلام ) فقالت لي : بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو في يدك ، وأنا أحبّ أن تعيرنيه أتجمّل به في أيّام عيد الأضحى .

فأرسلت إليها وقلت : عارية مضمونة يا ابنة أمير المؤمنين.

فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيّام ، فدفعته إليها .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الاختصاص : ص ١٥٤ .

ثم إنَّ أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه ، فقال لها : من أين صار إليك هذا العقد ؟

فقالت : استعرته من ابن أبي رافع ، خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزيّن به في العيد ثمّ أردّه .

فبعث إليّ أمير المؤمنين( عليه السلام ) فجئته فقال : أتخوْن المسلمين يا ابن أبي رافع ؟

فقلت له : معاذ الله أن أخون المسلمين .

فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين إنَّها ابنتك ، وسألتني أن أعيرها إياه تتزيّن به ، فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة ، وضمنته في مالي وعليَّ أن أردّه مسلّماً إلى موضعه .

فقال : « ردّه من يومك ، وإيَّاك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي ، ثمّ أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت إذن أوَّل هاشمية قطعت يدها في سرقة » .

فبلغ مقالته ابنته فقالت له : يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحقّ بلبسه منّي ؟

فقال لها أمير المؤمنين( عليه السلام ) : « يا بنت عليّ بن أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحقّ ، أكلّ نساء المهاجرين تتزيَّن في هذا العيد بمثل هذا ؟ » . وأضاف( عليه السلام ) :

« ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل

مالك » فقبضته ورددته إلى موضعه[1] .

وروي أيضاً : « أن عليًا ( عليه السلام ) استعمل عمرو بن مسلمة على أصبهان ، فقدم ومعه مال كثير وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت إحدى بنات علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً ، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن .

فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والسمن والعسل ، ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين ، فسأله عنهما فكتمه ، وقال : « نحن نحضرهما » ، فعزم عليه ألا ذكرهما له فأخبره ، فأرسل علي إلى إبنته فأخذ الزقين منها فرأهما قد نقص منهما شيء فأمر التجّار بتقويم ما نقص منهما ، فكان ثلاثة دراهم ، فأرسل إلى إبنته فأخذها منها ثم قسّم الجميع[2] .

وجاءه عقيل ـ أخوه ـ فلمّا حضر العشاء فإذا هو خبز وملح ، فقال عقيل : ليس إلاّ ما أرى ؟

فقال : أوليس هذا من نعمة الله وله الحمد كثيراً.

فقال : أعطني ما أقضي به ديني وعجّل سراحي حتى أرحل عنك .

قال : فكم دينك يا أبا يزيد ؟

قال : مائة ألف درهم .

قال : لا والله ما هي عندي ولا أملكها ، ولكن اصبر حتّى يخرج عطائي فأواسيكه ولولا أنّه لا بدَّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه .

فقال عقيل : بيت المال في يدك وأنت تسوفني إلى عطائك ؟ وكم عطاؤك ؟ وما عساه يكون ولو أعطيتنيه كلّه ؟

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ٢ ، ص ٣ ـ ٤ .

(٢) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٣٤ .

فقـال : ما أنـا وأنت فيه إلا بمنـزلة رجـل من المسلمين ، ومـع إصـرار عقيل ، قال له أمير المؤمنين : « تقيم إلى يوم الجمعة فأرى في ذلك فأقام عقيل عنده ، فلمّا صلّى أمير المؤمنين الجمعة قال لعقيل : ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين ؟

قال : بئس الرجل ذاك .

قال : فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك [1] .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ١١٦ .

# التشــدد مع المسـؤولين

مراقبة المسؤولين في الدولة . .
ومحاسبتهم على أقل انحراف . .
وعزلهم ، بسبب الفساد . .
والتشدد معهم فيما يرتبط بحقوق الناس . .
وإصدار التعليمات اليومية اليهم لمراعاة العامة . .

مسؤولية أساسية من مسؤوليات حكام العدل ، ذلك أن الولاة ، وأعوانهم يشكلون من غير شك الوسيط بين الرأس في المجتمع ، وهو الحـاكم ، وبين الأعضـاء ، وهم النـاس ، وبصـلاحهم يصلح الـرأس ، ويصلح الأعضــاء ، وبفسادهم ينتقل الفساد إليه ، واليهم . .

والذي يجب فعله في هذا المجال أمران :

**الأول** ـ اختيار الولاة ، من خيرة أفراد المجتمع .

**الثاني** ـ الإستمرار معهم فيمـا سبق ، من المراقبـة والمحاسبـة والتوجيـه الدائم . .

ولا يجوز الإكتفاء ، بأحدهمـا دون الآخر ، فـلا يصح انتخـاب شخص جيد لمسؤولية الولاية ، ثم تركه اعتماداً على ما فيه من الصفات الحسنة ، لأنّ موقع المسؤولية ، قد تفسد الصالح كما أنه يزيـد الفاسـد فساداً . . والشيـطان

على كل حال يتصيد الرجال في « الولايات والتي هي بالطبع مضامير الرجال »[1] . .

من هنا كان لا بدّ من أن يكون الولاة . . الذين يعيّنهم الحاكم متحلّين بالأخلاق الفاضلة ، بالإضافة إلى صفات الإيمان ، والعقل ، والعدالة وغيرها . .

فلا بدّ من الحذر ـ كل الحذر ـ قبل تعيين أي مسؤول ، حتى لا تبتلي الأمة فيما بعد بوالٍ تعجز عن تغييره . .

فأول ما يجب على الحاكم العادل في هذا المجال ، هو عزل الظالمين منهم ، واختيار أفضل الناس كمسؤولين في الدولة . . ولا بدّ من الإحجام عن تعيين أي فرد بمجرد ظهور أول شك في أمانته ، أو حتى مجرد رغبته في أن يصبح مسؤولاً .

وهذا ما فعله الإمام علي( عليه السلام ) الذي قام بعزل الولاة الذين ركبوا رقاب الناس ، واستبدلوا بالحكم في العهد السابق ، وردّ ما أخذوه بغير حق من أموال وضياع . .

ثم رفض تعيين أي شخص يُشك في أمانته ، حتى وإن كان من كبار الصحابة . .

وقد ذكر المؤرخون في هذا المجال أنه أتى طلحة والزبير أمير المؤمنين فقالا : « هل تدري علام بايعناك يا أمير المؤمنين ؟ » .

قال : « نعم . على السمع والطاعة . وعلى ما بايعتم عليه الخلفاء من قبلي أبا بكر وعمر وعثمان » .

---

(١) مجمع الأمثال : ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

فقالا : « ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر » .

قال : « لا ، ولكنكما شريكان في القول والإستقامة والعون » .

فقال طلحة : « استعملني على البصرة فأكون لك عُدَّة وقوة » .

وقال الزبير : « وَلِّني الكوفة فأكون على الخيل معك وعلى عدوك » .

فقال الإمام علي : « حتى أنظر ذلك » .

وكان ابن عباس حاضراً ، فلما خرجا قال : « يا أمير المؤمنين أعط طلحة والزبير ما يطلبان » . فذكَّره أمير المؤمنين بما تعلمه من رسـول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) أن الولاية لا تُعْطَى لمن يطلبها ولا لمن يحرص عليها !

ولكن عبد الله بن عباس ، وكان الإمام قد استوزره عاد يلح في أمر طلحة والزبير قائلاً : « أرى أنهما أحبا الولاية ، فـإن كنت عازلاً عـاملي عثمان على البصرة والكوفة ، فاستعمل بدلاً منهما الزبير واليًّا على البصـرة ، وطلحة على الكوفة » .

فغضب الإمام علي ، وقال لوزيره : « ويحك يا عبد الله بن عباس : إن العـراقين بهما الـرجال والأمـوال ، ومتى تملكا رقـاب الناس يستميـلا السفيـه بالطمع ؛ ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوي بالسلطان ! ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية ، لكـان لي فيهما رأي ولـو كنت مستعملاً أحـداً لضرّه أو نفعه لاستعملت معاوية على الشام » .

فقـال ابن عباس : « يـا أمير المؤمنين ، إن معـاوية وأصحـابـه وعصبتـه وأقـرباءه من بني أميـة أهل دنيـا ! إن أبقيتهم في مناصبهم وأبقيت في أيـديهم أموالهم وضياعهم ، فلن يبالوا من وَلِّى هذا الأمر ! وإن تعزلهم ، وتسترد منهم ما تحت أيديهم ليقولُنّ : أخذها بغير شورى ، وهو الذي قتل صاحبنا ، ولا آمن

طلحة والزبير أن ينضما إليهم »[1] .

وكما رفض تعيين طلحة والزبير نظراً لشكه في أمانتهما ، ومراعاة حقوق الناس فقد رفض المساومة في التعيينات مع أفراد آخرين كان يخشى منهم على حكمه ، فقد روي أنه جاء ثلاثة نفر من قريش ، هم وجوه بني أمية ، وهم : مروان ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، فقال الوليد بن عقبة : « إنك وترتنا جميعاً : أما أنا فقتلت أبي صبرا يوم بدر ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر ؛ وأما مروان فقد شتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه . ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف فنبايعك على أن تترك لنا ما أصبنا من إمارة وما في أيدينا من أموال وضياع ، وتقتل قتلة صاحبنا » .

فغضب الإمام علي من هذه المساومة ، وأبى أن يعدهم بشيء ، ورفض بيعتهم وشروطها ، وقال : « أما ما ذكرت يا وليد من وتري إياكم فالحق وتركم ! وأما أن أضع عنكم ما في أيديكم فليس لي أن أضع حق الله عنكم أو عن غيركم ، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم وأما قتلي قتلة عثمان ، فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم بالأمس ، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنّة نبيه ، فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق ، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم » .

فقال مروان : « بل نبايعك ونقيم معك فترى ونرى » ! . . ولكنهم فروا إلى مكة جميعاً . .

فخرج الإمام إلى الناس يقول عن بني أمية : « والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه ، ولا عقداً إلا حلوه ! وحتى لا يبقى بيت مَدَر ولا

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٣٠ - ١٣١ .

وَبَر إلا دخله ظلمهم ( بيت مدر أي مبني من الطوب أو الحجر أو نحوه ، وبيت الوَبَر هو الخيمة ) ، وحتى يقوم الباكيان يبكيان : باك يبكي لدينه ، وباك يبكي لدنياه . وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده إذا شهد أطاعه ، وإذا غاب اغتابه ، وحتى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم بالله ظنًّا ، فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا وإن ابتليتم فاصبروا ، فإن العاقبة للمتقين »[1] . .

* * *

وهكذا فإن على الحاكم العادل أن يكـون حذراً في تعيين الـولاة ، وأن يهتم بأخلاقهم ، وحرصهم على أجراء العدالة ، كما يهتم بدينهم ، فمثلاً « لا ينبغي أن يكـون الـوالي على الفـروج والـدمـاء والمغـانم والأحكـام وامـامـة المسلمين : البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته . ولا الجاهل فيضلّهم بجهله . ولا الجافي ( الخشن ) فيقطعهم بجفائه . ولا الهاتف للدّول ( الظالم في تقسيم الأموال ) فيتخذ قوماً دون قوم . ولا المرتشي في الحكم ، فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطّل للسنّة فيهلك الأمّة[2] .

وفي وصيته لمالك الأشتر يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « فـوّل من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسولـه ، ولإمامـك ، واتقاهم جيبـاً ( طاهـر الصدر والقلب ) وأفضلهم حلماً ، ممّن يبـطىء عن الغضب ، وليستريـح إلى العذر ويرأف بالضعفاء ، وينبو عن الأقوياء ، وممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف . ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصـالحة ، والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحـة . . فإنهم جماع من الكرم[3]

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٢) دعائم الإسلام : ص ٥٣١ .
(٣) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٣ .

فالأخلاق الحسنة بمجملها شرط ضروري من شروط تعيين الولاة والمسؤولين على الناس . . ولكن لا يمكن أن نستريح إلى الولاية والمسؤولين لمجرد أنهم كانوا حين تعيينهم ممن اجتمعت الشروط اللازمة فيهم ، بل لا بد من المراقبة الدائمة ، والمحاسبة المستمرة . .

وبمقدار ما يجب أن يكون الحاكم حسن الظن بالناس لا بدَّ أن يكون حذراً مع المسؤولين .

ولقد كان الإمام علي ( عليه السلام ) ليسأل الناس عن حال الولاة ، ويهتم بما يقولون عنهم ، ويقرِّر بناء على حكمهم ، لأنه « إنما يُستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده »[1] . بل وكان الإمام يسأل الناس عن أعوان الولاة ، فمرة سأل بعض الناس عن أعوان الولاة ، فعلم أن الولاة لا يحاسبونهم فقال : « يجب على الوالي أن يتعهد أموره ، ويتفقد أعوانه ، حتى لا تخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء ، فإنه إذا ترك أعوانه تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الأمر »[2] . وكان ( عليه السلام ) يتهم المسؤولين والأعوان ، ويحذِّر منهم ، ويطلب تعيينهم أولاً للامتحان والاختبار ، ويطالب بمراقبتهم سراً ، والتجسس عليهم ، في إجراء العدل ، وأداء الأمانة . لأن المسؤولين إذا تركوا وشأنهم يظلمون الناس ثمّ يزينون الظلم والفساد للحاكم . .

يقول الإمام ( عليه السلام ) لمالك الأشتر : « ثمّ انظر في أمور عمّالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباة ( للميل اليهم ) وأثرة ( بدون مشورة ) ، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة .

« وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة والقدم

---

(١) المصدر .

(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٣ .

في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصحّ إعراضاً ، وأقل في المطامع إشراقاً ، وابلغ في عواقب الأمور نظراً ، ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم ، وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجةً عليهم ، إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك » . .

« ثمّ تفقّد أعمالهم . وابعث العيون ( الجواسيس ) من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السرّ لأمورهم ، حدوة لهم ، على استعمال الأمانة ، والرفق بالرَّعية » . .

« وتحفّظ من الأعوان ، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلّة ، ورسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة »[1] .

فبالإضافة إلى ضرورة الإختيار الجيد ، لا بد من المراقبة الجيدة ، ثم إذا خان أحدهم ، أو لم يراع الناس لا بد من عقابه عقاباً شديداً وعدم المسامحة معه .

كل هذا ، في الوقت الذي يجب المسامحة مع عامة الناس . أي أن المعادلة الصحيحة للحكم العادل تقوم على مراعاة حالة العامة والمسامحة معهم من جهة ، والتشدد مع المسؤولين من جهة أخرى . وليس العكس كما هو ديدن ولاة الجور !

ولقد كان الإمام يرى أن المناصب مسؤوليات ، وليست مغانم ، وكان يؤكد هذا المعنى للمسؤولين دائماً . . فقد كتب لأحدهم يقول له :

« إن عملك ليس لك بطعمة ، ولكنه في عنقك أمانة ، وأنت مسترعي

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٥٣ .

لمن فوقك ، ليس لك أن تفتات في رعية ولا تخاطر إلاَّ بوثيقة ، وفي يديك مال من مال الله عزَّ وجلّ ، وأنت من خزانه حتى تسلمه إليّ »[1] .

كان رقيباً على سير الولاة ، حريصاً على عدلهم بين الناس ، وأدائهم للأمانة التي في أعناقهم للمستضعفين منهم .. شديداً عليهم إذا خانوا ، أو ظلموا ..

كتب إلى أحد ولاته بعد أن عرف بخيانته يقول له :

« أمَّا بعد .. فإني كنت أشركتك في أمانتي ، وجعلتك شعاري وبطانتي ، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي ، ومؤازرتي وأداء الأمانة إليَّ ، فلما رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب ، والعدوّ قد حرب ، وأمانة الناس قد خزيت ، وهذه الأمَّة قد نكثت، وشغرت : قَلَبت لابن عمّك ظهر المجن . ففارقته مع الفارقين ، وخذلته مع الخاذلين ، وخنته مع الخائنين ، فلا ابن عمك آسيت ، ولا الامانة أدّيت !

« وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك ، وكأنك لم تكن علي بيّنة من ربك ؟ » .

« وكأنَّك إنما كنت تكيد هذه الأمَّة عن دنياهم ، وتنوي غرّتهم عن فيئهم ؟ .. فلما أمكنتك الشدَّة في خيانة الأمَّة أسرعت الكرة ، وعاجلت الوثبة ، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم ، وأيتامهم ، اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة ، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله ، غير متأثم من أخذه ، كأنك ـ لا أبا لغيرك ـ حدرتَ إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك !؟

« فسبحان الله ! أما تؤمن بالمعاد ؟ أو ما تخاف نقاش الحساب ؟» .

---

(١) عيون الأخبار : ج ١ ، ص ١٥١ .

« أيها المعدود ـ كان ـ عندنا من أولي الألباب ، كيف تسيغ شراباً وطعاماً ، وأنت تعلم أنك تأكل حراماً ، وتشرب حراماً ، وتبتاع الاماء ، وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين ، والمؤمنين والمجاهدين ، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال ، وأحرز بهم هذه البلاد . .

« فاتق الله ، واردد إلى هؤلاء أموالهم ، فإنَّك إن لم تفعل ، ثم أمكنني الله منك لأعذرنّ إلى الله فيك ، ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار » . .

« ووالله ، لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ، ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظفرا منّي بإرادة ، حتى آخذ الحق منهما ، وأزيح الباطل عن مظلمتهما !» .

« واقسم بالله رب العالمين ما يسّرني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي ، أتركه ميراثاً لمن بعدي . . فضح رويداً ، فكأنك قد بلغت المدى ، ودفنت تحت الثرى ، وعُرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ، ويتمنى المضيّع فيه الرجعة ، ولات حين مناص »[1] .

ولقد كان موقف الإمام الشديد هذا مع عمّاله ، قد دفع بعضهم إلى الهروب منه والإلتحاق بأهل الغدر عند معاوية ، إلاّ أن الإمام لم يكن يأبه لذلك ويقول : « والله لا أراهن في ديني » . وكان ( عليه السلام ) يضع بموقفه هذا منهجاً للحكام من أهل العدل . .

لقد عاتب أحدهم على استئثاره بالأموال التي هي للمسلمين ، فكتب إليه عامله :

« أما بعد ، فقد بلغني كتابك عن الذي أصبت من بيت المال ، ولعمري

---

(١) رجال الكشي : ص ٥٨ ، ونهج البلاغة : الكتب ، ص ٤١ .

إن حقّي في بيت مال الله أكثر من الذي أخذت ، والسلام » .

فكتب إليه علي : « أما بعد ، فإن العجب كل العجب منك ، إذ ترى لنفسك في بيت مال الله أكثر مما لرجل من المسلمين !! وقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من الإثم ، ويحل لك ما حرم الله عليك : عمرك الله ! إنك لأنت البعيد ( يعني البعيد عن الصواب ) ، قد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً ، وضربت بها عطناً ( مرابض الغنم والإبل والأنعام ) تشتري المولدات من المدينة والطائف ، وتختارهن على عينك ، وتعطي بهنّ مال غيرك » .

فكتب اليه ذلك العامل : « والله ، لئن لم تدعن من أساطيرك ، لأحملنّ المال إلى معاوية يقاتلك به[1] وكان يهتم بأقل مخالفة ، ويعاتب على أقل تجاوز ، ويحاسب أصغر زلّة .

من ذلك ما روي أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين ( عليه السلام ) اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً . فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له : « بلغني أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً ؟

فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين .

فنظر إليه نظر المغضب ثمّ قال : « يا شريح أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسألك عن بيّنتك ، حتّى يخرجك منها شاخصاً ، ويسلّمك إلى قبرك خالصاً ، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك ، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة .

أما إنّك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبتُ لك كتاباً على هذه

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٥١ .

النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق .

والنسخة هذه : هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد أزعج للرحيل . . اشترى منه داراً ، من دار الغرور من جانب الفانين وخِطّة الهالكين .

وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحدّ الأوّل - ينتهي إلى دواعي الآفات ، والحدّ الثاني - ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحدّ الثالث - ينتهي إلى الهوى المردي ، والحدّ الرابع - ينتهي إلى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدّار ، اشترى هذا المغترُّ بالأمل من هذا المزعج بالأجل ، هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة والدخول في ذلّ الطلب والضراعة ، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك ، فعلى مبلبل أجسام الملوك ، وسالب نفوس الجبابرة ، ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر ، وتبع وحمير ، ومن جمع المال على المال فأكثر ، ومن بنى وشيّد وزخرف ونجّد ، وادّخر واعتقد ، ونظر بزعمه للولد ، إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب : إذا وقع الأمر بفصل القضاء ﴿ **وخسر هنالك المبطلون** ﴾ . . شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا[1] .

وحينما سمع الإمام ( عليه السلام ) أن أحد أخلص عماله ، وهو عثمان بن حنيف قد دُعي إلى وليمة قوم من أهل البصرة الأغنياء ، فلبّى الدعوة ، كتب إليه رسالة مفصلة جداً ، يعاتبه على ذلك عتاباً شديداً ، وينصحه أن لا يعود لمثل ذلك ، ما دام الفقراء والمعوزون لا يجدون مثل ذلك ، وقد جاء في مقدمة تلك الرسالة ما يلي :

أما بعد ، يا ابن حنيف ، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ، يستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما

---

(١) دستور معالم الحكم : للقصاعي ، ص ١٣٥ .

ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوٌّ وغنيّهم مدعوٌّ ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه ، فاتّق الله يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك»[1] لقد كان كثير الكتابة إلى عماله ، ينصحهم من جهة ، ويوجههم من جهة أخرى ، ويحاسبهم على أخطائهم من جهة ثالثة ، كل ذلك بروح دينية ، تذكرهم الآخرة ، ومحاسبة الله يوم القيامة . .

فقد كتب لأحد ولاته يقول : « أما بعد ، فإن دهاقين بلدك شكوا منك غلظة وقسوة ، واحتقاراً وجفوة . . ولهم في ذمتنا عهد ، فامزج لهم بين التقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله »[2] .

وكتب لثالث : « بلغني أنك تعمر دنياك بآخرتك ، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ، لئن كان الذي بلغني عنك حقاً ، لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ، ومن كان بصفاتك فليس بأهل أن يُشرك في أمانة ، أو يُؤمن على جباية ، فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله »[3] .

وكتب لرابع : « بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك ، وأغضبت إمامك ، أنك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأريقت عليه دماؤهم ، فيمن اعتامك ( اختارك ) من أعراب قومك . . لئن كان ذلك حقاً ، لتجدن بك عليّ هواناً ، ولتخفن عندي ميزاناً . فلا تستهن بحق ربك ، ولا تصلح دنياك بمحق آخرتك ، فتكون من الأخسرين أعمالاً » . ألا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء ، يردون عندي عليه ويصدرون عنه[4] .

---

(١) ربيع الأبرار : ص ٢١٦ .
(٢) التاريخ : لابن واضح ، ج ٢ ، ص ١٩ .
(٣) انساب الأشراف : ج ٢ ، ص ١٣ .
(٤) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٤٣ .

وكتب لعامل غيره : « أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلتـه فقد اسخطت ربك ، وعصيت أمامك وأخزيت أمانتك بلغني أنك جردت الأرض ، فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام »[1] .

وكتب لجميع عماله على أهل البلاد المفتوحة ( أهل البلاد المفتوحة هم الموالي ) : « انظروا في حال تشتتهم وتفرقهم ، ليالي كانت الملوك والأكاسرة والأباطرة أرباباً لهم فتركوهم عالة مساكين ! »[2] .

وكتب إلى أحد عماله : « أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت من المتكبـرين ؟! ، أتـطمـع وأنت متمـرغ في النعيم ، تستـأثـر فيـه على الجـار المسكين والضعيف الفقيـر والأرملة واليتيم ، أن يجب لـك أجـر الصـالحين المتصدقين ؟ فماذا لو أكلت طعامك مرة وأطعمت الفقيـر الجائـع مرة ؟! إنمـا المرء يجزي بما أسلف ، والسلام »[3] .

وكتب إلى آخر : « أمّا بعد فلا يكن حظّك في ولايتك مالاً تستفيده ، ولا غيـظاً تشتفيه ، ولكن إماتة باطل وإحياء حقّ »[4] .

* * *

ان الإمام كان يهتم بالنظام ، وبأدواته ، ومنها الجيش ، ولكن ليس على حساب الناس ، فكان يوصي الجيش بالناس خيراً ، ويطلب من الناس مجازاة من يسيء إليهم من الجيش . .

لقد سيّر جيشاً إلى أحد المناطق ، وكتب إلى أمراء بلاده التي سيمر بها

---

(١) العقد الفريد : ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٢) عليّ إمام المتقين : ج ٢ ، ص ٣٥ .
(٣) أنساب الأشراف : ج ٢ ، ص ١٦٩ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٤٠ ، ص ٣٢٨ .

الجنـد كتابـاً كان قـد تعـود أن يـرسله كلمـا سيَّـر جنـداً : « من عبـد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الضرائب وعمال البلاد : أما بعد ، فإني سيّرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله ، وقد أوصيتهم بما يجب عليهم من كف الأذى ، وصرف الشذى ( الشـر ) . وأنا أبـرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة ( أذى ) الجيش إلا من جوعة المضطر الذي لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه فنكلوا ( عاقبوا ) من تناول منهم شيئاً ظلمـاً عن ظلمهم ، وكفوا أيـدي سفهائكم عن مضارتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم ، . . وأنا بين أظهر الجيش فارفعوا إليّ مظالمكم ، وما عراكم مما يغلبكم أمرهم ، وما لا تطيقون دفعه إلا بالله ، وبي ، فأنا أغيّره بمعونة الله ، إن شاء الله[1].

وهكذا كان الإمام حريصاً على حماية حقوق كل فرد من أفراد الرعيـة ، وعلى ضبط الأمور ، ولكنه كان لحقوق النـاس أكثر حـرصاً من حقـوق العمال والولاة ، وأفراد الجيش ، فقد بين للناس الحدود التي رسمها للجيش حتى لا يتعدوه ، وسمح لهم التنكيل بإفراد الجيش الذين قد يخالفون أوامره بحقهم ، ولم يكشف بذلك بل طالبهم بـأن يكتبوا اليـه مظالمهم ومـا قد يُغلبـون عليه ، ووعـدهم بأن يقف إلى جـانبهم ، ويغيّـر مـا يجب تغييـره من أمـر الجيش إذا تعرضوا للناس بظلم .

ولقد بلغ من حرصه على الناس ، أنه عزل قاضيه أبا الأسود الـدئلي مع علمه وعدالته وفضله ، وعلله بأنه يعلو صوته صوت الخصمين ، فإنه لما عزل أبا الأسود جاءه ، وقال يا أمير المؤمنين : لم عزلتني وما خنت وما جنيت .

فقال ( عليه السلام ) : « نعم ما خنت ومـا جنيت ، ولكن صوتـك يعلو

---

(١) كتاب صفين : لنصر بن مزاحم ، ص ١٢٥ .

صوت الخصمين »[1] .

وكـان ( عليه السـلام ) ربّما يؤلب العلمـاء على الأمراء الـذين يظلمـون النـاس . فقد روى أنـه « جاءه بعض المـوالي من أهل الكـوفة يشكـون الولاة وأعوانهم ، فقال لهم : « وأين علماؤكم ؟! لقد أخذ الله على العلماء ألا يقروا ظالماً ولا يسكتوا عن مظلوم » . .[2]

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٣٢ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٢ .



# مواجهة المتكبرين بالحزم

يولد الطاغوت ، كما يولد غيره ، على الفطرة ، ولكنه يتمرد عليها فيما بعد حينما يسلك الطريق الحرام ، ولا يجد من يقف في وجهه ، ويثنيه عن طغيانه .

وإذا كانت « كل نفس أضمرت ما أضمر فرعون »[1] ، كما يقول الحديث الشريف فإن إمكانية أن يتحول أي شخص إلى طاغوت ، أمر وارد وطبيعي ، إذا توفرت له الظروف الموضوعية . . إنما ضمانة منع الطغيان هي في مواجهة المجتمع والمسؤولين فيه من أهل الحل والعقد ، لكل من تسوّل له نفسه ذلك ، قبل أن يستفحل أمره ، ويحصل على الأزلام والجلاوزة . .

وبداية الطغيان هو الكبر . . والاعتزاز بالنفس . . وتحقير الآخرين ، فـ « الكبر أن تغمص الناس ، وتسفه الحق »[2] وهو يظهر في البوادر الأولى على الشخص كطريقة مشيه ، أو كلامه مع الناس ، وتعامله مع العامة . فقد مرّ رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) على جماعة فقال : « على مَ اجتمعتم ؟ فقالوا : « يا رسول الله هذا مجنون يُصرع ، فاجتمعنا عليه .

(١) راجع كتب الحديث .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٢١٧ .

فقال(ﷺ) :(ليس هذا بمجنون ولكنه المبتلى) وأضاف : ألا أخبركم بالمجنون حق الجنون؟ قالوا: « بلى يا رسول الله! فقال: « المتبختر في مشيه، الناظر في عطفيه، المحرّك بمنكبيه، يتمنّى على الله جنّته وهو يعصيه، الذي لا يؤمن شره، ولا يرجى خيره، فذلك المجنون، وهذا المبتلى»[1].

فمن تبختر في مشيه ونظر في عطفيه ، وحرَّك منكبيه ، فهو متكبر لا بدَّ من الحذر منه . . والاجتماع ضده والابتعاد عنه . .

فـ « إياكم والكبر ، فإن الكبر يكون في الرجل وأن عليه العباءة[2] ( سائر ) فلا بدَّ من كشفه في مراحله الأولى ، ومنع تفاقمه ، لأن « الكبر رأس الطغيان ، ومعصية الرحّمن »[3] .

لقد كان الإمام يرفض مهادنة الطغاة ، والتغاضي عن المتكبرين ، مهما كلّفه من أمر ، فكم كان في غنى عن المشاكل ، والحروب التي خاضها لو قبل السكوت عن المتكبرين ، والتغاضي عنهم . .

« ولقد دخل عليه المغيرة ، بعد مبايعته بالخلافة . فقال له : « يا أمير المؤمنين إن لك عندي نصيحة . قال : « وما هي ؟ » فقال : « إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة على الكوفة ، والزبير على البصرة ، وابعث لمعاوية بعهدة على الشام حتى تلزمه طاعتك ، فإذا استقرت لك الخلافة فادْرَأْهم كيف شئت برأيك » .

فقال علي : « أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما ، وأما معاوية فلا يراني الله مستعملاً له ولا مستعيناً به ما دام على حاله ، ولكني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أبى حاكمته إلى الله تعالى » .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٣ ، ج٢٣٣ .

(٢) كنز العمال : خ ٧٧٣٥ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .

فانصرف المغيرة عن الإمام مغضباً لما لم يقبل منه النصيحة . ثم أصبح فجاءه قائلاً : « يا أمير المؤمنين ، نظرتُ فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به ، فوجدتُ أنك قد وُفِّقت للخير وطلبت الحق » .

وانصرف فلقيه الحسن بن علي (عليه السلام) وهو خارج ، فسأل أباه عما قال المغيرة ، قال علي : «أتاني أمس بكذا ، وأتاني اليوم بكذا» .

قال الحسن : « نصحك والله أمس ، وخدعك اليوم » .

فقال له علي : « إن أقررتُ معاوية على ما في يده كنت متخذ المضلين عضداً ، ولا يراني الله كذلك أبداً » .

وقال المغيرة في ذلك :

| | |
|---|---|
| نصحتُ عليًّا في ابن هند نصيحة | فردت فلا يسمع لها الدهر ثانية |
| وقلت لـه : أرسل اليه بعهده | على الشام حتى يستقيم معاويهْ |
| ويعلم أهل الشام أن قد ملكته | فأم ابن هند بعد ذلك هاويهْ |
| وتحكم فيه ما تريد فإنه | لَداهِيَةٌ ـ فارفق به ـ وابن داهية |
| فلم يقبل النصح الذي جئته به | وكانت له تلك النصيحة كافية |

* * *

وقال له عبد الله بن العباس رضي الله عنه : « يا أمير المؤمنين أنا أشير عليك أن تثبت معاوية وحده فإن فيه جرأة ، فإن بايع لك فعَليّ أن أقلعه من منزله » .

فقال علي : « والله لا أعطيه إلا السيف » ثم تمثل بقول الأعشى :

وما ميتة إن مهّا غير عاجز    بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقال عبد الله بن عباس : « يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع : « أما والله لئن أطعتني لأصدرنهم بعد ورْدٍ ، ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما

كان وجهها ، في غير نقصان عليك ولا إثم لك » .

ولكن الإمام رفض أن يكيد كما يكيد معاوية .

فلما رآه ابن عباس سيعالج المكر بشجاعة الصراحة ونبالتها ، ولن يرد على الكيد بالكيد قال له : « اطعني ، والحق بمالك بينبع ، وأغلق بابك عليك ، فإن العرب تجول جولة تضطرب ولا تجد غيرك . فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً ! »

قال الإمام : « تشير علي وأرى . فإذا عصيتك فأطعني » .

قال : « أفعل ، إن أيسر ما لك عند الطاعة » .

فقال الإمام : « تسير إلى الشام فقد وُلِّيتهَا » .

فقال ابن عباس : « ما هذا برأي ، معاوية رجل من بني أمية ، وهو ابن عم عثمان وعامله ، ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان . وإن أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي لقرابتي منك . إن كل ما حُمِلَ عليك حُمِل عَلَيَّ ، ولكن اكتب إلى معاوية فَمَنِّهِ وعِدْهُ » .

فقال الإمام : « لا والله لا كان هذا أبداً » .

وعزل أمير المؤمنين عمال عثمان . . لم يُثَبِّتْ منهم غير أبي موسى الأشعري على الكوفة . . فَوَلَّى على البصرة عثمان بن حُنَيف الأنصاري ، وأخاه سهل بن حنيف الأنصاري على الشام . وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مصر . . وفرح الأنصار بهذا الاختيار . .

وبعث عبيد الله بن العباس أخا عبد الله بن العباس إلى اليمن . .

فأما عامل عثمان على البصرة وهو ابن خاله عبد الله بن عامر فقد أخذ ما في بيت المال وفر به إلى مكة حيث كان بنو أمية الذين فروا من المدينة ينتظرون !

ووافاهم عامل عثمان على اليمن أبو يعلى بن أمية ومعه ما نهبه من بيت المال وهو مال كثير ونحو ستمائة بعير ، وتوافى عليهم في مكة مَنْ خلعهم عليٌّ من عمّال عثمان . كلٌ منهم بما نهبه من بيت مال ولايته !!

وأرسل أبو موسى الأشعري بيعة أهل الكوفة ، كما أرسل قيس بن سعد بن عبادة بيعة أهل مصر ، إلا قليلاً لزموا قرية في إقليم البحيرة اسمها خِرْبِتًا واعتزلوا فيها . . فتركهم قيس آمنين . .

أما سهل بن حنيف الذي ولاه الإمام على الشام فقد لقيه جماعة من فرسان الشام بتَبُوك بين وادي القرى والشام ، فهددوه بالقتل إن هو دخل الشام ، وردوه إلى المدينة .

فلما عاد إلى المدينة دعا عليٌّ كبار الصحابة وفيهم طلحة والزبير فقال : « إن الأمر الذي كنت أحذركم منه قد وقع . . وإنها فتنة . كالنار ، كلما سُعِّرت ازدادات اضطراماً واستشارت » فقال طلحة والزبير : « ائذن لنا نخرج من المدينة ، فأما أن نكاثر وإما أن تدعنا » . فقال : « سأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بُدًّا فآخر الدواء الكي »[1] .

إن مواجهة المتكبرين ، واجب شرعي مهما كلّف الأمر ، لأن المواجهة وحدها هي التي تنفع معهم ، وهي وحدها تمنع المجتمع من نموّ الطغيان فيه .

وفي ذلك يجب أن لا نهادن ، ولا تأخذنا لومة لائم . يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « ولعمري ، ما عليّ من قتال من خالف الحق ، وخابط الغي من ادهان ، ولا إيهان ، فاتقوا الله عباد الله ، وفرّوا إلى الله من الله ، وامضوا في الذي نهجه لكم ، وقوموا بما عصبه لكم ، فعليّ ضامن لفلجكم آجلاً ، إن لم تمنحوه عاجلاً »[2] .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٢) النهاية : ج ٣ ، ص ٢٤٤ .



# الاحتياط في اراقة الدماء

إراقة الدمـاء ، من عادة الـطغاة ، لا من شيمـة المصلحين في الحياة . ذلك أن المصلح يريد الناس أحياءً ليقوم بإصلاحهم ، فـإذا أماتهم فمـا يصلح حينئذ ؟

أمّا الطغاة فملهاتهم القتل ، وديدنهم الفساد ، ولذتهم التنكيل . . ولربّما يعتبرون ذلك وسيلة لتقوية سلطانهم .

غير أن للحياة البشرية قدسيّتها التي لا تدانيها قدسية أخرى فقد خلق الله الأرض ، والشمس ، والقمر للإنسان فهو أغلى من هذه جميعاً ، ولـذلك فـلا يجوز سفك دمـه ، والتوسـل بقتله من غير أن يكـون ذلك في مصلحـة الحياة نفسها . .

يقول ربّنا : **﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنّما قتل الناس جميعاً ، ومن أحيـاها فكـأنما أحيا الناس جميعاً ﴾**[١] .

ولقد عيّر الله بني اسرائيل لأنهم كانوا يسفكون الدماء ، بعد أن كـان قد

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٣٢ .

أخذ منهم المواثيق أن لا يفعلوا ذلك فقال سبحانه : ﴿ **وإذ أخـذنا ميثـاقكم لا تسفكـون دمائكم ، ولا تخـرجـون أنفسكم من ديـاركم ، ثم أقـررتم ، وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء ، تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وأن يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهـو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**﴾(١).

ولا شك أنّ من يتجرأ على قتل الناس ، هو طاغ زنيم ذلك أن : « أعتى الناس من قتل غير قاتله ، أو ضرب غير ضاربه »(٢) .

إن القتل لأمر عظيم عند الله ، « فلو أن السماء والأرض اجتمعوا على قتل رجل مسلم لعذبهم الله بلا عدد ولا حساب »(٣) ، بل أن « من أعان على قتل مؤمن بشـطر كلمة ، لقي الله يـوم القيامـة مكتوبـاً بين عينيه : آيس من رحمـة الله »(٤) . حتى « إن الرجل ليدفع عن باب الجنّة أن ينظر إليها بمحجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق »(٥) ، وهكذا فإن « زوال الدنيا أهون على الله من دم يسفك بغير حق »(٦) .

وقد أوحى الله إلى موسى بن عمران : « أن يا مـوسى . . قل للمـلأ من بني إسرائيل : إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق ، فإن من قتل منكم نفساً في الدنيا ، قتلته مائة ألف قتلة مثل قتل صاحبه »(٧) .

من هنا كان من وصايا أميـر المؤمنين ( عليه السـلام ) للناس أن : « من

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٨٤ ـ ٨٥ .
(٢) الأمالي : للمفيد ، ص ١٢٦ .
(٣) كنز العمال : خ ٣٩٩٥٢ .
(٤) ميزان الحكمة : ج ٨ ، ص ٤١ .
(٥) كنز العمّال : خ ٣٩٩٢١ .
(٦) الترغيب والترهيب : ج ٣ ، ص ٣٩٦ .
(٧) الوسائل : ج ١٩ ، ص ٦ .

استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقيّ الراحة من دماء المسلمين وأموالهم ، سليم اللسان من إعراضهم ، فليفعل[1]

ولربما يظن البعض أن عليًّا الذي دخل الحرب ولما يبلغ العشرين ، واستمر يخوض المعارك ، حتى ذرف على السبعين كانت الدماء بالنسبة إليه سهلة ، وسفكها أمراً عادياً ، غير أن قليلاً من التدقيق يكشف عن ورع شديد عند الإمام في سفك الدماء . . فهو الذي كاد أن يخسر معارك عديدة لأنه رفض أن يبدأ مناوئيه بقتال . .

ففي معركة الجمل مثلاً ناشد الإمام كلًّا من عائشة وطلحة والزبير أكثر من مرة أن يحقنوا الدماء ، بالرغم من أنهم بدأوا ذلك ، وكانت دعوته إلى حقن الدماء قد تكررت « حتى أوشك أصحابه أن يسأموا ، وحتى خشوا أن يظن عدوهم بهم الضعف »[2] .

وعاد يكرر : « لا تبدأوا أنتم بالقتال ! لا ترموا بسهم ، ولا تطعنوا برمح ، ولا تضربوا بسيف ، وأعذروا » . وامتثل أصحابه لما يسمعون .

لكم يشق على الإمام أن يرى مسلماً يرفع السيف في وجه أخيه ، أو عربياً يقتل عربياً !! . . كل هذا بشع وآثم وزري !! وسيفتح باب الخلاف بين المسلمين ، وتأتي عصور كقطع الليل المظلمة . . ظلمات من فوقها ظلمات ، فإذا الواحد منهم يشرب دم أخيه ، ويقتات بأشلائه ، وإذا الإنسان الذي شرّفه الله ، وخلقه على صورته ، وجعله خليفته في الأرض ، قد أصبح اما وحشاً مفترساً ، أو فريسة ممزقة !!

***

وأوشك بعض أصحاب عائشة أن يلقوا السلاح ، وإذ بسهم يقتل أحد

(١) نهج البلاغة : الخطب ، ص ١٧٦ .

(٢) عليّ إمام المتّقين؛ ج ١ ، ص ٢٧٦ .

أصحاب علي . . فيقول الإمام : « اللهم فاشهد ! . . لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف . وأعذروا »[1] .

ويُقتل من أصحاب الإمام رجل ثان وثالث ، والإمام يصبر ويصابر ويحتسب ويقول لأصحابه : « أعذروا إلى القوم » .

ويكلف أحد فتيانه بأن يرفع القرآن الكريم ويدعو أصحاب عائشة إلى كتاب الله ، فتنهال السهام على الفتى ، ويسقط صريعاً يخضب دمه كتاب الله .

وتتوالى السهام ، فيقول محمد بن أبي بكر : « إلى متَى نُعذر يا أمير المؤمنين ؟! لقد والله أعذرنا وأعذرت ، وإنهم ليرموننا بالسهام ، ويقتلوننا رجلًا رجلًا ، والله لتأذنن لنا في لقاء القوم أو لتنصرفن قبل أن تقتلنا سهامهم ونحن ننظر ! » .

ونظر الإمام فوجد السهام تنهمر على أصحابه ، فأعطى الراية ابنه محمد بن الحنفية ، وأذن بالقتال ، واندفع إلى الأعداء صائحاً في رجاله : « تقدموا » . . .

* * *

وبالرغم من أن معركة الجمل كانت معركة شرسة ، وغير سهلة فإن الإمام كان يؤثر انسحاب المقاتلين من أصحابه على تزايد عددهم والذي كان يؤدي بلا شك إلى زيادة إراقة الدماء من كلا الطرفين . .

وقد روي أن « المغيرة » قال للإمام :

« اختر مني واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل معك بأربعة آلاف رجل ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف » .

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٧٧ .

فقال الإمام : « أكفف عنا عشرة آلاف سيف » .

فنادى المغيرة حلفاءه من معسكر عائشة ، وقومه من جيش علي ، فلم يبق أحد إلا أجابه ، واعتزل بهم ، فلما انتهى القتال ، بايعوا كلهم عَلِيًّا . .[1] .

وفي معركة صفّين استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال ، حتى أن بعضهم اتهمه ( عليه السلام ) بأنه يخشى الموت . . فقال لهم :

« أمّا قولكم : أكل ذلك كراهية الموت ؟ فوالله ما أبالي دخلتُ إلى الموت ، أو خرج الموت اليّ ، وأمّا قولكم شكاً في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي ، وتعشو إلى ضوئي ، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها ، وإن كانت تبوء بآثامها[2] .

فهو إذن مصلح يريد هداية الناس ، حتى الأعداء ، ولا يريد قتلهم ، وإن كانوا يستحقون ذلك . . « ولقد أجمع الرواة والمؤرخون أن علياً كان يأنف القتال إلاّ إذا حمل عليه ، فكان يسعى أن يسوّي الأمور مع أخصامه ومن يبادره بالعداوة على وجوه سليمة تحقن الدم وتحول دون النزال»[3] .

نعم حينما تقع الواقعة ، ويحاول أهل الشر أن يهلكوا الحرث والنسل ، فإن الإمام كان يقاتلهم من غير هوادة ، وهذا هو القصاص العادل بحق الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً .

فالسيف هو جواب السيف .

والقتل هو جزاء القتل .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٢) نهج البلاغة : الخطب ، ص ٥٥ .

(٣) علي وحقوق الإنسان : ص ٨٢ .

ولكن إراقة الدماء أمر آخر . . فالقتال لأجل مبادىء العدل ، والحق ، والحرية ، واستتباب الأمن يختلف عن القتل لأجل تقوية السلطة مثلاً ولذلك فإن الإمام كان يوصي ولاته بالتورع عن إراقة الدماء فيقول لمالك الأشتر ، حين ولّاه مصر :

« إياك والدماء وسفكها بغير حلّها ، فإنه ليس شيء أدنى لنقمةٍ ، ولا أعظم تبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوّين سلطانك بسفك دمٍ حرام ، فإن ذلك ممّا يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن ، وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك ، أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحّن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم »[1] .

فلم يكتف الإمام بنصيحة واليه حول إراقة الدماء ، ومواعظته في ذلك وتذكيره بيوم الحساب ، بل وأعلمه أن سفك الدماء يوهن السلطان ، ويأتي بعكس النتائج التي قد يرجوها الحاكمون من ذلك ، ثم هدّده بأنه لا عذر له ، أن قتل نفساً عن عمد ، وسيقتص منه بلا مبالاة لوجاهته ومقامه « لأن فيه القود » والقصاص ، وذكّره بأنّ في قتل الخطأ أيضاً الديّة التي يجب أن يعطيها لأهل المقتول مع الإعتذار اليهم والإعتراف بخطئه . .

لقد كان الإمام يرى : « أن لكل دم ثائراً [2]، وأن هذا الثأر سوف يؤخذ به إن عاجلاً أو آجلاً ، فلا يجوز الشرع في إراقة الدم » .

وحتى مع الأعداء ، إذا لم تكن هنالك الضرورة القصوى فلم يكن الإمام

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ص٥٣ .

(٢) المصدر السابق : الخطب ، ص ١٠٥ .

يريق دماءهم . وقد روي عن يزيد بن بلال ، قال : « شهدت مع عليّ ( عليه السلام ) « صفّين » فكان إذا أتى له بالأسير قال : « لن أقتلك صبراً ، إني أخاف الله ربّ العالمين » وكان يأخذ سلاحه ويحلّفه أن لا يقاتله ، ويعطيه أربعة دراهم »[1] .

وطلب ( عليه السلام ) من أصحابه بصفّين ، أن يطلبوا من الله حقن دماء الطرفين بقولهم : « اللهم احقن دماءنا ودماءهم»[2].

وأوصى أقرباءه وأصحابه ، أن لا يسفكوا الدماء باسم الثأر من أجله ، وذلك بعد أن ضربه ابن ملجم . . وقال :

« يا بني عبد المطلب . . لا ألفّينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً ، تقولون : قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يُقتلّن بي إلا قاتلي »[3] . وحسب ما ذكره بعض المحققين فإن الإمام لم يقتل من الذين هم في بلاده الواسعة ، الذين أجرموا أكثر من مائة شخص في مدة حكمه البالغ زهاء خمس سنوات ( باستثناء الذين قتلوا في معاركه الثلاثة )[4] .

وكان ( عليه السلام ) يقول لولده الحسن ( عليه السلام ) : « لا تدعون إلى مبارزة ، فإن دُعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ والباغي مصروع »[5] .

---

(١) كنز العمال : خ ٣١٧٠٣ .
(٢) نهج البلاغة : الخطب ، ص ٢٠٦ .
(٣) المصدر السابق : الكتب ، ص ٤٧ .
(٤) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٥٠ .
(٥) نهج البلاغة : الحكم ، ص ٢٣٣ .



# انصــاف العــدو

تظهر أخلاق الرجال الحقيقية في التعامل مع العدو ، أكثر مما تـظهر في التعامل مع الصديق . إذ من الـطبيعي أن يتعامـل المرء مـع أصدقـائه بـالعدل والانصاف . ولكن ماذا عن الأعداء ؟

كثيـرون هم الذين يسمحـون لأنفسهم ، في التعامـل مع العـدوّ ، ما لا يسمحون لها في التعامل مع الصديق ، فكأن الأمر حينما يتعلق بالمناوئين يجوز فيـه ما لا يجـوز في غيره ، من التنكيـل ، والبـطش ، والإفتراء ، والـدسّ ، والوقيعة ، والفتك . والغدر . .

بينما « أعدل الناس من أنصف من ظلمه »[1]، كما أن « أجور الناس من ظلم من أنصفه »[2].

فالإلتزام بقواعد السلوك الإنساني ، إنما تكون له قيمته ، إذا كان نابعاً من القدرة على تجاهلها ، لا من الضعف ، والإضطرار إلى ذلك . . من هنا فـإن « أعـدل الناس من أنصف عن قـوة »[3] ، ذلك أنَّ « أعـدى عدوّ للمـرء غضبه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٨٨ .

وشهوته فمن ملكهما علت درجته ، وبلغ غايته »[1] .

فالذي يملك غضبه مع عدوّه ، ويتجاوز هواه فيه ، ولا يظلم من له هوى في ظلمه ، هو صاحب الخلق الرفيع حقاً . .

أما من يصبّ غضبه على من يعاديه ، ولا يرعى فيه إلاًّ ولا ذمَّة ، فلا يمكن اعتباره من الملتزمين بالأخلاق ، لأنه ينطلق حينئذٍ من الحقد، أو الغضب وكلاهما من الأخلاق الذميمة . .

إن أصحاب الرسالات يختلفون عن غيرهم ، في أنّهم ينظرون إلى العدو باعتباره من يجب إصلاحه ، ولذلك فإن لمعاداتهم حدوداً ، ولقتالهم حدوداً وهم يرغبون في الدرجة الأولى إصلاح العدو لا القضاء عليه .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « الاستصلاح للأعداء بحسن المقال ، وجميل الأفعال ، أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم بمضيض القتال »[2] .

وعلى كل حال فإنّ أهم ما يجب التمتع به هو العدل مع العدوّ ، وعدم الانجرار وراء الغضب ، في مواجهته . .

يقول الإمام في وصية له إلى ولده الحسن ( عليه السلام ) : « أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر . . وبالعدل على الصديق والعدوّ »[3]

وفي وصية أخرى يقول : « أوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها . . والعدل في الرضى والغضب »[4] .

ونعم كلام الله الذي يقول: **﴿ولا يجرّمنكم شنئان قوم على أن لاتعدلوا،**

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٢) المصدر السابق .

(٣) بحار الأنوار : ج ٧٧ ، ص ٢٣٦ .

(٤) بحار الأنوار : ج ٤٢ ، ص ٢٠٣ .

اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[1] .

فلو افترضنا أن العدوّ لا يلتزم بأصول العدل ، فإنّ علينا أن نلتزم بها حيث أن ذلك جزء من احترامنا لقيمنا وتعاليم ديننا . فلا تجاوز للعدل حتى مع العدوّ ، ولا تنازل عن الأخلاق حتى في مواجهة من يدوس عليها فـ « كفى بنصر الله لك ، أن ترى عدوّك يعمل بمعاصي الله فيك[2] .

* * *

لقد أوصى النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عليًّا ذات مرَّة فقال :

« ينبغي للمؤمن أن تكون فيه ستّ خصال :

« وقور عند الهزاهز » .

« صبور عند البلاء » .

« شكور عند الرخاء » .

« لا يتحامل على الأصدقاء » .

« ولا يظلم الأعداء » .

« الناس منه في راحة » .

« وبدنه منه في تعب » .

فكانت هذه الوصيّة ، منهج الإمام في الحياة ، فلم يتزلزل في مواجهة العدو ، ولا تزعزع عند البلاء ، ولم ينسَ الشكر عند الرخاء ، ولا تحامل على صديق ، ولم يظلم عدوًّا ، وكان بدنه منه في تعب لزهده وتقواه ، وشدّة تتمره في ذات الله ، والناس كانوا منه في راحة لعدله وانصافه .

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٣٦ .

وقد وضع الإمام ، بكلامه ومواقفه أصول التعامل مع العدوّ ، وذلـك في النقاط التالية :

**أولاً** ـ لا مواجهة مع العدوّ إلاّ بعد إتمام الحجّـة عليه **﴿ليهلك من هلك عن بينة ، وليحيى من حيي عن بيّنة﴾**[1] .

ففي كل مواجهة بينه وبين عدوّه ، كان يـدعوه إلى الحق ، ويـطلب منه الأوبة إلى الرشد ، ابتداء من عمرو بن ود العامري ، وانتهاءً بمعـاوية بن أبي سفيان . . ومروراً بطلحة والزبير وعائشة وعمرو بن العاص ، وغيرهم من مناوئيه وأعدائه . .

فلقد دعا، قبيل معركة الجمل كلاًّ من طلحة والزبير ، لكي يناقشهما ، ويتم الحجة عليهما ، فخرج الزبير على فرسه في عدة الحرب ، فقال الإمام : « أما إنه لأحرى الرجلين إن ذُكِّر بالله أن يـذّكـر! » .

وخرج طلحة ، فخرج إليهما علي ، فـدنا منهمـا فقال : « لعمـري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً !! لا تكـونا ( كـالتي نقضت غزلهـا من بعد قـوة أنكاثاً ) ! ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرِّم دمـاءكما : فهـل مِنْ حدَثٍ أحل دمي !؟ » . فقال طلحة : « الانتظار على دم عثمان » .

فدهمت المرارة قلب الإمام . . أهو طلحة الذي يقول هذا أمام الناس ، وما من أحد يجهل أنه قد حرَّض على قتل عثمان ؟! . .

قال الإمام ووجهه تغشاه ابتسامة ساخرة مشفقة : « يا طلحة ! أهو أنت من يـطلب دم عثمـان ؟! فلعن الله قتلة عثمـان ! يـا طلحـة ، أتيت بـامـرأة رسـول الله ( صلى الله عليه وآلـه وسلم ) تقـاتـل بهـا ، وخبّـأت امـرأتـك في البيت ! .

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٤٢ .

وأضاف : « إنكما ممن أرادني وبايعني ، فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب ، وإن كنتما بايعتماني كارهين ، فقد جعلتما لي عليكما السبيل ، بإظهاركما الطاعة ، وإسراركما المعصية » .

« ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان ، وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما ، من خروجكما منه ، بعد إقراركما به » .

« وقد زعمتما أني قتلت عثمان ، فبيني وبينكما من تخلف عنّي وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كل امرىء بقدر ما احتمل ، فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم ( ما يترتب على رجوعكما ) العار ، من قبل أن يجتمع العار والنار » .

وقال لهما أيضاً : « استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله على خصال أن تصدق فيها : هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله ؟ وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين ؟ وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي ، وعلى براءتي من دم عثمان ، وعلى أني لم أستكره أحداً على بيعة ، وعلى أنيّ لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما »[1] .

إن الحجّة الوحيدة التي التجأ إليها مناوئو الإمام لتبرير تمردهم عليه كانت التهمة بالمشاركة ، أو السكوت على مقتل عثمان ، وكان الإمام في ذلك الأبرأ منهم جميعاً . وكانوا يعرفون هذا الأمر جيداً ، غير أن الإمام لم يشأ أن يبقي لهم عذراً يوم القيامة ، ولذلك ما فتىء يتبرأ من قتل عثمان، ويلقي عليهم الحجّة تلو الحجّة ، ليكونوا على بيّنة من أمرهم ، وتكون معذرة للإمام عند الله يوم يلقاه .

---

(١) الإمامة والسياسة : ج ١ ، ص ٧٠ .

يقول ( عليه السلام ) في رسالة له إلى معاوية : « أما بعد . . فإن الله سبحانه قد جعل الدُّنيا لما بعدها ، وابتلى فيها أهلها ، ليعلم أيّهم أحسن عملاً ، ولسنا للدنيا خلقنا ، ولا بالسعي فيها أمرنا ، وإنَّما وضعنا فيها لنبتلي بها . وقد ابتلاني الله بك ، وابتلاك بي ، فجعل أحدنا حجَّة على الآخر ، فعدوت على الدُّنيا بتأويل القرآن ، فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني ، وعصيته أنت وأهل الشام بي ، وألبَّ عالمكم جاهلكم ، وقائمكم قاعدكم . فاتقّ الله في نفسك ، ونازع الشيطان قيّادك ، واصرف إلى الآخرة وجهك ، فهي طريقنا وطريقك . واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل ، وتقطع الدابر »[1] .

وكما فعل مع طلحة والزبير ومعاوية فعل مع الخوارج ، أتم الحجة عليهم أكثر من مرَّة ، وكان مما قال لهم في إحداها : « . . ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ( التحكيم ) ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم ، ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأني أعرف بهم منكم ، عرفتهم أطفالاً ورجالاً ، فهم أهل المكر والغدر ، وإنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ، فعصيتموني ، حتى أقررت بأن حكّمت ، فلما فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنّة ، فنبذنا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأوّل . فما الذي بكم ؟ ومن أين أتيتم ؟ .

يا هؤلاء . . إن أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها ، وسألتموها وأنا لها كاره ، فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، وعدلتم عني عدول النكداء العاصين حتى صرفتُ رأيي إلى رأيكم . . فلم آتِ لا أبالكم حراماً ، والله ما خبلتكم عن أموركم ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم . .

---

(١) الطراز : ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

فبيّنوا لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا ، أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون دماءهم إن هذا لهو الخسران المبين »[1] .

وأضاف ( عليه السلام ) : « فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أني أخطأت وضللتُ ، فلم تضلّلون عامة أمّة محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بضلالي ، وتأخذونهم بخطئي ، وتكفّرونهم بذنوبي ، سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرّ والسقم ، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب ، وقد علمتم أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) رجم الزاني المحصن ، ثم صلّى عليه ، ثم ورّثه أهله . وقتل ( صلى الله عليه وآله وسلم ) القاتل وورّث ميراثه أهله . وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ، ثم قسّم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات ، فأخذهم رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بذنوبهم ، وأقام حق الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله . . ثم أنتم شرار الناس ، ومن رمى به الشيطان مراميه ، وضرب به تيهه ، وسيهلك فيّ صنفان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس فيّ حالاً النّمط الأوسط فالزموه . . »[2] .

وهكذا كان الإمام لا يقاتل أحداً إلا بعد اتمام الحجّة عليه ، ولم يكن يستخف بعدوه من أن يكلّمه ، وينبذ إليه على سواء . . وقد قال ( عليه السلام ) في ذلك قولاً صريحاً ، وبيَّن طريقته بشكل لا لبس فيه ، وذلك حينما جاء رجل فقال : « يا أمير المؤمنين : في أصحابك رجال قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم ؟ » .

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٥ ، ص ٨٥ .
(٢) معدن الجواهر : للكراجكي ، ص ٢٢٦ .

فقال ( عليه السلام ) : « إني لا أخذ على التهمة ، ولا أعاقب على الظنّ ، ولا أقاتل إلّا من قاتلني ، وناصبني وأظهر لي العداوة ، ولستُ مقاتله حتى أدعوه ، وأعذر إليه ، فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه ، وهو أخونا ، وإن أبى إلّا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله ، وناجزناه »[1] .

* * *

ثانياً ـ ردّ التهديد بمثله ، وقبول طلب الصلح بمثله أيضاً . فلا يجوز التنازل لتهديدات العدوّ ، كما لا يجوز ردّ الصلح معه . . فلا ضعف أمام الأعداء ، ولا تحامل عليهم .

أمّا عن قبول طلب الصلح فيقول الإمام ( عليه السلام ) في عهده إلى مالك الأشتر : « ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك ، ولله فيه رضا ، فإن في الصلح دعةً لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكنّ الحذر كل الحذر من عدوّك بعد صلحه ، فإن العدوّ ربّما قارب ليتغفلّ »[2] .

وأمّا عن رد التهديد بمثله ، فنجد نموذجاً له في الرسالة التالية التي أرسلها الإمام إلى معاوية ، ردّاً على رسالة يتهدد فيها الإمام بالحرب . .

« يا معاوية إن الدنيا مشغلة عن غيرها ، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً عليها ، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، ونقض ما أبرم ! ولو اعتبرت بما مضى ، حفظت ما بقي .

وأما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير رحمهما الله ، فلعمري ما الأمر إلا واحد ! وأما ولوعك بي في أمر عثمان فوالله ما قلت ذلك

(١) الإمام القائد : ص ١٩١ .

(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٣ .

عن حق العيان ، ولا عن يقين الخبر . وأما فضلي في الإسلام ، وقـرابتي من رسـول الله ( صلى الله عليه وآلـه وسلم ) ، وشرفي في قـريش ، فلعمـري لـو استطعت دفعه لدفعته ! .

وأقسم بـالله أنه لـولا بعض الاستبقاء ، لـوصلت إليك مني قـوارع تقرع العظم وتهلس اللحم ( أي تذيبه ) .

واعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك ، وتأذن لمقال نصيحتك . فكيف أنت صانع إذا انكشفت عنك جلاليب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها ، وخدعت بلذتها ، وقادتك فاتبعتها ، وأمرتك فأطعتها ؟ . خذ أهبة الحساب ، وشمر لما نزل بك ، ولا تمكن الغواة من سمعك ، فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مـأخذه ، وبلغ فيـك أمله ، وجرى منـك مجرى الـروح والدم ! . .

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية ، وولاة أمر الأمة ، بغير قـدم سابق ، ولا شرف باسق . ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء !؟ أحذرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية ، مختلف العلانية والسريرة .

وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً ، واخرج إليّ ، واعف الفريقين من القتال ، ليعلم أينا المرين عن قلبه ، المغطّى على بصره ، فـأنا أبـو حسن قاتل جدّك عتبة وخالك الوليد وأخيك حنظلة شـدخا يـوم بدر ، وذلـك السيف معي ، وبذلك القلب ألقى عدوي ! ما استبدلت دنيا ، ولا استحـدثت نجيا ، وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه كارهين !

يا معاوية كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إذا احمّر البأس ، وأحجم الناس ، قدم أهل بيته ، فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف فقتـل ابن عمه عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وقتل حمزة يوم أُحد ، وقتل جعفر بن أبي طالب يوم مُؤتة ، وأراد من شئت ذكرت اسمه مثل الذين أرادوا من الشهادة ،

( يعني نفسه ) ولكن آجالهم عجلت ، ومنيتهم أجلت فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ، ولم تكن له كسابقتي !

لقد خبأ الدهر لنا منك عجباً ! فارجع إلى معرفة ما لا تُعذر بجهالته ، لقد ابتلاني الله بك ، وابتلاك الله بي ، وأرى نفسك قد أولجتك شراً ، وأقحمتك غيًا ، وأوردتك المهالك ، وأوعرت عليك المسالك ، فاتّق الله في نفسك ، ونازع الشيطان قيادُك ، واصرف إلى الآخرة وجهك ، فهي طريقنا وطريقك ، فانزع عن غيّك وشقاقك » .

« أما إصرارك على أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار ! ومتى أَلفَيْتَ بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين ، وبالسيف مُخَوَّفين !؟ . . فسيطلبك من تطلب ، ويقرب منك ما تستبعد . .

وأنا مُرْقِلٌ ( مسرع ) نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطع قتالهم ، متسربلين سربال الموت ، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم ، قد صحبتهم ذرية بدرية ، وسيوف هاشمية ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك ( وما هي من الظالمين ببعيد ) . . والسلام لأهله . السلام على من اتَّبع الهُدى »[1] .

إن الردّ على تهديدات العدوّ ، لا تعني ظلمه ، بل هو العدل بعينه لأنّ العدل أساساً لا يتجزّأ ، فإذا اعتدى أحد عليه ، وبدأ يرعد ويزبد ليخوّف أهل الحق فلا بدّ من ردّه بالشكل المناسب له . .

ولقد ردّ الإمام ، في رسالة أخرى ، تهديدات معاوية ، بفضحه وفضح بني أميّة في الجاهلية والإسلام . . فقال له فيها :

« . . إنك لذهّاب في التيه ، روّاغ عن القصد ، ألا ترى ـ غير مخبر لك

---

(١) صبح الأعشى : ج ١ ، ص ٢٢٩ .

ولكن بنعمة الله أحدِّث ـ إن قوماً استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار ، ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل : « سيِّد الشهداء » وخصَّه رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بسبعين تكبيرة عند صلاتـه عليه ، أولا ترى أن قوماً قطّعت أيديهم في سبيل الله ـ ولكلٍ فضل ـ حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل : « الطيّار في الجنة ذو الجناحين » ، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه ، لذكر ذاكر فضائل جمَّة ، تعـرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجّها آذان السامعين ، فدع عنك من مـالت به الـرّمية ، فـإنَّا صنـائع ربّنـا ، والناس بعد صنائع لنا . . لم يمنعنا قديم عزّنا ، ولا عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفا، ولستم هناك . وأنى يكون ذلك ومنّا النبي ، ومنكم المكذِّب ! ومنَّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ! ومنـا سيدا شباب أهل الجنة ، ومنكم صبية النار ! ومنا خير نساء العالمين ، ومنكم حمالّة الحطب ، في كثير مما لنا عليكم . . »(١)

« فـإني أولى ( أحلف ) لك بـالله اليةً غيـر فاجـرة ، لئن جمعتني وإيَّاك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين »(٢) .

ثـالثاً ـ الإلتزام بمبادىء الفـروسية ، وأصـول الأخـلاق ، في القتـال ، والصلح معاً . أمَّا في القتال مع البغاة فقد أمر الإمام بما يلي :

١ ـ منع قتل الجرحى .
٢ ـ منع تعقيب الفارين .
٣ ـ منع الكشف عن العورات .
٤ ـ منع التمثيل بالقتلى .
٥ ـ منع هتك الأستار .

---

(١) نهاية الارب : ج ٧ ، ص ٢٣٣ .
(٢) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٥ .

٦ ـ منع توزيع أموال الأعداء ، إلاَّ ما كان في معسكرهم .

٧ ـ اعتبار من يلقي سلاحه آمناً ، وكـذلك من يمتنـع عن المشاركـة في القتال .

لقد خطب الإمام في رجاله قبل معركة الجمل ، فقال : « يا أيها النـاس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ، ولا تتبعوا موليا ، ولا تطلبوا مدبراً ، ولا تكشفو عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، ولا تهتكوا ستراً ، ولا تفرقوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع ( الدواب ) أو عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم . ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وأمَّا في الصلح ، وحالات السلام مع العدو ، فقد أمر الإمام بما يلي :

١ ـ الإلتزام ببنود الصلح ، وعدم مخالفتها .

٢ ـ الإبتعاد عن الغدر والفتك ونقض العهود .

٣ ـ مراعاة الأمانة ، والإبتعاد عن الأدغال والمدالسة .

٤ ـ عدم المطالبة بفسخ العهود بغير الحق .

يقول ( عليه السلام ) في عهده إلى الأشتر : « . . إن عقدتَ بينك وبين عدوّك عقدة ، أو ألبستَه منك ذمَّة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمّتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنَّة دون ما أعطيت ، فإنَّـه ليس من فرائض الله شيء ، النـاس أشدُّ عليه اجتماعاً ، مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلـك المشركـون فيما بينهم دون المسلمين لمـا استوبلوا من عـواقب الغدر ، فلا تغدرنّ بذمتك ، ولا تخيّسن بعهدك ، ولا تختلن عدوّك ، فإنَّـه لا يجترىء على الله إلاَّ جاهل شقيّ . وقد جعل الله عهده وذمّتـه أمناً أفضـاه بين العباد برحمتـه ، وحريمـاً يسكنون إلى منعتـه ، ويستفيضون إلى جـواره ، فلا

إدغال ، ولا مدالسة ، ولا خداع فيه »[١] .

* * *

**رابعاً ـ تجنب إيذاء العوائل ، من النساء والأطفال : فلا ذنب لهم ،** ولايجوز بأي حال من الأحوال التعرض لهم ، وتهيجهم .

وقد روي أن بعض النسوة في حروب الإمام علي ( عليه السلام ) بـدأن يسببن أصحابه ويسبونه وكان بعض أصحابه قد حاول ان ينال من النسوة اللائي سببنه فقال: « لا تؤذوا النساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فالنساء ضعيفات، ولقد كنّا ننهي عنهن وهنّ مشركات، وكان الـرجل ليضـرب المرأة بالهراوة، فيُعيَّر بها هو وولده من بعده، كان هذا وهنَّ مشركات، فكيف وهنَّ مؤمنات؟!

لقد حاربنـا الرجـال فحاربنـاهم ، وأما النسـاء والذراري فـلا سبيل لنـا عليهـم ، لأنهنَّ مسلمات ، وفي دار هجرة ، فليس لكم عليهن سبيل.

فأما ما أجلبوا عليكم بـه واستعانـوا به على حـربكم ، وضمّه عسكـرهـم وحـواه فهو لكـم ، ومـا كان في دورهم فهـو ميراث على فـرائض الله لذراريهم فليكن هذا سُنَّة لمن يأتي من بعدنا »[٢] .

وروي أنه قيل لعليّ ( عليه السلام ) بعد معركة الجمل : أن رجلين وقفا على باب عائشة يغلظان لها القـول . فأمـر الإمام بهمـا فجلد كل واحـد منهما ثمانين جلدة ![٣] .

خامساً ـ تحريم سبي النساء والذراري في الحروب مع المسلمين :

روي أنـه حينما تـراءى الجمعان واقتـربا في قبيـل معركـة الجمـل قـال الأحنف بن قيس لعليّ ( عليه السلام ) وكان قد بـايعه بـالمدينـة : « إن قومنـا

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٣ .

(٢) مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٧٣١ .

(٣) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٨٤ .

بالبصرة يزعمون أنك إن ظفرت عليهم قتلت رجالهم وسبيت نساءهم » ! فقال ( عليه السلام ) : « ما مثلي يُخاف هذا منه ! وهل يَحلُّ هذا إلا لمن تولى وكفر ؟ وهم قوم مسلمون ؟! » .

وبعد الحرب ، وانتصار الإمام منع ( عليه السلام ) أصحابه أن يسبوا النساء والذراري وقال : « ليس على الموجودين سبي ولا يغنم من أموال إلا ما قاتلوا به أو عليه ، فدعوا ما لا تعرفون . والزموا ما تؤمرون ! » . فراجعوه ، وأكثروا عليه فقال ضيِّقاً بهم : « هاتوا أسهمكم واضربوا أيها المؤمنون على أمكم عائشة ، أيكم يأخذها ؟! » .

فنزعوا قائلين : « نستغفر الله » .

فتنفس الصعداء قائلاً : « وأنا أستغفر الله »[1] .

* * *

### سادساً ـ معالجة الجرحى من الأعداء :

حينما يجرح أحد أفراد العدو ، ويقع في الأسر ، فلا بد من معالجته ، لأنَّه حينئذٍ ليس عدواً ، بل هو أسير . . وللأسرى احترامهم ، وحقوقهم . .

وقد كان الإمام عليّ يراعي تلك الحقوق ، ويحترم الأسرى ، ومن ذلك ما روي أنه ( عليه السلام ) دعا الإمام إليه محمد بن أبي بكر فقال : « انظر هل وصل إلى أم المؤمنين شيء من مكروه ؟ »[2] .

فجاءها فضرب الهودج بيده فقالت : « من أنت ! »

قال : « أقرب الناس منك قرابة ، وأبغضهم إليك ! أنا محمد أخوك !

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٦٨ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٣ ، ص ١٣٣ .

يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء ؟ » .

قالت : « ما أصابني إلا سهم لم يضرني » .

فقال لها : « أما سمعت الرسول يقول : عليٌّ مع الحق ، والحق مع عليّ ؟ ثم خرجت تقاتلينه » .

قالت : « فليغفر الله لي ! » .

وقال لها عمَّار بن ياسر : « أين أنت اليوم يا أم المؤمنين والعهد الذي عهد إليك » ؟ .

فقالت : « إنك والله قوَّال بالحق ! »[1] .

* * *

ثم إن أمير المؤمنين لم يكتف بالتعامل الإنساني العادل ، مع أعدائه ، بل إنَّه أضاف العنصر الأخلاقي إليه ، فلم يرض مثلاً أن يسبّ أعداءه ، أو يتهموا بما ليس فيهم . . فقد روي أن الإمام بعد معركة الجمل لم يقل في أعدائه إلا « أنهم ذاقوا وبال أمرهم » وحدث أن رجلاً من أصحابه وثب فقال متقرباً للإمام متودداً إليه : « أي والله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي نصرك على الباغين الظالمين الكافرين المشركين » .

فقال له الإمام غاضباً : « ثكلتك أمك ! ما أقواك بالباطل ، وأجرأك على أن تقول ما لا تعلم ! ليس القوم كما تقول ! . . لو كانوا كافرين مشركين ، لسبينا نساءهم ، وغنمنا أموالهم ، ولما صاهرناهم ولا أورثناهم »[2] . وهكذا رفض أن ينعتوا بما ليس فيهم ، وينسبوا إلى الكفر وهم منه براء .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٢٨١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٩٣ .

ثم أنه ( عليه السلام ) اهتم بقتلى أعدائه ، كما اهتم بأصحابه ، فصلى على القتلى من الجانبين ، وبكى أعداءه كما بكى أحبّائه .

فقد روى سفيان الثوري فقال : « لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى ، حتى وقف على طلحة بن عبيد الله في بطن واد متعفراً ، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول : « أعـزز عليّ يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون »[1] .

وأضاف : « لقد كنتُ كارهاً لهذا . . أنت والله كما قال القائل :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه    إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت في يمينه    وفي خده الشعري ، وفي الآخر البدر

ووجد الإمام جثمان محمد بن طلحة فقال : « أما والله لقد قتلك بِـرُّك بأبيك ! رحمك الله يا محمد . . لقد كنت في العبادة مجتهداً »[2] .

* * *

وكان ( عليه السلام ) يقبل الحق في الأمور الصغيرة كما يقبله في الأمور الكبيرة ، وكان يقبل من عدوّه الحق الذي له ، كما يقبل من أصحابه ذلك . .

فقد قبل أن تمحى من اسمه لقب « أمير المؤمنين » وهو اللّقب الذي منحه رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) له في حياته ، لأن عدوّه رفض الاعتراف بكونه أميراً للمؤمنين ، وذلك في كتابة وثيقة التحكيم في حرب صفّين ، فقد روي ، أنه ( عليه السلام ) ، وبحضور جمع من الطرفين ، فيهم عمرو بن العاص ، أخذ يملي وثيقة التحكيم ، فأملىٰ ( عليه السلام ) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين . . » فقال عمرو للكاتب :

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٣٣٨ .
(٢) المصدر السابق .

« بل أكتب اسمه وأسم أبيه ، هو أميركم وليس أميرنا »

فقال الأحنف للإمام : « لا تمح اسم أمير المؤمنين فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً » ،

فقال الإمام : « الله أكبر ! سنة بسنّة ! والله إني لكاتب رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يوم الحديبية ، فكتبت : محمد رسول الله ، فقال سهيل بن عمر مبعوث كفار قريش إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : لو كنت رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فأمرني رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بمحوه ، فقلت : لا أستطيع ! فقال : يا عليّ إني لرسول الله ، وإني لمحمد بن عبد الله ، ولن يمحو عنّي الرسالة كتابي إليهم من محمد بن عبد الله . وإنك ستدعى إلى مثلها فتجيب !

فقلت لسهيل بن عمرو مبعوث كفار قريش : إنه لرسول الله وإن رغم أنفك .

فقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « يا علي اكتب محمد بن عبد الله . إن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد ! » .

وسكت عليّ ثم أضاف : « فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إلى آبائهم سنة ومثلاً » .

فقال عمرو : « سبحان الله ، تشبهنا بالكفّار ونحن مؤمنون ؟! » ، وأضاف : « لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم » .

فقال له الإمام : « وإني لأرجو أن يطهّر الله عزّ وجل مجلسي منك ومن أشباهك »[1] .

ولقد ظهر عدل الإمام كأروع ما يكون مع قاتله عبد الرحمن بن ملجم

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٥ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

قبل أن يرتكب جريمته ، وبعدها أيضاً . .

فلقد كان الإمام يتنبأ بأنه سيتعرض لعملية اغتيال على يد ابن ملجم ، وكان كلّما رآه يقول :

أريد حياته ، ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[1]

ولقد صرَّح لبعض أصحابه ، بأنه يتوقع أن يغتاله ابن ملجم ، فقيل له : « يا أمير المؤمنين . . دعنا نقتله . . » .

فقال : « أترون أن أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً »[2]

كان ذلك قبل أن يرتكب الرجل جريمته . . أمّا بعد أن اغتال الإمام بسيف مسموم ، ضربه وهو ( عليه السلام ) في محراب عبادته ، والصلاة بين شفتيه ، ضربةً قال عنها : « أنها لو كانت بأهل مصر جميعاً لأتت عليهم » ؟؟ .

فقد أخذوه إلى الإمام مخفوراً ، فنظر في وجهه ملياً ، ثم قال وكأنه ( عليه السلام ) يذكره بماضي عطاياه له :

« أبئس الإمام كنتُ لك ؟ » .

فقال المرادي ـ الذي كان مدفوعاً ، في عمله الجبان ذاك بحقد الخوارج وغرام قطام ـ :

« أفأنت تنقذ من في النار ، يا علي ؟! »[3] .

فأمر الإمام أن يؤخذ معه إلى داره ، وأوصى به خيراً فقال :

« أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه! »[4] .

(١) الاستيعاب : ج ٣ ، ص ١٢٧ .
(٢) الطبقات الكبرى : ج ٣ ، ص ٣٤ .
(٣) عليّ من المهد إلى اللّحد .
(٤) مقاتل الطالبيين : ص ٣٨ .

وكان ( عليه السلام ) كلَّما شرب اللبن ، الذي أوصى به الطبيب لدفع السم يبقي منه نصفه ، ويقول لولده :

« اطعموه أسيركم . . » ، ويقصد ابن ملجم [1] .

حتى إذا جيء له في أواخر لحظات حياته ، بشربة قليلة فشربها كلها ، قال :

« اعلموا ، أن هذا آخر رزقي من الدُّنيا ، وقد شربت الجميع ، ولم يبق لأسيركم . . » .

ثم التفت إلى ولده الحسن ( عليه السلام ) ، وقال :

« بحقي عليك يا بني ، ألاّ ما سقيته مثل ما شربت . . » .

وأضاف : « يا بُنيّ ، أنت وليّ الأمر من بعدي ، ووليّ دمي ، فإن عفوت فلك ، وإن قتلت فضربة مكان ضربة . . » [2] .

والتفت إلى من كان معه في الحجرة فقال :

« يا بني عبد المطلب ، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون : قتل أمير المؤمنين . ألا لا يُقتلنّ بي إلا قاتلي . انظروا إذا أنا متُّ من ضربتي هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يُمثَّل بالرجل ، فإني سمعت رسول الله يقول : « إيَّاكم والمثلة ، ولو بالكلب العقور . . » [3] .

وأضاف : « ارفقوا به ، وأطعموه مما تأكلون ، واسقوه مما تشربون » [4] .

---

(١) المعمرون والوصايا : ص ١٤٩ .
(٢) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٤٨ .
(٣) المعارف : ج ٢ ، ص ١٧٨ .
(٤) غزوات أمير المؤمنين : ص ٢٢٥ .



# العفو مع الاقتـدار

الأهم من الإنتصار هو العفو مع الإقتدار .

فالإنتصار عملية مادية ، تتحدد بالزمـان والمكان ، أمّـا العفو فهـو عمل إنسـاني عـظيم يستعصي على الحـدود ، ويتجـاوز الـزمـان لأن « العفـو زكـاة الظفر »[1] .

والحقيقة فإن « أولى الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة[2] . بينما « قلة العفو ، أقبح العيوب والتسرع إلى الإنتقام أعظم الـذنوب »[3] ، ولا شـك أن « شر الناس من لا يعفو عن زلّة ، ولا يستـر العورة »[4] ، وحتمـاً فإن « من لم يحسن العفو أساء بالانتقام »[5] .

وهكذا فإن « العفو تاج المكارم »[6] .

(١) نهج البلاغة : الحكم ، ٢١١ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ج ١٨ ، ص ١٨٣ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٣٧٠ .
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم .

بالإضافة إلى « أن الله تعالى عفوّ يحب العفو »[1] ، وقد ذخر للعافين ثواباً عظيماً « فإذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ يسمعه أهل الحشر » ، فيقول : « أين أهل الفضل ؟ فيقوم عنق من الناس ، فتستقبلهم الملائكة » ، فيقولون : « ما فضلكم هذا الذي نوديتم به » ؟ فيقولون : « كنّا يجهل علينا في الدنيا فنحلم . ويساء إلينا فنعفو » . فينادي منادٍ من الله تعالى : « صدق عبادي خلّوا سبيلهم ، ليدخلوا الجنة بغير حساب »[2] .

وقد يظن بعض الحكام أنّ الانتقام يمدّه بالسلطان أكثر من العفو ، لأنه يظن أن في العفو ضعفاً . غير أنّ التاريخ يثبت أن « عفو الملك أبقى للملك »[3] ، و « العفو لا يزيد العبد إلّا عزاً »[4] ، بل إنه من « حق من سائلك أن تعفو عنه ، وإن علمت أن العفو يضرّ انتصرت » . قال الله تعالى : ﴿ **ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾[5] .

* * *

لقد كان الإمام أمير المؤمنين يوصي كل واحد من أصحابه فيقول : « إذا قدرت على عدوّك ، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه »[6] .

ويقول : « العفو أعظم الفضيلتين »[7]

ويقول : « شيئان لا يوزن ثوابهما : العفو والعدل »[8] .

---

(١) كنز العمّال ، خ ٧٠٠٥ .
(٢) الفقه : الاجتماع ، ص ٥٤٥ .
(٣) الوسائل : ج ٨ ، ص ٥١٩ .
(٤) كنز العمّال : خ ٧٠١٢ .
(٥) بحار الأنوار : ج ٧٤ ، ص ٩ .
(٦) لباب الأداب : ص ٣٣٥ .
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٨) المصدر السابق .

ويقول : « أحسن المكارم عفـو المقتدر ، وجـود المفتقر »[1] وكـان هو متخلقاً بأخلاق الله عظيم العفو حسن التجاوز . .

ولـربما يـظهر من كـلام له قبـل موتـه ، أنه كـان ينوي العفـو عن قـاتله « عبد الرحمن بن ملجم » فقد قال :

« إن ابق ، فأنا وليّ دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي ، وإن أعف فالعفو لي قربة ، وهو لكم حسنة ، فاعفوا ، « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ »[2]

لقد انتصر الإمام في بعض المعارك ، فاستولى على كثير من أعدائه الذين ظلموه وقاتلوه ، فأسرهم ، ولكن لم يقم بأية تصفيات ، أو حتى الغاء مناصب مخـالفيه ، أو مصـادرة أمـوالهم ، بـل أطلق سـراحهم وعفا عنهم وأعـطاهم الأموال . .

فلقد جيء إليه بموسى بن طلحة بن عبيد الله فقال له الإمام :

« قل : استغفر الله وأتوب اليه ثلاث مرَّات » . ولما قالهـا خلّى سبيله ، وقال له : « اذهب حيث شئت ، وما وجدتَ لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه ، واتقّ الله فيما تستقبله من أمرك ، واجلس في بيتك »[3] .

وكان ( عليه السـلام ) إذا أخذ أسيـراً في حروب الشـام ، أخذ سـلاحه ودابَّته ، واستحلفه أن لا يعين عليه ، ويتركه وشأنه[4] . وكان يفعل ذلك رجاء ثواب الله أليس هو القائل « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعفّ . . لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة »[5] .

---

(١) ميزان الحكمة : ج ٦ ، ص ٣٧١ .
(٢) إثبات الوصية : ص ١٠٣ .
(٣) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣١٧ .
(٤) بحار الأنوار : ج٤١ ، ص٥٠ .
(٥) نهج البلاغة : الحكم ، ٤٧٤ .

ولقد ظهر عفوه ( عليه السلام ) كأعظم ما يكون في معركة الجمل ، وهي من أخطر المعارك التي خاضها ، لأنها فتحت عليه باب التمرد ، وأضعفت جبهته الداخلية ، ولولاها لم تكن معركة صفّين والنهروان . .

وقد قتل في تلك المعركة عشرة آلاف ، نصفهم كانوا من أصحابه وكانت « عائشة بنت أبي بكر » هي المحور ، وهي المسؤولة عنها ، مع كل من طلحة والزبير ، وكان من المفترض أن الإمام حينما ينتصر عليهم ، أن يضع السيف في رقابهم ، وينكّل بمن تبقّى منهم ليغلق على نفسه باب التمرُّد والمعارضة .

ولكنه ( عليه السلام ) لم يفعل . .

بل صفح وعفا « فآمن الأسود والأحمر »[1] على حد تعبير اليعقوبي في تاريخه .

وحينما واجه « عائشة » بادرته بقولها :

« ملكت فاسجح » ، أي قدرت فاعفو .

فعفا عنها ، فطلبت منه أن يعفو عن عبد الله بن الزبير ، وهو الذي دفع أبيه إلى التمرد على الإمام حتى قال ( عليه السلام ) : « ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله »[2] ، وهو الذي كان يؤلب الناس على الإمام في المعركة ويقول عنه : « قد جاءكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب » . تشفعت له عائشة فقبل شفاعتها فيه ، ولم يزد على قوله له : « اذهب فلا أرينّك »[3] .

ثم أمر مناديه أن ينادي في أقطار المعسكر :

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ، ص ١٥٩ .
(٢) نهج البلاغة : الحكم ، ص ٤٥٣ .
(٣) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٤١ .

« ألا لا يتّبع مولٍّ ، ولا يُجهز على جريح ، ولا يُقتل مستأسر . ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيّز إلى عسكري فهو آمن »[1] .

ولم يـأخـذ الإمـام أثقـالهم ، ولا سبى ذراريهم ، ولا غنم شيئـاً من أموالهم ، بل أبى إلا العفو والصفح ، وقال : « مننت على أهل البصرة ، كما منَّ رسول الله على أهل مكة »[2] .

ثم إن الإمام عمد إلى بيت المال فقسم ما وجد فيه على الناس بالسواء ، من دون أن يمنع أصحاب الجمل منه شيئاً ، كما سار إلى عائشة وزارها في دار عبد الله بن خلف حيث كانت تقيم فيه ، فأمرها بالإنصراف إلى المدينة لتقر في بيتها كما أمرها الله تعالى في قوله : ﴿ **وقرن في بيـوتكن ، ولا تبرجن بتـرجاً الجاهلية الأولى** ﴾ .

وجهزها الإمام بخير جهاز من مركب وزاد ومتاع ، وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها ، إلا من آثر البقاء في البصرة وانضم إلى الإمام .

وشيعها الإمام عليٌّ أميالاً ، وسَرَّح أبناءه معها يوماً . . كل ذلك تكـريماً لها وإعزازاً .

واختار لها أربعين سيدة من شريفات نساء البصـرة ومقاتـلاتها ، ألبسهنّ ملابس الرجال ، وسلّحهن بالسيوف والدروع ، وأمرهنَّ أن يلزمنها ، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، وكانت عائشة تظن طوال الطريق ، أن تلك النسـوة رجال ، ولذلك كانت تتأفف قائلة : « هتك عليّ ستري ، ووكّل بي الرجـال » ولكنهن لم يكشفن عن وجوههن إلاّ بعد الوصول إلى المدينة ، وحينئـذٍ ألقين عمائمهنّ ، وقلن لها :

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٤٢ .

(٢) المصدر السابق .

« إنما نحن نسوة يا عائشة ، ولم يهتك عليّ سترك ، بل هتك سترك من أخرجك من دارك »[1] .

لقد كان الإمام عظيم العفو ، وقد جعل الآية الكريمة : **﴿ وجـزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنّه لا يحب الـظالمين ﴾**[2] . نصب عينيه في كل موقف انتصر فيه على عدوّه .

ومن ذلـك أنه بعـد معركـة الجمل ، وانتهـاء ذيولهـا ، وفيمـا كـان يهـمّ بالخروج ، وقف على فرسه ونادى في أهل البصرة قائلاً :

« يـا أهل البصـرة : دخلت بلادكم بـاشمالي هـذه ورحلي وراحلتي هـا هي ، فإن أنا خرجت منها بأكثر مما دخلت فإني من الخائنين »[3] ! .

وأضاف وهو يشير الى القميص الذي عليه :

« يا أهل البصرة . . ما تنقمون مني . . إن هذا من غزل أهلي ! »[4]

فلم يكتف بـأن عفا عنهم ، وقسّم بينهم بيت المال ، ونهى تعقيبهم ، وإنما طلب منهم « وثيقة براءة » لنفسه أيضا ! »

* * *

ومن عفوه أيضاً ما روي : أن رجلاً اسمه « لبيد بن عـطارد » التميمي ، كان مطلوباً من قبل الإمام ، لما كان يبثّه من روح سلبية وتثبيط للعزائم ، فمرّ به الإمام في « بني أسد » . فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسديّ فأفلته ، فبعث إليه أمير المؤمنين( عليه السلام ) فأتوه به ، وأمر به أن يضرب فقال لبيد للإمام :

---

(١) عليّ من المهد إلى اللحد .

(٢) سورة الشورى ، آية : ٤٠ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٤٠ ، ص ٣٢٥ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣٠٥ .

نعم والله إنّ المقام معك لذلّ ، وإنّ فراقك لكفر.

فلمّا سمع ذلك منه قال :

قد عفونا عنك إنَّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيّئة﴾ أما قولك : إن المقام معك لذلّ فسيئة اكتسبتها ، وأمّا قولك إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها، فهذه بهذه[1].

* * *

ومن عفـوه ، مـا روي عن رجـل من مـراد قـال : كنت واقفـاً عنـد أمير المؤمنين يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال : « إن لي حاجة » ، فقال ( عليه السلام ) : « ما أعرفني بالحـاجة التي جئت فيهـا ، تطلب الامـان لابن الحكم » ؟ .

فقال ابن عباس : « نعم ، أريد أن تؤمنه . .

فقال ( عليه السلام ) : « آمنته ، ولكن اذهب وجئني به ولا تجئني به إلا رديفاً فإنه أذل له » .

فجاء به ابن عباس ردفاً خلفه كأنه قرد .

فقال له أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : أتبايع ؟ » .

قال : نعم ، وفي النفس ما فيها .

قال ( عليه السلام ) : « الله أعلم بما في القلوب » . .

فلما بسط يده ليبايعه سحب كفه عن كف مروان فنترها قائلاً :

« لا حاجة لي فيها ، إنها كف يهودية لو بايعني بيـده عشرين مـرَّة لنكث

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ٤٩ .

بإسته » ، ثم قال ( عليه السلام ) : هيه . . ! يا بن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة ؟ »[1]

* * *

ومن عفوه ( عليه السلام ) أنه « كان إذا أخذ أسيراً في حروب الشام ، صادر منه سلاحه ، ودابّته ، واستحلفه أن لا يعين عليه ، وعفا عنه ، وتركه».

ومن عفوه ودعا ( عليه السلام ) غلاماً له مراراً فلم يجبه ، فخرج فوجده على باب البيت ، فقال : ما حملك على ترك إجابتي ؟ قال : كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك ، فقال : الحمد لله الذي جعلني ممَّن يأمنه خلقه ، إمضِ فأنت حرٌّ لوجه الله »[2] .

* * *

وهكذا فإن العفو عنده كان هو الأصل ، لا العقوبة ، إذ لم يكن ( عليه السلام ) ينطلق من الحب ، أو البغض الشخصي في مواقفه ، بل من القيم والمبادىء التي آمن بها وجاهد من أجلها ، وكان يرى أن « العفو مع القدرة جنّة من عذاب الله سبحانه »[3] ، إذ « عند كمال القدرة تظهر فضيلة العفو »[4] ، وإلا ما قيمة عفو ينطلق من عجز ؟

يقول الإمام ( عليه السلام ) : « متى أشفي غيظي إذا غضبت ؟ أحين أعجز عن الإنتقام فيقال لي : لو صبرت ؟ أم حين أقدر عليه فيقال لي : لو عفوت » ؟[5]

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ٢٩٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥٠ .
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) نهج البلاغة : الحكم ، ص ١٩٤ .

ولكنـه كان إذا قـدر يعفو ، بـل أنه عفا عمَّن بيّت النيَّـة لقتله وحاول ، ولكنَّه انكشف أمره ، فاعتقل وجيء به إلى الإمام ( عليه السلام ) فعفا عنه ، وفيما يلي قصته :

« حاول معاوية بن أبي سفيان مراراً قتل أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فقد أسرّ إلى بعض خاصته أن من يقتل عليًا ، فله عشرة آلاف دينار ، وانبرى لذلك أحدهم ، ولكنه تراجع في اليوم التالي ، معتذراً منه ، وقـال : « أسير إلى ابن عم رسول الله ، وأبي ولديه ، وأقتله ؟ . لا والله . . لا أفعل ! »

فزيّد معاوية الأجر ، فجعله عشرين ألف دينـار ، فقبله أحدهم ، ولكنـه ـ هو الآخر ـ تراجع وامتنع .

فزيّده إلى ثلاثين ألف ، فقبل المهمـة رجل من « حميـر » ، وخرج من الشام قاصداً الكوفة ، فجاء حتى دخل على أمير المؤمنين في الكوفة ، وعليـه ثياب السفر . فقال له الإمام :

« من أين الرجل ؟ » .

قال : « من الشام » .

وكانت عند الإمام أخباره ، فاستنطقه ، فاعترف ، فقال له الإمام :

« فما رأيك الآن ؟ أتمضي إلى ما أمرت به ؟ أم ماذا ؟ »

فقال الرجل : « لا . . ولكني انصرف » .

فقال الإمام لقنبر :

« يا قنبر . أصلح راحلته ، وهيىء له زاده ، وأعطه نفقته »[1] !

***

---

(١) السياسة من واقع الإسلام : ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

تلك كانت عينات من عفو الإمام مع أعدائه ، وخصمائه أما مع الرعيَّة ، فكـان لهم أباً رحيمـاً ، يعطف على صغيـرهـم ويـواسي كبيـرهم ، ويعفـو عن مذنبهم .

وكان يوصي ولاته بذلك أيضاً .

هذا مالك الأشتر ، يقول له في عهده إليه ، حين ولّاه مصر :

« وأشعر قلبك الرحمة للرعيَّة ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمـد والخطأ ، فـأعطهم من عفـوك وصفحك مثـل الـذي تحب وتـرضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولَّاك . وقد استكفاك أمرهم ، وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنّه لا يد لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته . ولا تندمن على عفو . ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة »[1] .

إذن القـاعـدة الأسـاسية كـانت عنـد الإمـام : ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾[2] .

غير أن الإمام كان يستثني منها أمرين :

**الأول** ـ العفـو عن اللئيم . . وهم على كـل حـال قلَّة قليلة من أهـل الـذنوب . يقـول الإمام ( عليـه السـلام ) : « العفـو يفسـد من اللئيم ، بقـدر إصلاحه من الكريم »[3] .

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٣ .

(٢) سورة الحجر ، آية : ٨٥ .

(٣) الاحتجاج : ج ٧٨ ، ص ٩٣ .

**الثاني** - العفو الذي يؤدي إلى وهن سلطان الإسلام ، وثلم الدين ، يقول ( عليه السلام ) : « جاز بالحسنة وتجاوز عن السيئة ما لم يكن ثلماً في الدين ، أو وهناً في سلطان الإسلام »[1] .

أمّا الميزان في تشخيص ذلك فهو سيرة الإمام نفسه ، وما فعله مع خصمائه ، وأعدائه ، أو مع عامة الناس . .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم .



# الرفق في جباية الخراج

موارد الدولة في الإسلام ، لا تتعدى الخراج ، والجزية وبعض الحقوق الشرعية وما قد تضطر إليه في حالات استثنائية محدودة جداً .

وهذه إذ تؤخذ من الناس ، فليس لكي تتحول الدولة إلى جهاز بديل عنهم ، أو قيّم عليهم . فليس الوالي إلا بمنزلة الوالد إلى أولاده الكبار ، ينظم شؤونهم ، ويرعى حقوق ضعيفهم ، ويدافع عن مظلومهم . . وليس بديلاً عنهم .

فالدولة لا تتورط ، بمواردها المحدودة ، في الزراعة ، والتجارة ، والشؤون الأخرى . . فذلك شأن الناس .

وإنما هي تضع القانون العادل ، وتشرف على تنفيذه . ولعمري أن ذلك لا يتطلب موارد مالية كثيرة بأي شكل من الأشكال . .

والقاعدة الذهبية ، في استيفاء ما للدولة على الناس هي : عدالة في التحصيل ، وعدالة في التوزيع . . فبمقدار ما يجب الإهتمام باستيفاء الحق العام ، فلا بد من التورع عن مصادرة حقوق الأفراد . .

فـ « أعظم الخطايا اقتطاع مـال امرؤ مسلم بغيـر حق »[1] كما أن « شـر الأموال ما لم يخرج منه حق الله سبحانه »[2] وحق الله هنا هو حق الناس ، بلا شك !

وعلى كل حال ، فـإن للاستيفـاء قيوداً ، وآدابـاً لا بد من مـراعاتهـا في التحصيل ، حتى لا يتحول تحصيلها إلى سطوة للحكم ، ومورد من موارد الظلم والتعدِّي ، كما هو شأن الـظالمين ، الذين يـظلمون النـاس في حقوق الـدولة عليهم ، ويظلمونهم في توزيعها كذلك . .

والحق ، فإن « الناس يستغنون إذا عدل بينهم ، وتنزل السماء رزقهـا ، وتخرج الأرض بركتها بإذن الله »[3] .

وتتطلب العدالة هنا ، أن يهتم الولاة بأمور الأرض ، وأصحاب الأموال ، ومصانعهم ومعاملهم ومزارعهم ، أكثر من اهتمامهم بالخراج نفسه . . فلا يجوز إرهاق أحد ، ولا إتلاف أمواله باسم الصالح العام .

يقول الإمام عليّ ( عليـه السلام ) في عهـده إلى مالـك الأشتر : « . . وتفقّد أمر الخراج بما يُصلح أهله ، فإنَّ في صلاحه وصلاحهـم ، صلاحـاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلاَّ بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله . . » .

« وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يُدرك إلاَّ بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة ، أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلاَّ قليلاً . . وإنما يأتي خراب الأرض من أعواز

(١) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ٥٥ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم .
(٣) الصياغة الجديدة : ص ٤٧٤ .

أهلها ، وإنَّما يعوز أهلها لأشراف انفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنِّهم بالبقاء ، وقلَّة انتفاعهم بالعبد »[١] .

إذن فلا بد أن يكون الهدف ليس جباية الخراج ، بل إصلاح الأرض ، وإغناء أهلها . بالرغم من أن نفسية الولاة الضيقة الأفق تتوجه نحو جمع الخراج . .

ثم أنه لا بدّ وأن يراعي الولاة الأخلاق في طريقة الإستيفاء فلا قيمة لمال يجمع بظلم وعدوان . .

ولقد كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) يوصي كل عامل يوليه على الخراج بقوله :

« لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم ، ولا تتبعن لهم رزقاً ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعملون عليها ، ولا تقيمن رجلاً قائماً في طلب درهم » فقال له أحد عماله : « يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك ؟ » .

قال الإمام : « أمرنا نأخذ منهم الفضل ( ما زاد عن الحاجة ) »[٢] .

عن رجل من ثقيف قال : استعملني عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) على بانقيا وسواد من سواد الكوفة ، فقال لي والناس حضور : انظر خراجك فجدّ فيه ، ولا تترك منه درهماً ، وإذا أردت أن تتوجّه إلى عملك فمرّ بي .

فأتيته فقال لي : « إنّ الذي سمعت منّي خدعة ، إيَّاك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج ، أو تبيع دابَّة عمل في درهم ، فإنَّما أمرنا

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ٥٣ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٤٠ .

أن نأخذ منهم العفو »[1] .

وروي أنه « بعث أمير المؤمنين ( عليه السلام ) مصدّقاً من الكوفة إلى باديتها ، فقال : يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تؤثرنّ دنياك على آخرتك ، وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه ، مراعياً لحقّ الله فيه ، حتّى تأتي نادي بني فلان ، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثمّ امضِ إليهم بسكينة ووقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم .

ثمّ قل لهم : يا عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه ؟

فإن قال لك قائل : لا فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلاّ خيراً ، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلاّ بإذنه فإنّ أكثره له ، فقل : يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك ؟ فإن أذن لك فلا تدخل دخول متسلّط عليه فيه ، ولا عنف به ، فاصدع المال صدعين ، ثمّ خيّره أي الصدعين شاء ، فأيّهما اختار فلا تعرّض له ، ثمّ اصدع الباقي صدعين ، ثمّ خيّره فأيّهما اختار فلا تعرّض له ولا تزال كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله تبارك وتعالى في ماله ، فإذا بقي ذلك فاقبض حقّ الله منه ، وإن استقالك فأقله ، ثمّ أخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أوّلاً حتى تأخذ حقّ الله في ماله ، فإذا قبضته فلا توكل به إلاّ ناصحاً شفيقاً أميناً حفيظاً ، غير معنّف بشيء منها .

ثمّ اجلب كلّ ما اجتمع عندك من كلّ ناد إلينا نصيره حيث أمر الله عزّ وجلّ ، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يفرّق بينهما ، ولا يمصرنّ لبنها فيضرّ ذلك بفصيلها ، ولا يجهد بها ركوباً ، وليعدل بينهنّ في ذلك ، وليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به ، ولا يعدل بهنّ عن نبت

---

(١) فروع الكافي : ج ٣ ، ص ٥٤٠ .

الأرض الى جوادّ طريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق ، وليرفق بهن جهده حتّى يأتينا بإذن الله سحاحاً سماناً غير متعبات ولا مجهدات ، فنقسّمهنّ بإذن الله على كتاب الله وسنّة نبيّه ( صلى الله عليه وآله وسلم ) على أولياء الله فإنّ ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك ، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته ، فإنّ رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قال : ما ينظر الله إلى وليّ له يجهد نفسه بالطاعّة والنصيحة له ولإمامه إلاّ كان معنا في الرفيق الأعلى[1]

إن مراعاة حقوق الناس ، كمراعاة حقوق الدولة ، واجب شرعي وإنساني فالدولة والناس يكمل أحدهما الآخر ، وليس كل واحد منهم عدواً ، أو منافساً للثاني ، ولا بدّ من أن يراعي كل واحد منهما الثاني . وهنا الدولة أكثر مسؤولية، لأنها الأقوى ، فهي المطالبة أولاً بمراعاة حقوق الناس .

* * *

وكما في أمر الخراج ، كذلك في أمر الجزية من غير المسلمين ، الذين وضع عنهم أداء الحقوق ، وفي المقابل كان عليهم أداء الجزية ، أزاء الخدمات التي تقدم لهم ضمن حدود الدولة في الإسلام ، فلا بدّ من مراعاة حقوق الأفراد ، والامتناع عن أخذ ما يرهقهم . .

فلقد كان أمير المؤمنين يأخذ منهم الشيء القليل ، و « قلة الضرائب هذه كانت السبب وراء أن حكم المسلمين كان أحب إلى أهل الذمة من حكم بني دينهم فإن الجزية التي تؤخذ من الكفار قليلة جداً[2] .

ومن ذلك ما روي عن مصعب بن يزيد الأنصاري ، قال : استعملني

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨ .

(٢) الصياغة الجديدة : ص ٤٧٣ .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) على أربعة رساتيق ، وأمرني أن أضع على كل جريب زرع غليظ : درهماً ونصفاً . وعلى كل جريب وسط : درهماً . وعلى كل جريب زرع رقيق : ثلثي درهم . وعلى كل جريب كرم : عشرة دراهم . وعلى كل جريب نخل : عشرة دراهم . وعلى كل جريب البساتين التي تجمع النخل والشجر : عشرة دراهم » .

« وأمرني أن ألقي كل نخل شاذ عن القرى ( بعيد عنها ) لمارّة الطريق وابن السبيل ، ولا آخذ منه شيء .

« وأمرني أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين ، ويتختمون بالذهب على كل رجل منهم : ثماني وأربعين درهماً ، وعلى أوساطهم من التجار على كل رجل منهم : أربع وعشرين درهماً ، وعلى فقرائهم : اثني عشر درهماً على كل واحد منهم »[1] .

وإذا أخذنا بعين الإعتبار أن كل ذلك ، إنما هو في العام الواحد وليس في الشهر أو الأسبوع ، تبيّن كم كان قليلاً . وهو كل ما كان ليجبيه أمير المؤمنين من أهل الذمّة . .

وحينما نضيف إلى ذلك العدالة في التوزيع ، وعدم احتكار الدولة للخراج والجزية والحقوق تظهر العدالة في الحكم الإسلامي .

(١) المصدر السابق : ص ٤٧٤ .

# الاهتمام الشخصي بالأيتام

لا يكتب النجاح لمجتمع إلاَّ إذا كان متماسكاً . .

ولا يكـون المجتمع متمـاسكاً ، إلاَّ إذا حصـل فيـه من لا معين لـه ولا معيل ، كالأرمـل واليتيم ، الرّعاية اللاّزمة والإهتمام الكبير .

فـالمجتمع الـذي لا يضيع فيـه اليتيم والأرمـل، مكتـوب له النجـاح ، والتقدم والازدهار .

أما المجتمع الذي يضيع فيه اليتيم والأرمـل، وتهضم فيه حقوقهم ، فإن عـاقبته إلى بـوار . ليس لأن الله يرزق العبـاد بضعفـائهم فحسب ـ كمـا يقـول رسول الله ـ ، بل لأن فقدان التكافل الإجتماعي، والتراحم الإنساني يؤدي ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ إلى تفكك المجتمع وانهياره .

فـاليتيم ـ إذن ـ عنصر « شـدّ » للمجتمع إذا تمت رعـايته . وهـو عنصـر « فكّ » له إذا فقد الرعاية .

ولذلك فإن كل القيم الروحية ، والمثل الأخلاقيـة ، تدعـو إلى الاهتمام بمن يفتقد الإهتمام . . وإلى الرعاية لمن يفتقد الـرعايـة . . وإلى العطاء لمن يحتاجه . . وإلى التربية لمن ليس لـه مربّي . وأي شخص أكثـر من اليتيم هو بحاجة إلى ذلك ؟ وأي عنصر أكثر من الأرمـل يحتاج إلى العطاء والرعاية ؟

وإذا افترضنا أن القيم الأخلاقية ، في مجتمع ما ، تعرضت للإهمال والانتقاص فهل تستطيع القوانين أن تسدّ الخلل ؟

فمثلاً لو لم يجد الأيتام من يرعاهم ويربيهم ، ويزرع فيهم حب الناس ، ثم تحولوا فيما بعد إلى مجرمين وقتلة ، أفهل تكفي العقوبات لدرء المجتمع أخطار الجرائم ؟

لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ الإجرام ينمو في أوساط المهملين في طفولتهم ، كما أنّ العلماء والعباقرة، والعظماء هم من ذوي الأصول الحسنة ممّن كانوا في رعاية جيدة في عهد الطفولة . .

فاليتيم الذي يجد العطف والحنان اللاّزمين ، سيعطي للناس فيما بعد أفضل ما يمكن لإنسان أن يعطيه . .

ألم يكن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يتيماً وقد تكفّله أبو طالب ، ورعاه أفضل رعاية وهو صغير ، ثم وقف معه وقفة الأبطال حينما نزل عليه الوحي ، وتعرّض للظلم والعدوان من كفار قريش ؟

إن رعاية الأيتام ، عدل الإحسان إلى الوالدين ، وهما واجبان كعبادة الله **﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحساناً ، وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً ﴾**[1] .

وكما يحتاج اليتيم إلى الرعاية والإحسان ، فهو بحاجة إلى الحفاظ على أمواله وأملاكه ، لو كان له ذلك **﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه ﴾**[2] . كما هو بحاجة إلى أن لا يتعرض لظلم ، أو عدوان : **﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى**

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٨٣ .

(٢) سورة الانعام ، آية : ١٥٢ .

أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾[1] ، ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾[2] .

وليس أفضل من الانفاق على الأيتام ، فمن كان غنياً ﴿ وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين﴾[3]، فإنه أجراً كبيراً ، ذلك لأن ﴿ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى﴾[4].

ولليتيم حقوق واجبة على أعناق ذوي اليسر ، والمجاهدين في سبيل الله ، فلهم حصتهم من الغنيمة كما أن لهم حصتهم في أموال الأغنياء ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى ﴾[5]

ثم أن الأيتام منطقة الخطر ، ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾[6]

وكما يجب على ولاة الأمر أن يتعهدوا الأيتام والأرامل ، فإن ذلك واجب أيضاً على أحاد الناس كذلك .

يقول الإمام عليّ ( عليه السلام ) : « الله ، الله في الأيتام ، فلا تغبّوا أفواههم ، ولا يضيّعوا بحضرتكم ، فقد سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقول : « من عال يتيماً حتى يستغني ، أوجب الله عزّ وجل له الجنّة ،

---

(١) سورة النساء ، آية : ٢ .
(٢) سورة النساء ، آية : ١ .
(٣) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .
(٤) سورة البقرة ، آية : ٢١٥ .
(٥) سورة الانفال ، آية : ٤١ .
(٦) سورة النساء ، آية : ٣ .

كما أوجب لآكل مال اليتيم النار »[1] .

وقد كان الإمام يوصي ولاته بقوله : « تعهّد أهل اليتيم وذوي الرّقة في السنّ ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العافية فصبّروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم »[2] .

وكان الإمام ( عليه السلام ) يتعهد شخصياً الأيتام ، والأرامل ، ويقوم بخدمتهم . .

فقد روي : « أن علياً ( عليه السلام ) كان يدعو اليتامى فيطعمهم العسل ، حتى قال بعض أصحابه : لوددت أني كنت يتيماً ، وكان ذلك منه اقتداءً برسول الله ، حيث كان الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لا تخلو داره على صغرها من يتيم ، وكان يقول : « خير بيوتكم بيت فيه يتيم » . ويقول : «أنا واليتيم كهاتين في الجنّة» ـ ويشير إلى السبابة والوسطى من أصابعه ـ» [3].

أليس الإمام هو القائل : « ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم إلاّ كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة »[4] . والقائل : « احسنوا في عقب غيركم ، تحسنوا في أعقابكم »[5] .

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ٥١ .
(٢) نهج البلاغة : الكتاب : ص ٥٣ .
(٣) السبيل إلى إنهاض المسلمين : ص ٤٣٥ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ١٣ .
(٥) بحار الأنوار : ج ٧٥ ،ص ٤ .

# اعتماد لغة الرحمة في القضاء

الإحتكام إلى الشرع والعقل والخلق الإنساني الرفيع في حلّ المشاكل السياسية ، والقضايا الإجتماعية ، بدل الإحتكام إلى الأهواء ، ودوافع الحب والبغض الشخصيين ، كان ديدن بطل العقل والقلب والضمير : علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) . .

فلقد واجهت الإمام ، الكثير من المشاكل الإجتماعية والمسائل القضائية المعقدّة ، التي لم تواجه أحداً من قبل ، وكان يحتكم في حلّها إلى الأصول التي التزم بها في مواجهة المشاكل السياسية ، وهي « الشرع » و « العقل » و«الأخلاق» .

ولكم أعيت المشاكل الخلفاء الذين عاصرهم ، فحلّها لهم في إطار الشرع ، بكل سهولة ويسر حتى قال أبو بكر أكثر من مرّة : « لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن » ، وقال عمر بن الخطاب : « لولا عليّ لهلك عمر » ؟ وقال عثمان بن عفّان أيضاً : « لولا عليّ لهلك عثمان »[1] .

ولكم وضع الإمام ، في حل تلك المشاكل ، أسساً راسخة أصبحت ـ فيما بعد ـ مصدراً من مصادر التشريع .

---

(١) « الغدير » : للأميني ، ج ٨ ، ص ٢١٤ .

ولكن أثارت طريقته ، من كوامن الخير ، في نفوس الناس ، وردعت العصاة ، وأهل الفساد من دون استعمال القوة والعسف ؟ .

وعلى كل حال فإن « الرُّوح الإنسانية هي قوام الأحكام التي أصدرها الإمام في مختلف المجالات ـ كما يقول العقاد ـ[1] .

وإليكم نماذج من أحكامه وقضاياه في شتى الأمور ، وهي نماذج تكشف ليس فقط عن علم الإمام ، وفهمه العميق لأحكام الشرع فحسب ، بل عن أخلاقه العظيمة أيضاً . .

---

(١) عبقرية الإمام علي : ص ١٧١ .

# لا حكم على من لا يعرف الحكم

إن أحكام العقوبات هي للرّدع ، فإذا لم يكن مرتكب المعصية عالماً بأوامر الشريعة فلا يجوز عقابه . . هذا ما كان يقوله الإمام . فقد رفعت امرأة إلى عمر بن الخطاب قد زنت . فسألها عن ذلك . فقالت في يسر : « نعم يا أمير المؤمنين » . وأعادت ذلك وأيدته ، كأنها لم تقترف ذنباً ! . وعليّ يسمع ويتأمل ! . .

فقال عليّ ( عليه السلام ) : « إنها لتستهل به استهلال من لا يعلم أنه حرام » .

فاعلماها بحرمة الزنا ، ودرأ عنها الحد[1] .

* * *

وفي عهد أبي بكر ، شرب رجل الخمر ، فرفع إلى الخليفة فقال له : « أشربت خمراً ؟ » . قال : نعم .

قال : ولم وهي محرّمة ؟

(١) علي إمام المتّقين : ص ١٠٨ .

فقال الرجل : إني أسلمت وحسن إسلامي ومنزلي بين ظهراني قوم يشربون الخمر ويستحلّونها ولو علمت أنَّها حرام اجتنبتها . فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال : ماتقول في أمر هذا الرجل ؟

فقال عمر : معضلة وليس لها إلاَّ أبو الحسن .

فقال أبو بكر : ادع لنا عليًّا : فقال عمر : يؤتى الحكم في بيته ، فقاما والرجل معهما ومن حضرهما من الناس حتّى أتوا أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، فأخبراه بقصَّة الرجل وقصَّ الرجل قصّته .

فقال الإمام : ابعثوا معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار من كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه ، ففعلوا ذلك فلم يشهد عليه أحد بأنَّه قرأ عليه آية التحريم ، فخلّى عنه وقال له : إن شربت بعدها أقمنا عليك الحدّ[1] .

---

(1) الكافي : ج ٧ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

# إلغاء الحد مع الاضطرار

قد يضطر الإنسان إلى ارتكاب المعصية ، وحينئذٍ فلا حدّ عليه . . هكذا كان حكم الإمام عليّ ( عليه السلام ) ، فقد أفتى بأن كل من يستكره على ذنب ، يعفى من العقاب ، ويعاقب من أكرهه . . فإذا اضطر أجير على السرقة لأنه لم يجد ما يأكله ، لم تقطع يده ، وإنما قطعت يد الذي استأجره ولم يعطه أجره ، فهو الذي أكرهه على السرقة . . أو بالقليل وجب عليه التعويض مضعفاً ![1] . .

وقد روي في ذلك أنَّ امرأة شهد عليها الشهود أنَّهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها ، وكانت ذات بعل فأمر عمر بن الخطاب برجمها بعد اعتراف الشهود عليها .

فقالت : اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي بريئة .

فغضب عمر وقال : وتجرح الشهود أيضاً ؟

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : « ردّوها واسألوها فلعلّ لها عذراً .

فردّت وسئلت عن حالها ، فقالت :

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ١٠٨ .

كان لأهلي إبل ، فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماء ، ولم يكن في إبل أهلي لبن ، وخرج معي خليطنا وكان في إبله لبن ، فنفذ مائي فاستسقيته ، فأبى أن يسقيني حتى أمكّنه من نفسي ، فأبيت ، فلمّا كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً .

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : الله أكبر ﴿ **فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه** ﴾ .

فلما سمع ذلك عمر خلّى سبيلها[1] .

---

(١) الإرشاد ـ للمفيد ـ ص ٩٨ ـ ٩٩ .

# إثارة الوجدان والضمير للتراجع عن الرجل

قد يرتكب الإنسان ذنباً ، ويصرّ عليه ، إلاّ أن ضميره يبقى حياً ، يمكن إثارته ، للردع عن الذنب ، والتوبة من الإستمرار فيه هذا ما فعله الإمام عليّ ( عليه السلام ) في الحادثة التالية :

روي عن عاصم بن ضمرة السلوليّ قال : سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول : يا أحكم الحاكمين أحكم بين وبين أمّي .

فقال له عمر بن الخطّاب : يا غلام لم تدعو على أمّك؟

فقال يا أمير المؤمنين : إنّها حملتني في بطنها تسعاً وأرضعتني حولين كاملين ، فلمّا ترعرعت وعرفت الخير من الشرّ ويميني عن شمالي طردتني وانتفت منّي ، وزعمت أنّها لا تعرفني .

فقال عمر : أين تكون الوالدة ؟

قال : في سقيفة بني فلان .

فقال عمر : عليَّ بأمّ الغلام : فأتوا بها مع أربعة إخوة لها وأربعين قسامة يشهدون لها أنّها لا تعرف الصبي ، وأنّ هذا الغلام مدّع ظلوم غشوم يريد أن يفضحها في عشيرتها ، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوّج قطّ ، لأنّها بختام ربّها .

فقال عمر : يا غلام ما تقول ؟

فقال : يا أمير المؤمنين هذه والله أمّي حملتني في بطنها تسعاً وأرضعتني حولين كاملين ، فلمّا ترعرعت وعرفت الخير والشرّ ويميني من شمالي طردتني وانتفت منّي ، وزعمت أنّها لا تعرفني .

فقال عمر : يا هذه ما يقول الغلام ؟

فقالت : يا أمير المؤمنين والذي احتجب بالنور فلا عين تراه وحقّ محمّد ما أعرفه ولا أدري من أيّ الناس هو ، وإنّه غلام يريد أن يفضحني في عشيرتي ، وأنا جارية من قريش لم أتزوّج قطّ ، وإنّي بخاتم ربّي .

فقال عمر : ألك شهود ؟

فقالت : نعم هؤلاء ، فتقدّم الأربعون قسامة فشهدوا عند عمر أنّ الغلام مدّع يريد أن يفضحها في عشيرتها ، وأنّ هذه جارية من قريش لم تتزوّج قطّ ، وأنّها بخاتم ربّها .

فقال عمر : خذوا بيد الغلام وانطلقوا به إلى السجن حتّى نسأل عن الشهود ، فإن عدلت شهادتهم جلدته حدّ المفتري .

فأخذوا بيد الغلام وانطلقوا به إلى السجن فتلقّاهم أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في بعض الطريق ، فنادى الغلام : يا ابن عمّ رسول الله إنّي غلام مظلومٌ ، فأعاد عليه الكلام الذي تكلّم به عمر ، ثمّ قال : وهذا عمر قد أمر بي إلى السجن .

فقال عليٌّ ( عليه السلام ) : ردّوه إلى عمر ، فلمّا ردّوه قال لهم عمر : أمرت به إلى السجن فرددتموه إليَّ ؟

فقالوا : يا أمير المؤمنين أمرنا علي بن أبي طالب أن نردّه إليك ، فسمعناك تقول أن : لا تعصوا لعليّ أمراً .

فبيناهم كذلك إذ أقبل عليّ ( عليه السلام ) فقال : عليَّ بأمّ الغلام ، فأتوا بها ، فقال عليّ ( عليه السلام ) : يا غلام ما تقول ؟ فأعاد الكلام على عليّ ( عليه السلام ) ، فقال عليّ ( عليه السلام ) لعمر : أتأذن لي أن أقضي بينهم ؟ فقال عمر : سبحان الله وكيف لا وقد سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يقول : أعلمكم عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) ؟

فقال عليّ للمرأة : يا هذه المرأة ألك شهود ؟ قالت : نعم .

فتقدَّم الأربعون قسامة فشهدوا بالشهادة الأولى .

فقال عليّ ( عليه السلام ) : لأقضينَّ اليوم بينكم بقضيَّة هي مرضاة الربّ من فوق عرشه ، علّمنيها حبيبي رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) .

ثم قال لها : ألك وليّ ؟ قالت : نعم هؤلاء إخوتي .

فقال لإخوتها أمري فيكم وفي أختكم جائز ؟

قالوا : نعم يا ابن عمّ محمَّد أمرك فينا وفي أختنا جائز .

فقال عليّ ( عليه السلام ) : أشهد الله وأشهد من حضر من المسلمين أنّي قد زوَّجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي .

ثم نادى يا قنبر عليّ بالدراهم ، فأتاه قنبر بها فصبّها في يد الغلام ، قال الإمام للغلام : خذها فصبّها في حجر امرأتك ، ولا تأتنا إلَّا وبك أثر العرس ـ يعني الغسل ـ ، فقام الغلام فصبّ الدراهم في حجر المرأة ثمَّ تلبّبها وقال لها : قومي .

فنادت المرأة : النارَ النارَ يا ابن عمّ محمَّد أتريد أن تزوجني من ولدي ؟ هذا والله ولدي زوَّجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا ، فلمَّا ترعرع وشبَّ

أمروني أن أنتفي منه وأطرده ، وهذا والله ولدي ، وفؤادي يتغلّى أسفاً على ولدي ، ثمّ أخذت بيد الغلام وانطلقت ، ونادى عمر : « لولا عليّ لهلك عمر »[1] .

(١) التهذيب : ج ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

# إعتماد الحقائق العلمية في المسائل القضائية

مما لا شك فيه أن حياة الفرد ، تتأثر بأعمال والديه، قوة وضعفاً . فالأطفال الذين يولدون من زوجين شابين يختلفون عن الأطفال الذين يولدون من زوجين جاوزا مرحلة الشباب إلى الشيخوخة[1]

كما أن الأطفال الذين يولدون من زوجين في ريعان الشباب يعيشون ، عادة ، أطول من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة ، وبذلك فاحتمال زيادة مدى حياة الأبناء تقل تبعاً لزيادة الترتيب الميلادي للطفل ، أي أن مدى حياة الطفل الأول ، أكبر من مدى حياة الطفل الأخير ، ونسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين ، تزداد تبعاً لزيادة عمر الأم . . أيضاً[2] .

ومن هنا فإن الوهن يدبّ في الطفل الذي يكون أحد أبويه طاعناً في السن ، أكثر من أترابه الذين يكون آباؤهم في ريعان الشباب .

ولقد استخدم الإمام عليّ ( عليه السلام ) هذه الحقيقة لدرء الحد عن امرأة اتهمت بالزّنا في عهد عمر .

وإليكم قصتها حسب نصها التاريخي :

---

(١) Baujat.P. - commente Se Prepar a la Retraite 1963.

(٢) الأسس النفسية للنمو : ص ٦٥ .

أتي عمر بأمرأة تزوجها شيخ ، فلمَّا أن واقعها مات على بطنها ، فجاءت بولد ، فادّعى بنوه أنَّها فجرت ، وتشاهدوا عليها ، فأمر بها عمر أن ترجم .

فمرَّ بها عليّ ( عليه السلام ) فقالت :

يا ابن عمِّ رسول الله انني لست بزانية ، ولي على ذلك حجَّة .

فقال : هاتي حجَّتك ، فدفعت إليه كتاباً فقرأه فقال :

هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوّجها ويوم واقعها زوجها ، وكيف كان جماعه لها ، ردّوا المرأة .

فلمَّا كان من الغد دعا بصبيان أتراب ودعا بالصبيّ معهم ، فقال لهم :

العبوا ، حتّى إذا ألهاهم اللعب فقال لهم : اجلسوا ، حتى إذا تمكّنوا صاح بهم بأن قوموا ، فقام الصبيان وقام الغلام فاتّكأ على راحتيه ، فدعا به عليّ ( عليه السلام ) فورّثه من أبيه وجلد إخوته حد المفتري .

فقال له عمر : كيف صنعت ؟

قال : عرفت ضعف الشيخ ( أي أبوه ) في اتّكاء الغلام على راحتيه[1] .

---

(١) التهذيب : ج ٢ ، ص ٩٣ .

# التشـــدد مع المحتالين والذين يؤذون الناس

في كل مجتمع هنالك من يرضى لنفسه بأن يعيش على الإحتيال وكسب المال عن طريق الدّجل ، والخديعة ، والفساد .

وكمـا يجب أن نكون رحمـاء مع النـاس ، فلا بـد أن نكون أشـداء مع المحتـالين ، لأن التسـاهـل مـع أمثـالهم يؤدي إلى يئس المحسن وتشجيع المسيء . .

فلا بد من إيذاء ، من يؤذي الناس ، والضـرب بيد من حـديد لكـل من تسول له نفسه الإحتيال ، والعيش على حساب الآخرين . .

وهكذا كان الإمام[1] عليّ (عليه السـلام ) ومن ذلك مـا روي أن رجلين ، احتالا على الناس ، فأصابا منهم أموالاً طائلة وذلك أن كل واحد منهما كان يبيع الآخر على أنه عبد ، ثم يهربان من بلد إلى بلد ، يكرران الفعل نفسه ، فحكم الإمام بقطع أيديهما ، لأنهما سارقان لأموال الناس ! . .

ومن ذلك أيضاً ما روي : إنَّ رجلاً قـال لرجـل ـ في عهد أميـر المؤمنين ( عليه السلام ) :

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٧٥ .

إنّي احتلمت بأمّك .

فرفعه إلى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) قال : إنّ هذا افترى على أمّي .

فقال له الإمام :

وما قال لك ؟

قال : زعم أنّه احتلم بأمّي .

فقال له أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : في العدل إن شئت أقمته لك في الشمس فاجلد ظلّه ، فإنّ الحلم مثل الظلّ ، ولكنّا سنضربه حتّى لا يعود يؤذي المسلمين .

وفي رواية أخرى أن الإمام ضربه ضرباً وجيعاً[1] .

* * *

إن إيـذاء الناس ، وإهـانتهم ، والإحتيال عليهم أمـور محرّمـة ، وعليها العقاب فأعراض الناس محترمة ، كمـا هي دماؤهم ، وأمـوالهم . . ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنـات بغيـر مـا اكتسبـوا ، فقـد احتملوا بهتـانـاً وإثمـاً مبيناً**﴾[2] ، فلا يحـل لمسلم أن يروع مؤمنـاً[3] . بل أن « من نـظر إلى مؤمن نظرةً يخيفه بها اخافه الله تعالى بوم لا ظلّ إلا ظلّه[4] . و « من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدّنيا لم يكن ذلك كفّارته ولم يؤجر عليه »[5] لأن « المؤمن نفسه منه في

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ٢٦٣ .
(٢) سورة الاحزاب ، آية : ٥٨ .
(٣) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ١٤٨ .
(٤) الوسائل : ج ٨ ، ص ٦١٤ .
(٥) بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ١٥٠ .

تعب والناس منه في راحة »[1] ، بينما « أذل الناس من أهان الناس »[2] .

ولقد كان الإمام شديداً مع من يؤذي .

ومن ذلك ما روي : أن أمير المؤمنين توضأ مع الناس في ميضأة المسجد ، فزحمه رجل ، فرمى به .

فأخذ الدرة فضربه ، ثم قال له : « ليس هذا لما صنعت بي ، ولكن يجيء من هو أضعف مني فتفعل به مثل هذا فتضمن »[3] .

ومن ذلك أيضاً ما روي أن امرأة تزوجت في عصر الإمام ، فلما كانت ليلة زفافها أدخلت صديقها مخدعها سرا ، ودخل الزوج المخدع فوجد العشيق فاقتتلا ، فقتل الزوج غريمه فقتلت المرأة زوجها . فقضى الإمام ( عليه السلام ) حينما رفعت القضية إليه بقتل المرأة اقتصاصاً لزوجها الذي قتلته ، وقضى بإعطاء الديّة لأهل العشيق على المرأة ، لأنها هي التي عرضته لأن يقتله زوجها فهي المتسببة في قتله ، أما الزوج فإنما قتل غريمه دفاعاً عن العرض ، فهو قتل مشروع لا عقاب عليه ولا دية ولا تعويض[4] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣ .
(٢) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٩٢ .
(٣) السياسة من واقع الاسلام : ص ١٧٩ .
(٤) علي إمام المتقين : ج ١ ، ص ٧٥ .



# الاقتصاص من الباطـل

كان شديداً في الإقتصاص من الباطل ، وهو القائل : « وأيم اللهِ لأبـقرنّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته[1] فلم يكن يسمح لأحد أن يظلم أحداً ثمَّ يهـرب من القصاص . .

وكان يتدخل في أي صراع لينصر المظلوم ، وينتقم من الظالم . .

« من ذلك ما نقله الطبري عن بعض الأسانيد حيث قـال : « رأيت عليًا ( عليه السلام ) خارجاً من همدان ، فرأى فتيين يقتتـلان ، ففرق بينهمـا ، ثم مضى فسمع صوتاً : « يا غوثاه باللهِ . . » فخرج ( عليه السلام ) يـركض نحوه حتى سمعت خفق نعله ، وهو يقول : « أتاك الغوث » . فإذا رجل يلازم رجلاً ( يمسك به ) فقال للإمام :

« يا أمير المؤمنين . . بعتُ هـذا ثوبـاً بتسعة دراهم ، وشـرطت عليه ألا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً ، فأتيته بهذه الدراهم يبـدّلها لي فـأبى ، فلزمته ، فلطمني » .

فقال الإمام لغريمه : « أبدله ، له » .

---

(١) نهج البلاغة : الخطب ١٠٤ .

ثم سأل المشتكي : « أين بيّنتك على اللطمة ؟ » فأتى الرجل بها .

فقال له الإمام : « دونك ، فاقتص » !

قال المشتكي : « يا أمير المؤمنين . . قد عفوت عنه » .

فقال له الإمام : «إنّما أردت أن أحتاط في حقك . فاذهب » .

وفيما كان الرجل يهمّ بالذهاب ، رفع الإمام درّته ، وبدأ يضرب غريمه تسع درّات .

فقال المشتكي : « يا أمير المؤمنين ، ألم أعف عنه » .

قال الإمام ( عليه السلام ) : « بلى . . ولكنك عفوت عن حق الرعيّة ، وهذا حق الرّاعي »[1] .

ففي ظل دولة الحق ، لا يجوز أن يلطم رجل صاحبه على باطل ثم تحت الخوف منه ، يُعفو عنه ، ولا يجد عقاباً . .

إن حق الراعي هنا أن يمنع وقوع مثل ذلك بتسع سياط من درّته .

***

و « من ذلك أيضاً أن رجلاً فر من رجل يريد قتله ، فأمسكه له آخر حتى أدركه فقتله ، وكان بقربه رجل ينظر إليهما ، وهو يقدر على إنقاذه ، ولكنه وقف ينظر .

فأفتى الإمام عليّ ( عليه السلام ) بأن يُقْتل القاتل ، ويُحبس الذي أمسك به حتى مكن القاتل من قتله ، حتى يموت ، وتفقأ عين الناظر الذي وقف ينظر إلى الجريمة ، ولم يمنع وقوعها وهو قادر على ذلك بلا حرج ![2] . .

(١) عبقرية الإمام عليّ ( عليه السلام ) ، ص ١٧٣ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٧٥ .

إن الظالم يجب أن يعاقب على ظلمه ، حتى لا يصاب المظلومون باليأس ، ويتشجع الظالمون على ظلمهم . .

يقول الإمام ( عليه السلام ) : « وأيم الله ، لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودن الظالم بخزامته ( شعره ) حتى أورده مناهل الحق وإن كان كارهاً »[1] .

ويقول : « فلأنقّبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه »[2] .

---

(۱) الارشاد : ص ١٤٢ .

(٢) الخصائص : ص ٧٠ .



# ثلاث نساء وثلاث قضايا

كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) يوصي بالنساء خيراً ، ويقول : « إن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة »[1] .

ويقول : « ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم » .

ويقول : « الله . . الله في النساء ، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال : « أوصيكم بالضعيفين : المرأة واليتيم »[2] .

وكما يقول أحدهم : « كانت للإمام فطرة الفارس المطبوع في آداب الفروسية ، ومنها التلطف بالمرأة والصفح عن عدوانها ، فما انتقم قط من امرأة لأنها أساءت إليه ، ولا غفل قط عن الوصية بها في موطن يستدعي هذه الوصيَّة ، بالرغم من أن الإمام واجه حرباً ضروساً من امرأة وهي عائشة ، كما كانت حياته الغالية مهراً لامرأة وهي قطام »[3] .

ولقد كانت مواقفه مع المرأة ، مواقف متميزة ، متواضعة ، معطاءة .

---

(١) نهج البلاغة : الكتب ، ص ٣١ .

(٢) الفتوح : ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٣) عبقرية الإمام علي : ص ٢١٢ .

وفيما يلي ثلاث نماذج منها :

**الأولى** ـ مع شاكية .

**والثانية** ـ مع أرملة .

**والثالثة** ـ مع زانية .

أمَّا الأولى فتتلخص ، من أن امرأة شكت إلى الإمام أمر أحد ولاته الكبار ، وهو والي صدقاته على الأهواز ، وكانت تحت سلطته منطقة واسعة جداً ، وبالرغم من أن ما اشتكت منه لا يعتبر في أي منطق جريمة كبرى يعاقب عليهَا بالعزل من منصبه ، إلَّا أن الإمام لم يتردّد أبداً في إصدار أمر العزل له ، وقد سلم كتاب عزله إلى نفس المرأة التي اشتكت منه ، بعد أن اعتذر إلى الله تعالى من فعله . .

ولنستمع إلى صاحبة الشكاية ، وقد روت القصة لألدّ أعداء الإمام ، وهو « معاوية » ، وذلك بعد مقتل الإمام وفيما يلي النص التاريخي :

« دخلت سودة بنت عمارة الهمدانيَّة على معاوية بعد موت عليّ ، فجعل يؤنِّبها على تحريضها عليه أيَّام صفّين ، وآل أمره إلى أن قال :

ما حاجتك ؟

قالت : إنّ الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقّنا ، ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ، ويبطش بقوَّة سلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل ، ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ، ويذيقنا الحتف ، هذا « بسر بن أرطأة » قدم علينا فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ، ولولا الطّاعة لكان فينا عزّ ومنعة ، فإن عزلته عنّا شكرناك وإلَّا كفّرناك .

فقال معاوية : إيَّاي تهدّدين بقومك يا سودة ؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه فينّفذ فيكِ حكمه .

فأطرقت سودة ساعة ، ثمّ قالت :

صلّى الإلـه على روح تضمّنها * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً * فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية :

من هذا يا سودة ؟

قالت : هو والله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب .

والله لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا ، فصادفته قائماً يصلّي ، فلمّا رآني انفتل من صلاته ! ثمّ أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف . وقال :

ألك حاجة ؟

قلت : نعم ، فأخبرته الخبر ، فبكى ثمّ قال :

اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم ، وأنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ، ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها :

« بسم الله الرّحمن الرحيم ، ﴿ **قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى يقدم عليك من يقبضه منك ، والسلام » .

ثمّ دفع الرقعة إليّ ، فوالله ما ختمها بطين ولا خزمها فجئت بالرّقعة إلى صاحبه فانصرف عنّا معزولاً .

فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد ، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية[1] .

---

(١) كشف الغمّة : ص ٥٠ .

## أما مع الأرملة :

فقد كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) بالرغم من قوة شخصيته ، وجلالة سلطانه ، وعظمة مكانه ، لا يتمالك نفسه أمام امرأة محتاجة ، فيترك كل أموره ليرفع حاجتها ويسد عوزها ، بل ويبكي إذا واجه موقفاً من أمثال ذلك . .

وكما وصفه « حريث » فقد كان عليّ ( عليه السلام ) بشره دائم ، وثغره باسم ، غيّث لمن رغب ، وغيَّاث لمن ذهب ، مآل الآمل ، وثمال الأرامل ، يتعطف على رعيته ، ويتصرف للمحتاج على مشيته ، ويكفيه مهجته »[١] .

وفيما يلي قصة امرأة أرملة ، رآها الإمام صدفةً في الطريق وهي تحمل على كتفها قربة ماء ، فهاله منظرها ، فحمل عنها القربة ، وبدأ يسألها عن أحوالها ، وهي لم تكن تعرف الإمام شخصياً فسمع منها كلاماً قاسياً ، ولكنه لم يزدد إلا تعطفاً عليها ، وخدمة لها .

ولنستمع إلى النصّ التاريخي في ذلك . .

نظر عليّ ( عليه السلام ) إلى امرأة على كتفها قربة ماء ، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها . وسألها عن حالها فقالت :

بعث عليّ بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل ، وترك عليَّ صبياناً يتامى ، وليس عندي شيء ، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس .

فانصرف عنها الإمام ( عليه السلام ) وبات ليلته قلقاً ، فلمّا أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام .

فقال بعضهم : أعطني أحمله عنك .

فقال : من يحمل وزري عنّي يوم القيامة ؟

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ، ص ٥٢ .

فأتى وقرع الباب .

فقالت : من هذا ؟

قال : أنا ذلك العبد الذي حمل معـك القربـة ، فافتحي فـإنَّ معي شيئاً للصبيان .

فقالت : رضي الله عنك وحكم بيني وبين عليّ بن أبي طالب ! .

فدخل وقال :

إنِّي أحببت اكتساب الثواب ، فـاختار بين أن تعجنين وتخبـزين وبين أن تعلّلين الصبيان لأخبز أنا .

فقالت : أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ، ولكن شأنـك والصبيان ، فعلّلهم حتَّى أفرغ من الخبز .

فعمـدت إلى الدقيق فعجنتـه ، وعمد عليٌّ ( عليـه السـلام ) إلى اللَّحم فطبخه ، وجعل يلقّم الصبيان من اللَّحم والتمر وغيره ، فكلَّما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له :

يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حلّ ممَّا مرّ من أمرك .

فلمَّا اختمر العجين قالت :

يا عبد الله أسجر التنّور .

فبادر الإمام لسجره فلمَّا أشعله ولفح في وجهه جعل يقول :

ذق يا عليّ هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامى .

فرأته امرأة تعرفه فقالت للأرملة :

ويحك هذا أمير المؤمنين .

فبادرت المرأة إلى الإمام وهي تقول :

واحيائي منك يا أمير المؤمنين .

فقال : بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصّرت في أمرك[1]

## أمّا الزانية :

فهي امـرأة متزوجـة ، زنت ، فندمت ، فـأرادت أن تتطهـر من فعلتها ، فجاءت إلى الإمام تعترف له بما فعلت ولكن الإمام تمنى مـراراً أن يدرأ عنهـا الحدّ . فكان يحوّل أمرها إلى « عمل ما » معتبراً اعترافها في كل مرة تأتي إليه ، شهادة واحدة ، والأمر يتطلب بالطبع أربع شهادات . .

ومرَّت أكثر من ثـلاث سنوات منـذ الشهادة الأولى ، حتى أجـرى الإمام الحدّ عليها بعد إصرارها المتكرِّر ، واكتمال الشهادات أربعاً .

وفيما يلي النص التاريخي لقصتها :

أتت امرأة مجحٌّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، فقالت :

يا أمير المؤمنين إنّي زنيت فطهّرني طهّرك الله ، فإنَّ عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة الذي لا ينقطع .

فقال لها : ممَّا أطهّرك ؟

فقالت : إنّي زنيت .

فقال لها : أو ذات بعل أنت أم غير ذلك ؟ قالت : بل ذات بعل .

فقال لها : أفحاضراً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم غائباً كان عنك ؟

فقالت : بل حاضراً .

(١) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ، ص ٣١٧ - ٣١٩ .

فقال لها : انطلقي فضعي ما في بطنك ثمّ ائتني أطهّرك .

فلمّا ولّت عنه المرأة فصارت حيث لا تسمع كلامه قال :

اللّهمَّ إنَّها شهادة .

فلم يلبث أن أتته فقالت :

قد وضعت فطهّرني .

فتجاهل عليها ، فقال :

أطهّرك يا أمة الله ممَّاذا ؟

فقالت : إنّي زنيت فطهّرني .

فقال : أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت ؟

قالت : نعم ، قال : أفكان زوجك حاضراً أم غائباً ؟

قالت : بل حاضراً .

قال : فانطلقي فارضعيه حولين كاملين كما أمرك الله .

فانصرفت المرأة ، فلما صارت منه حيث لا تسمع كلامه قال :

اللّهمَّ إنَّها شهادتان .

فلمّا مضى حولان أتت المرأة فقالت :

قد أرضعته حولين فطهّرني يا أمير المؤمنين .

فتجاهل عليها وقال :

أطهّرك ممَّاذا ؟

قالت : إنّي زنيت فطهّرني .

فقال : أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت ؟

فقالت : نعم .

قال : أو كان بعلك غائباً إذ فعلت ما فعلت أو حاضراً ؟

قالت : بل كان حاضراً .

قال : انطلقي فاكفليه حتَّى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردّى من سطح ولا يتهوَّر في بئر .

فانصرفت وهي تبكي ، فلمَّا ولَّت فصارت حيث لا تسمع كلامه قال :

اللهم إنَّها ثلاث شهادات .

فاستقبلها عمرو بن حريث المخزوميّ فقال لها :

ما يبكيك يا أمة الله وقد رأيتك تختلفين إلى عليّ تسألينه أن يطهّرك ؟

فقالت : إنِّي أتيت أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فسألته أن يطهّرني فقال :

اكفلي ولدك حتى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردّى من سطح ولا يتهوَّر في بئر ، وقد خفت أن يأتي عليَّ الموت ولم يطهّرني .

فقال لها عمرو بن حريث : ارجعي إليه فأنا أكفله .

فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين ( عليه السلام ) بقول عمرو ، فقال لها أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وهو متجاهل عليها :

ولِمَ يكفل عمرو ولدك ؟

فقالت : يا أمير المؤمنين إنِّي زنيت فطهّرني .

فقال : أوذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت ؟

قالت : نعم .

قال : أفغائباً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم حاضراً ؟

فقالت : بل حاضراً .

فرفع رأسه عليّ ( عليه السلام ) إلى السماء وقال :

اللّهمَّ إنه قد ثبت لكَ عليها أربعُ شهادات ، وإنَّك قد قلت لنبيّك ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فيما أخبرته به من دينك : « يا محمد من عطّل حدّا من حدودي فقد عاندني ، وطلب بذلك مضادَّتي » اللّهمَّ فإنّي غير معطّل حدودك ولا طالب مضادَّتك ، ولا مضيِّع لأحكامك بل مطيع لك ومتّبع سنَّة نبيِّك .

فنظر إليه عمرو بن حريث وكأنَّما الرّمان يفقأ في وجهه فلمَّا نظر إلى ذلك عمرو قال :

يا أمير المؤمنين إنَّني إنَّما أردت أن أكفله إذ ظننت أنَّك تحبُّ ذلك ، فأمَّا إذا كرهته فإنِّي لست أفعل .

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : « أبعد أربع شهادات ؟ والله لتكفلنّه وانت صاغر .

ثم أن الأمام قال لقنبر : يا قنبر ناد في الناس : الصلاة جامعة .

فنادى قنبر في الناس ، فاجتمعوا حتّى غصَّ المسجد بأهله ، وقام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال :

أيُّها الناس إنّ إمامكم خارج بهذه المرأة إلى ظهر الكوفة ليقيم عليها الحدّ إن شاء الله ، فعزم عليكم أمير المؤمنين لمّا خرجتم وأنتم متنكِّرون ومعكم أحجاركم لا يتعرّف منكم أحد إلى أحد حتّى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء الله .

فلمَّا أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة ، وخرج الناس متنكِّرين متلثّمين

بعمائمهم وبأرديتهم ، والحجارة في أرديتهم وفي أكمامهم حتّى انتهى بها ، والناس معه إلى الظهر بالكوفة ، فأمر أن يحفر لها حفيرة ، ثمّ دفنها فيها ، ثمّ ركب بغلته وأثبت رجله في غرز الركاب ، ثمّ وضع إصبعيه السبّابتين في أذنيه ، ثمّ نادى بأعلى صوته :

يا أيها الناس إنّ الله تبارك وتعالى عهد إلى نبيّه ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عهداً عهده محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إليَّ بأنه لا يقيم الحدّ من لله عليه حدّ ، فمن كان لله عليه مثل ما له عليها فلا يقيم عليها الحدّ .

فانصرف الناس يومئذ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين والحسن والحسين ( صلوات الله عليهم ) ، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحدَّ يومئذ وما معهم غيرهم[1] .

---

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ١٨٧ .

# التدقيق في الشهود
# للاحتياط في إجراء الحدود

إجـراء أحكام الله تعـالى في الموبقـات يجب أن يتم في منتهى الحيطة والحـذر حتى لا يعـاقب البـريء فـإفـلات المـذنب أفضـل من معـاقبـة من لا يستحقها . .

ولذلك كان لا بدّ من شهود .

ولا بد أن يكتمل العدد .

ولا بدّ أن تتفق شهاداتهم .

ولا بدّ أن يكونوا صادقين ، يعرف ذلك منهم سلفاً .

ولا بدّ من الإطمئنان إلى شهاداتهم .

فاتهام الشهود خير من إجراء الحدود على الأبرياء .

ويظهر من حوادث كثيرة وقعت في عهد الإمام علي ( عليه السلام ) أنـه كان « يتهم الشهود » ولا يـأخذ بشهـادتهم إلاّ بعد تمحيص كبيـر ، وتدقيق في شهاداتهم ، حتى لا يعاقب بريئاً في حدّ من حدود الله تعالى .

وفيمـا يلي نموذج من ذلـك ، حيث استخـدم ( عليـه السـلام ) أسلوب التفريق بين الشهود لكشف الحقيقة . .

أتي عمر بن الخطاب بجارية قد شهدوا عليها أنَّها بغت ، وكان من قصّتها أنها كانت يتيمة عند رجل ، وكان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله ، فشبّت اليتيمة فتخوّفت المرأة أن يتزوَّجها زوجها ، فدعت بنسوة حتّى أمسكنها فأخذت عذرتها بإصبعها ، فلمّا قدم زوجها من غيبته رمت المرأة اليتيمة بالفاحشة ، فأقامت البيِّنة من جاراتها اللاّتي ساعدنها على ذلك .

فرفع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضي فيها ، ثمَّ قال للرجل : إيت عليّ بن أبي طالب واذهب بنا إليه ، فأتوا عليّاً ( عليه السلام ) وقصّوا عليه القصَّة ، فقال لامرأة الرجل : ألك بيّنة أو برهان ؟

قالت : لي شهود هؤلاء جاراتي يشهدون عليها بما أقول ، وأحضرتهنَّ .

فأخرج عليّ ( عليه السلام ) السيف من غمده فطرح بين يديه ، وأمر بكلّ واحدة منهنَّ فأدخلت بيتاً ، ثمّ دعا امرأة الرجل فأدارها بكلّ وجه فأبت أن تزول عن قولها فردَّها إلى البيت الذي كانت فيه ، ودعا إحدى الشهود وجثا على ركبتيه ، ثمَّ قال :

« تعرفيني ؟ أنا عليّ بن أبي طالب ، وهذا سيفي ، وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ، ورجعت إلى الحقّ ، فأعطيتها الأمان ، وإن لم تصدّقيني لأمكننّ السيف منك .

فالتفتت إلى عمر فقالت : يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق .

فقال لها عليّ ( عليه السلام ) : فاصدقي .

فقالت : لا والله أن اليتيمة ما فعلت فاحشة إلاَّ أن زوجة الرجل رأت فيها جمالاً وهيئة فخافت فساد زوجها ، فسقتها المسكر ودعتنا فأمسكناها ، فافتضتها بإصبعها .

فقال عليٌّ ( عليه السلام ) : الله أكبر أنا أوَّل من فرَّق بين الشهود إلاَّ

دانيال النبيّ ( صلى الله عليه وآله وسلم ) .

وألزمهنّ جميعاً العقر ، وجعل عقرها أربع مائة درهم ، وأمر المرأة أن تنفي من الرجل ويطلّقها زوجها ، وزوَّجه الجارية وساق عنه عليٌّ ( عليه السلام ) المهر . .

فقال عمر : يا أبا الحسن فحدّثنا بحديث دانيال ( عليه السلام ) .

قال : إنّ دانيال كان يتيماً لا أمّ له ولا أب ، وإنّ امرأة من بني إسرائيل عجوزاً كبيرة ضمّته فربّته ، وإنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان له قاضيان ، وكان لهما صديق ، وكان رجلاً صالحاً وكانت له امرأة بهية جميلة وكان يأتي الملك فيحدّثه ، فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره ، فقال للقاضيين اختارا رجلاً أرسله في بعض أموري فاشارا إليه بشخص ، فوجّهه الملك .

فقال الرجل للقاضيين : أوصيكما بامرأتي خيراً ، فقالا : نعم ، فخرج الرجل ، فكان القاضيان يأتيان باب الصديق ، فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت .

فقالا لها : والله لئن لم تفعلي لنشهدنّ عليك عند الملك بالزنا ، ثمّ ليرجمنّك .

فقالت : إفعلا ما أحببتما .

فأتيا الملك فأخبراه وشهدا عنده أنّها بغت فدخل الملك من ذلك أمر عظيم واشتدّ بها غمّه ، وكان بها معجبا ، فقال لهما : إنّ قولكما مقبول ولكن ارجموها بعد ثلاثة أيّام ، ونادى في البلد الذي هو فيه : احضروا قتل فلانة العابدة فإنّها قد بغت . وإنّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك ، وأكثر الناس في ذلك .

وقال الملك لوزيره : ما عندك في هذا من حيلة ؟ فقال : ما عنـدي في ذلك من شيء ، فخرج الوزير يوم الثالث وهو آخر أيّامها فإذا هو بغلمـان عراة يلعبون وفيهم دانيال وهو لا يعرفه .

فقال دانيال : يا معشر الصبيان تعالوا حتّى أكون أنا الملك ، وتكون أنت يا فلان العابدة ويكون فلان وفلان القاضيين الشاهدين عليهـا ، ثمّ جمع تـراباً وجعل سيفاً من قصب ، وقال للصبيان : خذوا بيد هـذا فنحّوه إلى مكـان كذا وكذا ، وخذوا بيد هذا فنحّوه إلى مكان كذا وكذا ، ثمّ دعا بأحدهما فقال له : قل حقّاً فإنّك إن لم تقل حقّا قتلتك ، بم تشهد ؟ ـ والوزير قائم يسمع وينظر ـ فقال : أشهد أنها بغت ، قال متى ؟ قـال : يوم كـذا وكذا . قـال : مع من ؟ قال : مع فلان ابن فلان ، قال : وأين ؟ قال : موضع كذا وكذا . قال : ردُّوه إلى مكانه وهـاتوا الآخـر ، فردُّوه إلى مكـانه وجـاؤوا بالآخـر ، فقال لـه : بم تشهد ؟ قال : أشهد أنّها بغت ، قال : متى ؟ قال : يوم كذا وكذا ، قال : مع من ؟ قال : مع فلان ابن فلان ، قال : وأين ؟ قال : موضع كذا وكذا ، فخالف كلامه كلام صاحبه ، فقال دانيال : الله أكبر شهدا بزور ، يا فلان ناد في الناس إنّما شهدا على فلانة بزور ، فاحضروا قتلهما ، فذهب الوزير إلى الملك مبادراً فـأخبره الخبـر ، فبعث الملك إلى القاضيين وفـرق بينهما ثم أخـذ شهادتهمـا فاختلفا في الشهادة كما اختلف الغلامان ، فنادى الملك في الناس يعلمهم خبر القاضيين وكذبهما وأمر بقتلهما[1] .

* * *

وفي حادثة أخرى مشابهة فرق الإمام بين الشهود ودقق في أمورهم حتى كشف الحقيقة . . وهذا نصها التاريخي

روي « أنّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) دخل ذات يـوم المسجد فـوجد

(١) التهذيب : ج ٢ ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

شاباً حدثاً يبكي وحوله قوم ، فسأل أمير المؤمنين ( عليه السلام ) عنه فقال :

إنَّ شريحاً قضى عليَّ قضية لم ينصفني فيها .

فقال : وما شأنك ؟

قال : إنَّ هؤلاء النفر ـ وأومأ إلى نفر حضور ـ أخرجوا أبي معهم في سفر فرجعوا ولم يرجع أبي ، فسألتهم عنه فقالوا : مات ، فسألتهم عن ماله الذي استصحبه فقالوا : ما نعرف له مالاً .

فاستحلفهم شريح وتقدّم إليَّ بترك التعرُّض لهم .

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لقنبر : اجمع القوم وادع لي شرطة الخميس ثمَّ جلس ودعا النفر والشاب معهم ، ثمّ سأله عمَّا قال ، فأعاد الدعوى وجعل يبكي ويقول :

أنا والله أتّهمهم على أبي يا أمير المؤمنين ، فإنَّهم احتالوا عليه حتّى أخرجوه معهم ، وطمعوا في ماله .

فسأل أمير المؤمنين ( عليه السلام ) القوم فقالوا له ـ كما قالوا لشريح ـ :

مات الرجل ولا نعرف له مالاً .

فنظر في وجوههم ثمّ قال :

ماذا تظنُّون ؟ أتظنّون أنِّي لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى إنِّي إذاً لقليل العلم ؟

ثمَّ أمر بهم أن يفرَّقوا ، ففرّقوا في المسجد ، وأقيم كلّ رجل منهم إلى جانب أسطوانة من أساطين المسجد ، ثمّ دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه يومئذ فقال له : اجلس ، ثمَّ دعا واحداً منهم فقال له :

أخبـرني ولا ترفـع صوتـك : في أيّ يوم خـرجتم من منازلكم وأبـو هذا الغلام معكم ؟

فقال : في يوم كذا وكذا .

فقال لعبيد الله : اكتب ، ثمّ قال له :

في أيّ شهر كان ؟ قال :

في شهر كذا ، قال : اكتب .

ثمّ قال : في أيّ سنة ؟

قال : في سنة كذا ، فكتب عبيد الله ذلك كله .

قال : فبأيّ مرض مات ؟

قال : بمرض كذا .

قال : في أيّ منزل مات ؟

قال : في موضع كذا .

قال : من غسّله وكفّنه ؟

قال : فلان .

قال : فبم كفّنتموه ؟

قال : بكذا .

قال : فمن صلّى عليه ؟

قال : فلان .

قال : فمن أدخله القبر ؟

قال : فلان .

وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك كلّه .

فلمـا انتهى إقراره إلى دفنـه كبّر أميـر المؤمنين ( عليـه السـلام ) تكبيـرة سمعها أهل المسجد ثمّ أمر بالرجل فردَّ إلى مكانه ، ودعا بآخر من القوم فأجلسه بالقرب منه ، ثمَّ سأله عمَّا سأل الأوَّل عنه ، فأجاب بما خالف الأوَّل في الكلام كلّه ، وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك .

فلمَّا فرغ من سؤاله كبّر تكبيرة سمعها أهل المسجد ، ثمَّ أمـر بالـرجلين جميعـاً أن يخرجـا من المسجد نحـو السجن فيوقف بهمـا على بابـه ، ثمّ دعا بالثالث فسأله عمَّا سأل الرجلين ، فحكى خلاف ما قالا ، وأثبت ذلك عنه ، ثمَّ كبّر وأمر بإخراجه نحو صاحبيه ، ودعا برابع القوم فاضطرب قوله وتلجلج فوعظه وخوّفه ، فاعترف أنَّه وأصحابه قتلوا الرجل وأخذوا ماله ، وأنّهم دفنوه في موضع كذا وكذا بالقرب من الكوفة ، فكبَّر أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وأمـر به إلى السجن ، واستدعى واحداً من القوم وقال له :

زعمت أنَّ الرجل مات حتف أنفه وقد قتلته اصدقني عن حالك وإلاَّ نكلت بك ، فقد وضح الحقّ في قضيّتكم .

فاعترف من قتل الرجل بما اعترف به صاحبه ، ثمّ دعا الباقين فاعترفوا عنده بالقتل وسقط في أيديهم ، واتّفقت كلمتهم على قتل الرجل وأخذ ماله .

فأمر من مضى معهم إلى موضع المـال الذي دفنـوه ، فاستخـرجوه منـه وسلّموه إلى الغلام ابن الرجل المقتول .

ثمّ قال له : ما الذي تريد ؟ قد عرفت ما صنع القوم بأبيك .

قال : أريد أن يكون القضاء بيني وبينهم بين يـدي الله عزَّ وجـلّ ، وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا فدرأ عنهم أمير المؤمنين ( عليه السلام ) حدَّ القتل وأنهكهم عقوبة .

فقال شريح : يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم ؟

فقال له : إنّ داوود ( عليـه السلام ) مـرّ بغلمان يلعبـون وينادون بـواحد منهم يا « مات الدين » والغلام يجيبهم ، فدنا داوود ( عليه السلام ) منهـم فقال له :

يا غلام ما اسمك ؟

فقال : اسمي « مات الدين » .

قال له داوود : من سمّاك بهذا الاسم ؟

قال : أمّي .

فقال داوود : أين أمّك ؟

قال : في منزلها .

قال داوود : انطلق بنا إلى أمّك ، فانطلق به إليها فاستخرجها من منزلها ، فخرجت ، فقال لها :

يا أمة الله ما اسم ابنك هذا ؟

قالت : اسمه « مات الدين » .

قال لها داوود( عليه السلام ) : ومن سمّاه بهذا الاسم ؟

قالت : أبوه .

قال لها : وما كان سبب ذلك ؟

قالت : إنّه خرج في سفر له ومعه قوم وأنا حامل بهذا الغلام ، فجاء القوم ولم يأت زوجي معهم ، فسألتهم عنه ؟

قالوا : مات .

فسألتهم عن ماله ؟ قالوا : ما ترك مالاً .

فقلت لهم فهل أوصاكم بوصيّة ؟

قالوا : زعم أنّك حبلى ، فإن ولدت جارية أو غلاماً فسمّيه « مات الدين »

فسمّيته كما وصّى ولم أحبّ خلافه .

فقال لها داوود ( عليه السلام ) : فهل تعرفين القوم ؟

قالت : نعم .

قال : انطلقي مع هؤلاء ـ يعني قوماً بين يديه ـ فاستخرجيهم من منازلهم .

فلمّا حضروا حكم فيهم بهذه الحكومة ، فثبت عليهم الدم واستخرج منهم المال .

ثمّ قال لها : يا أمة الله سمّي ابنك هذا بعاش الدين[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٠ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .



# التوبة في البيت
# أفضل من إقامة الحد على الملأ

ليست الحدود في الإسلام انتقاماً من العصاة ، بل هي وسيلة لمنع ارتكاب الجرائم والمعاصي من قبل الناس ، وزجرهم عن الإنحراف، ومن هنا كان الإعتراف بالمعصية أمام الملأ حراماً ، وأمّا عند القاضي ، فإن التوبة في البيت أفضل بكثير من الإعتراف له لإجراء الحدّ . .

هذا بالإضافة إلى أن الحدود تدرأ بالشبهات . .

فالتوبة باب مفتوح لكل العصاة لكي يلجوه ، ويتخلصوا من عذاب الله في القيامة ، ومن العقاب في الدنيا ﴿ **قل يا عبادي الذين أُسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾[1] « وما كان الله ليفتح باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة »[2] و « من أعطى التوبة لم يحرم القبول »[3] ، « فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه واستفتح التوبة وأماط الحوبة »[4] .

ولهذا كله كانت التوبة أفضل من الإعتراف بالذنب ، وتلقي العقاب .

---

(١) سورة الزمر ، آية : ٥٣ .

(٢) نهج البلاغة : الحكم ، ٤٣٥ .

(٣) تذكرة الخواص : ص ٦٣٣ .

(٤) شرح نهج البلاغة : ج ٣ ، ص ٢٣ .

هكذا كان يرى الإمام عليّ ( عليه السلام ) فقد روي : « أن عليًّا أمير المؤمنين ( عليه السلام ) أتاه رجل بالكوفة فقال له :

يا أمير المؤمنين إنّي زنيت فطهّرني قال : ممن أنت ؟

قال : من مزينة .

قال : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟

قال : بلى .

قال : فاقرأ ، فقرأ فأجاد .

فقال : أبك جنّة ؟

قال : لا .

قال : فاذهب حتّى نسأل عنك فذهب الرجل ثم رجع إليه بعد فقال : يا أمير المؤمنين إنّي زنيت فطهّرني .

فقال : ألك زوجة ؟

قال : بلى .

قال : فمقيمة معك في البلد ؟

قال : نعم .

فأمره أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فذهب وقال : حتى نسأل عنك .

فبعث إلى قومه فسأل عن خبره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين صحيح العقل ، فرجع إليه الثالثة فقال له مثل مقالته .

فقال له : اذهب حتّى نسأل عنك ، فرجع إليه الرابعة ، فلمّا أقرّ قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لقنبر : احتفظ به ، ثمّ غضب ثمّ قال :

ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هـذه الفواحش فيفضـح نفسه على رؤوس الملأ : أفلا تاب في بيته ؟ فـوالله لتوبتـه فيما بينـه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحدّ ، ثم أخرجه ونادى في الناس : « يا معشر الناس أخرجوا ليقام على هذا الرجل الحد ولا يعرفنَّ أحدكم صاحبه ، فأخرجه إلى الجبَّانة فقال : يا أمير المؤمنين انظرني أصلّي ركعتين .

فصلّى ركعتين ثمّ وضعه في حفرته ، واستقبل الناس بوجهه فقال :

يا معاشر المسلمين إنَّ هذا حق من حقوق الله فمن كان لله في عنقه حقّ فلينصرف ، ولا يقيم حدود الله من في عنقه لله حدٌّ .

فانصرف الناس وبقي هو والحسن والحسين (عليهما السلام)، فأخذ حجراً فكبَّر ثلاث تكبيرات ثمّ رماه بثلاثة أحجار في كلّ حجر ثلاث تكبيرات ، ثمّ رماه الحسن مثل ما رماه أمير المؤمنين ، ثمّ رماه الحسين فمـات الرجـل ، فأخرجه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فأمر فحفر له وصلّى عليه ودفنه ، فقيل :

يا أمير المؤمنين ألا تغسّله ؟

فقال : قد اغتسل بما هـو طاهـر إلى يوم القيـامة . لقـد صبر على أمـر عظيم[1] .

* * *

وفي حادثة أخرى روي أنه بينا أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في ملأ من أصحابه إذ أتاه رجل فقال :

يا أمير المؤمنين إنّي أوقبت على غلام فطهّرني .

فقال له : يا هذا امضِ إلى منزلك لعلّ مراراً هاج بك .

---

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

فلمّا كان من غد عاد إليه فقال له :

يا أمير المؤمنين إنّي أوقبت على غلام فطهّرني .

فقال له : يا هذا امضِ إلى منزلك لعلّ مراراً هاج بك حتّى فعل ذلك ثلاثاً بعد مرّته الأولى ، فلمّا كان في الرابعة قال له :

يا هذا إنَّ رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) حكم في مثلك بثلاثة أحكام فاختر أيهنّ شئت .

قال : وما هنَّ يا أمير المؤمنين ؟

قال : ضربة بالسيف في عنقك بالغة ما بلغت ، أو دهداه من جبل مشدود اليدين والرجلين ، أو إحراق بالنار .

فقال : يا أمير المؤمنين أيّهنَّ أشدّ عليّ ؟

قال : الإحراق بالنار .

قال : فإنّي قد اخترتها يا أمير المؤمنين .

قال : فخذ لذلك أهبتك .

فقال : نعم .

فقام فصلّى ركعتين ، ثمّ جلس في تشهّده فقال : اللهمَّ إنّي قد أتيت من الذنب ما قد علمته ، وإنّني تخوّفت من ذلك فجئت إلى وصيِّ رسولك وابن عمِّ نبيِّك فسألته أن يطهّرني ، فخيَّرني بين ثلاثة أصناف من العذاب ، اللّهمَّ فإنّي قد اخترت أشدّها ، اللّهمَّ فإنّي أسألك أن تجعل ذلك كفّارة لذنوبي ، وأن لا تحرقني بنارك في آخرتي .

ثمّ قام وهو باك ، ثمّ جلس في الحفرة التي حفرها له أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وهو يرى النار تتأججّ حوله .

فبكى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وبكى أصحابه جميعاً ، فقال له أمير المؤمنين ( عليه السلام ) :

قم يا هذا فقد أبكيت ملائكة السماء وملائكة الأرض ، فإنَّ الله قد تاب عليك ، فقم لا تعاودنَّ شيئاً ممَّا قد فعلت[1] .

---

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .



# العفو عن القائل لنجاته بريئاً باعترافه

روي أنه جاؤوا الإمام عليّ ( عليه السلام ) برجل وجد في خربة بيده سكين ملطخة بالدم ، وبين يديه قتيل غارق في دمه ، فسأله أمير المؤمنين عليّ ( عليه السلام ) فقال الرجل : « أنا قتلته » .

قال : « اذهبوا به فاقتلوه » .

فلما ذهبوا به ، أقبل رجل مسرعاً ، فقال :

« يا قوم لا تعجلوا ردُّوه إلى أمير المؤمنين » فردُّوه .

فقال الرجل : « يا أمير المؤمنين : ما هذا صاحبه ، أنا قتلته » .

فقال عليٌّ للرجل الأوَّل : « ما حملك على أن قلت ، أنا قاتله ، ولم تقتله » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، وما أستطيع أن أصنع وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه ، وأنا واقف ، وفي يدي سكين ، وفيها أثر الدم ، وقد أخذت في خربة ؟ . . ألا يقبل مني وأضرب على ذلك ثم أقتل فاعترفت بما لم أصنع ، واحتسبت نفسي عند الله » !

فقال عليٌّ : « بئسما صنعت . فكيف كان حديثك ؟ » .

قال الرجل : « إني رجل قصاب ، خرجت إلى حانوتي في الغلس ، فذبحت بقرة وسلختها ، فبينما أنا أسلخها والسكين في يدي أخذني البول ، فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها ، فقضيت حاجتي ، وعدت أريد حانوتي ، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه فراعني أمره ، فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ ، فأخذوني . فقال الناس : هذا قتل هذا ما له قاتل سواه ، فأدركت أنك لا تترك قولهم لقولي ، فاعترفت بما لم أجنه » .

فسأل عليٌّ الرجل الثاني الذي أقر بالقتل : « فأنت كيف كانت قصتك ؟ » .

قال : « أغواني إبليس ، فقتلت الرجل طمعاً في ماله ، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة ، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف ، فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس ، فأخذوه وأتوك به فلما أمرت يا أمير المؤمنين بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضا ، فاعترفت بالحق » .

فقال عليّ لابنه الحسن : « ما الحكم في هذا ؟ » .

فقال الحسن : « يا أمير المؤمنين إن كان قد قتل نفساً فقد أحيا نفساً . وقد قال الله تعالى ﴿ **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ﴾ .

فأقر الإمام الحكم ، وخلى عن الرجلين ، وأخرج دية القتيل من بيت المال »[1] .

---

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

# التوسـل باللاشـعور للكشف عن الحقيقة

روي « أنّ رجلاً أقبل على عهـد علي ( عليه السـلام ) من الجبل حـاجًّا ومعه غلام له ، فأذنب فضربه مولاه ، فقال : ما أنت مولاي بل أنا مولاك .

فما زال كل واحد منهما يتواعد الآخر ويقول : كما أنت حتّى نأتي الكوفة يا عدوّ الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) .

فلمّـا أتيا الكـوفة أتيـا أمير المؤمنين ( عليـه السلام ) فقـال الذي ضـرب الغلام :

أصلحك الله إنَّ هذا غلام لي وإنَّه أذنب فضربته ، فوثب عليّ .

وقال الآخر : هو والله غلام لي أرسلني أبي معه ليعلّمني ، وإنَّه وثب عليَّ يدَّعيني ليذهب بمالي .

فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف ، وذا يكذّب هذا وذا يكذِّب هذا .

فقـال عليّ ( عليه السـلام ) : فانـطلقا فتصـادقـا في ليلتكم هـذه ، ولا تجيئاني إلاَّ بحقّ .

فلمَّا أصبح أمير المؤمنين ( عليه السـلام ) قال لقنبـر : اثقب في الحائط ثقبين ـ وكان إذا أصبح عقّب حتّى تصيـر الشمس على رمح ـ فجـاء الرجـلان

واجتمع الناس ، فقالوا : لقد وردت علينا قضيَّة ما ورد علينـا مثلها لا يخـرج منها ، فقال لهم أمير المؤمنين ( عليه السلام ) :

قوما فإنِّي لست أراكما تصدقان ، ثمّ قال لأحدهمـا : أدخل رأسـك في هذا الثقب ، وقال للآخر : أدخل رأسك في ذلك الثقب ثمّ قال : يا قنبر عليّ بسيف رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عجّل أضرب رقبة العبد منهما ، قـال : فـأخـرج الغـلام رأسـه مبـادراً ومكث الآخـر في الثقب ، فقـال عليّ ( عليه السلام ) للغلام :

ألست تزعم أنَّك لست بعبد ؟

قال : بلى ولكنَّه ضربني وتعدّى عليَّ ! .

فتوثق له ( أخذ منه المواثيق ) أمير المؤمنين ودفعه إليه[1] .

---

(١) قضاء أمير المؤمنين : ص ٧ . والجدير بالذكر أن بعض الحكام في العصور المتأخرة أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، فقد ترافع اليه في قتيل ، والتهمة موجّهة إلى جماعة ، ولم يتمكن من تشخيص القاتل من بينهم ، مع كثرة المرافعات ، وفي آخر جلسة ، صرخ فيهم جميعاً : « لقد برأتكم المحكمة فاذهبوا إلى بيوتكم » ، وفيما هم يهمون بالخروج ، صاح فيهم : القاتل يقف . فتوقف أحدهم ، وأخيراً اعترف بالحقيقة .

# التوسل بعاطفة الأمومة لمعرفة الحقيقة

روي أنّ امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادّعته كلّ واحدة منهما ولداً لها بغير بيِّنة ، ولم ينازعهما فيه غيرهما ، فالتبس الحكم في ذلك على عمر ، وفزع فيه إلى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوَّفهما فأقامتا على التّنازع والإختلاف .

فقال ( عليه السلام ) عند تماديهما في النزاع :

« إئتوني بمنشار »

فقالت المرأتان : وما تصنع ؟

فقال : أقدّه نصفين لكلّ واحدة منكما نصفه ، فسكتت إحداهما ، وقالت الأخرى :

الله الله يا أبا الحسن ، إن كان لا بدّ من ذلك فقد سمحت به لها .

فقال : الله أكبر هذا ابنك دونها ، ولو كان ابنها لرقّت عليه وأشفقت .

فاعترفت المرأة الأخرى أنّ الحقّ مع صاحبتها والولد لها دونها ، فسرّ عن عمر ودعا لأمير المؤمنين ( عليه السلام ) بما فرّج عنه في القضاء[1] .

---

(١) الإرشاد : ص ٩٦ .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تشريعات
# لأصحاب الحيوانات

لم تكن قد وضعت أية تشريعات ، أو أصول قانونية فيما يرتبط باتلاف حيوان يملكه شخص ، لحيوان آخر ، أو لممتلكات الآخرين ، وكانت الذهنية العامة تعتقد أن الحيوان ، حيوان فلا يترتب على عمله أي شيء . أفهل يعقل مثلاً حبس حيوان ، أو مقاضاته على تصرفاته ؟ .

كان الأمر كذلك ، حينما وقعت الحادثة التالية :

« كان رسول الله جالساً مع عليٌّ وجماعة من الصحابة فجاء خصمان فقال أحدهما : « يا رسول الله إن لي حماراً ، وإن لهذا بقرة ، وإن بقرته قتلت حماري » .

فقال رجل من الحاضرين : « لا ضمان على البهائم »

فقال النبي : « اقضِ بينهما يا عليّ » .

فقال عليّ لهما : « أكانا مرسلين أم مشدودين أم كان أحدهما مشدوداً والثاني مرسلاً ؟ » .

فقالا : « كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها » .

فقال عليّ : « على صاحب البقرة ضمان الحمار » ( أي تعويضه ) .

فـأقر رسـول الله ( صلى الله عليه وآلـه وسلم ) حكمه وأمضى قضـاءه . وقال : « أقضاكم عليّ »[1] .

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ٢ ، ص ٧٤ .

# أحكام صائبة وأخلاقيات رفيعة

كانت للإمام عليّ ( عليه السلام ) أحكام صائبة ، في قضايا كثيرة من الأمور المشكلة والقضايا الصعبة ، وبعضها كان في حد ذاته طريفاً .

وفي الحق ، فإن أحكام الإمام ، وقضاءه ، هو الحق الذي لا لبس فيه ، ألم يقل فيه رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور معه حيثما دار »[1] .

وإذا كان البعض يرى قضاء الإمام « اجتهاداً » في الرأي من قبله ، فهو بلا شك اجتهاد قائم على كتاب الله وسنّة نبيِّه والعقل الحصيف والأخلاق الرفيعة .

وفيما يلي نماذج من ذلك . .

١

« حين قاد خالد بن الوليد أحد جيوش الفتح كتب إلى الخليفة أبي بكر : « وجدت في بعض ضواحي العرب رجلاً يُنكح كما تُنكح المرأة فما عقابه ؟ » . . ولم يجد أبو بكر نصًّا في القرآن ولا في السنة عن جزاء هذه

---

(١) كلمة الرسول الأعظم .

الجريمة . . فجمع نفراً من الصحابة فسألهم ، وفيهم عليّ بن أبي طالب ، وكان أشدهم يومئذ قولاً . قال : « إن هذا ذنب لم تعص به أمة من قبل إلا قوم لوط ، فعُمِلَ بها ما قد علمتم فأحرقهم الله تعالى وأحرق ديارهم . أرى أن تحرقوه بالنار » .

فكتب أبو بكر إلى خالد « أحرقه بالنار »[1] .

٢

سئل الإمام عليّ ( عليه السلام ) عن فداء أسرى المسلمين الجرحى من أيدي المرتدين فقال : « نفادي من كانت جراحاته بين يديه دون من كانت من ورائه ، فإنه فار »[2] .

٣

جاء رجل إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وعليّ يومئذ باليمن فقال الرجل : « شهدت عليًّا أتى في ثلاثة نفر ادعوا ولد امرأة . فطلب عليّ من كل واحد منهم أن يدع الولد للآخر ، فأبوا جميعاً قال : أنتم شركاء مشاكسون ، وسأقرع بينكم فأيكم أصابته القرعة فهو له وعليه ثلثا الديَّة » . فضحك رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) حتى بدت نواجذه ، وقال : « ما أعلم فيها إلا ما قاله عليٌّ »[3] .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ص ٧٥ .
(٣) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ٧٤ .

٤

« جاؤوا برجل إلى عمر بن الخطاب سأله جماعة من الناس : « كيف أصبحت ؟ »

فقال : « أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصدق اليهود والنصارى ، وأومن بما لم أره ، وأقر بما لم يخلق » .

فأرسل عمر إلى عليّ ( عليه السلام ) ، فلما جاءه أخبره بمقالة الرجل .

فقال عليّ ضاحكاً : « صدق الرجل . قال الله تعالى : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ فهو يحب المال والبنين . وهو يكره الحق يعني الموت . قال تعالى ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ . ويصدق اليهود والنصارى ﴿**قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**﴾ وهو يؤمن بما لم يره أي يؤمن بالله عزّ وجل ، ويقر بما لم يخلق يعني الساعة» .

فضحك عمر وأطلق سراح الرجل !(١) .

٥

روي « أنه أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار ، وكانت تهواه فلما لم يساعدها احتالت عليه ، فأخذت بيضة فألقت صفرتها ، وصبّت البياض على ثوبها وبين فخذيها . . ثم جاءت بالشاب إلى عمر

---

(٢) المصدر السابق : ص ١١٠ .

صارخة ، فقالت : « هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي وهذا أثر فعاله » .

فسأل عمر النساء فقلن له : « إن ببدنها وثوبها أثر المني » .

فهمّ عمر بعقوبة الشاب ، فجعل الشاب يستغيث ويقول : « يا أمير المؤمنين ، تثبّت في أمري ، فوالله ما أتيت بفاحشة ، ولا هممتُ بها ، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت » . فقال عمر ( رضي الله عنه ) لعليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) : « يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما ؟ » .

فنظر عليّ ( عليه السلام ) إلى المرأة يقرأ صفحة وجهها ، ونظر إلى ما على الثوب ، ثم دعا بماء حار شديد الغليان ، فصبه على الثوب فجمد ذلك البياض ، ثم أخذه واشتمه وذاقه ، فعرف رائحة البيض وطعم البيض ، وزجر المرأة فاعترفت ! فأطلق الشاب البريء ، وأقيم عليها حدّ القذف[1] . .

سئل أمير المؤمنين عن رجلٍ ضرب رجلاً على هامته ، فادعى المضروب أنه لا يبصر شيئاً ، ولا يشم رائحة ، وأنه قد ذهب لسانه . .

فقال الإمام : « إن صدق فله ثلاث ديّات » .

فقيل له : « وكيف نعلم صدقه ، يا أمير المؤمنين ؟ » .

فقال : « أمّا ما ادَّعاه أنه لا يشم رائحة ، فإنه يُدني منه الحراق ، فإن كان كما يقول فلن يفعل شيئاً ، وإلاّ ينحّي رأسه وتدمع عيناه . وأمّا ما ادَّعاه في عينه ، فإنه يقابل بعينيه الشمس ، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينيه ، وإن كان صادقاً بقيتا مفتوحتين . وأمّا ما ادّعاه في لسانه ، فإنه يضرب على لسانه بإبرة فإن خرج الدّم أحمر فقد كذب ، وإن خرج الدم أسود فقد صدق[2] .

---

(١) فروع الكافي : ج ٧ ، ص ٤٢٢ .
(٢) الوسائل : ج ١٩ ، ص ٢٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## ٧

جاء رجلان إلى امرأة من قريش ، فاستودعاها مائة دينار وقالا : « لا تدفعيها إلى واحد منّا ، دون صاحبه حتى نجتمع » .

فلبثا عاماً ثم جاء أحدهما إليها، وقال: « إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير » ، فأبت المرأة . فثقل الرجل بأهلها ، فلم يزالوا بها حتى دفعتها اليه .

ثم لبث عام آخر ، فجاء الرجل الثاني ، وقال لها : « ادفعي إليّ الدنانير ! » .

فقالت : « إن صاحبك جاءني، وزعم أنك قد متّ ، فدفعتها إليه »

فاختصما إلى عمر بن الخطاب ، فأراد أن يقضي عليها بالضمان فقد قال لها : « ما أراك إلا ضامنة » .

فقالت : « أنشدك الله أن لا تقضي بيننا ، وارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب ، فرفعهما إلى عليّ ( عليه السلام ) فعرف الإمام أنهما قد مكرا بها .

فقال للرجل : « اليس قلتما ، لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه ؟ »

قال الرجل : « بلى ، فلم دفعتها إلى صاحبي ؟ » .

فقال الإمام : « إن مالك عندنا ، فاذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعه لكما » .

فبلغ قضاء الإمام إلى عمر فقال : لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن[1] .

---

(١) ذخائر العقبى : ص ٨٠ .

## ٨

روي : « أن رجلين اصطحبا في سفر ، فلما أرادا الغداء ، أخرج أحدهما من زاده خمسة أرغفة ، وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة ، فمرّ بهما عابر سبيل ، فدعوه إلى طعامهما . فأكل الرَّجل معهما حتى لم يبق شيء ، فلمَّا فرغوا ، أعطاهما الضيف ثمانية دراهم ، ثواب ما أكله من طعامهما .

فقال صاحب الثلاثة أرغفة لصاحبه : « اقسمها نصفين بيني وبينك » .

وقال صاحب الخمسة : « لا . بل يأخذ كل منًّا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد » .

فأتيا أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في ذلك ، فلمَّا سمع مقالتهما قال لهما : « اصطلحا ، فإنّ قضيّتكما دنيّة . فقالا : بل اقضّ بيننا بالحق .

فقضى الإمام لصاحب الخمسة أرغفة بسبعة دراهم ، بينما قضى لصاحب الثلاثة أرغفة بدرهم واحد ! ولما سألاه عن السبب في هذا الحكم قال ( عليه السلام ) :

« أليس أخرج أحدكما من زاده خمسة أرغفة ، وأخرج الآخر ثلاثة ؟

قالا : « نعم » .

قال ( عليه السلام ) : « أليس أكل ضيفكما معكما ، مثل ما أكلتما ؟ » ، قالا : « نعم » .

قال ( عليه السلام ) : « أليس أكل كل واحد منكما ثلاثة أرغفة غير ثلث ؟ » ، قالا : « نعم » .

قال ( عليه السلام ) : « أليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثة ، ثلاثة أرغفة

إلاَّ ثلثاً ، وأكلت أنت يا صاحب الخمسة ، ثلاثة أرغفة إلاَّ ثلثاً ، وأكل الضيف مثلكما ، ثلاثة أرغفة إلاَّ ثلثاً ؟ أليس قد بقي لك يا صاحب الثلاثة أرغفة ، ثلث رغيف من زادك ، وبقي لك يا صاحب الخمسة ، رغيفان وثلث ، وأكلت ثلاثة أرغفة إلا ثلثاً . فاعطاكما لكل ثلث رغيف درهماً ، فأعطى صاحب « الرغيفين وثلث » سبعة دراهم ، وأعطى صاحب الثلاثة أرغفة ، وحصته مما أكل منه الثلث : درهماً واحداً[1] .

٩

جاءت امرأة إلى الإمام فقالت : « إن زوجي وقع على جاريتي بغير أمري » .

فقال للرجل : « ما تقول ؟ » .

قال : « ما وقعت عليها إلا بأمرها » .

فقال علي : « إن كنت صادقة رجمته، وإن كنت كاذبة جلدتك حد القذف » . ( ثمانين جلدة ) ! . .

وأقيمت الصلاة ، فقام عليّ (كرَّم الله وجهه) ليصلي .

وفكرت المرأة ، فلم تر لها فَرَجاً في أن يُرْجَمَ زوجها ، ولا في أن تجلد ، فولَّت هاربة ، ولم يسأل عليّ عنها ![2] . .

١٠

يروى أن عليًّا ( عليه السلام ) كان في مجلس يعلم الناس بالمسجد ، إذ

---

(١) أئمتنا : ص ٧٥ .
(٢) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ١٠٨ .

سمع ضجة ، فلما سأل عنها قيل له : « رجل سرق ومعه من يشهد عليه » .

فشهد شاهدان عليه أنه سرق ، فجعل الرجل يبكي ، ويناشد عليًّا أن يتثبت في أمره .

فخرج الإمام إلى الناس بالسوق ، فدعا بالشاهدين ، فناشدهما الله وخوفهما ، فأقاما على شهادتهما ، فلما رآهما لا يرجعان دعا بالسكين وقال : « ليمسك أحدكما يده ويقطع الآخر » . فتقدما ليقطعاه ، فهاج الناس ، واختلط بعضهم ببعض .

وقام عليّ من مكانه ، فترك الشاهدان الرجل ، وهربا .

وعاد عليّ فقال : « من يدلّني على الشاهدين الكاذبين ؟ » فلم يعثر الناس لهما على أثر .

وقد قال عليّ : « يبدأ الشهود بالرجم إذا شهدوا بالزنا ، فإن كانوا كاذبين ، لم يستطيعوا أن يرجموا »[1] .

١١

كان عمر يتمشى في الأسواق والأزقة ذات ليلة ، فسمع امرأة تتوجع في فراشها مهمهمة :

| | |
|---|---|
| لقد طال هذا الليل وازور جانبه | وليس إلى جنبي خليل ألاعبه |
| فوالله لولا الله تُخشى عواقبه | لزلزل من هذا السرير جوانبه |
| مخافة ربي والحياء يُعفني | وإكرام بعليّ أن تنال مراتبه |

وتألم عمر مما سمع !!

فلما أصبح الصباح ، حكى لعلي ما سمعه ، فلم يجد عليّ فيما قالته

---

(١) المصدر السابق : ص ١٠٩ .

المرأة ما يستوجب العقاب ، وإن كان فيه ما يعاب !

ورأى عمر أن يرسل إلى المرأة فيسألها عما سمعه البارحة . . فأشار عليّ بأن يسأل عنها ، قبل أن يروعها بسؤالها عن همهمتها .

فسأل عنها فقالوا : « هي امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر » . فسأل بعض نساء بيته عن أقصى ما تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها من غير عنت أو تكلف ، فقلن له : « أربعة أشهر » .

فأمر ألا يغيب الرجل عن زوجته أكثر من أربعة أشهر . .[1] .

١٢

ورفعت إلى عمر قضية امرأة ولدت لستة أشهر ، فأمر برجمها فجاءت أختها إلى عليّ تستصرخه . فذهب إلى عمر وقال : « إن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ . فالفصال أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر ، تلك ثلاثون شهراً » .

فخلى عمر سبيلها وقال : « أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن »[2] .

١٣

وبلغ عمر بن الخطاب أن امرأة بغية يدخل عليها الرجال ، فبعث إليها رسولاً فأتاها الرسول فقال لها : « أجيبي أمير المؤمنين » . ففزعت المرأة فزعاً

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ١٢٢ .
(٢) قضاء أمير المؤمنين .

شديداً ، فأجهضها الفـزع ، وأسقطت حملهـا ميتاً ، فحـزن عمر وأرسـل إلى بعض الصحابة ، فقصّ عليهم ما كان من أمره وأمر المـرأة فقالـوا : « ما نـرى عليـك شيئاً يـا أمير المؤمنين ، إنمـا أنت معلم ومؤدب » . فسأل عليًّـا ، فقال عليّ : « إن كانوا قاربوك في الهوى فقد أثموا ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا . وأرى عليك الدية » . فقال عمر : « صدقت يا أبا الحسن » .

ثم عاد يكرر : « والله لولا عليّ لهلك عمر . أعوذ بالله من معضلة لا عليّ لها »[1] .

## ١٤

وجاؤوا عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور ، فأمر بـرجمها ، فقـال له علي : « هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها ؟ » فـأطلقها عمـر حتى تضع حملها .

وجاؤوا عمر بامرأة أجهدها العطش ، فمرت على راع فاستسقته فأبى إلا أن تمكنـه من نفسها ، ففعلت فشـاور الناس في رجمهـا فقـال عليّ : « هـذه مضـطرة ، فخل سبيلهـا » . وأشار بـرجم الـرّاعي وحـده . وأخـذ عمـر بهـذا الرأي[2] .

## ١٥

استشار عمر علياً في رجل وامرأة مرّ بهما عمر في دجى الليـل ، فوجـد بينهما ما بين الرجل وزوجته ، وفي الصباح علم أنهما ليسا زوجين ، فأمر بـأن يحدا .

---

(١) عليّ إمام المتّقين : ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٠٤ .

ولكن علياً ( عليه السلام ) قال له : « أجئت عليهما بأربعة شهداء » .

فقال عمر أنه هو الذي شهدهما وحده ، فأفتاه عليّ ( عليه السلام ) بأنه لا يحق له أن يحكم بعلمه هو وحده . فعسى أن يكون قد شبه له ، أو أخطأ ، فلا بد من الشهداء كما نصّ القرآن وجرت السُنَّة [1] .

١٦

روي « أن عمر استشار عدداً من الصحابة في امرأة قد زنت ، وشهد عليها أربعة شهداء عدول ، فأجمعوا على رجمها ، فلما ذهبوا ليرجموها ، مرّ بهم الإمام عليّ ( عليه السلام ) فقال : « ما شأن هذه ؟ » . قالوا : « مجنونة بني فلان زنت فأمر بها أن ترجم » .

فانتزعها عليّ من أيديهم ، وردّهم ، فرجعوا إلى عمر ، فقال : « ما ردّكم ؟ » . قالوا : « ردّنا عليّ » .

فقال عمر : « ما فعل أبو الحسن هذا إلا لشيء قد علمه » .

فجاء عليّ شبه غاضب ، فسأله عمر : « ما بالك قد رددت هؤلاء ؟ » . فقال عليّ : « أما سمعت قول رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) رفع القلم عن ثلاث : عن المجنون حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبيّ حتى يعقل ؟ » .

قال عمر : « بلى » .

فقال الامام : « فهذه مبتلاة ( مجنونة ) بني فلان ، فلعله أتاها الرجل وهو ( الجنون ) بها » .

---

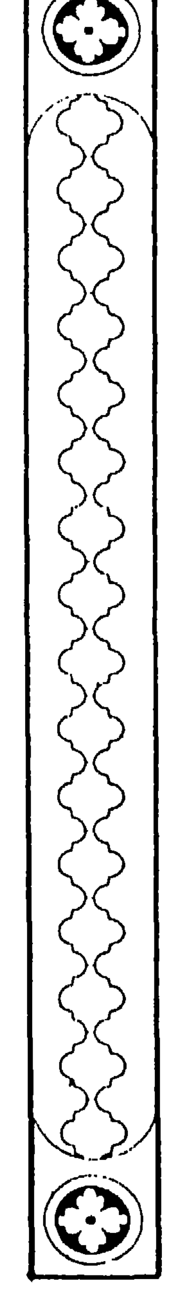
(١) المصدر السابق : ص ١٠٢ .

قال عمر : « لا أدري » .

فقال الإمام : « وأنا لا أدري » !

فترك رجمها للشك في عقلها حين الزنا[1] .

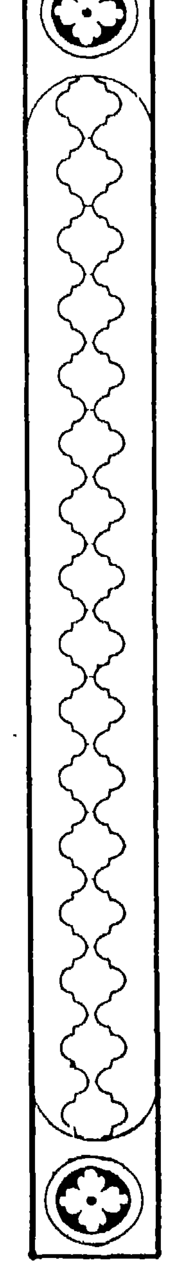
(١) عبقرية الإمام عليّ ( عليه السلام ) : ص ١٧١ .





# وثائق هامة







# قالوا في الامام..



# قال الله تعالى عنه

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[1] .

وقال في حديث قدسي : « أن علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي الزمتها المتقين ، من أحبّه احبّني ، ومن أطاعه أطاعني »[2] .

« علي بابي الذي أوتى منه ، وبيتي الذي من دخله كان آمناً من ناري ، وحصني الذي من لجأ إليه حصّنته من مكروه الدنيا[3].

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٢) كلمة الله ص١١٠ .

(٣) المصدر ص١١١ .



# قال فيه رسول الله

قال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « علي مع الحق ، والحق مع علي يدور حيثما دار »[١] .

« علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة »[٢] .

« علي عتبة علمي[٣] . أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب »[٤] .

« أنا وعلي من شجرة واحدة ، وسائر الناس من أشجار شتى[٥] . ان علياً مني وأنا منه[٦] لحمه من لحمي ودمه من دمي »[٧] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ج٢ ص٢٩٧ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، ج٣ ص١٢٤ .
(٣) كنز العمال ، خ ٣٢٩١١ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، ج٢ -خ ٩٨٣ .
(٥) كنز العمال ، خ ٣٢٩٤٣ .
(٦) سنن ابن ماجة ، ج١ ص٤٤ .
(٧) كنز العمال ، خ ٣٢٩٣٦ .

« علي مني بمنزلة هارون من موسى »[1] .

« من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى بن عمران في بطشه ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب »[2] .

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه » [3] .

« كفي وكف علي في العدل سواء » [4] .

« ذكر عليّ عبادة[5] و« من لم يقل علي خير الناس فقد كفر »[6] .

وقال ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) لعلي ( عليه السلام ) : « يا علي . . أنت سيد في الدنيا ، وسيد في الآخرة : حبيبك حبيبي ، وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوّي ، وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك ، وكذب عليك »[7] .

وقال : « أيها الناس : علي بن أبي طالب كنز الله ، من أحبّه وتولاه ، فقد أوفى بما عاهد عليه ، وأدى ما وجب عليه ، ومن عاداه جاء يوم القيامة أعمى وأصمّ لا حجة له عند الله » [8] .

« ألا ان علياً خيرة الله ومختاره . ألا إنه وليّ الله في أرضه وامينه في

---

(١) صحيح البخاري ، ج٢ ص٣٠٠ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، ج٢ ص٢٨٠ .
(٣) الدرّ المنثور ، ص١٨٢ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، ج٢ ص٤٣٩ .
(٥) المصدر ، ج٢ ص٤٠٨ .
(٦) المصدر ، ج٢ ص٤٤٤ .
(٧) مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٢٧ .
(٨) ناسخ التواريخ ، ج٣ من آخر خطبة خطبها رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) .

سرّه . ألا إنه الناصر لدين الله »[1] .

يـا علي . . لولا أن أخـاف أن تقول فيـك طائفـة من أمتّي، مـا قـالتـه النصارى في عيسى بن مريم ، لقلت فيك ، كلمة لا تمـرّ بها على مـلأ ، إلا واخذوا من تراب نعليك ، ومن طهورك ما يستشفون به ، ولكن حسبك أنك مني وأنا منك ، وأنت أخي وصاحبي »[2] .

«يا علي . . لا يحبك إلاّ مؤمن ، ولا يبغضك إلاّ منافق »[3] .

« حب علي يأكل الذنوب ، كما تأكل النار الحطب »[4] .

« عنوان صحيفة المؤمن : حب علي بن أبي طالب »[5] .

« علي إمـام البررة ، وقـاتل الفجـرة ، منصور من نصـره ، مخذول من خذله »[6] .

« علي بـاب فتحـه الله من دخله كـان مؤمنـاً ، ومن خـرج منـه كـان كافراً »[7] .

« أقضاكم علي . أعلمكم علي . أعدلكم علي . أفضلكم علي »[8] .

« أنا وعلي أبوا هذه الأمة »[9]

---

(١) كلمة الرسول الأعظم ص٧١ .
(٢) أعيان الشيعة ، ج٢ ص٢٠٦ .
(٣) كنز العمال ، خ ٣٢٨٧٨/ خ ٣٢٨٨٣ .
(٤) كنز العمال خ ٣٣٠٢١ .
(٥) كنز العمال ، خ ٣٢٩٠٠ .
(٦) كنز العمال ، خ ٣٢٩٠٩ .
(٧) الغدير ، للأميني .
(٨) المصدر .
(٩) المصدر .



# قال علي عليه السلام عن نفسه

قال علي ( عليه السلام ) عن نفسه : « أنا كاب الدنيا لوجهها ، وقادرها بقدرها ، ورادّها على عقبها[1] . أنا الذي أهنت الدنيا »[2] .

« اني لأرفع نفسي أن تكون حاجة لا يسعها جودي ، أو جهل لا يسعه حلمي ، أو ذنب لا يسعه عفوي ، يكون زمان أطول من زماني »[3] .

« إني لم أفرّ من الزحف قط ، ولم يبارزني أحد إلّا سقيت الأرض من دمه »[4] .

أنا وضعت في الصفر بكلاكل العرب ، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر ، وقد علمتم موضعي من رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشين ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبةً في قول ولا خطلة في فعل ، ولقد كنت أتبعه اتباع

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ج٨ ص١٢٥ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج٣ ص٢٠٢ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٤) نور الثقلين ، ج٢ ص١٣٩ .

الفصيل اثر امّه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وخديجة ، وأنا ثالثهما . أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة » .

« وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم . سيماهم سيما الصّديقين ، وكلامهم كلام الأبرار : عمّار الليل ومنار النهار ، متمسكون بحبل القرآن يحبون سنن الله وسنن رسوله . لا يستكبرون ولا يعلون ، ولا يغلّون ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان ، وأجسادهم في العمل »[1] .

« أنا قد ركزت فيكم راية الإيمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافية من عدلي ، وفرشْتكم المعروف من قولي وفعلي ، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي »[2] .

« اني لَلمُحق الذي يُتّبع ، وان الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته ، فلقد كنّا مع رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) وأن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات ، فما نزداد على كل مصيبةٍ وشدة ، إلّا إيماناً ومضياً على الحق ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مضض الجراح »[3] .

« ولقد كنا مع رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ، ومضياً على اللقّم ، وصبراً على مضض الألم ، وجداً في جهاد العدّو . ولقد كان الرّجل منّا ، والآخر من عدّونا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما: أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرةً لنا من عدّونا ، ومرةً لعدّونا منّا ، فلما رأى الله

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٥٢ .
(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٧٨ .
(٣) الاحتجاج ، ج١ ص٢٧٤ .

صدقنا ، انزل بعدّونا الكبت ، ۏأنزل علينا النصر ، حتى استقّر الإسلام ملقيـاً جِرانه ، ومتبوّئاً أوطانه »[1] .

(١) كتاب صفّين ، ص٥٢٠ .



# قال في معاصروه

قال صعصعة بن صوحان : « كان فينا كأحدنا ، لين جانب وشدّة تواضع وسهولة قياد ، وكنّا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة ، قال قيس : نعم نعم كان رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) يمزح ويبسم إلى أصحابه وأراك تسرُّ حسواً في ارتغاء رفعه ، وتعيبه بذلك ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، ليس كما يهابك طغام أهل الشام ، وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيّه وأوليائه إلى الآن ، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك »[1] .

قالت عائشة : « قال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) « خير إخوتي علي ، وخير أعمامي حمزة » .

وقالت : « كانت فاطمة أحب الناس إلى الرسول وزوجها علي أحب الرجال »[2] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ج١ ص٢١٥ .

(٢) علي إمام المتقين ، ج٢ ص٦٦ .

قال ابن عباس : « لعلي أربع خصال ليست وحد غيره : هو أول عربي وعجمي صلّى مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وهو الذي كان لواء الرسول إليه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره . وهو الذي غسله وأدخله قبره » . .

*

أما حسن البصري فقد سأله رجل عن علي بن أبي طالب فقال : « كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، وكان ربّانِيّ هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) . أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض مونقة . ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا لكع ! .

وفي الحق أنه شهد منذ صباه نزول آيات القرآن الكريم ، منذ كان في حِجْر النبوة ، وتَفَقّه في أسباب النزول ، والتفسير ، وعايش أغلب السنة الشريفة عملاً وقولاً فتفقه فيها جميعاً . . حتى لقد صح ما قاله فيه الرسول : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأته من بابه » .

*

وقال الإمام أحمد بن حنبل : « لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي من مناقب . فمناقبه كثيرة » .

وزاد غيره : « وسبب ذلك بغض بني أمية له ، فكان كل من عنده علم عن شيء من مناقبه من الصحابة يثبته . وكلما أراد بنو أمية إخماده ، وهددوا من حدث بمناقبه لا يزداد إلا انتشاراً »[1] .

---

(١) علي إمام المتقين ، ج١ ص٢٤ .

# قال فيه العلماء والمفكرون

قال الزمخشري : « في علي ( عليه السلام ) ثماني عشرة خاصة نوجز ستة عشر منها فيما يلي . .

**الخاصة الأولى** : أنه أول من أسلم وأول من يدخل الجنة في هذه الأمة ، وقال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) « يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي » .

**الخاصة الثانية** : إنه المتخلف على الودائع من قبل رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) في وقت الهجرة .

وبقي بمكة ثلاث ليال بأيامها حتى رد ما كان عند الرسول من ودائع لأصحابها . .

ثم خلفه الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) على العيال والنساء بالمدينة في وقت الخروج إلى غزوة تبوك حتى بكى ـ رضي الله عنه ـ قال: «يا رسول الله إن قريشاً تقول إن رسول الله قد استقله فتركه » .

فقال النبي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

**الخاصة الثالثة** : أن النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) لما آخى بين المهاجرين والأنصار جعل علياً آخا نفسه الكريمة ، وقال له « أنت أخي وصاحبي في الدنيا والآخرة » .

**الخاصية الرابعة** : أنه الممدوح بالسيادة لِما روي : أن النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) قال لفاطمة رضي الله عنها : « زوجك سيد في الدنيا والآخرة » .

**الخاصية الخامسة** : إنه ولي الله وولي رسوله ، وولي المؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ ( المائدة آية ٥٥ ) .

نزلت هذه الآية الكريمة في حق علي حين كان يصلي في المسجد وهو راكع ، قام سائل يسأل ، فمد علي يده إلى خلفه وأومأ إلى السائل بخاتمه ، فأخذه من أصبعه .

وقد قال الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

وهذا الحديث الشريف في مسند الإمام أحمد بن حنبل .

وفيه روايات مختلفة منها أن الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) قال للناس يوم غدير خم ( وخم اسم الغدير ) قال : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وزاد أحد رواة الحديث : « وانصر من نصره واخذل من خذله » .

**الخاصة السادسة** : أنه أقضى الصحابة . لقول الرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلّم ) : « أقضاكم علي » .

**الخاصة السابعة** : أنه محبوب المؤمنين ومبغوض المنافقين .

قال له النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » ( وهذا الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، وأخرجه كثير غيره مع اختلاف في الألفاظ ) .

**الخاصة الثامنة** : أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) انقطع عن أصحابه لأجل عليّ ، فنادى الناس بعضهم بعضاً : « أفيكم رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ؟ » . حتى جاء الرسول ومعه علي بن أبي طالب ، فقالوا : « يا رسول الله فقدناك » . فقال : « إن أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه فتخلفنا عليه » . .

**الخاصة التاسعة** : أنه باب مدينة العلم كما جاء في الحديث الشريف : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها » ( الحديث ) .

**الخاصة العاشرة** : أنه ذو الأذن الواعية .

روي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ ( سورة الحاقة مكية ، آية : ١٢ ) ، قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « سألت الله ـ عزَّ وجلّ ـ أن يجعلها أذنك يا علي » .

قال عليّ : « فما نسيت شيئاً بعد ذلك وما كان لي أن أنسى » .

وشرح الزمخشري عبارة « أذن واعية » في تفسيره المعروف باسم « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » : « أذن واعية من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل . وكل ما حفظته من نفسك فقد وعيته وما حفظته من غير نفسك فقد أوعيته » .

أي أن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) دعا له بالتفوق في الفهم والوعي والعمل . وهذا ما لم يدع به لغيره بل اختصه به هو وحده .

ونلاحظ أن الزمخشري لم ينفرد بهذا التفسير فقد جاء في تفسير ابن كثير

أن رسـول الله ( صلى الله عليه وآلـه وسلم ) قال لمـا نزلت عليـه هذه الآيـة : « سـألت ربّي أن يجعلهـا أذن عليّ » . فكـان عليّ يقـول : « مـا سمعت من رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) شيئاً قط فنسيته » ، وفي تفسير ابن جرير أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قال لعلي : « إني أمـرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك ، وأن تعي ، وحق لك أن تعي » . فنزلت هذه الآية .

**الخاصة الحادية عشرة** : أنه جمع ثلاث مفاخر لم تُجْمَـع لأحد سـواه ، لما رُوِيَ أن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قال له : « يا علي ! أُعطيتَ ثلاثاً لم يُعْطها أحد غيرك : صهراً مثلي ، وزوجة مثـل فاطمـة ، وولدين مثـل الحسن والحسين » .

**الخاصة الثانية عشرة** : أنه صعد على منكبي رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم)، لِمَا روي عن عليّ كرم الله وجهه في قصة قمع الأصنام .

قال : « انطلق رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إلى الكعبة فقـال لي : « اجلس » فجلست ، فصعد على منكبي .

فقال لي : « انهض » ، فنهضت ، فعرف ضعفي تحته .

قال لي : « اجلس » فجلست .

ثـم نهض بي رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فخيل إلي أنني لـو شئت نلت أفق السماء ، فصعدت إلى الكعبة .

وتَنَحّى رسـول الله ( صلى الله عليه وآلـه وسلم ) وقـال : « ألق صنمهم الأكبر ، صنم قريش » .

وكـان من نحـاس مُـوَتَّـدٍ بـأوْتـاد من حـديـد في الأرض . فقـال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « عالجه » .

فجعلت أعالجه ، حتى استمكنت منه فقال : « اقذفه » ، فقذفته حتى انكسر .

ونزلت من فوق الكعبة ، وانطلقت أنا والنبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) نسعى ، وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم » .

**الخاصة الثالثة عشرة** : أنه حاز سهم جبريل ( عليه السلام ) ، من غنائمِ تبُوك .

روي أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لما غزا تبوك ، استخلف علياً على المدينة .

فلما نصر الله رسوله وغنم المسلمون أموال المشركين ورقابهم ، جلس رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، وجعل يقسم السهام على المسلمين سهماً سهماً .

ودفع إلى عليّ بن أبي طالب سهمين .

فقام أحد الصحابة يسأل : « يا رسول الله ! أَوَحْيٌ نزل من السماء أم أمر من نفسك » ؟

فقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « أنشدكم الله ! هل رأيتم في رأس ميمنتكم صاحب الفرس الأغرّ المحَجّل والعمامة الخضراء ، لها ذؤابتان مرخاتان على كتفيه ، بيده حربة ، قد حمل على الميمنة فأزالها ، وحمل على الميسرة فأزالها ، وحمل على القلب فأزاله » ؟

قالوا : « نعم لقد رأينا ذلك » .

قال : « هو جبريل ، وإنه أمرني أن أدفع بسهمه لعلي » .

**الخاصة الرابعة عشرة** : أن النظر إلى وجهه عبادة ، لما روت

عائشة ( رضي الله عنها ) قالت : « رأيت أبي يديم النظر إلى وجه علي ( رضي الله عنهما ) فسألته عن ذلك ، فقال : « ما يمنعني من ذلك ورسول الله يقول : « النظر إلى وجه علي عبادة » ؟

**الخاصة الخامسة عشرة** : أنه أحبُّ الخلق إلى الله بعد رسوله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لما روى أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال : « أهدي إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فرخان مشويان ، فقال : « اللهم سق أحبّ خلقك إليك ، ليأكل معي » .

قال أنس : « وكنت على الباب فجاء رجل فرددته ، رجاء أن يجيء رجل من الأنصار .

ثم جاء عليّ رضي الله عنه فأذنت له ، فقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « لتأكل يا عليّ ، فأنت أحب خلق الله إليه ، فقد دعوت الله تعالى أن يسوق أحبّ خلقه إليه » . ( أخرجه عدد من أهل الثقة من رواة الأحاديث مع اختلاف في الألفاظ ) .

**الخاصة السادسة عشرة** : أن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) سماه يعسوب المؤمنين . . واليعسوب أمير النحل الذي تنقاد اليه ويقوم بمصالحها ، ويرجع إليه في أمورها .

(١) ربيع الأبرار : ( الباب الأول ) .

# قال فيه المتأخرون

قال عنه ( عليه السلام ) ميخائيل نعيمة : « إن بطولات الإمام عليّ ، ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب . فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته ، وطهارة وجدانه ، وسحر بيانه ، وعمق انسانيته وحرارة إيمانه ، وسمّو دعته ، ونصرته للمظلوم والمحروم ، وتعبده للحق أينما تجلّى له الحق ، وهذه البطولات ـ ومهما تقادم بها العهد ـ لا تزال مقلعاً غنياً نعود إليه اليوم ، وفي كل يوم ، كلما اشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة فاضلة » .

« وإنه يستحيل على أي مؤرخ أو كاتب ، مهما بلغ من الفطنة والعبقرية ، أن يأتيك حتى في ألف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الإمام عليّ ، ولحقبة حافلة بالأحداث الجسام التي عاشها . فالذي فكرّه وتأمّله وقاله وعمله ذلك العملاق بينه وبين نفسه وربّه لمما لم تسمعه أذن ولم تبصره عين ، وهو أكثر بكثير مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه ، وإذ ذاك فكل صورة نرسمها له هي صورة ناقصة لا محالة »[1]

* * *

(١) عليّ وحقوق الانسان : ص ٢٠ ـ ٢١ .

وقال عنه « شبلي الشميل » : « الامام علي بن أبي طالب عظيم العظماء لنسخة مفردة لم يـر لها الشـرق ولا الغرب صـورة طبق الأصل لا قـديمـاً ولا حديثاً »[1] .

قال فيه الكاتب المسيحي سليمان كتانى :

قلَّة أولئك الرجال الذين هم على نسج عليّ بن أبي طالب . . تنهد بهم الحياة ، موزَّعين على مفارق الأجيال كالمصابيح ، تمتص حشاشـاتها لتفتيهـا هدياً على مسالك العابرين .

وهم ، على قلَّتهم ، كالأعمدة ، تنفـرج فيما بينهـا فسحات الهيـاكل ، وترسو على كواهلها أثقال المداميك ، لتومض من فوق مشارفها قبب المنائر .

وإنَّهم في كل ذلك كالرَّواسي ، تتقبل هوجَ الأعـاصير وزمجـرة السّحب لتعكسها من مصافيها على السفوح خيران رقيقة رفيقة عذبة المدافق .

هؤلاء هم في كل آنٍ وزمان ، في دنيا الإنسان ، أقطابه وروّاده .

إنَّهم في حقول البحث والتنقيب مرامي حدوده ، وفي كل خط ضارب في مهمَّة الوجود أقاصي مجالاته ، وأنَّهم له على كلِّ المفارق إشارات ترد سبله عن جوامحها ، وفي كلِّ تيه ضوابط تلملـم عن الشطط شوارده ، وهـم له في دجيـة الليل قبلة من فجر ، وفوق كلاحة الرَّمس لملمة من عزاء .

من بين هؤلاء القلصة يبرز وجه علي بن أبي طالب في هالة من رسالة وفي ظلّ من نبوَّة ، فاضتا عليه انسجاماً واكتمالاً كما احتواهما لوناً وإطاراً .

وهكذا توفرت السائحة لتحلق في أكلح ليل طالب دحسة على عصر من عصور الانسان فيه من الجهل والظلم والحيف ما يضم ويذل . . رجلاً تزاحمت

---

(١) المصدر : ص ٣٥ .

فيه وفرة كريمة من المواهب والمزايا ، لا يمكن أن يستوعبها إنسان دون أن تقذف به إلى مصافّ العباقرة[1] .

وقال :

من ذلك المعدن الطيِّب كفكفت شخصيَّة الإمام مستكملة كلَّ مقوّماتها . . شخصيَّة برز العقل فيها السيِّد المطلق ، فإذا هي منه كما هي الديمة من الغمام ، تستمطره فينهمر بها انسجاماً بانسجام .

وهكذا بسط عليها لواء كما أسلست له قيادها ، فامتصته وامتصها ، قوة بقوة ، ولوناً بلون . .

حتى لكأنَّ الهيكل المتين كحبيكة الفولاذ ، ما استجمعت أوصاله إلا ليكون قاعدة جبَّارة لقائد جبَّار . .

فإذا السيف في كفه وامض بكر ، له حدَّان متساندان :

حدّ على التّرس وحد على القرطاس ، في حلبة أبداً بيضاء ذات وجهين :

وجه على الجهاد ووجه على السداد . .

ازدواجيَّة في البطولات ، لملمها التوحيد فانساقت إلى المضمار كانسياق الجوارف تلاحمت إليها الجداول .

وجداول من المواهب تلبَّست المزايا والصفات كما تتلبس الأفانين أوراق الربيع ، وتضافرت في تساجمها وتناسقها كحبال الشّمس ، وحدها المصدر وكالمصهر ، تتذاوب فيه المعادن .

هكذا انصهرت في هذه الشخصيَّة مجموعة المواهب ومجموعة الصفات

---

(١) الإمام عليّ نبراس وقداس : ص ٥١ ـ ٥٢ .

ومجموعة المزايا ، قيمـة بقيمة ، ووزنـاً بوزن ، ومقـداراً بمقدار . . فـإذا هي يتزاوج بعضها من بعض كما تتزاوج الألوان في لوحة رسام . . وإذا المعطيات كالفيض ، تجري كأنَّها في سباق ، وتتساند كأنَّها أنداد .

فالعفة والصدق ريشتان ناعمتان كان لهما من القوة لديه ما كان لهما منها في زنديه : التِّرس والفرند ، والزهد والجود . . جناحان رهيفان أفاء عليهما من ظلّه ، فإذا هما بعين المدى يتباعدان ثم لديه يلتقيان . . فإذا الزهد بالدنيا جود بها ، وإذا الجود بالزهد اكتماله .

والتقوى والإيمان شعوران صميمان ومنبعـان صافيـان ، غارا في جنـاحه واندفقا على لسانه ، فـإذا هما بـه على نصب الكعبة حسـام ، ومن ورعه قبلة للإسلام .

والحق والعـدالة صفتـان متلازمتـان ، وقـلادتـان فـريـدتـان ، وحجّتـان لامعتان . . وشم بهما وجدانه ، وحلى بهما بيانه ، وسنّ عليهما سنانه . . فإذا القيم بين الحق والعدل تتلمس في معتقده تراثها .

والحب والإخلاص حبلان وثيقان ، ودفقتان سنيّتـان ، ترابط بهمـا فؤاده ولسانه . . فإذا الأرض ، بجماعاتها ، تنشد الدفـء لتمرع .

والحزم والعزم نتيجتان منبثقان من صلابتين متكاتفتين : القوة والإرادة .

كأنَّ لهما من عينية انعكاس على ساعديه وثورة في منهجيه ، فإذا الدِّين والـدُّنيا في نـاظريـه قالبـان يستكملان وحـدة الوجـود من حدَّيـه من كـل تلك المقادير .

مواهب وصفات شربت شخصية عليّ بن أبي طالب ، فإذا هي في وجود الإنسان دعامة تتشبَّث بها قيمة الإنسان[١] .

---

(١) الإمام عليّ نبراس وقدّاس : ص ٧٧ ـ ٧٨ .

قال عنه الكاتب المسيحي بولس سلامة :

ورُبَّ معترض قال : ما بال هذا المسيحي يتصدى لملحمة إسلامية بحتة ؟ أجل انني مسيحي ولكن التاريخ مشاع للعالمين .

أجل إني مسيحي ينظر من افق رحب لا من كوة ضيقة ، فيرى في غاندي الوثني قديساً ، مسيحي يرى ( الخلق كلهم عيال الله ) ويرى أن ( لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ) .

مسيحي ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمساً كل يوم . رجل ليس في مواليد حواء أعظم منه شأناً ، وأبعد أثراً ، وأخلد ذكراً . رجل أطلَّ من غياهب الجاهلية فأطلت معه دنيا أظلها بلواء مجيد ، كُتب عليه بأحرف من نور : لا إله إلا الله ! الله أكبر !

قد يقول قائل ، ولِمَ آثرت علياً دون سواه من أصحاب محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بهذه الملحمة ؟ ولا أجيب على هذا السؤال إلاَّ بكلمات فالملحمة كلها جواب عليه ، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون : (رضي الله عنه ، وكرّم وجهه ، وعليه السلام ) ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه ، ويتمثّل به الزهّاد في الصوامع فيزدادون زهادً وقنوتاً ، وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ويتطلع إليه الكاتب الالمعي فيأتم ببيانه ، ويعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه .

أما الخطيب فحسبه أن يقف على السفح ، ويرفع الرأس إلى هذا الطود لتنهلّ عليه الآيات من عَل ، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسّخ قواعده أبو الحسن إذ دفعها إلى أبي الأسود الدؤلي فقال : أنح هذا النحو .

---

(١) ملحمة عيد الغدير : ص ـ ١٢ .

وكان علم النحو . ويقرأ الجبان سيرة علي فتهدر في صـدره النخوة وتستهـويه البطولة ، إذ لم تشهد الغبراء ، ولم تـظل السماء أشجـع من ابن أبي طالب ، فعلى ذلك وخيبر والخندق وحنين ووادي الرمل والطائف واليمن .

وهو المنتصر في صفّين، ويوم الجمل، والنهروان، والدافع عن الرسول يوم أحد ، وقيدوم السرايا ولواء المغازي .

وأعجب من بـطولته الجسـدية بـطولته النفسيـة ، فلم يُرَ أصبـر منه على المكاره . إذ كانت حياته موصولـة الآلام منذ فتـح عينيه على النـور في الكعبة حتى أغمضهما على الحق في مسجد الكوفة .

وبعد فلِمَ تساءلني بأبي الحسن ؟ أو لم تقم في خلال العصور فئات من الناس تؤلّه الرجل ؟ ولا ريب أنها الضلالة الكبرى ، ولكنها ضلالة تدلك على الحق إذ تدلك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى .

ولم يستطع خصوم عليّ أن يأخذوا عليه مأخذا فاتهموه بالتشدّد في إحقاق الحق ، أي أنهم شكوا كثرة فضله فأرادوه دنيوياً يماري ويـداري ، وأراد نفسه روحانياً رفيعاً يستميت في سبيل العدل ، لا تأخذه في سبيل الله هوادة . وإنما الغضبة للحق ثورة النفوس القدسية ، التي يؤلمها أن ترى عوجـاً أو لم يغضب السيد المسيح وهو الذروة في الوداعة والحلم ، يوم دخل الهيكل فوجد فيه باعة الحمام والصيارف المرابين فأخذ بيده السوط وقلب موائـدهم وطردهم قـائلاً : بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص .

بقي لك بعد هذا أن تحسبني شيعياً . فإذا كان التشيع تنقصاً لأشخاص ، أو بغضاً لفئات ، أو تهوراً في المزالق الخطرة فلست كذلك . أما إذا كان التشيع حباً لعلي وأهل البيت المطيبين الأكرمين ، وثورة على الظلم وتـوجعاً لمـا حل بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ ، فإني شيعي .

فيا أبا الحسن ! ماذا أقول فيـك ، وقد قـال الكتّاب في المتنبي : ( إنّـه

مالىء الدنيا وشاغل الناس ) وإن هو إلا شاعر له حفنة من الدرّ إزاء تلال من الحجارة ، وما شخصيته حيال عظمتك إلا مدَرَة على النيل خجلى من عظمة الأهرام .

حقاً أن البيان ليسفّ وأن شعري لحصاة في ساحلك يا أمير الكلام ، ولكنها حصاة مخضوبة بدمِ الحسين الغالي ، فتقبل هذه الملحمة وانظر من رفادف الخلد إلى عاجزٍ شرّف قلمه بذكرك.

قال فيه في مقدمة ملحمته :

يا مليك الحياة أنزل علياً ... عزمة منك تبعث الصخر حياً
جود كفيك ان تشأ يملأ العيش ... نماءً ويفرش الجدب فيَّا
يوقظ الوردَ فالربيع على التلّ ... ضحوكُ الالوان طلق المحيا
كلما افترّ برعم داعبته ... كفُّ ريح تقول للطيب هيا
واهبَ النُّور والنَّدى للروابي ... أولني من جمال وجهك شيَّا
طال في منقع العذاب مقامي ... واستراح الشَّقاء في مقلتيا
فنسيت النَّهار من طول ليلي ... أترى الليل شرعك الإبديا
ليتني أبصر النُّجوم فأهدي ... في العشيات بسمة للثريا
يا إلهي سدّد خُطايَ فاني ... قد تمرّست بالضلالة غيًّا
منشىء القطر من أُجاج كريه ... ومحيلَ الخضم طلّاً مريّاً
عن مهاوي الآثام نزّه جناني ... وعن المين والهوى شفتيا
في سبيل الكمال أجرِ يراعي ... ملهم البثّ فيصلاً عربياً
فأصوغ الالفاظ اقمار ورد ... خالعاً فوقها الصباح النديا
وإذا آذن البيان بحرب ... ألهبَ الطرسَ مرقمي والرويا
أين مني الشبابُ يومَ حيالي ... يرتقي سدّة السنى عبقرياً
فيه من رفّة الجناح دويّ ... ويكاد السهى يجُيبُ الدويّا

هات يا شر من عيونك واهتف | باسم من أشبع السباسب ريّا
باإسم زين العصور بعد نبيّ | نوّر الشرق كوكباً هاشمياً
باإسم ليث الحجاز نسرِ البوادي | خير من هزّ في الوغى سمهريا
خير من جلّل الميادين غاراً | وانطوى زاهداً ومات ابيًّا
كان رب الكلام من بعد طه | واخاه وصهره والوصيا
بطل السيف والتقى والسجايا | ما رأت مثله الرماحُ كميا
يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي | واخشعي انني أردت عليًّا[1]

***

وقال فيه عباس محمود عقاد :

في كلّ ناحية من نواحي النفوس الانسانية مُلتقى بسيرة عليّ بن أبي طالب رِضوان الله عليه . .

لأن هذه السيرة تخاطب الإنسان حَيثما اتجه اليه الخطابُ البليغ من سير الأبطال والعظماء ، وتثير فيه أقوى ما يثيره التاريخ البشريّ من ضروب العطف ومَواقع العبرة والتأملِ .

في سِيرة ابن أبي طالب مُلتقى بالعاطفة المشبوبَة والإحساس المتطلِّع إلى الرحمة والإكبار ، لأنه الشَّهيد أبو الشهداء ، يجري تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسلةٍ طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة ، ويتراؤون للمتتبع من بعيد واحداً بعد واحد شيوخاً جللهم وَقار الشيب يحالُ بينهم وبين متاع الحياة ، بل يُحَال بينهم أحياناً وبين الزَّاد والماءِ ، وهُم على حِياض المنيَّة جِياع طِماء . . وأوشكَ الألمُ لِمصرعهِم أن يصبغ ظواهِر الكَون بصبغتهم وصبغة دمائهم ، حتى قال شاعرٌ فيلسُوف كأبي العَلاء المعرِّي :

---

(١) ملحمة عيد الغدير : ص ١٣ ـ ١٤ .

ولى الأُفقُ مِن دِمَاء الشَّهيدَ ... ين علىٍّ ونَجلِه شَاهِدانِ
فَهما في أوَاخِرِ اللَّيلِ فَجرا ... نِ ، وفي أوليائِه شَفَقانِ

وهذه غاية من امتزاج العاطفة بتلك السيرة قلما تبلغها في سير الشّهداء غاية ، وكَثِيراً ما تتعطّش اليها سَرائرُ الأمم في قَصص الفداء التي عَمرت بها تَواريخ الأدْيانِ .

وَتَلتقي سيرتهُ ( عليه رضوان الله ) بالفكْر كما تَلتقي بالخيال والعاطفة ، لأنه صاحِب آراء في التصوُّف والشريعة والأخلاق سَبقتْ جميعَ الآراء في الثقافة الاسلامية ، ولأنه أحجى الخلفاء الراشدين أن يُعدّ من أصْحاب المذاهب الحكيمة بين حكماء العصُور ، ولأنه أُوتي من الذكاء مَا هو أشبه بذكاء الباحثين المنقبين مِنه بذكاء الساسَة المتغلبين فهو الذكاءُ الذي تحسّه في الفكرة والخاطرة قبلَ أن تحسّه في نتيجة العمل ومجرى الأمور .

وللذوق الأدبي ـ أو الذوق الفني ـ مُلتقى بسيرته كمُلتقى الفِكر والخيالِ والعاطفةِ ، لأنه رِضوان الله عليه كان أديباً بليغاً له نهجٌ من الأدبِ والبلاغة يقتدي به المقتَدون ، وقسط من الذوق مطبوع يحمدُه المتذَوقون ، وإن تطاوَلت بينَه وبينهُم السنون . فهو الحكيمُ الأديبُ ، والخطِيبُ المبين ، والمنشيء الذي يَتّصل إنشاؤه بالعربية ما اتصلتْ آيات الناثرين والناظِمين . .

وناحية أخرى من نواحي النفسِ الكثيرةِ تلاقيها سيرةُ الإمام في أكثر من طريق : وتلك هي ناحية الشكوَى والتمرُّد أو ناحية الشوق إلى التجديد والإصلاح .

فقد أصبح اسمُ عليّ عَلماً يلتف به كل مغصوب ، وصيحةً ينادي بها كل طالب إنصاف ، وقامت ، باسمه الدول بَعد موته لأنه لم تقم له دولة في حياتِه ، وجعل الغاضبونَ على كل مجتمع باغٍ ، وكل حكومة جائرة ، يَلوذون بالدعوة العلوية كأنها الدعوة المرادفة لكلمة الإصلاح ، أو كأنها المنفس الذي يَستروح

اليه مكظوم . . فمن نازعَ في رأي ، ففي اسم عليٍّ شفاءٌ لنوازع نفسه ، ومن ثارَ على ضيم ففي اسم عليٍّ حافز لثورته ومرضاة لغضبه ، ومنْ واجه التاريخ العربي بالعقل أو بالذّوق أو بالخيال أو بالعاطفة فهناك مُلتقى بينه وبين عليّ في وجه من وجُوهه ، وعَلى حالة من حالاته . وتلك هي المزية التي انفردَ بها تاريخ الإمام بين تواريخ الأئمة الخلفاء ، فأصبحت بينه وبين قلوبِ الناسِ وشائج تخلقها الطبيعة الآدمية إن قصّر في خلقها التاريخُ والمؤرخُون[1] .

* * *

قال فيه جورج جرداق :

هلّا أعرتَ دنياك أذناً صاغيةً فتخبرك بما كان من أمر عظيمٍ ما أعطت الدنيا أن تُحدّثك عن مثله إلّا قليلاً بين جيلٍ وجيل !

هلّا أعرتَ دنياك أذناً وقلباً وعقلاً فتُلقي إلى كيانك جميعاً بخبرِ عبقريّ حملتْ منه في وجدانها قصّة الضمير العملاق يعلو ويعلو حتى لتَهون عليه الدنيا وتهون الحياة . ويهون البنونَ والأقربونَ والمال والسلطان ورؤية الشمس المشرقة الغاربة ، وحتى يندفع بصاحبه ارتفاعاً فما هو من الآدميين إلا بمقدار ما يسمُون بمقياس الضمير والوجدان !

هلّا أعرتَ دنياك هذه الأذنَ وهذا القلبَ وهذا العقل ، فتروي لك مع المعرّي ، ومع الطيّبين من الأقربين والأبعدين ، قصة الشهادة تصبغ الفجر والشفق بدم العدل والحق الصريعين ، فإذا دماء الشهيد في أواخر الليل فجرانِ وفي أُوَلياته شفَقان !

هلّا ضربت بعينيك حيث شئتَ من تاريخ هذا الشرق ، سائلاً عن فكرٍ هو من منطق الخير نقطةُ الدائرة ، تشد إليها آراء جديدة في الحياة والموت ،

---

(١) عبقرية الإمام عليّ : ص ٥ ـ ١١ .

ونظراتٍ عميقة في الشرائع والأنظمة والدساتير وقوانين الأخلاق ، وفي مكانها من المجموعة البشرية على صعيد التعامل والتعاطي وربْط الانسان بالإنسان في مجتمع هو من الكلِّ وللكلِّ على السواء !

هلاّ سألته عن فكرٍ أنتج الناس مذهباً في الحكمة هو من مذاهب العصور ومن نتاجها القيِّم يرثُهُ الأوَّلون فيورثونه الأبناء والأحفاد ، فيجتمعون له ، فيأخذون منه بقدر طاقتهم على الأخذ وما يتركونه فهو للطالعين المُقبلين !

هلاّ سألتَه عن ذكاء غريب أورث صاحبَه الشقاء والناسُ منه في نعيم . ومدّ أمام أنصاره وأخصامه الطريق وما يزال ! ذكاء العالم الباحث عن كل علَّة وكل نتيجة ، العميق الواسع الإدراك ، السابر الأغوار حتى لا تفوته أعمال الناس وهي ما تزال في نفوسهم خواطرَ وفي رؤوسهم أفكاراً ! ذكاء العالم الذي أُوتي من المواهب ما جعل علمَه متَّصلاً بكل علم أخلاقيّ جاء بعده في هذا الشرق ، بل أصلاً له !

هلاّ عرفت بين العقول عقلاً نافذاً كانت له السابقة في إدراك حقيقة كبرى هي أصل الحقائق الإجتماعية وعلَّة تركيب المجتمع وتسييره على هذا النحو دون ذاك ، وهي الموضوع الذي تدور عليه دراسات الباحثين العلماء في الشرق والغرب اليوم بعد ألف وأربعمائة عام وما ينيف تمرّ على إدراكه إياها . ولا نعني بها إلا واقع الإستغلالية وأساليبها في الإحتيال على قواعد الطبيعة ، وفي تضليل العقول عن أسبابها الصحيحة ونتائجها المحتومة ، وتفاهة منطقها الذي صنعه الأغنياء لاستثمار الفقراء ، والحكام لاحتكار مجهود الناس ، وبعضُ الإلهيين لتثبيت سلطانهم على الأرض !

هل عرفتَ العقل الجبَّار يقرِّر ، منذ بضعة عشر قرناً ، الحقيقة الإجتماعية الكبرى التي تضع حداً لأوهامٍ لها ألف مصدر ومصدر فيعلن أنه « ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غنيّ » ثم يردف قائلاً لتقييم هذه الحقيقة : « ما رأيتُ نعمةً موفورة

إلاَّ وإلى جانبها حقّ مضيع ! » أمَّا إلى أحد عُمَّاله فيبعث بهذا القـول في صدد الحديث عن الإحتكار، باب الغبن الاجتماعي ودعامته : « وذلك باب مضـرّةٍ للعامة ، وعيب على الولاة ، فامنعْ من الإحتكار! »

هل عرفت عظيماً دلّه عقله الجبَّار ، منذ بضعة عشر قرناً ، على اكتشاف سرّ الإنسانية الصحيح فإذا سرّهـا متصلٌ اتصـالا عميقاً بـالشعب الذي لم يكن حكَّام زمانه وملوكه ليقيموا له وزناً أو ليشعروا له بوجود إلاَّ في نطاق ما يكون لهم سلَّماً ومطيَّة . فإذا كان رافاييل قد اتَّخـذ من إحدى فـلاَّحات الـريف الإيطالي نموذجاً للعذراء أمّ المسيح ليضع في هذا النموذج كل ما يحبّه ويريده من معاني الكـرم الإنساني ، وإذا كـان تولستـوي وڤـولتيـر وغيتي قـد عملوا في صنيعهم الفكري والإجتماعي ما هو من روح رافاييل في صنيعه هذا ، فإن ذاك العظيم قد سبقهم إليه بمئات السنين مع الفارق بين ظرفه الصعب وظروفهم المؤاتية، وبين مجتمعه الضيّق ومجتمعاتهم الواسعة ، فإذا هو يحارب الملوك والأمراء والولاة والأثرياء ! يحارب عبثهم وسخف تفكيرهم في سبيـل الشعب المظلوم المهـان فيُقسم قائلاً : « وأيم الله ، لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ولأقودنَّ الظالم بخزامته حتى أورده منهلَ الحق وإن كان كارهاً » . ثم يطلق في آذان أمراء زمانه العابثين هذه الصيحة المدويَّة التي يكمن وراءها من المعرفة لحقيقة أهل الأرستقراطيـة التـافهين ، المتعالين على تفـاهتهم ، ولحقيقة الشعب البـائس الشقي ، ما لا مزيد عليه ، فيقول بايجازٍ كـأنه صـوت القدَر : « أسفلُكم أعـلاكم ، وأعلاكم أسفلُكم » ! . ومـا يقصد من وراء هـذا إلاَّ الإشـارة الصـريحـة إلى مـا يُخفي الحرمانُ والجورِ من مواهب أبناء الشعب في الخير . وإلى مـا يستتر في ثيـاب الإقطاعيين والحكام والمحتكرين من شياطين الشر وأبالسة الأذى والمكر !

هل عرفتَ عظيماً ساق إلى مدار الناس حقيقةً إنسانية قـديمة كـالأزل ، باقية كالأبد ، عميقة حتى ليستشفَّها كبار العقول والنفوس كلٌ منهم على نهجه ووفْق مزاجه ، وحتى ليأبى العاديّون إلاَّ العيش في ظلالها وهم لا يعرفون . فإذا

بهم يرضون بما قسَط لهم الأجداد والآباء من أفكار وآراء لا تتـطلب منهم عناءً ولا جهداً لأنها أُنزلت فيهم منزلَة العادة والتقليد . حقيقة كانت أساساً لفلسفات إيجابية ، وأُخرى سلبية ، وأعني بها البحثَ عن المطلق للإستقرار، والبحث عن المطلق لا يعني في أعماقه إلاّ البحث عن الحقيقة في وجـهٍ من الوجـوه . يتعـاون في هذا البحث العقـلُ والقلب والخيال ومـا ينبثق عنهـا من خلق ، ثم الظرفُ والمناسبة والدوافع والنوازع على اختلاف معانيها وأشكالها ، وقد أدرك هـذا المطلق على نحـوٍ معيَّن . ثم أدرك بعقله وقلبه أن في كـل استقرارٍ على المطلق قوَّة ، فإذا هو مثالُ هذه القوة ، وإذا قوَّته تبدو في انتصاره وانكساره على السواء لأنها ، هنا وهناك ، هي الغالبة القاهرة ، سيَّانِ عندها النصر والهزيمة في ميدان القتال وميدان السياسة وكل ميدان . فليس في الغلبة أو الهـزيمة محـكّ لها ، فهي إنما تحمل بذاتها كلّ مقياسٍ وكل ميزان !

هل سألت تاريخ هذا الشرق عن صلابة العقيدة لا تُخرّجهـا الزلازلُ ولا يشوبها من البراكين وهَنٌ ! وأي زلزال أشدّ على العقيدة من ائتمـارٍ أقلَّه إجماع الخصوم ، وهم كُثْرٌ أقوياء ، على التخطئة والتكفير وما إليهما من ذنوب ! وأيّ بركان أحرق للعقيدة من التهديد بالموت المحتوم ، ثم من الموت نفسـه ! ثم هـل سألتَ كيف يكـون الصراع من أجـلِ العقيدة لا يـواربُ ولا يساوم ، ولا ينطوي على نفع ولا يدور في نطاق من الأثـرة والإستعلاء، اللهمّ إلا إذا كـان نجاح العقيدة هو النفع والاثرة !

هل طلبتَ إلى الدنيا أن تناجيك بحديث الرحمة تنـطلق من قلبٍ ملأتـه الرحمة ومن لسانٍ تجري عليه بَرْداً وسلاماً ، فإذا هي القوة الغالبة تتحطم على بابها مغرياتُ الأرض المتفجّرة بالمغريات تأتي من غير مصدرها ، في عهدٍ هو عهد القسوة والإستغلال واحتكار المنافع يتقاتل عليها الخصوم ثم يلتقون على قتال صاحب القلب واللسان الرحيمين !

هل عرفتَ البـراءة في قامـوس الكلمات التي يـردِّدها النـاس ويكتبونهـا

ويعيشونها في كثيرهم أو قليلهم وكلٌّ منهم يأخذ منها بحُكم تكوينه ، تنادي إليها إخواتها جميعاً من سلامة القلب وصفاء النيَّة ، والطهارة الخالصة التي لو مَثَّلتها لَمَا أحسنتَ لها تشبيهاً بدموع الليل وأنداء الفجر لأنها طهارةُ الإنسان ما فَضِلَهُ فجرٌ ولا ليل ! البراءة الصافية الطاهرة تنبع من القلب السليم الطاهر الذي تطمئنّ إلى صاحبه كما يطمئنّ الشتاء إلى حرارة الشمس ، وتثق به كما تثق الأرض بالماء فتحيا وتخضرّ !

هل عرفتَ عظيماً أدرك من أسباب المحبة والوفاء فوق ما أدرك الآخرون ! ثم ما أدرك هذه المحبة وهذا الوفاء إلاَّ في نطاق الطبع الخالص ، الذي يجري بنفسه من نفسه ، فأحب حسّه أن الحرية لها قدسيةٌ يريدها الوجودُ ويأبى عنها بديلاً وفي رحبها تدور كل عاطفة وكل فكر ، وفي رحبها يكون الحب ويجري الوفاء صريحين طليقين ، فإذا « شرّ الإخوان مَن تُكلّف لَهُ » وإذا خيرهم غير هذا !

هل سألت عن حاكمٍ يحذّر نفسه أن يأكل خبزاً فيشبع في مواطن يكثر فيها من لا عهدَ لهم بِشِبَع ، وأنْ يلبس ثوباً ناعماً وفي أبناء الشعب من يرتدي خشن اللباس ، وأن يقتني درهماً وفي الناس فقرٌ وحاجة ، ويوصي أبناءه وأنصاره ألاَّ يسيروا مع نفوسهم غير هذه السيرة ، ثم يقاضي أخاه لمكانِ دينارٍ طَلَبَه من مال الشعب من غير بلاء ، ويقاضي أعوانه ومبايعيه ووُلاته من أجل رغيفٍ يأكلونه في رشوةٍ من غنيّ ، فيتهدّد ويتوعّد ويبعث إلى أحد وُلاته بأنه يُقسم بالله صادقاً إنّ هو خان من مال الشعب شيئاً صغيراً أو كبيراً لَيَشدّنَّ عليه شدَّةً تدَعَهُ قليلَ الوفْر ، ثقيل الظهر ، ضئيل الأمر . ويخاطب آخر بهذا القول الموجز الرائع الإيجاز : « بلغني أنك جرّدتَ الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلتَ ما تحت قدميك ، فارفعْ إليّ حسابك » . ويتوعد ثالثاً ممن يرتشون ويسعون في الإثراء على حساب المستضعفين ، يقول : « فاتّقِ الله واردُدْ إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرَنَّ إلى الله

فيك ، ولأضربنَّك بسيفي الذي ما ضربتُ به أحداً إلاَّ دخل النار ! »

هل عرفتَ من الخلقِ أميراً على زمانه ومكانه يطحن لنفسه فيأكل ما يطحن خبزاً يابساً يكسره على ركبتيه ، ويرقع خفّه بيديه ، ولا يكتنز من دنياه كثيراً أو قليلاً على ما مرَّ ، لأن همَّه ليس إلاَّ أن يكون للمستضعَف والمظلوم والفقير يُنصفهم من المستغلِّين والمحتكرين ويمسك عليهم الحياة وكريم العيش ، فما يعنيه أنْ يشبع ويرتوي وينام هانئاً وفي الأرض « من لا طمع له في القرص » وفيها « بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى » قائلاً ، ويا لسرف القول : « أأقنع من نفسي بأن يقال أميرُ المؤمنين ولا أُشاركهم مكارهَ الدهر ؟ » ولأنَّ أقل ما في هذه الدنيا شأناً هو خيرٌ عنده من ولاية الناس إن لم يُقم ويُزهق باطلاً ؟!

هل عرفتَ ، في موطن العدالة ، عظيماً ما كان إلا على حقّ ولو تألّب عليه الخلقُ في أقاليم الأرض جميعاً . وما كان عدوّه إلاَّ على باطلٍ ولو ملأ السهلَ والجبل . لأن العدالة فيه ليست مذهباً مكتسباً وإن أصبحتْ في نهجه مذهباً فيما بعد ، وليست خطةً أوضحتها سياسة الدولة وإنْ كان هذا الجانبُ من مفاهيمها لديه ، وليست طريقاً يسلكها عن عمدٍ فتوصله من أهل المجتمع إلى مكان الصدارة وإن هو سلَكها فأوصلته إلى قلوب الطيّبين ، بل لأنها في بنيانه الأخلاقي والأدبي أصل يتّحد بأصول ، وطبعٌ لا يمكنه أن يجوز ذاته فيخرج عليها ، حتى لَكأنَّ هذه العدالة مادةٌ رُكّب منها بُنيانه الجسماني نَفْسُهُ في جملة ما رُكِّب منه ، فإذا هي دمٌ في دمه وروحٌ في روحه !

هل عرفتَ ، في موطن الخصومات ، عظيماً حاربه ذوو المنافع وفيهم نفَرٌ من ذوي قُرباه ، وقاتَلوه ، فخذلت المفاهيمُ الإنسانيةُ المنتصرين عليه لأنه المنكسر لأن انكساره ، في ضوء العقل والقلب ، يتضمن جوهر الشهادة في سبيل كرامة الانسان وحقوقه وما يتوق اليه من بلوغه العدالة والمساواة . وهكذا كان نصرُهم هزيمةً وانكسارُه انتصاراً عظيماً لقيمة الإنسان !

هل سألت التاريخ عن محاربٍ شجاعٍ فائقِ الشجاعة ، يبلغ به حبّه لصفة الإنسان في مقاتليه ، ويبلغ عطفهُ عليهم أنْ يوصي أصحابه ، وهو المصلح الصالح الكريم المغدور به ، فيقول : « لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا معوزاً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى ! » ثم تُجليه عن الماء عشراتُ الألوف المؤلفة من طالبي دمه على غير حقّ ، ويُبلغونه أنهم سيمنعون عنه الماء الجاري حتى يموت عطشاً . فيزلزلهم عن الماء ويحتلّه . ثم يدعوهم إلى هذا الماء أُسوةً بنفسه وبصحبه وبالطير الشارب ولا زاجرَ له ، ثم يقول : « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممَّن قدر فعف : « لكاد العفيف أن يكون ملاكاً من الملائكة » حتى إذا هو طالته اليدُ الآثمة فقضتْ عليه ، قال لصحبه بشأن قاتله : « لأن تَعفوا أقرب إلى التقوى ! » .

محارب شجاع تتصل في قلبه أسبابُ الشجاعة الغريبة والفروسية النادرة ، بأسباب العطف والحنان العجيبين ، فيعاتب المتآمرين به وله القدرة على أن يضربَ فيصرَع . وهو لا يعاتبهم إلا منفرداً ، أعزل ، حاسر الرأس ، وهم مدججون بالسلاح لا يكاد يبدو لهم وجهٌ إلّا من خلاله ، ثم يذكّرهم بالإخاء الإنساني وبالمودّات ، ثم يبكي لهم إذا هم حثّوا السير في هذه الطريق ، حتى إذا أبوا إلّا دمَه وهو سيف المستضعف والمحروم ، صبر لهم حتى يبدأوه القتال ، ثم راح يُزلزلهم زلزلةً ويقصفهم قصفاً ويعصف بمطامعهم كما تعصف الرياحُ السافيات برمال الصحراء فتذروها بَدَداً بددا . وهو لا يصرح منهم إلا الطاغية الباغية الذي تَبيَّن فيه العداء والقصد للشر ! ثم إذا هو ظفرَ بكى قتلاهم وهم في الواقع قتلى الأنانية والأثرة تأتيهم من المطمع السقيم والهوى المنحرف !

هل عرفت من الخلق أميراً توافرت لديه أسباب السلطان والثروة كما لم تتوافر لسواه فإذا هو منها جميعاً في شقاء وحسرةٍ دائمين . وتوافرت لديه محاسن

الحسب الشريف فقال : « لا حسب كالتواضع » . وأحبّه محبّوه فقال : « من أحبني فليستعد للفقر جلباباً » . وغالوا في حبّه فقال : « هلك فيّ محبّ غالٍ » بعد أن خاطب نفسه يقول : « اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون ! » فألّهوه ، فعاقبهم أشدّ عقاب ! وكرهه آخرون فوقف منهم موقف الناصح لإخوانه في الخلق . وسبُّوه فاستاء صحبُه وأجابوهم بالسباب فقال لهم : « أكره لكم أن تكونوا سبَّابين » . وخاصموه وأساؤوا إليه وما حفظوا له غيبةً ثم خرجوا عليه ، فكان يقول : « عاتب أخاك بالإحسان إليه واردده بالإنعام عليه » . و « لا يكوننّ أخوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته ، ولا يكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان » . وأغروه بمسايرة بعض الآثمين ، ولو إلى حين ، حفاظاً على سلطانه ، فقال : « صديقك من نهاك وعدوّك من أغراك » ثم أردف : « آثِرِ الصدق حيث يضرّ بك على الكذب حيث ينفعك » . وحاربه مَنْ أسدى إليهم معروفه ، فخاطب نفسه يقول : « لا يُزْهِدنَّك بالمعروف من لا يشكر لك » ، وتحدّثوا لديه عن نعيم الأرض فنظر إلى المتحدث يقول : « كفى بحسن الخلق نعيماً » . ثم عادوا يُغرونه بالنصر يأتيه على أسلوب الحاكمين ، فقال : « ما ظفِرَ مَنْ ظَفِر الإثم به ، والغالب بالشر مغلوب » . وعلم من سيئات أخصامه ما لا يعرفه سواه ، فغضّ عنها طرفه وسلا خاطره وهو يردِّد : « أشرَفُ أعمال الكريم غَفْلتُه عمَّا يعلم » . وأعان أعداؤه والجهلةُ من أنصاره الدهرَ عليه بما يُدخل التشاؤم بالناس في كل قلب ، فإذا به ما يزال يقول : « لا تظنَّنّ بكلمةٍ خرجت من أحدٍ سوءاً وأنتَ تجدُ لها في الخير مُحْتَملاً ! » .

هل عرفت إماماً لدينٍ يوصي وُلاته بمثل هذا القول في الناس : « فإنهم إمَّا أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق ، أعطِهم من عفوك وصفحك مثلَ الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ! » هل عرفت صاحب سلطان تمرّد على سلطانه لإقامة الحق في الشعب ، وصاحب ثروة أنكر منها إلاّ القرص الذي يُمسك عليه الحياة وما الحياةُ لديه إلاّ نفع إخوانه في الخلق . . أمّا الدنيا

فلتغرّ سواه !

ثم ، هل سألت تاريخ هـذا الشرق عن نهـجٍ للبلاغـة آخذٍ من الفكـر والخيال والعاطفة آياتٍ تتّصل بالذوق الفنّي الرفيع ما بقي الإنسان وما بقي لـه خيال وعاطفة وفكر ، مترابطٍ بآياته متساوق ، متفجّرٍ بالحس المشبوب والإدراك البعيد ، متدفّق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقـة والشوق إلى معـرفة مـا وراء هذا الواقع ، متآلفٍ يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبيرُ بالمدلول ، أو الشكل بالمعنى ، اندماجَ الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواءِ بالهواءِ ، فما أنت إزاءه إلا ما يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر والبحر إذ يتموّج والريح إذ تطوف ، أو قبالَةَ الحدثِ الطبيعي الذي لا بدّ له أن يكون بالضـرورة على ما هو كائنٌ عليه من الوحدة التي لا تُفرّق بين عناصرها إلا لتمحو وجودَها وتجعلها إلى غير كَوْن !

بيانٌ هو من مشاركة الحس السمعي للعقل بحيث يحوّل لك المعاني إلى أنغامٍ هي في حدّ ذاتها المعاني الكاملة كما تشاء الطبيعةُ الحيَّة وتريد . وهو من مشاركة الحسّ النظري للعقل بحيث يحوّل لك المعـاني إلى لوحـاتٍ فنيَّة لهـا خطوطها وأشكالها وألوانها ، فـإذا بك من ذلـك في عالمٍ زاخـرٍ بروائـعِ الفن تتمازج به صورٌ وموسيقى ، وأنغام وألوان !

بيانٌ لو نطقَ بالتقريع لانقضّ على لسان العاصفـة انقضاضـاً . ولو هـدَّد الفساد والمفسدين لتَفَجَّـر براكينَ لهـا أضواءٌ وأصـوات . ولو انبسط في منـطقٍ لَخاطَبَ العقولَ والمشاعر فأقفل كلّ باب على كلّ حجَّة غير ما ينبسط فيه . ولو دعا إلى تأمُّلٍ لَرافق فيك مَنْشأ الحسّ وأصْل التفكير فساقك إلى ما يريده سَوْقاً ، ووَصَلَك بالكون وصْلاً . ووحّد فيك القوى للاكتشاف توحيداً . وهو لو راعـاك لأدركتَ حنان الأب ومنطق الأبوة وصدق الوفاء الإنسـاني وحرارة المحبـة التي تبدأ ولا تنتهي ! أمَّا إذا تحدَّث إليك عن بهاء الوجود وجمالات الخلق وكمالات الكون ، فإنمـا يكتب على قلبك بمـدادٍ من نور النجـوم ! بيانٌ هـو بلاغـةٌ من

البلاغة ، حتى قال أحدهم في صاحبه : أن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق !

هل عرفتَ عقلاً كهذا العقل ، وعلماً كهذا العلم ، وبلاغةً كهذه البلاغة ، وشجاعةً كهذه الشجاعة ، تكتمل من الحنان بما لا يعرف حدوداً حتى ليبهرك هذا القدر من الحنان كما يبهرك ذلك القدر من المزايا تلتقي جميعاً وتتّحد في رجلٍ من أبناء آدم وحوّاء . فإذا هو العالم المفكِّر الأديب الإداريّ الحاكم القائد الذي يترك الناس والحكام وذوي المطامع والجيوش يتآمرون به ، ليُقبل عليك فيهزّ فيك مشاعرَ الإنسان الذي له عواطف وأفكار ، فيهمس في قلبك هذه النجوى الرائعة بما فيها من حراة العاطفة الكريمة قائلاً : « فَقْد الأحبَّة غربة » ، أو « لا تشمت بالمصائب » أو «ليكن دنوّك من الناس ليناً ورحمة » أو « واعفُ عمن ظلمك وأعطِ مَن حرمك وصِلْ مَن قطعك ولا تبغض من أبغضك » !

هل عرفتَ من الخلق عظيماً يلتقي مع المفكرين بسموّ فكرهم ، ومع الخيّرين بحبهم العميق للخير ، ومع العلماء بعلمهم ، ومع الباحثين بتنقيبهم ، ومع ذوي المودّة بموداتهم ، ومع الزهاد بزهدهم ، ومع المصلحين بإصلاحهم ، ومع المتألمين بآلامهم ، ومع المظلومين بمشاعرهم وتمردهم ، ومع الأدباء بأدبهم ، ومع الأبطال ببطولاتهم ، ومع الشهداء بشهادتهم ، ومع كل إنسانية بما يشرّفها ويرفع من شأنها ، ثم إنَّ له في كل ذلك فضل القول الناتج عن العمل ، والتضحية المتصلة بالتضحية ، والسابقة في الزمان !

عظيماً يهون لديك أمر غالبيه ونصر المنتصرين عليه لأن أيامهم إنما هي من الأيام التي عجّت بالمتناقضات واصطبغت بالغرائب حتى أصبح فيها شمال والحقيقة يمينها وتحتها فوقها وأرضها سماءها ! » .

وسواءٌ لدى الحقيقة والتاريخ أعرفتَ هذا العظيم أم لم تعرفه ، فالتاريخ

والحقيقة يشهدان أنه الضمير العملاق الشهيد أبو الشهداء عليّ بن أبي طالب صوت العدالة الإنسانية وشخصية الشرق الخالدة !»[1] .

(١) علي وحقوق الانسان : ص ٣٧ ـ ٤٧ .



# دستور الامام عليه السلام لحكام العدل



# بسم الله الرحمن الرّحيم

## ١ ـ الأهداف الأربعة لتعيين الولاة :

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ : جِبَايَةَ خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَٱسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

## ٢ ـ التقوى يجب ان يكون محور عمل الوالي :

أَمَرَهُ بِتَقْوَى ٱللَّهِ ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، واتباع * مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ، الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ،

★ هذا العهد ، بمثابة دستور كامل للحكم ، كتبه الإمام علي ( عليه السلام ) إلى مالك الأشتر النَّخعي لما ولاَّه على مصر ، بعد أن اضطرب أمر واليها محمد بن أبي بكر ( رحمه الله ) ، وهو العهد الَّذي وجده صاحب خراج القلزم ، في متاع الأشتر بعد مقتله غيلة على أيدي أصحاب معاوية ، فأرسله إلى الشَّام ، كما كان قد أرسل إلى معاوية من قبل عمرو بن العاص كل ما وجده عند محمَّد بن أبي بكر ، من رسائل الإمام علي ( عليه السَّلام ) .
فلما نظر معاوية في هذه الكتب جميعاً وجد فيها علماً غزيراً ، فأبدى إعجابه بها وحرصه عليها ، وبصفة خاصة عهد علي إلى الأشتر.=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَأَنْ يَنْصُرَ آللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ؛ فَإِنَّهُ ، جَلَّ آسْمُهُ ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

### ٣ ـ الإهتمام بترويض النّفس وكسر الشّهوات :

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ آلْجَمَحَاتِ ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ آللَّهُ .

### ٤ ـ النّظرة التّاريخية : واجب الوالي :

ثُمَّ آعْلَمْ يَا مَالِكُ ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلىٰ بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ آلْوُلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ .

### ٥ ـ العمل الصّالح ذخيرة أعمال الحكام :

وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي آللَّهُ لَهُمْ عَلىٰ أَلْسُنِ عِبَادِهِ ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ آلْعَمَلِ الصَّالِحِ .

---

= فاقترح عليه الوليد بن عقبة أن يحرق هذه الكتب جميعاً فقال معاوية : « مه ( مهلاً ) لا رأي لك ! » .
فقال الوليد : « أمن الرّأي أن يعلم النّاس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها ؟!» .
فقال معاوية : « ويحك أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا ؟! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم ! » .
فقال الوليد : « إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله !؟ » .
فتأنى معاوية ولم يبادر بالإجابة ، وبعد أن أعمل فكره قال للوليد ومن معه من الخلصاء : « إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ، ولكن نقول هذه من كتب أبي بكر الصديق ، كانت عند إبنه محمّد ، فنحن ننظر فيها ونأخذ منها . . . !» .
أما عهد علي إلى الأشتر ، فقد أذهل معاوية ومن معه حقاً ، لما جمع من الحكمة =

**٦ ـ ضرورة السيطرة على الهوى والشح :**

فَـامْلِكْ هَوَاكَ ، وَشُـحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّـا لاَ يَحِلُّ لَـكَ ، فَإِنَّ الشُّـحَّ بِـالنَّفْسِ آلْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

**٧ ـ الرَّحمة للرعية هي الأصل في التَّعامل معهم :**

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَآلْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي آلْخَلْقِ .

**٨ ـ الخطأ والزَّلل أمر طبيعي في البشر :**

يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ آلْعِلَلُ ، وَيُؤْتَىٰ عَلَىٰ أَيْـدِيهِمْ فِي آلْعَمْدِ وَآلْخَطَإِ .

**٩ ـ العفو والصفح عطاء الوالي للنَّاس :**

فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ أَنْ يُعْطِيَكَ آللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي آلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَآللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ !

---

= وأحكام في السِّياسة وكل أُمور الدِّين والدُّنيا . .

وبعد قليل قال : « رحم الله أبا بكر ، لم يرد الدُّنيا ولم ترده الدُّنيا ، وأما عمر فأرادته الدُّنيا ولم يردها ، وأما عثمان فأصاب من الدُّنيا وأصابت منه ، أما نحن فتمرغنا فيها ! والله إنه لملك آتانا الله إياه !» .

وبعد أن سكت قليلاً قال : « دعوني أتأمل في عهد عليّ للأشتر: فما قرأت علماً أجمع منه ولا أغزر ولا أحكم ، ولا أشد إلماماً بالآداب والقضايا والأحكام والسِّياسة » .

هذا وقد روىٰ هذا العهد ـ بالإضافة إلى الشَّريف الرِّضي في نهج البلاغة/ باب الكتب تحت الرقم ٥٣ ـ كل من : إبن شعبة الحرّاني في تحف العقول ص١٢٦ ، والقاضي النعمـان في دعائم الإسـلام ج١ ص٣٥٠ ، والنّويـري في نهـايـة الأرب ج٦ ص١٩ وغيرهم . .

وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَٱبْتَلاَكَ بِهِمْ .

**١٠ ـ الامتناع عن العفو والصفح يعني الحرب مع الله :**

وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللَّهِ فَإِنَّهُ لاَ يَـدَ لَكَ بِنِقْمَتِـهِ ، وَلاَ غِنىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلىٰ عَفْوٍ ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ .

**١١ ـ الإمتناع عن الإنتقام وإستخدام العنف :**

وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلىٰ بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً ، وَلاَ تَقُـولَنَّ : إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُـرُ فَأُطَاعُ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي ٱلْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ .

**١٢ ـ تجنب الزَّهو والكبر :**

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً ، فَٱنْظُرْ إِلىٰ عِظَمِ مُلْكِ ٱللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْـكَ عَلىٰ مَا لاَ تَقْـدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِـكَ ، فَإِنَّ ذٰلِـكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَيَكُفُّ عَنْـكَ مِنْ غَرْبِـكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَـا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ !

**١٣ ـ تحريم التشبه بالله في عظمته :**

إِيَّاكَ وَمُسَامَاة ٱللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

**١٤ ـ واجب الانصاف من النَّفس والأقارب :**

أَنْصِفِ ٱللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ !

### ١٥ ـ الظلم يجعل الوالي في مواجهة مع ربه :

وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللَّهِ كَانَ ٱللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّىٰ يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ .

### ١٦ ـ الاستمرار في الظلم يؤدي إلى تغيير نعم الله :

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعىٰ إِلىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

### ١٧ ـ الحق ، والعدل ، والمصلحة العامة ميزان العمل الصَّالح للولاة :

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي ٱلْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي ٱلْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَىٰ الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى ٱلْخَاصَّةِ ، وَإِنَّ سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى ٱلْعَامَّةِ .

### ١٨ ـ المقربون من الولاة آفات الحكام :

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى ٱلْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلاَءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِٱلْإِلْحَافِ ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَاصَّةِ .

### ١٩ ـ التوصية بالجماهير واكثرية النَّاس :

وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ ، وَجِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱلْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، ٱلْعَامَّةُ مِنَ ٱلأُمَّةِ ؛ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

### ٢٠ ـ إبعاد من يكشف عن عيوب النَّاس :

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ ؛

فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً ، آلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَآللَّهُ يَحْكُمُ عَلَىٰ مَا غَابَ عَنْكَ ، فَآسْتُرِ آلْعَوْرَةَ مَا آسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ آللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ .

## ٢١ ـ فك حلقات الحقد والعنف :

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ ، وَآقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ .

## ٢٢ ـ عدم قبول كلام السعاة :

وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَىٰ تَصْدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ .

## ٢٣ ـ الامتناع عن مشورة البخلاء والجبناء وأهل الحرص :

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشْوَرَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ آلْفَضْلِ ، وَيَعِدُكَ آلْفَقْرَ ، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ آلْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِآلْجَوْرِ ، فَإِنَّ آلْبُخْلَ وَآلْجُبْنَ وَآلْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّىٰ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِآللَّهِ .

## ٢٤ ـ ابعاد وزراء حكام الجور السّابقين :

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي آلْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ آلْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ .

## ٢٥ ـ ضرورة اتخاذ أهل الفكر والوعي للاستشارة والوزارة :

وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ آلْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَىٰ ظُلْمِهِ ، وَلَا آثِماً

عَلىٰ إِثْمِـهِ : أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْـكَ مُؤُونَةً ، وَأَحْسَنُ لَـكَ مَعُونَـةً ، وَأَحْنىٰ عَلَيْكَ عَطْفاً ، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً .

## ٢٦ ـ تقريب من يذكّر بالله ويقول الحق :

فَٱتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ ٱلْحَقِّ لَكَ ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ ٱللَّهُ لِأَوْلِيَائِـهِ ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ .

## ٢٧ ـ أهل الورع والصدق هم أهل المشاورة :

وَٱلْصَقْ بِأَهْلِ ٱلْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ؛ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلىٰ أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ ، وَتُدْنِي مِنَ ٱلْعِزَّةِ .

## ٢٨ ـ لا يكونن المحسن والمسيء عندك سواء :

وَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمُحْسِنُ وَٱلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ ٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ ٱلْإِسَاءَةِ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ ! وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ .

## ٢٩ ـ الاحسان إلى الرّعية ، والتخفيف عنهم وترك اكراههم :

وَٱعْلَمْ أَنَّـهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِـأَدْعىٰ إِلىٰ حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِـرَعِيَّتِـهِ مِنْ إِحْسَـانِـهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَخْفِيفِـهِ ٱلْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَـرْكِ ٱسْتِكْرَاهِـهِ إِيَّاهُمْ عَلىٰ مَـا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ . فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً .

**٣٠ ـ أحق النَّاس بحسن الظَّنِّ من حسن بلاءك عنده :**

وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ .

**٣١ ـ ابقاء العادات الحسنة على حالها :**

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ، وَٱجْتَمَعَتْ بِهَا ٱلْأُلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ . وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ ، فَيَكُونُ ٱلْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا ، وَٱلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

**٣٢ ـ الاكثار من مناقشة العلماء والحكماء والتحدث معهم حول أُمور الحكم :**

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاقَشَةَ ٱلْحُكَمَاءِ ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ .

**٣٣ ـ الرعية طبقات ولابد من وضع كل واحدة موضعها :**

وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ ، وَلاَ غِنىٰ بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ .

**٣٤ ـ الطبقات العامة :**

فَمِنْهَا جُنُودُ ٱللَّهِ ، وَمِنْهَا كُتَّابُ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ ، وَمِنْهَا قُضَاةُ ٱلْعَدْلِ ، وَمِنْهَا عُمَّالُ ٱلْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ ٱلْجِزْيَةِ وَٱلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ .

### ٣٥ ـ التجار ، والطبقة الفقيرة :

وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ .

### ٣٦ ـ مواقع طبقات الرعية محددة في الكتاب والسّنّة :

وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى ٱللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلىٰ حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ( صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً .

### ٣٧ ـ موقع الجنود ، وتأمين حاجاتهم :

فَـٱلْجُنُودُ ، بِـإِذْنِ ٱللَّهِ ، حُصُونُ الـرَّعِيَّةِ ، وَزَيْنُ ٱلْـوُلَاةِ ، وَعِزُّ الـدِّينِ ، وَسُبُلُ ٱلْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ . ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ ٱللَّهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ الَّذِي يَقْـوَوْنَ بِهِ عَلىٰ جِهَـادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِـدُونَ عَلَيْهِ فِيمَـا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ .

### ٣٨ ـ موقع القضاة والكتّاب والعمّال :

ثُمَّ لَا قِـوَامَ لِهٰـذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِـالصِّنْفِ الثَّـالِثِ مِنَ ٱلْقُضَـاةِ وَٱلْعُمَّـالِ وَٱلْكُتَّابِ ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا .

### ٣٩ ـ موقع التجار والصناعيين :

وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ .

**٤٠ ـ موقع الفقراء والمساكين :**

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَىٰ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ .

**٤١ ـ مسؤولية الحاكم تجاه طبقات المجتمع :**

وَفِي ٱللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ، وَلِكُلٍّ عَلَى ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مَنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللَّهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْإِهْتِمَامِ وَٱلْإِسْتِعَانَةِ بِٱللَّهِ ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَىٰ لُزُومِ ٱلْحَقِّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ .

**٤٢ ـ الجندية اختيارية ، ولابد من توفر شروط معينة في الجندي :**

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ ، وَأَتْقَاهُمْ جَيْباً ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً ، مِمَّنْ يُبْطِىءُ عَنِ ٱلْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلْعُذْرِ ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى ٱلْأَقْوِيَاءِ ، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ ٱلْعُنْفُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ .

**٤٣ ـ الإهتمام بأصول الأفراد ، واحسابهم في التعيين :**

ثُمَّ ٱلْصَقْ بِذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ وَٱلْأَحْسَابِ ، وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّوابِقِ ٱلْحَسَنَةِ ؛ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ .

**٤٤ ـ ضرورة تفقد حال الجنود في الأمور الصغيرة والكبيرة :**

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ

إِلىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ آتِّكَالاً عَلىٰ جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

## ٤٥ ـ شروط تعيين الضباط ورؤوس الجند :

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ آلْعَدُوِّ .

## ٤٦ ـ ضرورة العطف على الجُنود لتأمين العدل ومودة الرعية :

فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ آلْوُلاَةِ آسْتِقَامَةُ آلْعَدْلِ فِي آلْبِلاَدِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ .

## ٤٧ ـ الاهتمام بسلامة صدور الجنود ، وكيفية ذلك :

وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلىٰ وُلاَةِ آلأُمُورِ ، وَقِلَّةِ آسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ ، وَتَرْكِ آسْتِبْطَاءِ آنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ .

## ٤٨ ـ تعديد بطولات الجنود ، وحسن الذكر لمن يستحق :

فَآفْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلىٰ ذَوُو آلْبَلاَءِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ ، إِنْ شَاءَ آللَّهُ .

### ٤٩ ـ التقدير العادل لمواقف كل جندي بقطع النَّظر عن أصله :

ثُمَّ آعْرِفْ لِكُلِّ آمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ آمْرِىءٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، ولَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ آمْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بلائه ما كَانَ صَغِيراً ، وَلَا ضَعَةُ آمْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً .

### ٥٠ ـ الرُّجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله في المشتبهات :

وَآرْدُدْ إِلَى آللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ آلْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ آلْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ آللَّهُ تَعَالَىٰ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى آللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ فَالرَّدُّ إِلَى آللَّهِ : آلْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ : آلْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ آلْجَامِعَةِ غَيْرِ آلْمُفَرِّقَةِ .

### ٥١ ـ شروط تعيين القضاة :

ثُمَّ آخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ آلْأُمُورُ ، وَلَا تُمَحِّكُهُ آلْخُصُومُ ، وَلَا يَتَمَادىٰ فِي الزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ آلْفَيْءِ إِلَى آلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَىٰ طَمَعٍ ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ .

### ٥٢ ـ الشُّروط الَّتي يجب توفرها في شخصية القاضي :

وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ آلْخَصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ تَكَشُّفِ آلْأُمُورِ ، وَأَصرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ آلْحُكْمِ ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ .

## ٥٣ ـ مراقبة أمور القضاة واحترامهم

ثم اكثر تَعاهُد قضائية ، وأفسحْ له في البذلْ مايزيل علّته ، وتقل معه حاجته إلى الناس وإِعطِهِ مِن المنزلةِ لَدَيك ما لا يَطمعُ فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيالَ الرّجال له عندك ، فانظُر في ذلّك نظرًا بليغا، فان هذا الدِّين قد كانَ اسيراً في ايدي الأشرار ، يُعَملُ فيه بالهوى ، وتُطلبُ به الدّنيا .

## ٥٤ ـ شروط تعيين الولاة

ثمّ أُنظْر في امور عُمّالك فاستعملهم اختباراً ، ولاتولّهم محاباةً وأَثَرةً فإنّهما جِماع من شعب الجُورِ والخِيانة.

## ٥٥ ـ شروط إختيار الولا ة والمسؤولين

وتوَّخ فيه أهلَ التجربةِ والخيار مِن أهل البيوتات الصالحة ، والقَدَم في الاسلام المتقّدمة ، فانهم اكرم اخلاقاً وأصحّ أعراضاً ، واقّل في المطامع إشراقاً وأبلغ في عَواقِب الأمور نظراً .

## ٥٦ ـ العَطاء للولاة والمسؤولين

ثُمّ أسبغْ عليهم الَأرزاق فان ذلك قوةٌ لَهم على استَصلاح أنفسِهم ، عنىً لهم عن تناوِل ماتَحت ايديهم وحجةٌ عليهمْ إنْ خَالفوا امركَ، أو ثَلمَوا أمانتك .

### ٥٧ ـ ضرورة تفقد أُمورهم ، ومراقبة أَعمالهم :

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ ، وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَٱلْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَمَانَةِ ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ .

### ٥٨ ـ التشدد مع المسؤولين :

وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوَانِ ؛ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَىٰ خِيَانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ، ٱكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شَاهِداً ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ ٱلْمَذَلَّةِ ، وَوَسَمْتَهُ بِٱلْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ ٱلتُّهَمَةِ .

**٥٩ ـ تفقد أُمور الخراج والضَّرائب :**

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ ٱلْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ ، لِأَنَّ ٱلنَّاسَ كلُّهم عِيَالٌ عَلَى ٱلْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ .

**٦٠ ـ عمارة الأَرض وصلاح أَهلها أَهم من الخراج والضريبة :**

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلَابِ ٱلْخَرَاجِ ، لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِٱلْعِمَارَةِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلَادَ ، وَأَهْلَكَ ٱلْعِبَادَ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً .

**٦١ ـ ظروف التخفيف في الخراج :**

فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً ، أَوِ ٱنْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ ٱغْتَمَرَهَا غَرَقٌ ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ .

**٦٢ ـ التخفيف في الضَّرائب مطلوب على كل حال :**

وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ ، مَعَ ٱسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِٱسْتِفَاضَةِ ٱلْعَدْلِ فِيهِمْ ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ .

### ٦٣ ـ النتائج الحسنة لتبادل الثِّقة مع أَهل الضَّرائب :

فَرُبَّمَا حَـدَثَ مِنَ ٱلْأُمُورِ مَـا إِذَا عَوَّلْتَ فِيـهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ ٱحْتَمَلُوهُ طَيِّبَـةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ .

### ٦٤ ـ الخراب نتيجة شح الحكام وثقل الضرائب :

فَإِنَّ ٱلْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَىٰ خَرَابُ ٱلْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ ٱلْوُلَاةِ عَلَى ٱلْجَمْعِ ، وَسُـوءِ ظَنِّهِمْ بِٱلْبَقَـاءِ ، وَقِلَّةِ ٱنْتِفَاعِهِمْ بِٱلْعِبَرِ .

### ٦٥ ـ شروط استخدام الكتاب والموظفين عند الحاكم :

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ ، فَوَلِّ عَلَىٰ أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ ٱلْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ ٱلْكَرَامَةُ ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَاءٍ ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلْأُمُورِ .

### ٦٦ ـ ضرورة الامتحان والاختبار للموظفين :

فَإِنَّ ٱلْجَاهِـلَ بِقَدْرِ نَفْسِـهِ يَكُونُ بِقَـدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَـلَ . ثُمَّ لَا يَكُنِ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ فِرَاسَتِـكَ وَٱسْتِنَامَتِـكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْـكَ ، فَإِنَّ الـرِّجَالَ يَتَعَـرَّضُونَ لِفِـرَاسَاتِ ٱلْـوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِـدْمَتِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِـكَ مِنَ النَّصِيحَـةِ وَٱلْأَمَانَةِ شَيْءٌ . وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ .

### ٦٧ ـ ثقة العامة بالافراد ميزان صلاحيتهم للتوظيف عند الحاكم :

فَٱعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً ، وَأَعْرَفِهِمْ بِٱلْأَمَانَةِ وَجْهاً ، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلىٰ نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ .

### ٦٨ ـ تعيين كبار المسؤولين :

وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رأساً مِنْهُمْ ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا .

### ٦٩ ـ مسؤولية الحاكم في موارد تغافله :

وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ .

### ٧٠ ـ الإهتمام بالتجار وذوي الصناعات والطبقة الوسطى :

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً ، ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ ، وَٱلْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ ٱلْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ ، وَجُلَّابُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ، وَلَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشىٰ غَائِلَتُهُ . وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ .

### ٧١ ـ الشح والاحتكار والتّسلط على الأسعار : مضرة للعامة وعيب على الولاة :

وَٱعْلَمْ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً ، وَشُحّاً قَبِيحاً ، وَٱحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّماً فِي ٱلْبِيَاعَاتِ ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلَاةِ .

### ٧٢ ـ ضرورة المنع من الاحتكار وأخذ منافع الطَّرفين بعين الإعتبار :

فَامْنَعْ مِنَ ٱلْإِحْتِكَارِ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ( صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) مَنَعَ مِنْهُ . وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً . بِمَوَازِينِ عَدْلٍ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ . فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ .

### ٧٣ ـ الإهتمام الكبير بالطبقات السفلى وأهل الحاجة :

ثُمَّ ٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، مِنَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ ٱلْبُؤْسَى وَٱلزَّمْنَىٰ ، فَإِنَّ فِي هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً .

### ٧٤ ـ تعيين حصة أساسية للمساكين وأهل البؤسى من بيت المال والمحاصيل :

وَٱحْفَظْ لِلَّهِ مَا ٱسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي ٱلْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ .

### ٧٥ ـ لا عذر للحاكم في الانشغال عن ذوي الحاجات :

فَإِنَّ لِلأَقْصىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَىٰ ، وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ ٱلْكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ .

### ٧٦ ـ ضرورة البحث المستمر عن ذوي الحاجة ممن لا تقتحمه العيون :

فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ ٱلْعُيُونُ ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ ؛ فَفَرِّغْ لِأُولٰئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ ٱعْمَلْ فِيهِمْ بِٱلْإِعْذَارِ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ .

### ٧٧ ـ أهل الحاجة والأيتام والمسنين هم الاحوج إلى الإنصاف والرِّعاية :

فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى ٱلْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى ٱللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ . وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ .

### ٧٨ ـ لتحمّل الحق ، لابد من الصَّبر :

وَذٰلِكَ عَلَى ٱلْوُلَاةِ ثَقِيلٌ ، وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ أَقْوَامٍ طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللَّهِ لَهُمْ .

### ٧٩ ـ تعيين أوقات معينة لذوي الحاجة :

وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ .

### ٨٠ ـ لابد من الأخذ لحق الضعيف :

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ( صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ » .

### ٨١ ـ تحمل ذوي الحاجة ، وطلباتهم وكلامهم :

ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَٱلْأَنَفَ يَبْسُطِ ٱللَّهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً ، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وإِعْذَارٍ !

### ٨٢ ـ إجابة الولاة واجب شخصي على الحاكم :

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَبُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا : مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ .

## ٨٣ ـ رفع حاجات النّاس أولاً بأول :

وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ .

## ٨٤ ـ عدم تأخير أعمال كل يوم :

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ .

## ٨٥ ـ أفضل الاوقات للعبادة والانقطاع إلى الله :

وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِيتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ ٱلأَقْسَامِ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ .

## ٨٦ ـ العطاء لله باقامة الفرائض :

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ : إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً ، فَأَعْطِ ٱللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى الله مِنْ ذٰلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ .

## ٨٧ ـ إقامة صلاة الجماعة بلا تضييع ولا تغيير :

وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ .

## ٨٨ ـ صلاة أضعفهم : تلك هي القاعدة :

وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ( صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى

آلْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِآلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

## ٨٩ ـ حرمة الاحتجاب عن النّاس :

وَأَمَّا بَعْدُ ، فَلَا تُطَوِّلَنَّ آحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ آحْتِجَابَ آلْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِآلأُمُورِ ؛ وَآلإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا آحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ آلْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ آلْحَسَنُ ، وَيَحْسُنُ آلْقَبِيحُ ، وَيُشَابُ آلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ .

## ٩٠ ـ الوالي بشر ولن يعرف ما يغيب عنه :

وَإِنَّمَا آلْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَىٰ عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ آلْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى آلْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ آلصِّدْقِ مِنَ آلْكَذِبِ .

## ٩١ ـ أكثر حاجات النّاس لا تكلفك شيئاً :

وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : أَمَّا آمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِآلْبَذْلِ فِي آلْحَقِّ ، فَفِيمَ آحْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ ! أَوْ مُبْتَلىً بِآلْمَنْعِ ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بِذْلِكَ ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ .

## ٩٢ ـ الحذر من خاصة الوالي ، والمقربين منه :

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً ، فِيهِمُ آسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَآحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ آلْأَحْوَالِ . وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي آعْتِقَادِ عُقْدَةٍ ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا

مِنَ النَّاسِ ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلىٰ غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

## ٩٣ ـ الالتزام بالعدل مع الجميع :

وَأَلْزِمِ ٱلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَٱلْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَٱبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ .

## ٩٤ ـ ضرورة رفع سؤ الظَّنّ من قبل النَّاس :

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى ٱلْحَقِّ .

## ٩٥ ـ قبول الصلح مع العدو إذا جنح إليه :

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضىً ، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْناً لِبِلَادِكَ .

## ٩٦ ـ الحذر الدائم من العدو حتَّى بعد الصلح :

وَلٰكِنِ ٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِٱلْحَزْمِ ، وَٱتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ .

## ٩٧ ـ الالتزام بالمعاهدات حتى مع الأعداء :

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً ، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً ، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِٱلْأَمَانَةِ ، وَٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ .

### ٩٨ ـ الوفاء بالعهود يستوي فيه المسلمون وغيرهم :

فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ ٱللَّهِ شَيْءٌ ٱلنَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِمَاعاً ، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ ٱلْوَفَاءِ بِٱلْعُهُودِ . وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ ٱلْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ ٱلْغَدْرِ ؛ فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ .

### ٩٩ ـ العهود في ذمّة الله فلا يجوز فيه الخداع والادغال :

فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِىءُ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ . وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلىٰ مَنَعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلىٰ جِوَارِهِ ؛ فَلاَ إِدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ .

### ١٠٠ ـ لا مطالبة بتغيير العهود بلا سبب :

وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ ٱلْعِلَلَ ، ولاَ تُعَوِّلَنَّ عَلىٰ لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ . وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ ، لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللَّهِ ، إِلىٰ طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلىٰ ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو ٱنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللَّهِ فِيهِ طِلْبَةٌ لاَ تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ .

### ١٠١ ـ الاحتياط المطلق في قضية الدِّماء :

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنىٰ لِنِقْمَةٍ ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ، وَلاَ أَحْرىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَٱنْقِطَاعِ مُدَّةٍ ، مِنْ سَفْكِ ٱلدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا .

### ١٠٢ ـ لا يجوز تثبيت الحكم باراقة الدِّماء :

وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِىءٌ بِٱلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ ٱلدِّمَاءِ يَـوْمَ ٱلْقِيامَةِ ؛ فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ .

**١٠٣ ـ لا عذر للحاكم في قتل العمد ، وفي الخطأ لابد من تحمل النتائج :**

وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ ٱلْعَمْدِ ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ ٱلْبَـدَنِ . وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَاءٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِٱلْعُقُـوبَةِ ؛ فَـإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلىٰ أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

**١٠٤ ـ الاعجاب والزهو حبائل الشّيطان للحكام :**

وَإِيَّاكَ وَٱلْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَٱلثِّقَةَ بِمَـا يُعْجِبُكَ مِنْهَـا ، وَحُبَّ ٱلْإِطْرَاءِ ، فَـإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُـرَصِ الشَّيْـطَانِ فِي نَفْسِـهِ لِيَمْحَقَ مَـا يَكُـونُ مِنْ إِحْسَـانِ ٱلْمُحْسِنِينَ .

**١٠٥ ـ ليس من حق الحاكم المنّ على الرعية والابتعاد عن الأخلاق :**

وَإِيَّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلىٰ رَعِيَّتِكَ بِـإِحْسَانِـكَ ، أَوِ التَّزَيُّـدَ فِيمَا كَـانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلْإِحْسَانَ ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَالنَّاسِ . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالىٰ : ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تَقولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .

**١٠٨ ـ الحذر من الإنسياق وراء الغضب :**

آمْلِكْ حَمِيَّـةَ أَنْفِكَ ، وَسَـوْرَةَ حَـدِّكَ ، وَسَـطْوَةَ يَـدِكَ وَغَـرْبَ لِسَـانِـكَ ،

وَآحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ آلْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ آلْإِخْتِيَارَ : وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ آلْمَعَادِ إِلىٰ رَبِّكَ .

**١٠٦ ـ ضرورة وضع كل أمر موضعه بلا استبطاء أو عجلة :**

وَإِيَّاكَ وَآلْعَجَلَةَ بِآلْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ آلتَسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، أَوِ آللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ ، أَوِ آلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا آسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ .

**١٠٧ ـ الاستئثار بأمور النّاس ظلم فاضح :**

وَإِيَّاكَ وَآلْإِسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَىٰ بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ . وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ آلْأُمُورِ ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ .

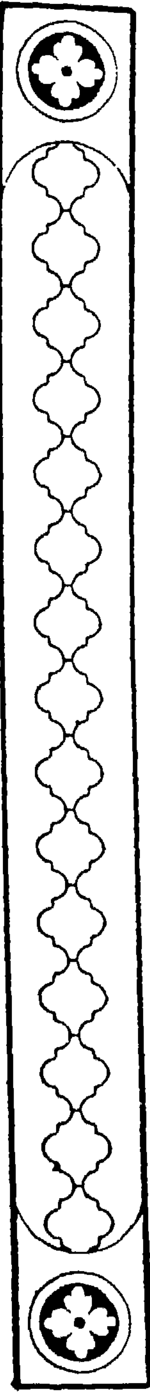
**١٠٩ ـ الأخذ بعادات الحكومات العادلة وسنة رسول الله والتقيد بالشرع والإلتزام بالاخلاق والاصول واجب الحاكم :**

وَآلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ( صَلَّى آللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ آللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي آتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا ، وَآسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ آلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلىٰ هَوَاهَا .

**١١٠ ـ الدُّعاء للاستمرار فيما فيه حسن الثّناء وجميل الأثر :**

وَأَنَا أَسْأَلُ آللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلىٰ إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ

يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ ٱلْإِقَامَةِ عَلَى ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلىٰ خَلْقِهِ ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ ، وَجَمِيلِ ٱلْأَثَرِ فِي ٱلْبِلَاد ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِٱلسَّعَادَةِ وَٱلشَّهَادَةِ ، « إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » . وَالسَّلَامُ عَلىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ( الطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ ) ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً ، وَالسَّلَامُ .





# دعاء ومناجاة

للإمام أمير المؤمنين أكثر من مناجاة ، وأكثر من دعاء كان يدعو بها ربّه ، ويناجيه في الخلوات ، وقد جمعت في كتاب بعنوان الصحيفة العلوية نختار منها اثنين ، دعاء الصباح ، الّذي كان يدعو به بعد صلاة الصبح ، ومناجاته المنظومة .

# بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللّٰهُمَّ يا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ ، وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَياهِبِ تَلَجْلُجِهِ ، وأَتْقَنَ صُنْعَ الْفَلَكِ الدَّوّارِ فِي مَقادِيرِ تَبَرُّجِهِ ، وَشَعْشَعَ ضِياء الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ، يا مَنْ دَلَّ عَلىٰ ذاتِهِ بِذاتِهِ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ ، وَجَلَّ عَنْ مُلائَمَةِ كَيْفِيّاتِهِ ، يا مَنْ قَرُبَ مِنْ خطراتِ الظُّنُونِ ، وَبَعُدَ عَنْ لَحَظاتِ الْعُيُونِ ، وَعَلِمَ بِما كانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، يا مَنْ أَرْقَدَنِي في مِهادِ أَمْنِهِ وَأَمانِهِ ، وَأَيْقَظَنِي الى ما مَنَحَنِي بِهِ مِنْ مِنَنِهِ وَإِحْسانِهِ، وَكَفَّ أَكُفَّ السُّوءِ عَنّي بِيَدِهِ وَسُلْطانِهِ ، صَلِّ اللّهُمَّ عَلَى الدَّليلِ إِلَيكَ في اللَّيْلِ الأليَلِ ، وَالماسِكِ مِنْ

اسْبابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ ، والنَّاصِعِ الْحسَبِ فِي ذِرْوَةِ الْكاهِلِ ٱلْأَعْبَلِ ، وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلىٰ زَحالِيفِها في الزَّمَنِ الأَوَّلِ ، وَعَلىٰ آلِهِ الطَّيِّبينَ الأَخْيارِ الْمُصْطَفَينَ الأَبْرارِ ، وافْتَحِ اللَّهُمَّ لَنَا مَصارِيعَ الصَّباحِ بِمَفاتِيحِ الرَّحْمَةِ والْفَلاحِ ، وَأَلْبِسْنَا اللَّهُمَّ مِنْ أَفْضَلِ خِلَعِ الْهِدايَةِ وَالْصَّلاحِ ، وَاغْرِسِ اللَّهُمَّ بِعَظَمَتِكَ فِي شِرْبِ جَناني يَنابِيعَ الْخُشُوعِ وَاجْرِ اللَّهُمَّ لِهَيبَتِكَ مِنْ آماقِي زَفَراتِ الدُّمُوعِ ، وَأَدِّبِ اللَّهُمَّ نَزَقَ الْخُرقِ مِنّي بِأَزِمَّةِ الْقُنُوعِ .

إِلٰهي : إِنْ لَمْ تَبْتَدِئْنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفِيقِ ، فَمَنِ السّالِكُ بِي إِلَيْكَ فِي واضِحِ الطَّرِيقِ ، وَإِنْ أَسْلَمَتْنِي أَناتُكَ لِقائِدِ الأَمَلِ وَالْمُنى ، فَمَنِ الْمُقيلُ عَثَراتِي مِنْ كَبَواتِ الْهَوى ، وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ ، فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلانُكَ إِلىٰ حَيْثُ النَّصَبِ وَالْحِرْمانِ .

إِلٰهي أَتَرانِي ما أَتَيْتُكَ إِلاَّ مِنْ حَيْثُ الآمالِ ، أَمْ عَلِقْتُ بِأَطْرافِ حِبالِكَ إِلاَّ حِينَ باعَدَتْنِي ذُنُوبِي عَنْ دارِ الْوِصالِ ، فَبِئْسَ المَطِيَّةُ الَّتِي امْتَطَأَتْ نَفْسي مِنْ هَواها ، فَواهاً لَها لِما سَوَّلَتْ لَهَا ظُنُونُها وَمُناها ، وَتَبّاً لَها لِجُرأَتِها عَلىٰ سَيِّدِها وَمَوْلاها .

إِلٰهي قَرَعْتُ بابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجائِي ، وَهَرَبْتُ إِلَيْكَ لاجِئاً مِنْ فَرْطِ أَهْوائِي ، وَعَلَّقْتُ بِأَطْرافِ حِبالِكَ أَنامِلَ وِلائِي ، فَاصْفَحِ اللَّهُمَّ عَمّا كُنْتُ أَجْرَمْتُهُ مِنْ زَلَلِي وَخَطائي ، وَأَقِلْنِي اللَّهُمَّ مِنْ صَرْعَةِ رِدائِي وَعُسْرَةِ بَلائِي ، فَإِنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلايَ ، وَمُعْتَمَدي وَرَجائِي ، وَأَنْتَ غايَةُ مَطْلُوبِي وَمُنايَ ، فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوايَ .

إِلٰهِي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِيناً الْتجأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هٰارِباً ، أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشِداً قَصَدَ الىٰ جَنٰابِكَ سٰاعِياً ، أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْآناً وَرَدَ إِلىٰ حِيٰاضِكَ شٰارِباً ، كَلاّ . ! وَحِيٰاضُكَ مُتْرَعَةٌ فِي ضَنْكِ الْمُحُولِ ، وَبٰابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ وَالْوُغُولِ ، وَأَنْتَ غٰايَةُالمَسْؤُولِ وَنِهٰايَةُ المَأْمُولِ .

إِلٰهِي هٰذِهِ أَزِمَّةُ نَفْسِي قَدْ عَقَلْتُهٰا بِعِقٰالِ مَشِيئَتِكَ، وَهٰذِهِ أَعْبٰاءُ ذُنُوبِي دَرَأْتُهٰا بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ، وَهٰذِهِ أَهْوٰائِي الْمُضِلَّةُ وَكَلْتُهٰا إِلىٰ جَنٰابِ لُطْفِكَ وَرَأْفَتِكَ ، فَاجْعَلِ اللَّهُمَّ صَبٰاحِي هٰذٰا نٰازِلا عَلَيَّ بِضِيٰاءِ الْهُدٰى ، وَبالسَّلامَةِ ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيا ، وَمَسٰائِي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدٰى ، وَوِقٰايَةً مِنْ مُرْدِيٰاتِ الْهَوٰى ، إِنَّكَ قٰادِرٌ عَلىٰ مٰا تَشٰاءُ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشٰاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ ، وَتُولِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ .

سُبْحٰانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، جَلَّ ثَنٰاؤُكَ ، مَنْ ذٰا يَعْرِفُ قُدْرَتَكَ فَلاٰ يَخٰافُكَ ، وَمَنْ ذٰا يَعْلَمُ مٰا أَنْتَ فَلاٰ يَهٰابُكَ ، أَلَّفْتَ بِقُدْرَتِكَ الفِرَقَ ، وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ ، وَأَنَرْتَ بِكَرَمِكَ دَيٰاجِيَ الْغَسَقِ ، وَأَنْهَرْتَ الْمِيٰاهَ مِنَ الصُمِّ الصَّيٰاخِيدِ عَذْباً وَأُجاجاً ، وَأَنْزَلْتَ مِنَ الْمُعْصِرٰاتِ مٰاءً ثَجّاجاً ، وَجَعَلْتَ الشَّمسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِيَّةِ ، سِرٰاجاً وَهّاجاً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمٰارِسَ فِيما ابْتَدَأْتَ بِهِ لُغُوباً وَلاٰ عِلاٰجاً ، فَيٰا مَنْ تَوَحَّدَ بِالعِزِّ والبَقٰاءِ ، وَقَهَرَ عِبٰادَهُ بِالْمَوْتِ وَالْفَنٰاءِ ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الأَتْقِيٰاءِ ، وَاسْتَمِعْ نِدائِي ، وَأَهْلِكْ أَعْدٰائِي ، وَاسْتَجِبْ دُعٰائِي ،

وَحَقِقْ بِفَضْلِكَ أَمَلِي وَرَجائِي .

يٰا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ لِكَشْفِ الضُرّ ، وَالْمَأْمُولِ لِكُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، بِكَ أَنْزَلْتُ حاجَتِي ، فَلا تَرُدَّنِي يٰا سَيِّدِي مِنْ سَنِيّ مَواهِبِكَ خائِباً ، يٰا كَرِيمُ يٰا كَرِيمُ يٰا كَرِيمُ بِرَحْمَتِكَ يٰا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، وَصَلَّى الله عَلىٰ سَيِّدِنا وَنَبِيِنا خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ . .

إِلٰهِي قَلْبِي مَحْجُوبٌ ، وَنَفْسِي مَعْيُوبٌ ، وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ ، وَهَواٰئِي غٰالِبٌ ، وَطٰاعَتِي قَلِيلٌ ، وَمَعْصِيَتِي كَثِيرٌ ، وَلِسٰانِي مُقِرٌ بِالذُّنُوبِ ، فَكَيْفَ حِيلَتِي يٰا عَلاّمَ الْغُيوبِ ، يٰا غَفّارَ الذُّنُوبِ ، يٰا سَتّارَ الْعُيُوبِ ، إِغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهٰا يٰا غَفّارُ يٰا غَفّارُ يٰا غَفّارُ ، يٰا شَدِيدَ الْعِقٰابِ ، يٰا غَفُورُ يٰا رَحِيمٌ ، يٰا حَلِيمُ يٰا كَرِيمُ ، إِقْضِ حٰاجٰاتِي بِحَقِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، وَصَلىٰ الله عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ ، الطَيِبِينَ الطّاهِرِينَ[١] .

(١) الصحيفة العلوية : ص٢٣ ـ ٦٠ .

# مناجاة

## بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

لَكَ الْحَمْدُ يا ذا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلىٰ ... تَبارَكْتَ تُعْطي مَنْ تَشاءُ وَتَمْنَعُ

إلٰهي وَخَلّاقي وَحِرْزي وَمَوْئِلي ... إلَيْكَ لَدى الْأعْسارِ وَالْيُسْرِ أفْزَعُ

إلٰهي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطيئَتي ... فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبي أجَلُّ وَأوْسَعُ

إلٰهي لَئِنْ أعْطَيْتُ نَفْسِيَ سُؤْلَها ... فَها أنَا في رَوْضِ النَّدامَةِ أرْتَعُ

إلٰهي فَلا تَقْطَعْ رَجائي وَلا تُزِغْ ... فُؤادي فَلي في سَيْبِ جُودِكَ مَطْمَعُ

إلٰهي أجِرْني مِنْ عَذابِكَ إنَّني ... أسيرٌ ذَليلٌ خائِفٌ لَكَ أخْضَعُ

إلٰهي فآنِسْني بِتَلْقينِ حُجَّتي ... إذا كانَ لي في الْقَبْرِ مَثْوىً وَمَضْجَعُ

إلٰهي لَئِنْ عَذَّبْتَني ألْفَ حَجَّةٍ ... فَحَبْلُ رَجائي مِنْكَ لا يَتَقَطَّعُ

إلٰهي أذِقْني طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لا ... بَنُونَ وَلا مالٌ هُنالِكَ يَنْفَعُ

إلٰهي لَئِنْ لَمْ تَرْعَني كُنْتُ ضائِعاً ... وان كُنتَ تَرعاني فَلَسْتُ أُضيَّعُ

إلٰهي إذا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ ... فَمَنْ لِمُسيءٍ بِالْهَوىٰ يَتَمَتَّعُ

إلٰهي لَئِنْ فَرَّطْتُ في طَلَبِ التُّقىٰ ... فَها أنَا إثْرَ الْعَفْوِ أقْفُو وَأتْبَعُ

إلٰهي لَئِنْ أخْطَأْتُ جَهْلاً فَطالَما ... رَجَوْتُكَ حَتّىٰ قيلَ ما هُوَ يَجْزَعُ

إلٰهي ذُنُوبي بَذَّتِ الطَّوْدَ وَاعْتَلَتْ ... وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبي أجَلُّ وَأرْفَعُ

إِلٰهي يُنَجّي ذِكْرُ طَوْلِكَ لَوْعَتي    وَذِكْرُ الْخَطايا الْعَيْنَ مِنّي يُدَمِّعُ

إِلٰهي أَقِلْني عَثْرَتي وَامْحُ حَوْبَتي    فَإِنّي مُقِرٌّ خائِفٌ مُتَضَرِّعُ

إِلٰهي أَنِلْني مِنْكَ رَوْحاً وَراحَةً    فَلَسْتُ سِوىٰ أَبْوابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إِلٰهي لَئِنْ أَقْصَيْتَني أَوْ أَهَنْتَني    فَما حيلَتي يا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ

إِلٰهي حَليفُ الْحُبِّ فِي اللَّيْلِ ساهِرٌ    يُناجي وَيَدْعُو وَالْمُغَفَّلُ يَهْجَعُ

إِلٰهي وَهٰذَا الْخَلْقُ ما بَيْنَ نائِمٍ    وَمُنْتَبِهٍ فِي لَيْلِهِ يَتَضَرَّعُ

وَكُلُّهُمُ يَرْجُو نَوالَكَ راجِياً    لِرَحْمَتِكَ الْعُظْمىٰ وَفِي الْخُلْدِ يَطْمَعُ

إِلٰهي يُمَنّيني رَجائي سَلامَةً    وَقُبْحُ خَطيئاتي عَلَيَّ يُشَنِّعُ

إِلٰهي فَإِنْ تَعْفُو فَعَفْوُكَ مُنْقِذي    وَإِلّا فَبِالذَّنْبِ الْمُدَمِّرِ أُصْرَعُ

إِلٰهي بِحَقِّ الْهاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ    وَحُرْمَةِ أَطْهارٍ هُمُ لَكَ خُضَّعُ

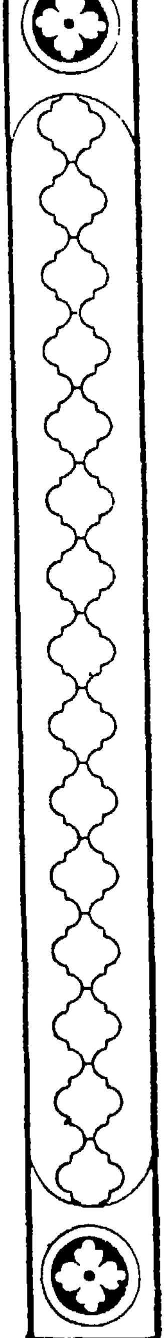
إِلٰهي بِحَقِّ الْمُصْطَفىٰ وَابْنِ عَمِّهِ    وَحُرْمَةِ أَبْرارٍ هُمُ لَكَ خُشَّعُ

إِلٰهي فَأَنْشِرْني عَلىٰ دينِ أَحْمَدٍ    مُنيباً تَقِيّاً قانِتاً لَكَ أَخْضَعُ

وَلا تَحْرِمَنّي يا إِلٰهي وَسَيِّدي    شَفاعَتَهُ الْكُبْرىٰ فَذاكَ الْمُشَفَّعُ

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ما دَعاكَ مُوَحِّدٌ    وَناجاكَ أَخْيارٌ بِبابِكَ رُكَّعُ[1]

(١) مفاتيح الجنان : ص١٢٩ ـ ١٣١ .





# وصايا رسول الله
# صلى الله عليه وآله وسلم
# للامام عليه السلام



« وجّـه النّبي ( صلّى الله عليه وآلـه وسلّم ) علياً إلى بعض الـوجـوه ، فقال : « يا على اوصيك بوصايا ، ما حفظتـها تبقى في خير وعافية :

ثم أوصاه بما يلي : يا عليّ ! لا تدعنَّ حقّاً لغدٍ فإنَّ لكلِ يوم ما فيه ، وابرز للنّاس وقدّم الوضيعَ على الشّريف والضّعيف على القويِّ والنّساءَ قبل الرجال ، ولاتُدخلنَّ أحداً يغلبك على أمرك، وشاور القرآن فإنّه إمامك .

ياعليّ ! من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه ، أعقبه الله تعالى يوم القيامة أمناً وإيماناً يجد طعمه .

ياعليّ ! من لم يحسن وصيةً عند موته ، كان نقصاً في مُرُوءتِهِ يملك الشفاعة .

يا عليّ ! أفضل الجهاد من أصبح ولم يُهمَّ بظُلم أحدٍ .

يا عليّ ! من خاف النّاسُ لِسانَه فهو من أهلِ النّار .

يا عليّ ! شرُّ النّاسِ من أكرمه النّاسُ اتّقاء شرّهِ .

يا عليّ ! شاربُ الخمر كعابد الوثن .

يا عليّ ! شرّ النّاس من باع آخرته بدنياه ، وشرّ من ذلك من باع آخرتـه بدنيا غيره .

يا عليّ ! إنَّ من اليقين ألّاَ تُرضيَ أَحَداً بسَخَطِ الله ، ولا تحمد أحداً على ما آتاك الله ، ولا تَذُمَّ أَحداً على ما لم يُؤتك الله ، فإنَّ الرزق لا يجرّه حِرْصُ حَريص ، ولا يصرِفُهُ كراهةُ كارهٍ ، إن الله بِحكمتِهِ وفضلِهِ جعل الرَّوْحَ والفَرَحَ في اليقين والرضى ، وجعل الهَمَّ والحزن في الشّك والسخط .

يا عليّ ! إذا وُلِدَ لَكَ غلام أو جارية فأَذّن في أُذُنِهِ اليمنى ، وأَقِمْ في اليسرى ، فإنّهُ لا يَضُرُّهُ الشّيطان أبداً .

يا عليّ ! لا تحلفْ بالله كاذباً ولا صادقاً من غير ضرورة ، ولا تَجْعلِ اللَّهَ عُرضةً ليمينك ، فإنَّ الله لا يَرْحَمُ ولا يَرْعَى من حَلَفَ بإسمه كاذباً .

يا عليّ ! من لم يقبل المعذرة من متنصّلٍ ، صادقاً كان أو كاذباً ، لم ينَلْ شفاعتي .

يا عليّ ! إنَّ الله ، عزَّ وجلَّ ، أَحبَّ الكذب في الصلاح ، وأبغض الصِّدق في الفساد .

يا عليّ ! من ترك الخمر لغير الله ، سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم ، فقال عليّ : لغير الله ؟ قال : نعم والله صيانَةً لنفسه ، يشكره الله على ذلك .

يا عليّ ! شارب الخمر لا يقبل الله ، عزّ وجلّ ، صلاته أربعين يوماً .

يا عليّ ! كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام .

يا عليّ ! جعلت الذُّنوب كلّها في بيت، جعل مفتاحها شرب الخمر .

يا عليّ ! تأتي على شارب الخمر ساعة لا يعرف فيها ربّه، عزَّ وجلَّ .

يا عليّ ! من لم تنتفع بدينه ولا دنياه ، فلا خير في مجالسته ، ومن لم يوجب لك فلا توجب له ، ولا كرامة .

يا عليّ ! حرَّم الله الجنَّة على كل فاحش بذيء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له .

يا عليّ ! طوبى لمن طال عمره ، وحسُن عمله .

يا عليّ ! لا تمزح فيذهب بهاؤك ، ولا تكذب فيذهب نورك ، وإيَّاك وخصلتين : الضجر والكسل ، فإنَّك إن ضجرت لم تصبر على حق ، وإنْ كسلت لم تؤدّ حقّاً .

يا عليّ ! لكلِّ ذنب توبة ، إلاَّ سوء الخلق ، فإن صاحبَه كلَّما خرج من ذنب دخل في ذنب آخر .

يا عليّ ! من استولى عليه الضجر رحلت عنه الرَّاحة .

يا عليّ ! خلق الله ، عزَّ وجلَّ الجنَّة من لبنتين : لبنة من ذهب ولبنة من فضَّة ، وجعل حيطانها الياقوت ، وسقفها الزَّبرجد ، وحصاها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران والمسك الأذفر ، ثم قال لها : تكلمي ! فقالت : لا إله إلاَّ الله الحيّ القيوم ، قد سعد من يدخلني ؛ فقال الله ، جلَّ جلاله : « وعزّتي وجلالي لا يدخلها مُدمن خمر ، ولا نمّام ، ولا ديّوث ، ولا شرطي ، ولا مُخَنَّث ، ولا نبّاش ، ولا عشّار ، ولا قاطع رَحِم ، ولا قدريّ » .

يا عليّ ! آفة الحسب الافتخار .

يا عليّ ! من خاف الله ، عزَّ وجلَّ ، أُخاف منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أُخافه الله من كل شيء .

يا عليّ ! كره الله لأمّتي العبث في الصَّلاة ، والمنّ في الصدقة ، وإتيان المساجد جُنُباً ، والضّحك بين القُبور ، والتَّطلُّع في الدُّور ، والنَّظر إلى فروج النِّساء ، وكره الكلام عند الجماع وكره النَّوم بين العشائين لأنَّه يحرم الرزق ، وكره الغسل تحت السَّماء إلا بمئزر ، وكره دخول الأنهار إلاَّ بمئزر ، فإنَّ فيها

سكاناً من الملائكة ، وكره دخول الحمّام إلا بمئزر ، وكره الكلام بين الأذان والإقامة في صلاة الغداة ، وكره ركوب البحر في وقت هيجانه ، وكره النَّوم فوق سطح ليس بمحَجّر ، وقال : من نام على سطح غير مُحَجّر ، فقد برئت منه الذّمّة ، وكره أن ينام الرجل في بيت وحده ، وكره أن يغشى الرجل امرأته وهي حائض ، وكره أن يكلّم الرجلُ مجذوماً ، إلاَّ أن يكون بينه وبينه قدر ذراع . وكره أنْ يأتي الرجل أهله وقد احتلم ، حتَّى يغتسل من الإحتلام ، فإن فعل ذلك وخرج الولد مجنوناً فلا يلومنّ إلا نفسه ، وكره البول على شط نهر جارٍ ، وكره أن يُحدث الرَّجل تحت شجرةٍ أو نخلةٍ قد أثمرت ، وكره أن يُحدث الرَّجل وهو قائم ، وكره أن ينتعل الرجل وهو قائم ، وكره أن يدخل الرَّجل بيتاً مظلماً إلاَّ بالسِّراج .

يا عليّ ! لا رضاع بعد فطام ، ولا يُتْمَ بعد احتلام .

يا عليّ ! أوثَقُ عُرى الإيمان الحبُّ في الله ، والبغضُ في الله .

يا عليّ ! سِرْ سنتين بر والدتك ، سِرْ سنة صِلْ رحمك ، سِرْ ميلاً عُدْ مريضاً ، سِرْ ميلين شيّع جنازةً ، سِرْ ثلاثة أميال أجبْ دعوةً ، سِرْ أربعة أميال زُرْ أخاً في الله ، سِرْ خَمسة أميال أجب الملهوف ، سِرْ ستة أميال انْصُرِ المظلوم ، وعليك بالاستغفار .

يا عليّ ! من انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله ، ومن منعَ أجيراً أجره فعليه لعنة الله ، ومن أحدث حَدَثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله ؛ فقيل : يا رسول الله ! وما ذلك الحَدَث ؟ قال : القتل .

يا عليّ ! المؤمن من أمنه المسلمون على أموالهم ودمائهم ، والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، والمهاجر من هجر السيّئات .

يا عليّ ! إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهليَّة

وتفاخرها بآبائها ، ألا إنَّ النَّاس من آدم وآدم من تراب ، وأكرمهم عند الله أتقاهم .

يا عليّ ! من السُّحت ثمن الميتة ، وثمن الكلب ، وثمن الخمر ، ومهر الزَّانية ، والرَّشوة في الحكم ، وأجر الكاهن .

يا عليّ ! من تَعَلّمَ علماً ليماري به السُّفهاء ، أو يجادل به العلماء ، أو ليدعو النَّاس إلى نفسه ، فهو من أهل النَّار .

يا عليّ ! ما أحد من الأوَّلين والآخرين ، إلَّا وهو يتمنَّى يوم القيامة أنّه لم يُعْطَ من الدُّنيا إلَّا قوتاً .

يا عليّ ! من كذب عليَّ متعمّداً ، فليتبوَّأ مقعده من النَّار .

يا عليّ ! إذا مات العبد قال النَّاس : ما خلّف ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟

يا عليّ ! الدُّنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر .

يا عليّ ! موت الفجأة راحة للمؤمن ، وحسرة للكافر .

يا عليّ ! أوحى الله ، تبارك وتعالى ، إلى الدُّنيا : اخدمي من خدمني ، وأتعِبي من خدمك .

يا عليّ ! إن الدُّنيا لو عدلت عند الله ، تبارك وتعالى ، جناح بعوضة لما سُقي الكافر منها شربة من ماء .

يا عليّ ! شَرُّ النَّاس من اتّهم الله في قضائه .

يا عليّ ! أنين المؤمن تسبيح ، وصياحه تهليل ، ونومه على الفراش عبادة ، وتقلّبه من جنب إلى جنبٍ جهاد في سبيل الله ، يمشي في النَّاس وما عليه من ذنب .

يا عليّ ! لو أُهدي إليَّ كُراع لقبلتُ ، ولو دُعيت إلى كُراع لقبلتُ .

يا عليّ! الإسلام عريان، ولباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّءته العمل الصَّالح ، وعماده الورع ، ولكل شيء أساس ، وأساس الإسلام محبّتنا أهلَ البيت .

يا عليّ ! نجا المخففون .

يا عليّ ! السّواك من السُّنَّة ، ومَطهرةٌ للفم ، ويجلو البصر ، ويُرضي الرَّحمٰن ، ويبيّض الأسنان ، ويَذهبُ بالحَفَرة ، ويُشَيّدُ اللِّثة ، ويشهّي الطَّعام ، ويذهبُ بالبلغم ، ويزيد في الحفظ ، ويضاعف الحسنات ، وتفرح به الملائكة .

يا عليّ ! ثلاثة من حلل الله : رجل زار أخاه المؤمن في الله ، فهو زَورُ الله ، وحقّ على الله أن يُكرمَ زَورَهُ ، ويُعطيه ما سأل ، ورجل صلَّى ، ثم عقَّب إلى الصَّلاة ، فهو ضيف الله ، وحَقّ على الله أنْ يُكرمَ ضيفه ، والحاجّ والمعتمر ، فهما وفد الله ، وحَقّ على الله أن يُكرمَ وفده .

يا عليّ ! ثلاث منجيات : تكفّ لسانك ، وتبكي على خطيئتك ، ويسعك بيتك .

يا عليّ ! ينبغي أن يكون في المؤمن ثماني خصال : وَقار عند الهزاهز ، وصبر عند البلاء ، وشكر عند الرَّخاء ، وقنوع بما رزقه الله ، عزَّ وجلَّ ، ولا يظلم الأعداء ، ولا يتحامل على الأصدقاء ، بدنه منه في تعَب ، والنَّاس منه في راحة .

يا عليّ ! أربع لا تُرَدُّ بدعوة : دعوة إمامٍ عادلٍ ، ووالد لولده ، والرَّجل يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب ، والمظلوم ، يقول الله ، عزَّ وجلَّ : « وعزَّتي وجلالي لأنتصرنَّ لك ولو بعد حين » .

يا عليّ ! ثمانية إن أُهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذَّاهب إلى مائدة لم يُـدعَ إليها ، والمتـأمّر على ربِّ البيت ، وطـالب الخير من أعـدائه ، وطـالب الفضـل من اللئام ، والـدَّاخل بين اثنين في سـرّ لم يُدخـلاه فيه ، والمستخفّ بالسّلطان ، والجالس في مجلس ليس له بأهل ، والمقبل بالحديث على من لم يسمع منه .

يا عليّ ! ثلاث ثوابهن في الدُّنيا والآخرة : الحج ينفي الفقر ، والصَّدقة تدفع البلية . وصلة الرَّحم تزيد في العمر .

يا عليّ ! أربعة أسرع شيء عقوبةً : رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إليه إساءةً ، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك ، ورجـل عاهـدته على أمـر فوفيت له وغدر بك ، ورجل وصلت قرابته فقطعها .

يا عليّ ! اثنتا عَشْرَةَ خَصْلة ينبغي للمسلم أنْ يتعلّمها على المائدة : أربع منها فريضة ، وأربع منها سُنّةٌ ، وأربع منها أدب . فأمَّا الفريضة : فالمعرفة بما يأكل ، والتَّسمية ، والشّكر ، والـرِّضا ، وأمَّـا السُّنَّة : فـالجلوس على الرِّجـل اليسرى ، والأكل بثلاث أصابع ، وأن يأكل ممَّا يليـه ، ومصّ الأصابـع . وأمَّا الأدب : فتصغيـر اللقمة ، والمضـغ الشَّديـد ، وقلَّة النَّظر في وجـوه النَّاس ، وغسل اليدين .

يا عليّ ! كَفَرَ بالله العظيم من هـذه الأُمَّة عشـرة : القَتَّات ، والسَّـاحر ، والدَّيُّوث ، وناكح المرأة حرامـاً في دُبُرهـا ، وناكـح البهيمة ، ومن نكـح ذات مَحْرم ، والسَّاعي في الفتنة ، وبائع السِّلاح من أهل الحرب ، ومانع الـزَّكاة ، ومن وجد سَعَةً فمات ولم يحجّ .

يا عليّ ! لا ينبغي للعاقل أن يكون ظاعناً إلاَّ في ثلاث : مَرَمّةٍ لمعاش ، أو تزوُّدٍ لمَعَاد ، أو لَذَّةٍ في غير محرم .

يا عليّ ! ثلاث من مكـارم الأخلاق في الـدُّنيا والآخـرة : أَنْ تعفو عمَّن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم عمَّن جهل علَيْكَ .

يا عليّ ! بادر بأَربع قبـل أَربع : شبـابك قبـل هَرَمـك ، وصحّتك قبـل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك .

يـا عليّ ! ثمانيـة لا يُقبل منهم الصَّـلاة : العبد الآبق حتَّى يـرجـع إلى مولاه ، والنَّاشز زوجها وهو عليها سـاخط ، ومانـع الزَّكـاة ، وتارك الـوضوء ، والجارية المدركة تصلِّي بغير خمار ، وإمام قوم يصلِّي بهم وهم له كارهـون ، والسَّكران ، والزَّنين ، وهو الَّذي يدافع البول والغائط .

يا عليّ ! أَربع من كُنَّ فيـه بنى الله له بيتـاً في الجنَّة : من آوى اليَّتيم ، ورحم الضَّعيف ، وأَشفق على والديه ، ورفق بمملوكه .

يا عليّ ! ثلاثة لا تطيقها هذه الأُمَّة : المواساة للأخ في ماله ، وإنصاف النَّاس من نفسه ، وذكر الله ، عزَّ وجـلَّ ، على كلّ حـال ، وهو « سبحـان الله والحمد لله ، ولا إِلَه إلَّا الله والله أَكبر » ولكن إذا وَرَدَ على ما يَحْرُمُ عليه خاف الله ، عزَّ وجلَّ ، عنده وتركه .

يا عليّ ! ثلاث من لقي الله ، عزَّ وجلَّ ، بهنَّ فهو من أَفضل النَّاس : من أتى الله بما افترض عليه فهو من أَعبد النَّاس ، ومن ورع من محارم الله فهو من أَورع النَّاس ، ومن قنع بما رزقه الله فهو أَغنى النَّاس .

يـا عليّ ! ثلاث من حقـائق الإيمان : الإنفـاق من الإقتار ، وإنصـافـك النَّاس من نفسك ، وبذل العلم للمتعلّم .

يا عليّ ! سبع من كنَّ فيه فقد استكمل حقيقة الإِيمـان ، وأَبواب الجنَّـة مفتَّحـة له : من أَسْبَـغَ وضوءه ، وأَحسن صـلاتـه ، وأَدَّى زكـاة مـالـه ، وكفَّ غضبه ، وسجن لسانه ، واستغفر لذنبه ، وأَدَّى النَّصيحة لأهل بيت نبيِّه .

يا عليّ ! لعن الله ثلاثة : آكل زاده وحده ، وراكب الفلاة وحده ، ونائم في بيتٍ وحده .

يا عليّ ! ثلاث من لم يكنَّ فيه لم يتمّ عمله : ورَع يحجزه عن معاصي الله ، وخُلق يداري به النَّاس ، وحلم يردُّ به جهل الجهَّال .

يا عليّ ! ثلاث يحسن فيهنَّ الكذب : المكيدة في الحرب ، وعِدَتُك زوجتك ، والإصلاح بين النَّاس .

يا عليّ ! ثلاث فرحات للمؤمن في الدُّنيا : لقاء الإخوان ، وتفطير الصَّائم ، والتَّهجّد في آخر اللَّيل .

يا عليّ ! أنهاك عن ثلاث خصال : الحسد ، والحرص ، والكبر .

يا عليّ ! أربع خصال من الشَّقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وبُعد الأمل ، وحُبّ الشَّقاء .

يا عليّ ! ثلاث دَرَجات ، وثلاث كفَّارات ، وثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات . فأمَّا الدَّرجات : فإسباغ الوضوء في السَّبرات ، وانتظار الصَّلاة بعد الصَّلاة ، والمشي باللَّيل والنَّهار إلى الجماعات . وأمَّا الكفَّارات : فإفشاء السَّلام ، وإطعام الطَّعام ، والتَّهجّد باللَّيل والنَّاس نيام . وأمَّا المهلكات : فَشحّ مطاع ، وهَوىً مُتّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وأمَّا المنجيات : فخوف الله في السّرّ والعلانية ، والقصد في الغناء والفقر ، وكلمة العدل في الرِّضا والسَّخط .

يا عليّ ! العيش في ثلاث : دار قوراء ، وجارية حسناء ، وفرس قبّاء .

يا عليّ ! ثلاث يزدن في الحفظ ، ويُذهبن البلغم : اللَّبان ، والسّواك ، وقراءة القرآن .

يا عليّ ! النَّوم أربعة : نوم الأنبياء ، ( عليهم السلام ) ، على أقفيتهم ، ونوم المؤمنين على أيمانهم ، ونوم الكُفَّار والمنافقين على أيسارهم ، ونوم

الشَّياطين على وجوههم .

يا عليّ ! أربعة من قواصم الظّهر : إمام يعصي الله ، عزَّ وجلَّ ، ويُطاع أمرُهُ ، وزوجة يحفَظُها زوجُها وهي تخونُه ، وفقر لا يجد صاحبُهُ مداوياً ، وجارُ سوء في دارِ مُقامٍ .

يا عليّ ! ثلاث يقسّين القلب : استماع اللهو ، وطلب العيد ، وإتيان باب السُّلطان .

يا عليّ ! إن عبد المطَّلب سَنَّ في الجاهلية خمس سنن ؛ وأجراها الله ، عزَّ وجلَّ ، له في الإسلام : حرَّم نساءَ الآباء على الأبناء ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : **﴿ولا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤكُمْ مِنَ النِّساء﴾** ، وَوَجَدَ كنزاً فأخْرج منه الخمس وتصدَّق به ، فأنزل الله ،عزَّ وجلَّ : **﴿وَاعْلَمُوا أنَّما غنمتُمْ من شيءٍ ، فإنَّ للَّهِ خُمُسَه﴾** ، ولما حفر بئر زمزم سمّاها سقاية الحاجّ فأنزل الله ، تبارك وتعالى : **﴿أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجِّ ، وعِمارَةَ المسْجِدِ الحَرامِ ، كَمَنْ آمَنَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾** ، وسنّ في القتل مائة من الإبل ، فأجرى الله ، عزَّ وجلَّ ، ذلك في الإسلام ، ولم يكن للطَّواف عَدَدٌ عند قريش ، فَسَنَّ لهم عبد المطَّلب سبعة أشواط فأجرى الله ، سبحانَه ، ذلك في الإسلام .

يا عليّ ! أعجبُ النَّاس إيماناً ، وأعظمُهم يقيناً ، قَوْمٌ يكونون في آخر الزَّمان ، لم يلحقوا النبيّ ، وحجب عنهم الحجّة ، فآمنوا بسواد على بياض .

يا عليّ ! لا يُقتل والد بولده .

يا عليّ ! لا يقبل الله دعاء قلبٍ ساهٍ .

يا عليّ ! ليس على زانٍ عُقر ، ولا حَدٌ في التَّعريض ، ولا شفاعة في حدٍّ ، ولا يمين في قطيعة رَحِم ، ولا يمين لولد مع والده ، ولا لامرأة مع زوجها ، ولا لعبد مع مولاه ، ولا صمت يوم إلى اللَّيل ، ولا وصال في صيام ،

ولا تعرّب بَعْدَ هِجْرَةٍ .

يا عليّ ! ركعتان يصلّيها العالم ، أفضل من ألف ركعة يصليها العابد .

يا عليّ ! لا تصوم المرأة تطوّعاً إلا بإذن زوجها ، ولا يصوم العبد تطوّعاً إلا بإذن مولاه ، ولا يصوم الضّيف تطوّعاً إلا بإذن صاحبه .

يا عليّ ! صوم يوم الفطر حرام ، وصوم يوم الأضحى حرام ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصّمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدّهر حرام .

يا عليّ ! في الزّنا ستّ خصال : ثلاث منها في الدّنيا وثلاث منها في الآخرة : . فأمّا الّتي في الدّنيا : فيذهب بالبهاء ، ويعجّل الفناء ، ويقطع الرزق . وأمّا الّتي في الآخرة : فسوء الحساب ، وسخط الرّحمٰن ، والخلود في النّار .

يا عليّ ! من منع قيراطاً من زكاة ماله ، فليس بمؤمن ولا بمسلم . ولا كرامة .

يا عليّ ! الصّدقة تردُّ القضاء الّذي قد أُبرم إبراماً .

يا عليّ ! تارك الزّكاة يسأل الله الرّجعة إلى الدّنيا ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿حتّى إذا جاء أَحَدَهُمُ الموتُ قالَ ربِّ راجعونِ﴾ الآية .

يا عليّ ! تارك الحج وهو مستطيع كافر ، يقول الله ، تبارك وتعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً ، ومَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ .

يا عليّ ! من سوّف الحجّ حتّى يموت ، بعثه الله ، عزّ وجلّ ، يوم القيامة يهوديّاً أو نصرانيّاً .

يا عليّ ! افتتح بالملح ، واختتم بالملح ، فـإنّه شفـاء من اثنين وسبعين داء .

يا عليّ ! العقل ما اكتُسبت به الجنَّة ، وطُلب به رِضى الرَّحْمٰن .

يـا عليّ ! إنَّ أوَّل خلقٍ خلقه الله ، عـزَّ وجلَّ ، العقـل فقال لـه : أقْبِلْ فأقْبَلَ ، ثم قال له : أدبرْ فأدبَرَ ، فقال : « وعزَّتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليَّ منك ، بك أؤاخِذ ، وبك أُثيبُ ، وبك أُعاقِب » .

يا عليّ ! لا صدقة وذو رَحِمٍ محتاج .

يا عليّ ! درهم في الخضاب ، خير من ألف درهم يُنفق في سبيل الله ، وفيـه أربع عَشْـرة خصلة : يـطرد الـريـح من الأذنين ، ويجلو البصـر ، ويليّن الخياشيم ، ويطيّب النَّكهة ، ويشدُّ اللِّثة ، ويذهب بـالصنان ، ويُقـلُّ وسوسـة الشَّيطان ، وتفرح به الملائكة ، ويستبشر به المؤمن ، ويغيظ به الكافر ، وهـو زينة وطيب ، ويستحي منه منكر ونكير ، وهو براءة له في قبره .

يا عليّ ! لا خير في القول إلا مع الفعل ، ولا في المنتظر إلاَّ مع الخبر ، ولا في المال إلا مع الجود ، ولا في الصّدق إلاَّ مع الوفاء ، ولا في الفقه إلاَّ مع الورع ، ولا في الصدقة إلاَّ مع النّيَّة ، ولا في الحياء إلاَّ مع الصَّمت ، ولا في الوطن إلا مع الأمن والسُّرور .

يا عليّ ! ألا أُخبركم بأشبهكم بي خلقاً ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : أحسنكم خلقاً ، وأعظمكم حلماً ، وأبرُّكم بقرابته ، وأشدكم من نفسه إنصافاً .

يا عليّ ! من خاف ساحراً أو شيطاناً فليقرأ : ﴿**إنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ في سِتَةِ أيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ، يُدَبِّرُ الأمْرَ ، مَـا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، فاعْبُدُوهُ أفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ .

يـا عليّ ! حقّ الولـد على والده : أن يُحسن إسمـه ، وأدبـه ، ويضعـه موضعاً صالحاً ، وحقّ الوالد على ولده : أن لا يسميه بإسمه ، ولا يمشي بين يديه ، ولا يجلس أمامه ، ولا يدخل معه الحمَّامَ .

يا عليّ ! لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما .

يـا عليّ ! يلزم الوالـدين من عقوق ولـدهما ، مـا يلزم الـولـد لهمـا من عقوقهما .

يا عليّ ! رحم الله والدين حملا ولدهما على برّهما .

يا عليّ ! من أحزنَ والديه فقد عقَّهما .

يا عليّ ! من اغتيب عنده أخـوه المسلم ، واستطاع نصـره فلم ينصره ، خذله الله تعالى في الدُّنيا والآخرة .

يا عليّ ! من كفى يتيماً في نفقته بماله ، حتَّى يستغني ، وجبت له الجنَّة البتة .

يا عليّ ! من مسح يده على رأس يتيم ترحُّماً ، أعطاه الله ، عزَّ وجلَّ ، بكل شعرة نوراً يوم القيامة .

يا عليّ ! لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعْود من العقـل ، ولا وحدة أوحش من العُجْب ، ولا عقـل كـالتـدبيـر ، ولا ورع كـالكفّ عن محـارم الله تعالى ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا عبادة مثل التفكّر .

يا عليّ ! آفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النّسيان ، وآفة العبادة العزَّة ، وآفة الجمال الخُيَلاء ، وآفة العلم الحسد .

يا عليّ ! أربعة يذهبن ضيَاعاً : الأكل على الشَّبع ، والسِّراج في القمر ، والزَّرع في السَّبْخة ، والصنيعة إلى غير أهلها .

يا عليّ ! من نسي الصَّلاة عَليَّ ، فقد أخطأ طريق الجنَّة .

يا عليّ ! إيَّاك ونقرة الغراب ، وفريسة الأسد .

يا عليّ ! لأنْ أُدخل يدي في فم التنّين إلى المرفق ، أحبُّ من أن أسأل من لم يكن ثم كان .

يـا عليّ ! إنَّ أعتى النَّاس على الله ، عـزَّ وجلَّ ، القـاتـل غيـر قـاتله ، والضَّارب غير ضاربه ، ومن تولَّى غير مواليه فقد كفر بما أُنزل الله ، عزَّ وجلَّ .

يا عليّ ! إن الله ، عزَّ وجلَّ ، أشرف على الدُّنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثم اطّلع الثَّانية فاختارك على رجال العالمين ، ثم اطّلع الثَّالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين . ثم اطّلع الرَّابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين .

ياعليّ! إن الله تبارك أعطاني سبع خصال: أَنت أَول من ينشقّ القبر عنه معي ، وأَنت أَوَّل من يقف على الصِّــراط مـعي ، وأَنـت أَوَّل من يُـكسـى إذا كُسيتُ ، ويحيـا إذا حييتُ ، وأَنت أَوَّل من يسكن معي في عِلّيّين ، وأَنت أَوَّل من يشرب معي من الرَّحيق المختوم ، الَّذي ختامه مسك .

يا عليّ ! ثلاث من أبواب البر : سخاء النَّفس ، وطيب الكلام ، والصَّبر على الأذى .

يا عليّ ! إذا رأيت الهلال فكبّر ثلاثاً ، وقُل : « الحمـد لله الَّذي خلقني وخلقك ، وقدَّرك منازل ، وجعلك آيةً للعالمين » .

يـا عليّ ! إذا نظرت في مـرآة فكبّـر ثـلاثـاً وقُـل : « اللَّهم كمـا حسّنت خَلقي ، فحسّن خُلقي » .

يـا عليّ ! إذا أُثني عليك في وجهـك فقُل : « اللَّهم اجعلني خيـراً ممَّـا يظنُّون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون » .

يا عليّ ! لا تهتم لرزق غدٍ ، فإنّ كلّ غدٍ يأتي رِزْقه .

يا عليّ ! إيّاك واللّجاجة ، فإنّ أوّلها جهل ، وآخرها ندامة .

يا عليّ ! عليك بالسّواك ، فإنّ السّواك مطهَرةٌ للفم، ومرضاة للربّ ، ومجلاة للعين، والخلال يحبّبك إلى الملائكة ، والملائكة تتأذّى بريحِ فمِ من لا يَتَخَلّلُ بعد الطّعام .

ياعلي ! لا تغضب ، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد ، وحلمه عنهم ، وإذا قيل لك : اتق الله فانبذ غضبك وراجع حلمك .

يا عليّ ! ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيامة : رجل أحبَّ لأخيه ما أحب لنفسه . ورجل بلغه أمر فلم يقدم فيه ولم يتأخّر حتّى يعلم أن ذلك الأمر لله رضي أو سخط . ورجل لم يعب أخاه بعيب حتّى يصلح ذلك العيب من نفسه ، فإنه كلما أصلح من نفسه عيباً بدأ له منها آخر ، وكفى بالمرء في نفسه شغلا .

يا عليّ ! احتسب بما تنفق على نفسك تجده عند الله مذخوراً .

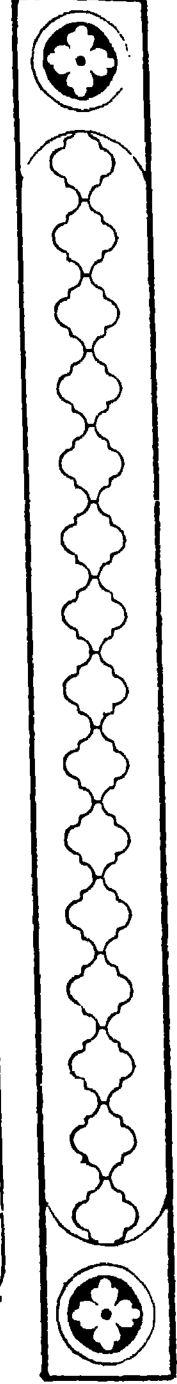
يا عليّ ! أحسن خلقك مع أهلك وجيرانك ومن تعاشر وتصاحب من الناس تكتب عند الله في الدّرجات العلى .

يا عليّ ! ما كرهته لنفسكفاكرههلغيرك وما أحببته لنفسك فأحببه لأخيك ، تكن عادلاً في حكمك ، مقسطاً في عدلك محباً في أهل السّماء ، مودوداً في صدور أهل الأرض. إحفظ وصيتي إن شاء تعالى[1].

---

(١) كلمة الرّسول الأعظم : ص١٥١ ـ ١٦٧ نقلاً عن ناسخ التّواريخ ـ المجلد الثالث ـ ومن لا يحضره الفقيه ، وتحف العقول .







# وصية الامام الأخيرة



# بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

« هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب :

« أنه يشهد أن لا إلـه الاّ الله وحده لا شـريك لـه ، وأن محمـداً عبـده ورسـولـه ، أرسله بـالهـدى ودين الحق ليـظهـره على الـدِّين كلِّه ولـو كـره المشركون» .

« ان صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

« أوصيكما بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الدُّنيا وإن بغتكما ، ولا تـأسفا على شيء زوى عنكمـا : وقولا بـالحق ، واعملا للأجر، وكـونـا للظالم خصمـاً وللمظلوم عوناً » .

« أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فإني سمعت رسول الله يقول « صـلاح ذات البين أفضل من عامة الصَّلاة والصِّيام » .

« انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم ، يهوّن اللَّهُ عليكم الحساب » .

« الله . الله في الأيتام فلا تُغبّوا أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم فقـد

سمعت رسول الله ( صلّى الله عليه وآلـه وسلّم ) يقول : « من عـال يتيماً حتّى يستغني أوجب الله عزَّ وجلَّ له بذلك الجنة » .

« الله . الله في جيرانكم فإنهم وصيَّة نبيِّكم ، مازال يوصي بهم حتى ظنَّنا انَّه سيُورِّثهم » .

« الله . الله في القرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم » .

« الله . الله في الصَّلاة ، فانها عمود دينكم » .

« الله . الله في بيت ربكم ، لا تخلّوه مـا بقيتم ، فإنّه إن تـرك لم تناظروا » .

« الله . الله في الزَّكاة ، فإنها تطفيء غضب الرَّب » .

« الله . الله في شهر رمضان فإن صيامه جنَّة من النَّار » .

« الله . الله في الفقراء ، والمساكين فشاركوهم في معائشكم » .

« الله . الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله ، فإنما يجاهد رجلان : إمام هدى ، أو مطيع له مقتد بهداه » .

« الله . الله في النِّساء وما ملكت ايمانكم فإن آخر ما تكلم بـه نبيكم أن قال : « اوصيكم بالضعيفين : النِّساء وما ملكت أيمانكم » » .

«الله . الله في ذرية نبيكم ، فلا يُظلّمن بحضرتكم وبين ظهّرانيكم وأنتم تقدرون على الدَّفع عنهم » .

« وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإياكم والتدابر والتقاطع ، وتعاونـوا على البـر والتَّقـوى ولا تعـاونـوا على الإثم والعـدوان ، واتقـوا الله إن الله شـديـد العقاب » .

« لا تخافوا في الله لـومة لائم ، قـولوا للنـاس حسناً ، ولا تتـركوا الأمـر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى عليكم شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

« حفظكم الله من أهل بيت ، وأستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السّلام ورحمة الله »[1] .

ثم قال :

« يَا بَني عَبْدِ ٱلْمُطلِبِ ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ خَوْضاً ، تَقُولُونَ : « قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ » . أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إلاَّ قَاتِلي » .

« ٱنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَٱضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ، وَلاَ تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱلله ( صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْمُثْلَةَ وَلَوْ بِٱلْكَلْبِ ٱلْعَقُورِ »[2] .

---

(١) مُروج الذهب : ج٢ ، ص٤٢٥ .

(٢) المعارف ، لابن قتيبة : ج٢ ، ص١٧٨ .

# الفهرس







